كتاب الشماس جورج انطون كيراز
DEACON GEORGE ANTON KIRAZ

رئيس بيت داود العظيم

او

ثلاث سنين في اورشليم

تأليف

العلامة الفاضل يوحنا انغرهام

PRINCE OF THE HOUSE OF DAVID

يامن يروم تلاوةَ الكتب التي تنمي حياةَ الدين والآدابِ
أَقبل على هذا الكتابِ فإنهُ والحقُّ يشهدُ باتَ خيرَ كتابِ

طُبع ثالثةً في بيروت في المطبعة الاميركانية سنة ١٩٣٠

ܡܫܡܫܢܐ ܓܘܪܓܝܣ ܐ. ܟܝܪܐܙ
الشماس جورج انطون كيراز
DEACON GEORGE ANTON KIRAZ

مقدمة المترجم

احمدك اللهمَّ الهَ الرحمة والمحبة والجود. حمدَ عبدٍ ذليل لسيد جليل . وأُقدّم لعزتك المقدَّسة ذبائح العبادة والسجود. بلسان التحميد والتسبيح والتهليل . لانك ارسلت مسيحك رئيساً لبيت داود . ومنقذاً خرج من صهيون ليردَّ الفجور عن اسرائيل . ومخلصاً يفتدي الذين اخترتهم لميراث الحياة والخلود . من لعنة الناموس والموت الوبيل

اما بعدُ فهذه رسائل رشيقة المباني . للعلامة الفاضل يوحنا انغرهام وضعها في تمثُّل ابن مريم مسيح الرب بشراً سوياً . وظهورهِ بين شعب اليهود ملكاً وكاهناً ونبياً . على نموذجٍ رائق جديد . ومنهجٍ شائق مفيد . وقد مثَّلها راجياً استمالة الفتيات الاسرائيليات الى مطالعتها وقبول المسيح مقتنعاتٍ بما فيها من البراهين القاطعة بنور لاهوتهِ المجيد

وحسبُ مؤلِّفها مكافاةً على المشاق التي تجشَّمها في وضعها ان تكون كلماتهُ فيها وسيلةً لاقناع ابنٍ او ابنةٍ

من نسل ابرهيم بأنَّ يسوع هو مسيًّا المنتظَر٠ او اقتناع وثني ملحد بان المسيح يسوع هو ابن الله وخالق البشر

وادينا الكاتبة اليهودية مفروضة فيها أنها كانت في اورشليم في السنين الاربع الاخيرة من حياة مخلصنا وقد كتبت الى ابيها في الاسكندرية رسائل متعددة بها وصفت لهُ بالتدقيق كل الحوادث والوقائع المهمة من حياة المسيح التي شاهدَتْها عياناً منسوقة نسقاً تاريخياً وفق ايرادها من البشراء الاربعة الملهمين

والغرض الاهمُّ من هذا المؤَلَّف البرهانُ على لاهوت ربنا بواسطة اتّضاعهِ لانهُ «لم يتكلم انسان قطُّ مثل هذا الانسان» ٠ ولكن ما ينبغي ان لا يبرح من الاذهان أنَّ واضع هذا الكتاب وهو يُمثِّل يسوع المسيح كانسان لم ينسَ القول « الله ظهر في الجسد » . تبارك اسمهُ وتقدَّس الى الابد

اسعد خليل داغر

مقدمة رسائل ادينا

ان ادينا المنسوبة اليها كتابة هذه الرسائل هي ابنةٌ وحيدةٌ لمنسّى بنيامين الاسرائيليّ الجنس من سبط يهوذا والاسكندريّ الموطن من ذرّية العالِم داود ازدراس منسّى احد السبعين شيخاً الذين انتدبهم الملك بطلميوس فيلادلفوس سنة ٢٧٧ ق٠م لترجمة التوراة من العبرانية الى اليونانية ٠ فانهُ لما اكمل ازدراس ورفقاؤُهُ هذا العمل العظيم وجد نعمةً في عيني الملك فقرّبهُ اليهِ ودعاهُ الى التوطُّن في مصر حيث مات شيخاً متقدماً في العمر ٠ ومخلِفاً ذكراً حميداً ورفعة شان لا يُنسيان امد الدهر ٠ ومن ذريتهِ تسلسل على خمسة اجيال رجال فضلاء حازوا ثقة حكام مصر ونعموا في ظلالهم فأثرَوا إثراء عظيماً واصابوا غنًى جزيلاً تخلَّف عنهم ميراثاً لمنسّى بنيامين ابي ادينا الوحيدة الذي كان خليقاً بهذه النعمة واهلاً لكل كرامة ومجدٍ ٠ فانهُ كان في الاسكندرية مكرَّم الجانب مرفوع الوجه لاستقامتهِ وصلاحهِ وحكمتهِ ورفعة مقامهِ ووفرة علمهِ وكثرة غناهُ

ونائلًا حظًا وافرًا من صداقة الحاكم روفس اوسيوس بولينس . ولم يكن توطُّنهُ في الديار المصرية لينقص شيئًا من محبتهِ لارض آبائهِ واعتبارهِ للمدينة المقدسة واكرامهِ لهيكل يهوه الاله العظيم . واذ كان ابوهُ قد ارسلهُ في ايام صبوتهِ الى اورشليم ليتهذَّب فيها بدرس نواميس موسى راى ان يُنيل ابنتهُ ايضاً نصيباً من ذلك يرشحها لان تكون امرأة يهودية بالحق واهلًا لميراث اسمهِ وثروتهِ

وهكذا ودَّعت ادينا المحبوبة اباها العزيز وخرجت قاصدة اورشليم مع قافلة من الحجَّاج اليهود على طريق غزَّة وبعد ما قاست اعباء سفرٍ شاقّ مدَّة سبعة عشر يوماً اشرفت على رؤية اسوار مدينة صهيون وابراجها فوقفت القافلة وترجل الركب وخرُّوا على وجوههم ساجدين امام مدينة داود وجبل المريا المقدَّس بوطء اقدام ابرهيم . فحسرت الفتاة عن وجهها القناع وحنت راسها بخشيةٍ مقدَّسةٍ وكانت هذه اول مرة رات فيها اورشليم مدينة آبائها ومسقط راس والدها الذي سمعتهُ منذ عهد طفوليتها يتكلم عنها بملء التجلَّة والتكريم . وما تأمَّلت فيها قليلًا حتى تذكَّرت اسحق الذي رُبط حول المذبح على اكمة هنالك واشعياء الذي نُشر مشطورًا في الوادي المظلم حيث كانت واقفةً وداود ومجدهُ وسليمان وحكمتهُ وجمهور الانبياء الذين طافوا

شوارعها وجالوا في جبالها ٠ ثم ما لبثت ان استرجعت الى ذاكرتها تاريخ كل الزمن الماضي فأتت على المحاصرات التي عانتها المدينة من الاشوريين والفرس والمصريين وسائر امم الارض وعلى السبي الذي حُمل بهِ ابناء جنسها وعلى خراب أسوار المدينة وهيكلها وترميمها على يد عزرا . اما الخشية المقدسة التي اعترتها بالاكثر فكانت عند افتكارها بان يهوه الاله الحي حلَّ هناك قرناً بعد قرنٍ حلولاً منظوراً بهيئة نارٍ سماوية داخل قدس الاقداس ٠ وانهُ تعالى كلَّم هناك الانسان وجهاً لوجه ثم خطر ببالها تابوت العهد والمائدة وعصا هرون المزهرة والحية النحاسية وغيرها مما وُضع في الهيكل فاخذ قلبها يخفق خفوقاً لم تشعر بهِ قطّ قبلاً ٠ ثم كررت الانحناء باعتبار اكثر ووقار اعظم لذلك الذي ميّز أمّتها على الامم ورفع مدينة آبائها فوق جميع المدن ٠ واذ ذاك رفعت راسها بافتخار لانها يهودية والتفتت الى ما حولها ناظرة بعُجبٍ الى نهاية ما امتدَّ اليهِ بصرها من تلك الارض وفي وهمها انها متجلَّى العظمة الالهية ومهبط الملائكة والموصل الوحيد بين السماء والارض

على ان سحابة افتخارها هذه التي نشأت عن تلك التصورات ما عتمت ان تبددت بظهور كتيبة من فرسان الرومان طلعوا على ذلك الموقف من جهة المدينة يخبّون

وراية النسر تخفق في مقدمتهم فنادى أدلاء القافلة «الرومان! الرومان!» ثم نهضوا من مجثاهم مذعورين واسرعوا الى دوابهم فامتطوا ظهورها وحادوا بها عن الطريق يخلونها من وجه الجنود الاَّ ان احد المكارين لم يمكنهُ الخروج في الحال من طريقهم فزحموهُ وداسوهُ الى الارض تحت حوافر خيلهم وغادروهُ مصروعاً غير مبالين بهِ

وعند ذلك امتُقعت ادينا وعلا وجهها الاصفرار لا خوفاً بل لانهُ قد انكسرت شوكة كبريائها وانطفأت شعلة الافتخار داخل قلبها وانساها هذا الاحتقار ذكر المجد الخالي الذي كانت منذ هنيهةٍ تعلل نفسها بهِ . فانها في بادئ الامر لشدة ابتهاجها برؤية اورشليم ذهلت عن ان ارض الملوك والانبياء المختارة من الله اصبحت خاضعة للقوة الرومانية ولكنَّ منظر الجنود حرَّك ساكن هذه الحقيقة المؤلمة في بالها فسدلت برقعها على وجهها وغرقت في اعماق الحزن والكآبة

اما فرسان الرومان فاجتازوها ومَنْ معها كعاصفة القتال وقد علت منهم اصوات رنين المهاميز وقرقعة اللجم وصليل الاسلحة ووقع خمس مئة حافر فلم يعد يسعها النظر الى المدينة بعين الفرح والافتخار . بل بعين الحزن

والانكسار · وخطر على بالها قول النبي ارميا في مراثيهِ :

« كيف غطّى السيد بغضبهِ ابنة صهيون بالظلام ! ألقى من السماء الى الارض فخر اسرائيل ولم يعد يذكر موطئ قدميهِ ! أهذه هي المدينة التي يقولون انها كمال الجمال بهجة كل الارض ؟ »

ثم استغرقت في البكاء واخذت تنفِس كرب نفسها بذرف دموع احرّ من الجمر واغزر من المطر · وكابنةٍ صادقة العاطفة نحو اورشليم شرعت تبكي مجد هذه المدينة الغابر وتندب عز شعبها القديم

ثم استأنفت المسير مع القافلة فابتدأُوا يهبطون منحدرًا يتعرَّج في سفح هضبةٍ مغشَّاة بالقبور التي كان احدها قبر النبي ارميا وقد دلَّها عليهِ المعلم اليهودي المُرسَل معها لاجل الاعتناء بها · وبعد ما اجتازوا هذا القبر أتوا وادياً تكسوهُ الخضرة والخمائل والعيون وهو مكتظّ بجمهور غفير من الرجال والنساء الذين جاءُوا اليه طلباً للتنزه خارج اسوار المدينة وكانت هنالك ايضاً مظالّ وخيام كثيرة مضروبة وتجار من جميع النواحي يبيعون بضائع مختلفة فاخبرها المعلم انهم وصلوا اورشليم في يوم عيد عظيم فتجنَّبوا هذا الحشد الكثير وداروا في طريق الى اليمين وصعدوا في مرتفع اطلُّوا منهُ على منظر آخر لاورشليم · فاذا بها تجلَّت لديهم

ببديع رونقها الباقي لها على رغم عاديات الزمان وكوارث الايام لان اورشليم مع انقلاباتها العديدة في الحروب والمحاصرات والخرابات ظلت تحت حكم الرومان عاصمة مجيدة ولم تبرح لهـا عظمة شان تخولها أن تُدعى باستحقاق «ملكة الامم» . فصرخت اديثا «مـا اجملها مدينةً !»

فاجابها المعلم بلهجة التكبر

«لا يستطيع الناس خراب مدينة الله فلسوف تثبت الى الابد»

«دلني ايها المعلم الصالح ابن اسرائيـل على الاماكن الشهيرة فما تلك القلعـة العظيمة وراء الهيكل العابسة في وجه الرومان بقوّتها ومناعتها ؟»

«تلك مدينة داود قلعة الملوك حامية الهيكل والمدينة وفيها تمتّع داود وكذلك المكابيون النبلاء وقد بناها ملكي صادق ملك اورشليم الاول وصديق ابينـا ابرهيم وهي الآن معززة بحاميـة من جند الرومان تبلغ الالف عدًّا»

فراوحت تلك الابنة اليهودية بين التنهـد والانين والشوق والحنين . ثم سألتهُ عن برجٍ سامٍ استمال نظرهـا اليهِ ما فيهِ من الجلاء المنبعث عن وقع اشعة الشمس عليهِ من نحو الغرب

«مرادك البرج القائم على جانب النخل المساويه في الارتفاع ؟»

«نعم هو عينهُ»

«ذلك يُدعى برج داود وعلى سوره المقابل فوق البوابة وقف حارس داود يترقّب الانباء عن ابشالوم وعلى بعدٍ منهُ الى الشمال والشرق غابة افرايم التي يروى ان ابشالوم قُتل فيها»

«وما تلك القلعة التي كستها الشمس عند مغيبها انوارًا تتألق عنها فتظهر كانها مغشاة بصفائح من لُجين ؟»

«تلك قلعة بيلاطس البنطي الوالي الروماني الذي يحكم في اورشليم كملك · ولكن لِمَ اراك ترتعدين هكذا ؟»

قال هذا حينما ابصر هيئتها تغيّرت وباتباعه الجهة الناظرة اليها عن اليمين رأى عددًا من الصلبان قائمة على مرتفع من الارض تجاه بوابة المدينة وعلى اثنين منها قد سُمّر شخصان يحيط بها فرقة من العسكر وجمع غفير من الشعب ينظرون اليهما يتضوَّران بآلام النزع الاخير حتى اتصل صوت أَنّات احدهما وامناته الى أُذني ادينا فقال لها المعلم

«هذه الجلجثة (رابية الصليب) حيث يعاقب الرومانيون المجرمين بالصلب وهوذا اليوم قد حُكم على

اثنين كما ترين وحقاً انهُ عقاب قاسٍ جداً وليس كالرجم بالحجارة · على ان الرومان قلما يهمّهم ذلك»

ثم دارا الى الشمال وراء حائط بستان مشاعٍ للعموم وكان جدارهُ متهدماً من بعض جهاتهِ وداخلهُ كثيرون بعضهم يروحون في عرضهِ ويجيئون · وبعضهم يتفيأون فيهِ تحت اشجار الزيتون · فقال المعلم

«هذا بستان سليمان ويدعى الآن جثسيماني وهو كباقي البساتين رسم دارس وقفر موحش»

«ومع كل هذا فما اجمل إقفارهُ وما ابهى منظر اسوار الهيكل من هنا قائمة تنطح بسموّها عنان السماء · وما اسمى هذه الرابية المظلّل بعضها شرقيَّ البستان !»

«هي اشجار زيتون وقد كان قسم كبير من بساتين الملك مغروساً زيتوناً في ايام مجد اسرائيل ووراء هذا البستان بيت عنيا»

«واين بيت لحم يهوذا التي منها يقول النبي سوف ياتي مدبّر يرعى اسرائيل ؟»

«الى الجنوب · واننا نتوقع اتمام هذه النبوءة يوماً ما ويسرّنا أنها تحقّق لنا ان اورشليم لا تبقى مدوسةً من الامم بل سوف يقوم فيها احد الملوك من ذرية داود الملكية»

«أباقٍ الآن احدٌ من عائلة داود ؟»

«نعم والأَفما من اتمام لهذه النبوءة لكنَّ الباقين منها غاية في الفقر والمسكنة على اني لا ارتاب في انهُ باقٍ في احدى بلدان العالم بين الامم بقية مقدسة تسرد كما ساد دانيال ويوسف في بلاد فارس ومصر ومن هناك تأتي ظافرة منصورة وتعلو عرش السيادة على اسرائيل»

فاعترضت عليهِ قائلة

«اذاً كيف يقال عن المُنتَظَر انهُ يخرج من قرية بيت لحم الصغرى؟»

فأُسقط في يد المعلم حيرة وفيما هو يحاول الجواب على هذه المسألة الصعبة اذا بالطريق امامهم قد سُدَّت وحال دون مرورهم فيها قطيع كبير من الغنم وبقية المواشي مسوقة الى المدينة لاجل ذبائح المحرقة فاخذوا يسيرون سيراً بطيئاً وراءها معوقين بها حتى اتوا بوَّابة دمشق حيث اوقفهم الحرس الروماني واستعرضهم اوراق المرور ودَفع ثلاثين استاراً عن كل جمل وبغل في القافلة · وكان منظر الشوارع مدهشاً لادينا التي قضت قبل دخولها فيها مدة طويلة تسير في البادية الموحشة · لكنهُ اذ كان منزل انسباء ابيها قريباً من البوابة لم تلبث ان صارت بين اصدقائها الذين وان كانوا لم يروها قط قبل الآن قابلوها بما لا مزيد عليهِ من الترحاب والتأهيل · وانزلوها على سعةٍ واكرام لائقين بمقام

ابيها الفاضل الجليل • فضلاً عما آنسوهُ فيها من المحاسن التي تستميل القلوب الى محبتها فقد كانت هذه الفتاة الاسكندرية الغنية في زهرة صباها غير متجاوزة السبع عشرة سنة وهي آية في الحسن والجمال ذات شعر اسود ووجهٍ بيضي الشكل يشفُّ عن لون زيتوني مشربٍ بحمرةٍ ورديةٍ وعينين نجلاوين تسطعان ببهاء الضياء • وانف غاية في الدقة والاستواء • وفمٍ يبسم عن عذوبة الملاحة ويسيل بماء البهاء

واما هي فاذ رأت ما أُعدَّ لها من اسباب الاكرام والاعزاز في هذا المنزل انقطعت لايام قليلة تطلب الراحة والتنفس من مشاق السفر واتعابهِ حتى اذا حان وقت رجوع القافلة كتبت لابيها الرسائل الآتية ثم اعقبتها غيرها تباعاً • فرأينا ان نتحف القارئ بهذه الرسائل على وفق اصلها مؤرخة في اهم زمان يتوق الانسان الى الوقوف على حوادثهِ • اما الرسالة الاولى فمؤرخة حسب الاصطلاح اليهودي بتاريخ يوافق ثلاث سنين قبل صلب مخلصنا

رسائل ادينا

الرسالة الاولى

ابي العزيز

ان اعظم ما تقوم بهِ واجباتي ويكمل سروري ان امتثل امرك الكريم واكتب اليك حين وصولي الى اورشليم. فهذه الرسالة وهي تنبئك عن كيفية وصولي تحمل اليك ايضاً بيان طاعتي البنوية فكن واثقاً اني لا اتاخر عن الكتابة اليك مع كل قافلة تسافر من هنا الى الاسكندرية شهرياً وان سنحت لي فرص غير هذه فانا مستعدة لانتهازها مدفوعة بعوامل محبتي لذاتك الوالدية · واشواقي الكثيرة لطلعتك البهية

ولقد استغرق سفرنا اياماً طويلة فالمعلم ابن اسرائيل يقول سبعة عشر اما انا فبعد ما انتهيت في ضبط عدها الى العشرة اعياني الملل فاضعت الحساب · وفي سفرنا بجانب البحر مدة ثلاثة ايام كنت امتع نفسي بمناظرهِ الشائقة

الجميلة وكان يتراءى لي كأنهُ القبة الزرقاء مبسوطة على الارض وقد قدَّر لي حسن طالعي ان اشاهد فيهِ سفناً كثيرة اخبرني الربَّاني (المعلم) الذي كان على الدوام مستعداً لشفاء ظمإي الى الاستفادة انها كانت مراكب رومانية بعضها مُقلع الى صيدا والبعض الآخر للمسير في نهر النيل ومع واحد من هذا القسم الاخير ارسلت لك دعائي الحار وشوقي الجزيل . وفيما نحن نفارق شاطئ البحر ونتجه نحو البادية رأيت مركباً مكسوراً وقد لاح لناظري بهيئة محزنة بعثتني على شيء من الاسف . وقد مثلت لعيني صورتهُ الضخمة السوداء المرتفعة عن سطح البحر وحشاً بحرياً قذفتهُ التيَّارات الى البرّ وغادرتهُ ينزع الى الموت . اما الرباني فافادني انهُ كان مشحوناً قمحاً من الاسكندرية الى ايطاليا وقد دفعتهُ عاصفة الانواء الى الشاطئ فانكسر . فكم ينبغي ان تكون قوة الانواء شديدة . وكنت ارجو ان ارى لوياثان (١) ولكن خاب رجائي وقال لي معلمي انهُ يندر وجوده الآن في البحر المتوسط ولكنهُ يوجد بكثرة وراء عمود الهراقلة في آخر العالم

وقد اقمنا يومين في غزة ودخلنا من البوابة التي اقتلع

---

(١) هو تمساح هائل او حوت كبير مجهول

شمشون مصراعيها ورأَيت الجبل المزعوم انهُ القاهما عليهِ وذلك على بعد ميلين نحو الجنوب الشرقي وقد زرت في تلك المدينة كثيرًا من الاماكن القديمة ولا سيما الحقل حيث ضرب شمشون جيوش الفلسطينيين بحد السيف والمغارة التي عرض لهُ منها الاسد فشطره الى نصفين وبنى عليهِ أُحجيتهُ المشهورة ثم دلَّنا الدليل على البئر التي التي فيها آباؤُنا العشرة اخاهم يوسف وأَرانا الصخرة التي جلس عليها الاسمعيليون يعدُّون قطع الفضة التي دفعوها ثمنهُ · على ان المعلم ابن اسرائيل يقول ان بئر يوسف الحقيقية هي شمالي اورشليم قرب جبل جلبوع في دوثان

وقبل وصولنا بيوم ضللنا الطريق عند الصباح وانحرفنا مسافة طويلة نحو الشرق فاطللنا على بحر سدوم وعمورة ولا تسأل عمَّا نابَ قلبي من الاضطراب عند مشاهدة ذلك المكان المخيف الموسوم بغضب الله وسخطهِ ! وحينئذ خُيّل اليَّ أَني ارى السماء تمطر نارًا وكبريتاً وتقذف باللهب والدخان كما من اتون على تينك المدينتين اللتين احترقتا والمدن التي حولها وتلك الدائرة الجميلة المحيطة بهما التي قيل لنا انها كانت جنة واسعة من احسن جنان الارض · اما الآن فان النفس تنقبض من مشاهدة ذلك البحر الميت الموثق باغلال الهدوء والسكينة في فضاء محرق وتحت جوّ صافٍ من

السحب تشوي حرارة شمسهِ الاجسام شيًّا!

وفيما نحن ناظرون اليهِ لاح لنا من شمالهِ نهر الاردن يتلألأ كأنهُ سلك فضيّ ومع انهُ بدا لناظري قريباً فقد قيل لي ان المسافة بيننا وبينهُ ليست باقل من يوم على الناقة. وفي اليوم الثاني بعد ان اجترنا في طريقنا وادياً مظلماً ضيقاً صعدنا في مرتفع اشرفنا منهُ على مدينة اورشليم التي ظهرت لدينا على غير توقُّع منا بداعي القفر الذي لم يزل ممتدًّا امامنا حتى صرنا على بعد ميلين منها فقط

وحقاً لست بقادرة يا والدي العزيز ان اصف لك ما خامرني من الانفعالات عند مشاهدة المدينة المقدسة · انفعالات اختبرها ملايين من شعبنا – وهي معروفة لديك وقد قصصت عليَّ شعورك بها انت ايضاً · وقد تجلى لديَّ الماضي برجالهِ العظام الذين ساروا مع الله واثقل عاتقي باحمال التعجب والاندهال . وسألت ذاكرتي بتاريخ هذا الموضوع المقدس فانحنيت ساجدة امام منظر الهيكل حيث سكن الله مرة (أواه حتى متى يبطئ. تعالى مجيئهُ الى الارض وحلولهُ في هيكل قدسهِ!) في شكنيا [1] الملتهب واعلن

(١) شكنيا او شكينا اللهيب الذي كان يهوه يظهر فيهِ ظهورهُ المنظور

آيات مجده ومعجزاته الناطقة بمشيئته وقد استطعت ان انظر من هناك دخان الذبيحة المسائيَّة صاعدًا الى الجو فتوسلت في قلبي الى الله ان يقبلهُ عنك وعني

وفي اقترابنا من المدينة مررت باماكن عديدة شهيرة فشاقني ان انظر بعينيَّ تلك المقامات السامية التي كنت اعرفها قبلًا من القراءة عنها في اسفار الانبياء فقط وعندئذٍ تراءى لي من مشاهدة الاماكن المأثور بها ذكر اشعياء وارميا اني اعيش في عهد هذين النبيَّين العظيمين · وبالحقيقة بقيت في اورشليم ثلاثة ايام عائشة في الماضي حين عملت على تفتيش التواريخ المقدسة ومقابلة الاماكن والمناظر بنصوصها الصحيحة وانا اصدق كلًّا منها باقتناع. وفهمٍ مصحوبين بفرح وابتهاج لا مزيد عليهما واذ انك يا والدي العزيز قد امتحنت ذلك قبلي ولا حاجة لبسط افكاري لديك من هذا القبيل

وكان دخولنا المدينة الساعة السادسة مساءً وما لبثنا ان جئنا بيت نسيبنا الربَّاني عاموس اللاوي وقد قبلوني كابنةٍ لهم واعدُّوا لي من الاكرام والترحاب ما خشيت انهم يحاولون بهِ ان انسى الوطن العزيز الذي فارقتهُ · وهم جميعاً يهدون اليك احسن التحية والسلام · اما عاموس فقلما اراهُ بداعي انشغاله في خدمة الهيكل ولكنهُ غاية في التقى

والصلاح وعلى جانب عظيم من المحبة لاولاده • وقد زرت الهيكل مرة فرأيت داره الخارجية اشبه بسوق غاصة بباعة الحيوانات لاجل الذبائح فعلى الجانب من هنا يباع الوف من اطيار الحمام في اقفاص كبيرة وعلى الجانب الآخر من هناك معالف للحملان والنعاج والعجول والثيران • وكان من اصوات هدير الحمام وثغاء الحملان وعجيج الثيران واختلاط ضوضاء الباعة بلغط الشراة (جمع شارٍ) ان حوَّلت ذلك الموضع عن كونهِ هيكل الله الى ساحة بيع وشراء • وحقاً انهُ تدنيس لهُ ان يُجعل على هذه الصورة وكانهُ ناتج عن فقد الخشية المقدسة التي كان اباؤُنا يقدمونها لبيتهِ تعالى وقد سررت ان اجتزت بسلام هذا «البازار» الذي بحجة بيع محرقات المذبح كان مشهداً لكل صنوف التجارة. ولما دخلت دار النساء شعرت بوجودي في الهيكل من جرَّاء البهاء الذي احاط بي واذ ذاك حدث عن الخشية التي انحنيت بها نحو قدس الاقداس ! فلم اشعر قبل الآن اني قريبة هذا القرب من الله • وهناك صعدت سحب البخور فوق رؤُوس الجمهور وجرت انهرٌ من الدماء عن جانبي مذبح المحرقة • فكم من الحيوانات البريئة يُسفك دمها زكياً وتُمسي اجسادها فرائس النار في كل صباح ومساء عن خطايا اسرائيل ! ويا لهُ من بحرِ دمٍ خضمٍ أُريق في العصور

السالفة ! واي سرّ عجيب مخيف في ان دم حمل بــلا عيب يكفّر عمّا ارتكبتهُ انا من الخطايا ! فلا بدَّ يا والدي العزيز من معنى غامض في هذه الذبائح لم يُكشف بعد لنا · وفي رجوعي من الهيكل لقيت في الطريق جماعات كثيرة مشاةً وركباناً خارجين بازدحام من بوابة المــدينة وهم في شأن غريب · وبعد البحث علمت انهُ ظهر رجل خارق العادة – نبيٌّ صادق من الله وقد آمن بهِ كثيرون من سكان البرية في الشرق بقرب الاردن · وانهُ يكرز بقوة لم يسمع بمثلها منذ ايام ايليا واليشع ولذا كان كثيرون يخرجون كل يوم من اورشليم لينظروا هذا النبي ويسمعوه · ومسكنهُ في مغارة وطعامهُ النبات والعسل البري ولا يشرب غير المــاء ولباسهُ وبر الابل · هذا مجمل حديث هذا النبي فعسى انهُ يكون صادقاً وانهُ مرسل من السماء افتقاداً من الله لشعبهِ اسرائيل · ولكن ايام الانبياء مضت منذ وقت طويــل واخاف ان يكون هذا رجلاً متهيجاً فقط مثل يهوذا الجليلي الكاذب الذي خدع شعبنا ومــات شرّ ميتة · على ان هذا الرجل ينطق بكلام شديد التأثير في آذان السامعين لهُ يشهد بانهُ مؤيَّد بروح الانبياء ويسوغ للانسان الايمان بهِ

استودعك الله يا ابي وارجو انك تشاركني في الصلاة

لاجل مجد اسرائيل ابنتك المطيعة
ادينا

الرسالة الثانية

ابي العزيز

ان الرباني الفاضل ابن اسرائيل قد اطلعني الآن على عزمهِ على الرجوع غداً الى مصر وسألني هل لي شيء اوصي بهِ الى اصدقائي في الاسكندرية فكنت اود ان اكون انا عوضاً عن هذه الرسالة التي يحملها اليك واتمنى بدلاً من ان يُلقى بين يديك هذا الرق ان يطرحني انا ابنتك في حضنك الابوي • ولكن هي ارادتك يا والدي العزيز ان اكون هنا ومع اني احنُّ شوقاً الى رؤيتك اسعى جهدي في ان اكون مسرورة في غيابي عنك مخافة ان يسبب كدري لشيبتك

الصالحة حزناً وغماً

ويسرك ان تعلم اني حاصلة على اكثر ما يُنظر من الراحة لابنة بعيدة عن بيت ابيها . فالرباني عاموس يذكرني اياك في لطفهِ ووداعتهِ وطلاقة محيّاه وامراتهُ الصالحة رفقة بالحقيقة امٌّ اسرائيلية لا غشَّ فيها . وابنتها الصغرى مريم تريني بواسطة ميلها المخلص اليَّ كم من المحبة فقدت بعدم حصولي على أختٍ . والخلاصة اني في عائلةٍ مفطورة على الانس والمحبة فقد وجدت نعمةً في عيني اله آبائنا بأن قدَّر لي ان اكون مدة غربتي عن وطني على شاطئ النيل الجميل في بيت عامر بالراحة والسلام الاهليَّينِ

اما الشارع الذي نحن فيهِ فمرتفع وسطح البيت حيث اتمشَّى في المساء لمراقبة الكواكب الطالعة في سماء مصر يُطَلُّ منهُ على المدينة المقدسة ويشرف على الهيكل العظيم البناء القائمة سطوحهُ الرخامية بعضها فوق بعض المندفعة مياه حياضهِ الفضية الى العلاء كأنها شجر النخل والعابسة اسواره الرفيعة وابراجهُ المنيعة في وجه الزمان . وحينما تقع اشعة شمس الصباح على الاقواس الذهبيَّة القائمة في الباب الذي يفتح الى قدس الاقداس يتألَّق كانهُ اكليل سماويٌّ بضياء مجد علويٍ فلا اعود اقوى على امعان النظر في ذلك المكان المقدس ولا استطيع ان اتصوَّر ما في داخلهِ من المجد الباهر

الذي كان يحيط قبلًا بحضور يهوه المنظور في شكينـا الملتهب

وفي صباح امس نهضت باكرًا الى السطح فشاهدت سحابة ذبيحة الفجر صاعدة من الهيكل وفي التفاتي نحو القمة المقدسة هالني السكوت التام المستولي على جبل المريًا من جميع نواحيـهِ · وكانت الشمس لم تطلع بعد ولكن بدت تباشيرها في الافق الشرقي بانوار وردية تخالطها اضواء ارجوانية وكوكب الصبح آخذ في الافول ولم يكن من صوتٍ يسمع في خلال الهدوء السائد على كل منازل اورشليم وازقتها واحيائها · بل كان الليل والسكوت باقيين مخيمين على المدينـة وفوق المذبح الالهي · فاعترتني رعدة لم أبدِ عندها حراكًا فوقفت ويداي متعارضتان على صدري وراسي منحن بخشوع تام لاني وثقت انهُ في غياب الانسان وانقطاع صوتهِ تكون الملائكة وجند الله العلي قائمة للحراسة حول مدينة داود · ثم أُشرعت حراب النور من نحو الشرق تخترق البحر الارجواني وانشأت السحب التي كانت كالمراكب القائمة على مراسيها تزدحم لاستقبال اشعة النور الحمراء المرسلة بُشرًا امام ملكة النهار · وتتقد كانها سفن تحترق · ثم اخذت الظلمة تتبدَّد دقيقة بعد أخرى ونور الفجر يتزايد · وبينما انا اترقب طلوع الشمس

على قمة جبل المريَّا احفلت باصوات ابواق الكهنة اذ بوَّق على الفور الف بوق فضيٍّ بصوت واحد من اسوار الهيكل حتى مادت لها اساسات المدينة المتينة وفي الحال غصَّت السطوح في كل مكان باقدام الساجدين ا و كرجل واحد نهضت اورشليم من رقادها ووقف فيها مئة الف رجل ووجوههم نحو الهيكل · وفي النبويق الثاني الذي كان هتافهُ بصوت موسيقيّ كصوت الله حين كلم ابانا موسى في جبل حوريب جثَت كل ركبة و كلُّ لسان اشترك في انشاد ترنيمة الحمد الصباحية · و كان دويّ الاصوات اشبه شيء بعجيج الامواج المتكسرة على الشاطيء و كان الهيكل الرفيع الذرى يُصدي بذلك العجيج كانهُ جرفٌ عالٍ واذ لم اكن معتادة قبلاً ان ارى شيئاً من هذا السجود الجليل في الاسكندرية كنت واقفة بالاكثر كمشاهدة وليس كمشاركة كما كان يليق بابنتك ايها الوالد العزيز · وفي اثناء تصعيد ترنيمة الحمد شاهدت عمود دخان اسود صاعداً من وسط الهيكل ثم انبسط على الدار كخيمة وقد صحبهُ عمود آخر اكثف منهُ وانصع لوناً انتشر على هيئة اكليل وتجعَّد محبوكاً عليهِ كانهُ خيوط ذهبية مضفورة حبلاً قائماً · وهذا الاخير كان دخان البخور الذي أُصعد مع ذبيحة المحرقة واخذ يعلو شيئاً فشيئاً حتى ارتفع الى عنان الجوّ وتوارى في السماوات

العلى فجثوت متذكرة انهُ على اجنحة البخور صعدت صلوات الشعب وقبـل ان اختفى عن نظري حمّلتـهُ يا ابي العزيز صلوات لاجلك ولاجلي

فما اعجب ديانتنا! وما اغرب هذا السر في هذه الذبائح اليومية المقدَّمة منذ مئات السنين عن خطايا آبائنا وخطايانا نحن! وكم من مرةٍ ناجيتُ نفسي بعد ما اتيت الى هنا وقلت كيف يستطيع دم العجول او الحملان او الجداء ان يزيل الخطية واية علاقة سرية بيننا وبين هذه الحيوانات العجماء البريئة؟ وانَّى لحملٍ الوقوف امام الله عوضاً عن الانسان؟ وكلما تعمقت في هـذا البحث الرهيب ازددت تعجباً واندهالاً · وقد طارحت الرباني عاموس البحث في هـذا الموضوع فكان يتبسم ويوعز اليَّ ان اهتمَّ بتطريزي لاني انا وابنتهُ مريم كنا نُعدُّ لهُ رداء مطرَّزًا بالذهب لعيد راس السنة القادم

اما الذبيحة المسائية التي شاهدتها امس فكانت اشدَّ وقعاً واعظم تأثيرًا من ذبيحة الصباح · فانـهُ حالما تغيب الشمس وراء جبل الجباية مشرفة على وادي عجلون ينذر بذلك هتاف طويل من المبوقين على ابراج صهيون الغربية فتبلغ اصواتها الرخيمة مسمع ابعد شخص في المدينة فيكف الجميع عندئذ عن العمل ويلقي كل انسان آلة شغلهِ من يده

ويرفع وجهه نحو قمة بيت الله ثم يلي ذلك سكوت تام كأن الجميع انقطعوا حتى عن التنفس يتوقعون امرًا ذا شأن عظيم . ثم يهتزّ الجلد برعود الابواق التي تنقذف امواج اصواتها متلاطمةً من اعالي اسوار الهيكل وتبدأ سحب الذبائح ترتفع على اجنحة الجلال والوقار وتنزل كستار مرخى حول الجبل الالهي فتواريه عن النظر . وفوقها يشاهد البخور النقي محلقاً الى عرش الاله غير المنظور مشيّعاً بربوة من العيون ومصحوباً بصلوات الامة جميعها وبعد ما يزول نور النهار ويرخي الظلام سدوله يرى نور المذبح المحجوب عنا بباذخ اسوار دار الهيكل الخارجية مشرقاً عالياً تستمدُّ ابراج المريا وشرفاته قسماً عظيماً من ضيائهِ

على ان شيئاً واحدًا حدث يا والدي في خلال هذا السجود المسائي وشوَّه محاسن ساعة الخشوع المقدسة . فانهُ بعد ما هتفت ابواق اللاويين الفضية وكانت كل القلوب والعيون مرفوعة الى عرش يهوه ترافق تقدمات البخور سُمعت من قلعة الرومانيين المتاخمة مدينة داود اصوات ابواق نحاسية وتلاها عمود دخان كدخان الذبيحة صعد من اعالي قمة مدينة داود الحصينة . فقيل لي حينئذٍ ان الرمان جلسوا يسجدون لجوبتير الههم الوثني . آه فمتى تتحرَّر المدينة المقدسة من تعييرات الغرباء ؟ فواهاً لاسرائيل ! وحسناً تنبأ ارميا

قائلًا « ان ميراثهم قد صار للغرباء وبيوتهم للاجانب ولم تصدق ملوك الارض وكل سكان المسكونة ان العدو والمبغض يدخلان ابواب اورشليم »· وكيف صدقت نبوات المراثي « كره السيد مذبحهُ حصر في يد العدو اسوار قصورها· اطلقوا الصوت في بيت الرب كما في يوم الموسم »· فعلى هذا ابكي وانوح يا ابي العزيز حتى ان دموعي وانا اكتب اليك تنحدر من وجنتيَّ على الرق· فلماذا هذا؟ لماذا يدع الله العدو يسكن داخل اسوار قدسهِ ودخان ذبائح مكرهتهِ يختلط بدخان تقدمات كهنتهِ الاطهار؟ فحقاً اخطأ اسرائيل وهوذا نحن الآن نعاقب على ذنوبنا· وحقاً يليق بنا ان « نفحص طرقنا ونمتحنها ونرجع الى الرب » لعلهُ يرجع راحماً ويرد مجد اسرائيل فلو كنا اصبحوا خدمة الامم ونواميسنا ليست موجودة بعد ولم يعد انبياؤنا يرون رُؤًى والله سبحانهُ صعد بغضبهِ ولم يبقَ لهُ من علاقة مع شعبهِ المختار· حتى ان دخان الذبائح اليومية نفسهُ صار ينعقد فوق الهيكل ممثلًا غضب الله· فلم يقم بيننا نبيٌ منذ ثلاث مئة سنة والرباني عاموس يقول انهُ من عهد ملاخي قطع الله كل علاقةٍ معروفة مع شعبهِ وبيت قدسهِ ولم يعد يظهر اقل علامة تدل على استماعهِ الصلاة او قبولهِ الذبائح المقدمة لهُ تعالى وقد سألت الرباني المذكور عمَّا اذا

كان الحال يستمرُّ على هذا المنوال . فاجابني بانهُ حينما يأتي شيلوه يرد كل شيء فيملأ حينئذ مجد اورشليم كلَّ الارض وتأتي كل الامم من اقاصي المسكونة لتسجد لله في الهيكل . ومما قالهُ لي « اننـا الآن تحت سحابة من خطايانا ولكن يأتي يوم مجيد بهيٌّ تكون فيهِ صهيون بهجة كل الارض » . ثم زاد على ذلك انهُ شاع منذ احدى وثلاثين سنة ان ملاكاً ظهر لاحد الكهنة وهو يقدم البخور وتركهُ بعد الرؤية اخرس . وفي حديثي مع الرباني عاموس عن حلول حامية الرومان في مدينة داود وتقديمهم الذبائح الوثنيـة بجانب مذابحنا انقدت الى فحص نبوة ملاخي فوجدت انهُ بعد ما يخجلنا ويوبّخ الكهنة لانهم « يعثرون الشعب » وهكذا يجعلون انفسهم « هزءًا وسخرية امام كل الامم » ينبي قائلاً « هانذا ارسل ملاكي فيهيئ الطريق قدامي ويأتي بغتةً الى هيكلهِ السيد الذي تطلبونهُ فيجلس ممحصاً ومنقّياً للفضة فينقي بني لاوي ويصفيهم كالذهب والفضة ليكونوا مقربين للرب تقدمة بالبر » ثم يزيد على ذلك « هانذا ارسل اليكم ايليا النبي قبل مجيء يوم الرب العظيم والمخوف »

وقد تلوت هذا اليوم على مسمع الرباني عاموس حين دخل الرباني ابن اسرائيل وقال لي انهُ ينطلق غداً فرايت عاموس وقد غشيت وجههُ مهابة ووقار لم اعهد لها فيهِ نظيراً

من قبل فاشفقت من ان اكون قد اغظتهُ بتحرشي وجسارتي
واذ دنوت منهُ واوشكت ان اعانقهُ رأيتُ عينيهِ مغرورقتين
بالدموع · فأَثَّر فيَّ هــذا المنظر تأْثيرًا عظيماً ولخوفي اني
سببت لهُ فوق تكديرهِ حزناً زدت اضطراباً وهممت ان
استصفحهُ تطفلي وفضولي في هذه المباحثة · واذا بهِ قبض
على يدي وقال بينما الدموع تترقرق من على لحيتهِ البيضاء
وتنهال كذوب الالماس على يدي « انكِ لم تفعلي اقل خطإٍ
يا ولدي فاجلسي بجانبي وكوني في امنٍ وسلام مع نفسكِ
لان جميع ما كتبهُ النبي ملاخي هو جارٍ في هذه الايام» ·
ثم خاطب معلمي الاسكندري قائلًا «يا ابن اسرائيل ان
كهنة الهيكل فسدوا جميعهم الاَّ القليل منهم ! فلا بد ان
يكون النبي مشيرًا بكلامهِ الى هذه الايام واخشى ان لا
يكون عند جميع كهنتنا اللاويـين فيما سوى الظاهر من
الديانة الحقيقية والمعرفة الصحيحة عن الله الا اكثر قليلًا مما
عند كهنة تماثيل الرومان ! فكم يخيفني الفكر بان الله لا
يسرُّ بذبائحنا اكثر من سرورهِ بــذبائحهم · وبينما كنت
اليوم في الهيكل اخدم مع الكهنة على المــذبح جاءت في
بالي كلمات اشعياء « لماذا لي كــثرة ذبائحكم يقول الرب
اتخمت من محرقات كباش وشحم مسمنات · وبدم عجول
وخرفان وتيوس ما أُسرُّ · لا تعودوا تأْتون بتقدمة باطلة

البخور هو مكرهة لي · مللت حملها فحين تبسطون ايديكم استر عينيَّ عنكم وان كثَّرتم الصلاة لا اسمع · ايديكم ملآنة دماً · اغتسلوا تنقَّوا · اعزلوا شرَّ افعالكم · كفوا عن فعل الشر · تعلموا فعل الخير ! » فلم تفارقني هذه الاقوال المخيفة مدة وجودي في الهيكل · وخيل اليَّ انها ترعد في أُذنيَّ بصوتٍ سماوي · وعند توبيخي الكثيرين من الكهنة الذين هم اصغر مني سناً على تهاونهم وطياشتهم سألوني عن السبب فاجبتهم مراجعاً لهم اقوال النبي هذه فاصفرَّت وجوههم من الخوف وهكذا انصرفت عنهم »

فقال ابن اسرائيل « قد لاحظت ان الاحترام الحقيقي في الهيكل قد قلَّ عمَّا كان حين زرت اورشليم وانا شاب لكنني اجد مظاهر العظمة والمجد قد زادت في الاحتفالات الطقسية »

فاجابهُ ابن عاموس بهيئة تشفُّ عن الحزن « نعم فانهم يموهون بظواهر التقوى بينما هي نفسها تموت من الداخل وهذا التبجح في مظاهر العبادة مأخوذ عن الرومان فالى هذا الحد من الدناءة والانحطاط سقطنا وليست عبادتنا على ما فيها من البهاء والزخرفة سوى قبر مبيّض من الخارج وداخلهُ كل عفونة وفساد »

وليكن معلوماً عندك ايها الوالد العزيز ان هذا البيان

المأثور عن مصدر ثقة كعاموس قد احدث فيَّ تأثيراً لا يُدرك وصفهُ · فان كنا لا نسجد لله فلمن اذًا نسجد ؟ وان كان يهوه رب الجنود اله آبائنا ابراهيم واسحق ويعقوب يحجب وجههُ عن ذبائحنا وقد ملَّ استنشاق رائحة بخورنا فمن يعبد اسرائيل ؟ لا احد ! فنحن اذًا اردأ من البرابرة المتسلطين علينا اذ ليس لنا من اله واما هم فلهم على الاقل آلهة كثيرة وارباب متعددة أَوَّاه أَوَّاه · ان يوم الانتقام من اورشليم قريب · ولا بدَّ ان يأتي السيد فجأة الى هيكلهِ منقياً ومطهرًا واني لفي غاية الاقتناع ان اليوم قريب جدًّا · وليس بعيدًا ان نراهُ في حياتنا يا ابي العزيز

وعند ما فرغت من كتابة السطر الاخير دخلت اليَّ مريم ومعها شابٌّ يريد ان يتعرَّف بي وهو يوحنا ابن اخ بتولماوس اليصاف الرئيس اليهودي المغبوط الذكر الذي قتلهُ الرومان لشدَّة غيرتهِ ومحبتهِ الحارة لبلاده · وهذا الشاب يسكن بقرب بوابة غزَّة مع والدتهِ الارملة وهي امرأة تقية ممدوحة السيرة ويوجد بينهُ وبين مريم علاقة مودة ليست مما يدعى عشقاً بل هي شديدة الاخلاص تليق باطهر ما يمكن من الصداقة · وارى ان صداقتهما ترداد كل يوم تمكناً والتحاماً وقد رجع يوحنا اليوم من نواحي اريحا حيث قضى هناك مدة ينظر ويسمع النبي الذي

اشرت اليهِ في ذيل رسالتي السابقــة والذي ملأَت شهرتهُ هذه الديار · واصبح ذكرهُ شغل الكبار والصغار وقد حمل الوفاً على الذهاب اليه في البرية ليسمعوا فصاحة اقوالهِ الفائقة · وقد روى عنهُ يوحنــا حوادث لاذَّة للغاية شوقتني كثيراً ان اكون من السامعين لــهُ · وفي رسالتي التاليــة اكتب اليك كل ما اكون قد سمعتهُ واثقة انك يا ابي العزيز تطيل اناتك عليَّ ومحققة انني على رغم ما ينتج عن تدقيق بحثي وتجاسري في التفتيش استطلاعاً للاسرار المقدسة ابقى مدى الدهر محبة لالــه ابينا ابرهيم وبملء الخضوع مطيعةً لك ايها الوالد العزيز

ابنتك

ادينا

الرسالة الثالثة

ابي العزيز

بينما كنت في هذا الصباح راجعة من الهيكل حيث ذهبت لاسجد واشاهد الاحتفال بتقديم باكورة الثمار لاحت مني التفاتة الى ابنية عديدة محيطة بالصخرة المقابلة ولدى السؤال عنها قيل لي انها برج انطونيا · وقد رأيته عابساً في وجه الهيكل ومن اعالي شرفاتهِ تخفق اعلام النسر الرومانية · واذ انني سمعتك قبلًا تروي لي حوادث تاريخية عن هذا الصرح الرفيع الشان وقفت اتفرَّس فيهِ بلذَّة وامعان وكنت مدة تأمُّلي اتصورك واقفاً بجانبي · اما ابراجهُ الاربعة القائم كل منها على زاوية فهي باقية كما كانت حين قمتَ انت في الشمالي منها محارباً مدافعاً فذدت عنهُ في وجه الرومان وانت اقطع (اي بيدٍ واحدة) ولكنهُ الآن مشحون بعساكر الرومان الذين تخرج اصوات ابواقهم من اسوارهِ وترنّ في آذان جميع سكان اورشليم وقد اصبحت

الطريق هنالك مقفرة خطرة بسبب سلاطة الرومان وتحرُّشهم بابناء السبيل . اما انا فلم اكن عالمة بهذا وبينما كنت يوماً اطوف هذه المعاهد لا يصحبني سوى عبدي الحبشي اذا بجنديين رومانيين قد اقتربا خارجين من باب المدينة في طريقهما الى القلعة فحينئذٍ ابصرت نفسي وحدي لان الجماعة التي رجعت معها من الهيكل تقدمتني في الطريق فسدلت قناعي بضبط وهممت ان اجتازهما بسرعة واذا بواحدٍ منهما اعترضني في مسيري وقبض على النقاب محاولاً اعاقتي فتركتهُ في يدهِ وارکنت الى الهرب واذا بالثاني اوقفني وحال دون فراري وذلك على مرأى من الذين في القلعة وقد اغربوا في الضحك عند سماعهم صياحي وصراخي . وبينما انا في معظم شدَّتي وخوفي منهم اقبل شابٌ قائد مئة على جوادهِ نازلاً من القلعة فصرخ بهم عن بعدٍ وعدا نحوي مسرعاً الى انقاذي من مخالب تعدياتهم التي حملتهم عليها سورة الخمر اللاعبة برؤوسهم فاوثق ذينك الجنديين وارسلهما تحت الحجز الى القلعة . ثم خاطبني بألطف عبارة معتذرًا عن خشونة المعاملة التي لقيتها من رجالهِ واعداً بانهم سوف يُعاملون باشد منها فشاقتني انسانيتهُ وكرم اخلاقهِ ونبالة نفسهِ على حين لم يكن متجاوزًا الثانية والعشرين . ولكي يأمن رجوعي الى المدينة بسلامٍ ترجل عن جوادهِ واشار

اليَّ فامتطيتهُ وهو يسير بجانبي قائدًا بالعنان . واحقق لك يا ابي العزيز انـهُ بالجهد بلغت بيت عمي قبلما نال اولئك المعتدون الاجلاف جزاءهم المحق . ولقد وجدت من الرومان رجلًا انيسًا لطيفًا لم اجد مثلهُ بين ابناء قومي ولاجلهِ رأيت أَن أُحسن الظن في بلادهِ وشعبهِ . ولقد رآني في اثناء اضطرابي ولحظ اني كنت اتجنبهُ وهو يمشي بجانبي فأخذ يحادثني على الطريق بكلام فصيح مُطنبًا في مدح بلاده وحسن فتياتها وحكمة رجالها وشجاعة قوادها وقوتها ومجدها وسلطانها المستحوذ على كل الارض . ولما طرقت مسمعي كلماتهُ الاخيرة تنهدت من اعماق قلبي لان يهوذا حسب النبوات ينبغي ان يتسلط على كل الارض ولذلك فهؤلاء الرومان قابضون على زمام سلطة حقّها ان تكون لشعبنا . فكيف هذا يا ابي العزيز ؟ كيف سمح يهوه الاله العظيم لاولئك البرابرة بالصولجان الذي هو شرعًا ميراث الاسد من سبط يهوذا ؟ كم مرة في اليوم منذ ما جئت اورشليم ذكرت مذلة شعبي ؟ وكيف ان هؤلاء اعداء الله الساجدين للآلهة الكاذبة يسكنون الارض المقدسة ويغتصبوننا القوَّة المعطاة لنا من الله ؟

هذه الاسئلة القيتها على عاموس بعد ما رجعت لان حادثتي السابق ذكرها جرَّتنا طبيعيًّا الى المحادثة عن سلطة

الرومان على الارض وظهر ان ذلك القائد الفاضل لم يكن مجهولاً عند عاموس الذي قال لي انهُ احد قواد الرومان المشهورين في المدينة وقد سرَّني استماع ذلك منهُ ثم حذرني من الذهاب الى ذلك المكان مرة ثانية والتعرض لخشونة عساكر الرومان المكدرين راحة السبيل

وما انتهيت في كتابة هذه الرسالة الى هنا حتى طرق اذني صوت ضجيج عظيم دلَّ على حدوث شغب غير معتاد في الخارج فنظرت من شباكي الذي يطلُّ منهُ على الشارع المؤَدي الى بيت عنيا وهو من اكثر الشوارع ازدحاماً للاقدام فوقعت عيناي على منظر مؤَثر للغاية لكنهُ افعم قلبي خجلاً لانهُ كان يسفر عن موكب عظيم تحفُّ بهِ الاعلام الرومانية والابواق والمركبات المذهبة . فلم يكن موكب ملك اسرائيل او واحداً من تلك المواكب التي كانت تغصُّ بها شوارع اورشليم في ايام سليمان او الملك داود بل كان موكب الوالي الروماني الذي تقدم راكباً في مركبة حربية مذهبة تتقدمهُ فرقة من الفرسان وهو جالس تحت مظلة من الحرير الازرق مطرزة بالذهب تجرُّها افراس بيض وعليها عددٌ فضيَّة ورؤُوسها مزينة بالريش ويتبعهُ فرقة من الفرسان الشبان بابهى الملابس وفي مقدمتهم بيلاطس الذي كانت علامات السيادة والامارة ظاهرة عليهِ تخفي ما تحتها

من جسم البطالة والتراخي · ثم نظرت ذلك القائد العظيم الذي انقذني من ذينك الجنديين وقد امال نظرهُ نحو الشباك حيث كنت واقفة فحدت منهُ الى الوراء لكنهُ رآني قبلما تواريت وحيَّاني · وحقاً يا ابي انهُ شابٌ متحلٍ باجمل الصفات وجديرٌ بان يكون يهودياً وأود لو ان العناية تقدّر لي الاجتماع بهِ مرَّة ثانية فكنت أُهوّدهُ (١) واقنعهُ بوجوب ترك وثنيَّتهِ والتعبد لله الحي

ولم تسرَّني رؤية الوالي فهو رجلٌ اسمر اللون مليح المنظر لكنهُ سمين جدًّا ويُستدَلُّ من هيئتهِ على انهُ من مُدمني الخمر وقد علمت انهُ رجلٌ خاملٌ منساقٌ للطيش ومنبعث في الملاهي والملذات وصداقتهُ الخاصة مع امبراطور الرومان مهَّدت لهُ الحصول على هذا المنصب · على انهُ كيف كان الامر فخير لنا ان يكون والينا بطَّالاً وسكيرًا من ان يكون قاسياً وظالماً مثل سلفهِ الذي كان سبب قتل ذلك الرجل العظيم ابي يوحنا الذي اخبرتك عنهُ في رسالتي السابقة

وهذا يذكرني شيئاً اروم ان اقولهُ لك · فليس بذاهب من بالك اني افدتك عن الهياج المتزايد يوماً بعد يوم بسبب

---

(١) اي اجعلهُ يصير يهودياً

ظهور نبيّ جديد يكرز في برية اريحا وحياتـهُ من حيث التقشف والزهد كحياة ايليا ٠ ومنذ ثلاثة اسابيع خرجت اليهِ جماهير عديدة من المدينـة وجميعهم سمعوهُ ورأوهُ في وادي الاردن واعتمدوا منهُ معترفين بخطاياهم ٠ وكان ممن سمعوهُ يوحنا نسيب مريم الذي بسبب ما سمعهُ عنـهُ من الذين رجعوا من البرية ذهب ليتحقق الامر وهو يقول الآن بملء الرجاء السري ان الله قد افتقد اسرائيل مرّة ثانيـة وارسل لنا نبيّ المصالحة ٠ وفي رجوعهِ شاهدنا وجههُ يشرق بضياء انتعاش غير معتاد فان منظرهُ قبلاً كان مغشياً بالكآبة اما الآن فقد سطعت عيناهُ بانوار آمالٍ قوية تجدّدت فيـهِ حديثاً وقد قصّ علينا نبأ زيارتهِ لذلك النبي فكان كما يأتي :—

« بعد ما خرجت من البوابة وعبرت نهر قدرون وواديهُ لحقت بجمع غفير في منحدر الطريق على جانب جبل الزيتون الجنوبي وهذا الجمع كان مؤلفاً من رجال ونساء واولاد ومعهم زاد كثير في سلالهم وهم يسافرون كعادة شعبنا في الصعود الى عيـد الفصح ٠ وفي وصولي اليهم علمت انهم كانوا متجهين نحو البرية قاصدين ان يسمعوا ذلـك النبي العظيم الذي ذاعت شهرتـهُ الى كل الامكنة ٠ واصبح ذكرهُ ملء الافواه والالسنة ٠ وكان بـين هؤلاء كهنة

وقضاة وصدوقيون وفريسيون واسينيون وكثيرون آخرون حتى ممن لا ايمان لهم لانهُ في اليهودية نفسها اصبح عشرات الوفٍ من الذين لا يؤمنون بالهٍ بعد ما انقطع يهوه عن الحلول في هيكلهِ!

«ثم اجتزت هذا الجمع الكوني راكباً مسرعاً وهم مشاة يسيرون سيراً بطيئاً حتى بلغت قمة الجبل ومن ثمَّ التفتُ الى الوراء لألقي نظرة الوداع على المدينة فتذكرت كل مجد اورشليم الخالي واسفت جداً على زوالهِ ليس بخراب ابنيتها لانها لا تزال عظيمة وسامية بل بانحطاط قوتها . ثم طرقت اذني اصوات ابواق الرومان تصدي فوق الاودية حيث مدافن الانبياء والكهنة والملوك . ثم تنعكس من اسوار الهيكل الاصداء (جمع صدى) التي كانت قديماً تنشأُ عن صوت الله . وكان بالقرب مني جثسياني ذلك البستان الجميل الذي حاول سليمان ان يصنع فيهِ جنة عدن ثانية فنظرت اليهِ واذا بجدرانهِ متهدمة ومماشيهِ مخربة وليس فيهِ سوى نبتةٍ هنا وزيتونة هناك ونخلة هنالك كانها لم تبقَ الا لتذكّر العابرين بانهُ ههنا كانت بهجة الجنات . ومحلى الافراح والمسرات . التي لم يدنُ منها قط حزين مخافة ان تبلّ الدموع ارضها المزينة بالنقوش والزخارف والتي وُقفت على التنعم والرفاه وهذا ما وصفها بهِ احد شعرائنا وقد

اخطرهُ في بالي ما شاهدتهُ فيها من الإقفار والإيحاش حتى انها اصبحت اليوم اشبه بمكان البكاء والدموع منها بمحل الفرح والابتهاج وكأني بها تدعو اليها اهل الاحزان لينقطعوا فيها الى البكاء. بعد ما كانت ترّحب بالمسرورين ليغنموا معاً الأُنس تحت ظلالها

« وما لبثت ان جئت فندقاً وجدت فيهِ كثيرين من الخيالة قاصدين اريحا وقد تعرَّفت بالسواد الاعظم منهم وبعد السؤال علمت انهم قادمون من اورشليم لاجل مشاهدة النبي الجديد نظيري . وكان بينهم شاب غني وشريف من الرامة مشتعلاً مثلي بنار الرغبة والاشتياق الى رؤية هذا النبي المدعو يوحنا اما الآخرون فكانوا منساقين الى هذا القدوم باهواء مختلفة فبعضهم لغاية التجارة والبعض لغاية التنزه والبعض لغاية التفرُّج على الشخص الغريب الذي تحدثت كل اليهودية بامر ظهورهِ . وفي مسيري مع يوسف الراميّ تجاذبنا الحديث عن هذا الذي جئنا نشاهده وبحثنا في الاشاعات المنقولة عنهُ وظهر لي ان رفيقي كان مصدقاً رسالة هذا النبي لانهُ اذ كان من المتعمقين في درس الكتب المقدسة قال لي ان السبعين اسبوعاً التي ضربها دانيال اجلاً لمجيء مسيّاً اوشكت ان تنتهي . فسألتهُ اذ ذاك هل يصدق ان مسيّاً المزمع ان يكون رئيساً وملكاً يملك

من البحر الى اقاصي الارض ' يأتي الى البرية لابساً جلود الوحوش ؟ فاجابني بانهُ لا يثق بكون هذا النبي هو مسيًّا لان المسيح حينا يأتي يدخل الهيكل وكلنا نشاهدهُ هناك لكنهُ يأمل ان يكون هذا النبي الذي خرجنا لمشاهدتهِ سابقَ مسيا الذي تنبأ عنهُ ملاخي ولما كنت حاملًا معي كتاب الانبياء لكي اقابل ما اسمعهُ من كارز الاردن فتحت نبوة دانيال فرأيت بمزيد العجب والانذهال ان ليس السبعون اسبوعاً فقط كانت على وشك الانتهاء بل الالف والمئتان والتسعون يوماً ايضاً قد قاربت المرور ' . فاندهشنا كلانا من اتفاق ذلك عند مجيء هذا النبي واعترانا الفرح والخوف . وقد احيا ذلك فينا آمالاً لم نقوَ على النطق بها

« وفيما نحن نجتاز بيت عنيا قال لي يوسف ' ان الذين سمعوهُ يقولون انهُ يشهد علانية انهُ سابق مسيًّا . وكان من رأي الجهلة الذين رأوهُ انهُ ايليا نفسهُ قد عاد الى الارض بينما الآخرون يذهبون انهُ اخنوخ وقد نزل من السماء وليس الذين يعتقدون انهُ اشعيا بقليلين ' . وما زلنا آخذين باطراف هذا الحديث حتى عبرنا تلًّا يقال ان شجرة معرفة الخير والشر كانت فيهِ وكذا السلَّم التي رآها يعقوب . وفي اعتقاد الكثيرين ان الصالحين بعد القيامة سوف يصعدون

من ذلك المكان الى السماء الثالثة لان عرش الله في رأي العموم منصوب فوقهُ تماماً

« وبعد سفر يوم طويل اجتزنا فيهِ جماعات عديدة وجماهير كثيرة مسرعين الى مشاهدة النبي ولقينا كثيرين راجعين يروون انباء غريبة عن فصاحتهِ وحكمتهِ وقوتهِ جئنا مقابل اريحا · اما هذه المدينة فهي معمورة بحصون الرومان وقلاعهم لانها مقام الولاة في الشتاء · وقد شاقنا النظر الى موقعها في منخفض تلوح مروجهُ الخضراء كأنها بحر من زمرُّد وقد فرَّج عن نفوسنا انقباضاً كاد يخنقنا ونحن نقطع في طريقنا تلالاً جرداء · وهضاباً مقفرة لا ماء فيها ولا كلأً · وفي مجيئنا الى المدينة على بعد ساعة منها نحو الشمال مررنا باطلال حصن ايل الذي جدَّد بناء اريحا في ايام الملوك والى اليمين الحقل الذي نازل فيهِ جيش الكلدانيين آباءنا وغلبهم وأُخذ الملك صدقيا اسيرًا · اما الآن فتراهُ جنَّةً غنَّاء تبسم بالراحة والأَمن كأَن السلام لم يبرح مستظلًا في خمائلها · والى الشمال على مسافة نصف فرسخ داني يوسف على خرابات عاي وتل الكمين الذي منهُ خرج رجال يشوع على المدينة وحرَّموها · ولما جئنا المدينة لم يسعني الآَ ان اتذكر يوم دار حولها المئة الف اسرائيلي محتذين نعالاً لبسوها اربعين سنة في البرية

فتصورتهم يدورون من حولها بنوعٍ اهتزت لهُ الارض ورئيسهم يشوع واقف بالقرب منهم على مكان مرتفع يقودهم ويسدد حركاتهم ثم خُيّل اليّ اني سمعت رعود ابواق جند الله هاتفة سبع مرات ورأيت اسوار تلك المدينة ساقطة وقد ظلّلت السماء بغبارها الذي انتشر فوق رؤوس الاسرائيليين قباباً · وانعقد في جو هاتيك الانحاء سحاباً · على ان الواقع كان يختلف كل الاختلاف عن هذه المناظر التصوُّرية · فان الشمس كانت حينئذٍ عند مغيبها ترسل اشعتها الذهبية الى ابراج المدينة الرومانية ومراقبها واسوارها وحصونها وتكسبها منظرًا يبعث النفس على العجب والانذهال وكان الجوُّ الازرق في معظم الصفاء لا يشوبهُ اقل كدورة من الغيوم والوادي المحيط بالمدينة عوضاً عن اصدائهِ باصوات جند الرب كان مكتظاً بامراء الرومان وسيداتهم المنتشرين فيهِ جماعات طلباً للتنزُّه وبموكب من الفتيات اللواتي كنَّ خارجات الى المقابر متوشحات بملابس بيض كالثلج يفرشنَ طريقهنَّ بالازهار وينشدنَ ترانيم دينية شجية لان ذلك اليوم كان عند بنات اريحا تذكارًا لتعاسة حظ ابنة يفتاح فخرجنَ يزرنَ قبرها لانها كانت مدفونة في هذه المدينة التي سكنها يفتاح وقتاً طويلًا قبلما انتقل الى المصفاة وقد نقل جسدها الى هنا

ليدفن مع اجساد آبائها

« ولما بلغنا باب المدينة اعترضنا جنديٌّ روماني وطلب منا ان نريهُ جواز السفر ونؤَدّي الرسم المضروب على كل مسافر . ثم دخلنا لِنَبيت تلك الليلة ونخرج باكرًا في الصباح الى ضفَّة الاردن حيث كان النبي يكرز ويعمد »

وعند هذا الحد من تقرير يوحنــا اختم لك رسالتي يا والدي العزيز وقد كنا جميعنا مصغين لهُ بمزيد الانتباه مفتونين بحسن الاسلوب الذي كان يسرد فيهِ على مسامعنا كل ما شاهدهُ فكان وجههُ يتدفق بماء الكياسة وعيناهُ تسطعان بنور الملاحة وصوتهُ يرنُّ كآلةٍ موسيقية وكل منظره يشف عن بديع شمائلهِ وحسن صفاتهِ الادبيــة كالحزم واللطف والرقة والتقى والصلاح · وفي رسالتي الآتية اعود الى تتمة حديثهِ اذ ان لي بعد اتمامهِ اشياء كثيرة استميل نظرك اليها وبركة الهِ اسرائيل تشملك ايها الوالد العزيز الجليل

ادينا

الرسالة الرابعة

ابي العزيز

بسرورٍ لا مزيد عليهِ اخذت اليوم طرسك الابوي الذي افعم قلبي ابتهاجاً لاعرابهِ عن صحتك واشتمالهِ على حنوّ والديّ طابت بهِ نفسي وقرَّت عيني وتضمنهِ عواطف محبتك التي اجعلها للابد اكليلًا لرأسي وقلادة لعنقي ولقد اسفت جدًا على وفاة الرباني اسرائيل كما اني سررت للغاية باحالة وظيفتهِ اليك لانك مع كونك غير محتاج والحمد لله الى عائدتها فانتخاب كهذا دليل واضح على ما لك من الاعتبار في عين الوالي الروماني · ولا يداخلك الخوف يا ابي العزيز من جهة أني أُسبى بتعاليم جديدة واترك ايماني الاسرائيلي فاني مرتشدة بمشورات حكمتك ومتحرّزة للغاية في إقدامي على البحث عن الارض المقدسة · وقد كتبت اليك لمجرد الوقوف على نصيحتك واثق انك لا تنظر الى مسائلي كأنها قضايا ارتاب فيها بل مداخل للتفتيش

عن الحق . ولست اجهل انك اعلم من كل اليهود في الناموس وانك مستعدٌّ لان تحل لي كل اشكالٍ اعثر عليهِ في بحثي عن الاشياء هنا في اورشليم ولا سيا الامور المختصة بالعبادة والطقوس المشروعة في الهيكل

في رسالتي السابقة التي لا تصلك الاَّ بعد ايام بدأت لك قصة سفر يوحنا نسيب مريم الى الاردن لينظر ويسمع النبي الذي ظهر هناك ولستُ اريد ان احكم او أُبدي رأياً في هذا الموضوع انما مرادي يا ابي العزيز ان ابسط لك الواقع مستمدة من حكمتك ارشاداً الى الحقائق التي يمكن تناولها من هذه المسموعات . وقد عثرت في كتابك الكريم على آيةٍ سرتني للغاية وزادتني ثقةً وايماناً الا وهي قولك « ثقي يا ابنتي فلا خوف على صحة نواميس موسى او بيت الله او اقوال الانبياء من بحث الناس وامتحانهم فانها مؤَسسة على الحق وستبقى الى الابد . ولا تخشى عبادة اسرائيل تفتيشاً . انما عليكِ وانتِ تبحثين وتفتشين عن الاشياء المقدسة ان تتذكري انها جميعها لله وينبغي ان تفحص بملء الاتضاع والاكرام وكل بحث يُعرَض على النبوات بغية الوقوف على يوم اتمامها فحبذا ونعمًا ولست ارتاب في أنكِ ان اخلصتِ هذه الغاية في بحثكِ تُرشدين اليها بحكمة من فوق . واذ اني بعيد عنكِ فصبَّ عليَّ بثَّة

الحكم في شأن هذا النبي الذي اشرتِ اليهِ في رسائلك ٠ على اني لا اعجب من اقتراب ملء الوقت الذي دل عليهِ اشعياء لان الحوادث التي المعت بها تقضي باقترابهِ لا سيما ما ذكرتهِ عن الفتور والتراخي الدينيين وعن العبادة الرومانية الوثنية على جبل صهيون وعن تدنيس المذبح واستفحال سلطان الرومان في كل مملكة يهوذا ٠ فلنصلِّ بحرارة يا ولدي لاجل اتمام النبوات عن مسيا الموعود بهِ شعبنا المدوس والمذلّ ! ولنتضرع لاجل طلوع كوكب يعقوب وظهور رئيس السلام الذي يثبت كرسيهُ على جبل صهيون وقضيبهُ يكون قضيب برّ ٠ وفي ايامهِ يرفع اسرائيل رأسهُ ويسود على الامم ٠ وتريني أُصلي يومياً ووجهي نحو اورشليم واطلب ان اعيش لارى تحقُّق رجاء اسرائيل ٠ واشاهد بعينيَّ مجد شيلوه العظيم الجليل »

فاقوالك هذه يا والدي العزيز أوحت فيَّ نشاطاً وبسالة واني واثقة مثلك ان يوم اتمام النبوات اخذت تنبثق انوار فجرهِ واعلهُ اقرب مما نتوقع ٠ وبعد ما أُنجز لك قصة يوحنا عن ذهابهِ الى الاردن لاستماع ذلك النبي تطَّلع على السر في اني اتكلم الآن بمزيد الثقة والرجاء وتوافقني على ان هذا الكارز بالتوبة ليس من صف الانبياء الكذبة الذين

تحذرني منهم على الخصوص في كتابك الكريم ٠ اما تتمة حديث يوحنا فهي :—

« نهضنا عند الفجر وغادرنا الفندق وفي عزمنا الخروج من الباب الشرقي ٠ فلما اتينا اليه وجدنا الشارع عنده غاصا بالطالبين الخروج مثلنا فاعترضنا الحرس الروماني واوقفنا نحو نصف ساعة حتى ازداد ازدحام الجمع وصاروا يدوسون بعضهم بعضاً والكل واقفون بفروغ صبر ينتظرون مجيء ضابط حرس الباب المتواني الذي كبر عليه البكور في النهوض من فراشه والاتيان الينا قبلما حار الضحى ٠ وحينئذٍ بعد ما استحم وفطر بكل تراخٍ وابطاء رخص للحرس في فتح الباب ! الحق متى نبقى عبيداً لسيدٍ كهذا ؟ بل متى يأتي اليوم الذي يتمّ فيه قول اشعياء " تنفتح ابوابك دائماً ليلاً ونهاراً لا تُغلق ليؤتى اليك بغنى الامم وتقاد ملوكهم "

« وفي خروجنا من الباب انفردت بصديقي الرامي واجتزنا الجموع مسرعَين نحو الاردن وكان الصباح جميلاً والغزالة قد سطعت باشعتها فكست وجه الطبيعة نوراً ٠ وملأت فؤاد الكون بهجةً وحبوراً ٠ والندى يعكس عن ضيائها الوفاً من صغار الشموس ٠ والارض تتألق بقطراته كأن قد نثر عليها فتات الالماس ٠ وظلّت طريقنا على أمد

ميلين تسير بين حقول الذرة والبساتين حتى ضربنا في السهل الواسع حيث كانت قطعان حمر الوحش تمرح في عرضهِ فتدنو منا شاخصة الينا بعيون العجب والاندهال ثم تنفر عنا نفور الغزلان · وقد عرفنا من اتخاذ الذاهبين قدامنا طريقهم في وسط السهل ان النبي مقيم في تلك الجهة وكان كذلك فاننا اخيرًا وجدناهُ على شاطىء الاردن تحت المخاضة مقابل اريحا على طريق القافلة الى بعلبك وبلاد اشور – ذلك الطريق الطويل الشاق الذي كثيرًا ما سار فيهِ آباؤنا الاقدمون الى السبي — الطريق الذي سقاهُ ملوك كثيرون بدموعهم · فتأملنا فيهِ والحزن حشو حشانا والدموع ملء اجفاننا وصلّينا الى الله بحرارة لكي يرجع ويفتقد بقيّة شعبهِ ويعود عن غضبهِ علينا · وبعد ما جئنا الاردن الى ما فوق المخاضة بقليل اقبلنا على الجماهير الغفيرة الواقفة لاستماع النبي وهو بعيد عنا نحو الجنوب على طرف البادية · وفي عبورنا مجرى الماء بلغنا عمود حجارة مبنيًا على حافتهِ · وقد قال رفيقي ʼ انهُ عمود الاثني عشر حجرًا التي اقامها الأسرائيليون تذكارًا لعبورهم الاردن لانهم من هنا عبروا في ارض يابسة ʻ

«فعددتها واذا هي سبعة فقط واذ ذاك تصوَّرت الانقلابات العديدة التي طرأت على اسرائيل منذ ما وضعت

ايدي آبائنا هذه التلة بين عـدد كثير من القضاة وسلسلة طويلة من الملوك وسبي بعد سبي وحروب وانتصارات وانكسارات وخضوع بمذلّة الى حدّ لم نعُد عنده شعباً

«ثم قربنا من الجموع المتراكمة بعضها فوق بعض حول مرتفع بجانب النهر قائم عليهِ رجلٌ كانت كل الانظار واقعة عليهِ • وجميع الآذان مصغية بمزيد الانتباه اليهِ • حتى ان نغمات صوتهِ العـذب الصافي كانت ترنُّ في مسامعنا قبلما اقتربنا بالكفاية وقدرنا ان نفهم كلامهُ وكان شاباً لا يتجاوز عمره الثلاثين وعليهِ أمارة السمو والسيادة وشعرهُ طويل مسترسل على عنقهِ ولباسهُ ثوب مصنوع من وبر الابل ويدهُ اليمنى عريانة الى الكتف وصورتهُ تميل فوق مظاهر الابهة والعظمة رقةً وجمالاً وكنت ترى في كلامهِ فضلًا عن فصاحتهِ وبلاغتهِ دليلًا واضحاً على تواضعٍ متناهٍ مقرون باقدس غيرةٍ واظهر حرارةٍ فاصغى لهُ الشعب بشوقٍ وارتياح لانهُ كان يكلمهم بروح ولهجة الانبياء الاقدمين ولا سيما في اقـوالهم النبوية وكان موضوع كلامهِ مسيّاً فقال

«ارجع يا اسرائيل الى الرب الهك فقد سقطتَ باثمك • خذ معك كلاماً وارجع الى الرب وقـل أزل يا رب اثمنـا واقبلنا منعماً • هوذا يأتي الذي يشفي ارتدادك ويحبك مجاناً

ويكون لاسرائيل كالندى ويزهر كالنرجس ويخرج فروعهُ كلبنان فتمتد اغصانهُ ويكون جمالهُ كشجرة الزيتون • وثمره يكون لشفاء الأمم والذين يسكنون تحت ظلهِ يرجعون ويسكنون الى الابد وكل من يدعو باسم الرب يخلص لانهُ بدونهِ ليس مخلص

«وقد بذلنا جهدنا في الاقتراب من النبي لاني حاولت ان لا تفوتني كلمة واحدة من فم ذلك الرجل الذي اوحش المدن من سكانها وجعل البرية آهلة بهم وعندها القى احد القريبين مني سؤالاً لواحدٍ كان بجانبهِ ثم وجهُ اليَّ قائلاً ‹عمن يتكلم النبي هذا الكلام› ؟ فاجابهُ احد الكتبة القريبين وهو لا يشاء ان يعترض احد اصغاءهُ ‹عن مسيَّا— أصغِ هوذا كلماتهُ بسيطة فاسمعهُ› • ثم استأنف النبي كلامهُ بصوتٍ كما من بوق فضي ‹اهتفوا في صهيون لان يوم الرب آتٍ لانهُ هوذا قد اقترب اليوم الذي فيهِ اردُّ سبي يهوذا • احملوا المنجل فقد جاء وقت الحصاد واقترب اليوم الذي فيهِ يزأر الرب من صهيون وينطق بصوتهِ من اورشليم› • فسألهُ واحد بصوتٍ جهير ‹ألست انت ايليا› ؟ فقال ‹انا الذي كُتب عنهُ صوت صارخ في البرية اعدُّوا طريقاً لالهنا هوذا يوم الرب قريب • اما انا فانما أُرسلت منادياً لتعدُّوا طريق الرب› • ثم سألتهُ امرأة واقفة بجانبهِ تصغي الى كلام شفتيهِ

أَلست انت مسيا ؟ فاجابها بملء الاتضاع ان الذي يأتي بعدي هو اقوى مني ولست مستحقاً ان احمل حذاءهُ وسيأتي ورفشهُ في يدهِ وسينقّي بيدره ويجمع قمحهُ الى المخزن واما التبن فيحرقهُ بنار لا تُطفأ · لذلك توبوا · توبوا · خذوا كلاماً وارجعوا الى الرب الحكيم · توبوا واعتمدوا لمغفرة خطاياكم لانهُ يأتي ذلك اليوم الذي يتّقد كالتنور · فاحذروا لئلا تبيدوا وقد وُضعت الفاس على اصل الشجر فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تُقطَع وتلقى في النار · فسألهُ لاويٌّ يا معلم أَلنا نحن الاسرائيليين تقول هذا الكلام ام للامم والسامريين ؟ لانهُ كان هناك كثيرون من جنود الرومان ومن السامريين حتى من دمشق ايضاً فاجابهُ

« اذهب ونادِ في آذان اورشليم يقول الرب لان شعبي عمل شرَّين تركوني انا ينبوع الماء الحي واحتفروا لانفسهم آباراً مشققة لا تضبط ماء · فالرب قد جعلني في هذا اليوم عموداً من حديد وسوراً من نحاس في وجه كل الارض — في وجه ملوك يهوذا والروساء والكهنة وشعب الارض · ومع كل ذلك تقول يا اسرائيل لم تخطئ · هوذا شرك يؤدّبك وارتدادك يوبخك · فليتب كل واحد منكم ويصنع اعمالاً تليق بالتوبة لانكم قد نجستم الارض فلا تقولوا اين الرب الذي اصعدنا من ارض مصر فقد اغظتموني

كل يوم بقساوة قلوبكم وصلابة رقابكم ! اصلحوا اصلحوا اعمالكم ولا تتكلوا على كلام الكذب قائلين هيكل الرب هيكل الرب وقد جعلتموهُ مغارة للصوص وباتت ذبائحكم فيهِ مكرهة الرب ! ' فاجابهُ كاهنٌ وقد صبغت وجههُ حمرة الغيظ 'هذا الكلام يمسّنا نحن الكهنة فنحن لسنا لصوصاً ' . فاجابهُ النبي بصوت كأنهُ صوت الله من حوريب حتى اخذتنا جميعنا رعدة من استماعهِ 'ويلٌ للرعاة الذين يهلكون ويبددون غنم رعيتي . اني اردُّ عليكم شرَّ اعمالكم . كيف اكدرَّ الذهب تغيَّر الابريز الجيد بنو صهيون الكرماء الموزونون بالذهب النقي كيف حسبوا اباريق خزف . كان نُذُر بنت شعبي انقى من الثلج واكثر بياضاً من اللبن واجسامهم اشدَّ حمرة من المرجان . صارت صورتهم اشدّ ظلاماً من السواد وهم يطعمون اولاد شعبي رماداً عوضاً عن الخبز ! ويل لصهيون على خطايا انبيائها وذنوب كهنتها ! طوفوا في شوارع اورشليم وانظروا واعرفوا وفتشوا في ساحاتها هل تجدون انساناً او يوجد عامل بالعدل طالب الحق . وان قالوا حيٌّ هو الرب فانهم يحلفون بالكذب . فاسمعوا هذا ايها الكهنة واصغوا يا بيت اسرائيل ! ويلٌ لكم ايها الكهنة لانكم اخطأتم وقد رأيت من ابناء اورشليم امراً مخيفاً فهم يزنون ويمشون

بالاكاذيب يقول الرب · شعبي قد اخطأ لعدم المعرفة · لذلك أُهملك يقول الرب لا تعد من الآن كاهناً لي لانك نسيت ناموس الهك فالكهنة مثل الشعب · لذلك تنوح الارض وجميع الساكنين عليها يحزنون · لذلك احلفوا واكذبوا واقتلوا واسرقوا وازنوا وافسدوا في الارض لانهُ لا حق ولا رحمة ولا معرفة الله في الارض · ويلٌ لكم ايها الكهنة»

«حينئذٍ تركهُ كثيرون من اللاويين وذهبوا في تذمرٍ عظيم وكانوا يودُّون ان يوقعوا بهِ شرًّا لولا انهم خافوا من الجموع الذين قالوا انهُ تكلم بالحق · وبعد ان سكن الشغب الذي نشأ عن انسحاب اللاويين سألهُ ناموسيٌّ غنيٌّ من مدينتنا «يا معلم ألا يُخلص بواسطة ابرهيم شيوخ اسرائيل الذين هم من ذريتهِ وليسوا كهنة؟ فالتفت اليهِ النبي بعينين سوداوين كأنهما شمسان وقال «لا تبتدئوا تقولون في انفسكم لنا ابرهيم ابٌ» ثم استتبع كلامهُ مشيراً الى الحصى عند قدميهِ «لاني اقول لكم ان الله قادر ان يقيم من هذه الحجارة اولاداً لابرهيم فكل من يفعل الصلاح فهو من ابرهيم لذلك توبوا واصنعوا اثماراً تليق بالتوبة» · وهنا حدث تذمر بين الفريسيين والصدوقيين

لسبب هذا الكلام اما النبي فحول نظره نحوهم كانهُ اطلع على دخيلة قلوبهم وصرخ

«يا اولاد الافاعي من اراكم ان تهربوا من الغضب الآتي . فهوذا اليوم الذي يجلس فيهِ الآتي منقياً بجانب اتونهِ فاصنعوا اثماراً تليق بالتوبة . اغسلوا قلوبكم حتى يمكنكم ان تخلصوا» . ثم نادى باعلى صوتهِ مخاطباً النساء اللواتي كنَّ في ملابس فاخرة وشعورٍ مضفورة «وانتنَّ يا بنات يهوذا ارجعنَ عن هذه الافكار الباطلة تمنطقنَ بالمسوح والنوح والعويل انزعنَ عنكنَّ هذه المكرهات من امام عينيَّ واخشينَ الرب . اذا لبستنَّ قرمزاً اذا تزيَّنتنَّ بزينةٍ من ذهب اذا كحلتنَّ عيونكنَّ بالاثمد فباطلاً تحسّنَّ انفسكنَّ لاني اسمع صوت بنات صهيون يزفرنَ ويبسطنَ ايديهنَّ في يوم سبيهنَّ وذلهنَّ لاجل آثامهنَّ . فتبنَ لان ملكوت السماوات قريب!

«اسمع يا اسرائيل اني الهٌ قريب ولست الهاً بعيداً يقول الرب . اسمعوا رسالة العلي لانهُ اقترب اليوم الذي فيهِ يأتي يهوه الى الارض ويكلم عبادهُ وجهاً لوجهٍ . ها ايام تأتي يقول الرب واقيم لداود غصن برّ فيملك ملكاً وينجح ويجري حقاً وعدلاً في الارض . وقد جاء اليوم الذي فيهِ يخلص يهوذا ويسكن اسرائيل آمناً حين أُقيم

عليهم رعاة يرعونهم ولا ينقد منهم شيء!

« قومي استنيري لانهُ قد جاء نوركِ! اسمع يا اسرائيل! من اجل صهيون لا اسكت لا اهدأ حتى يخرج برّها كضياء وخلاصها كمصباح يتقد. قومي استنيري لانهُ قد جاء نوركِ ومجد الرب قد اشرق عليك! ها هي الظلمة تغطي وجه الارض والظلام الدامس الامم كما يقول اشعياء. اما عليكِ فيشرق الرب ومجدهُ عليكِ يُرى فتسير الامم في نوركِ والملوك في ضياء اشراقكِ ويدعى الرب برنا. وتكونين اكليل جمال بيد الرب وتاجاً ملكياً بكف الهكِ. روح السيد الرب عليّ لانادي بسنةٍ مقبولة لمجيئهِ. اقامني حارساً على اسواركِ يا اسرائيل لا اسكت الليل والنهار ولا اهدأ ولا استريح حتى يأتي الذي ارسلني كارزاً قدام وجههِ كيف يمكنني ان اسكت عن اذاعة البشارة وتأدية الرسالة المفرحة كيف لا اتكلم عن شهرتهِ. يأتي بنوهُ من بعيد وتحمل بناتهُ على الايدي شعب الامم يطيرون كسحاب وكالحمام الى بيوتها لينظروهُ ويخرّوا لهُ ساجدين وتنتظر الجزائر شريعتهُ والملوك يخدمونهُ. فيعلم كل بشر اني انا الرب مخلصكِ وفاديكِ عزيز يعقوب. قولوا لابنة صهيون هوذا مخلصكِ آتٍ ها اجرتهُ معهُ وجزاؤهُ قدامهُ». ثم نادى رافعاً صوتهُ حتى سمعهُ البعيدون

قائلاً ايها العطاش جميعاً هلموا الى المياه والذي ليس معهُ فضة تعالوا اشتروا وكلوا هلموا اشتروا بلا فضةٍ ولا ثمن خمرًا ولبناً اميلوا آذانكم وهلموا اليهِ اسمعوا فتحيا نفوسكم ارجعوا احفظوا الحق واجروا العدل واعدُّوا لهُ كل قلبٍ منسحق لانهُ هكذا قال العلي المرتفع ساكن الابد القدوس اسمهُ . في الموضع المرتفع المقدس اسكن ومع المنسحق والمتواضع الروح سلام. سلام للبعيد والقريب قال الرب

« غنوا للرب أُغنية جديدة . اجعلوا تسبيحهُ من اقاصي الأرض لانهُ هكذا يقول الرب خالق السماوات وناشرها باسط الارض ونتائجها معطي الشعب عليها نسمةً والساكنين فيها روحاً . هوذا عبدي الذي اعضدهُ مختاري الذي سُرَّت بهِ نفسي وضعت روحي عليهِ فيخرج الحق للامم . قصبةً مرضوضة لا يقصف وفتيلة خامدة لا يطفئ . ويقول مخاطباً وحيدهُ . انا الرب قد دعوتك بالبرّ فامسك بيدك واحفظك واجعلك عهدًا للشعب ونورًا للامم لتفتح عيون العمي لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين في الظلمة . انا الرب هذا اسمي ومجدي لا أُعطيهِ لآخر . ومع ذلك جعلتهُ بكرًا لي اعلى من كل ملوك الارض . التفتوا اليهِ واخلصوا يا جميع اقاصي الأرض لان لهُ تجثو كل

وركبة يحلف كل لسان فادينا رب الجنود اسمهُ قدوس اسرائيل'

«كل هذا تكلم بهِ بغيرةٍ وقادةٍ حتى اضطربت قلوب السامعين وحارت افكارهم من غرابة كرازة هذا النبي وباتت كل كلمةٍ من وعظهِ لدى مطالعي كتب الانبياء اوضح من ضياء الشمس اما انا فتصوَّرت انهُ لم يبقَ عليَّ سوى ان التفت وارى مسيًّا مقبلًا · ولما فرغ النبي من كلامهِ وقف الجميع ساكتين بمزيد الخشية والورع فطفح قلبي فرحاً لاني تيقَّنت الآن وعرفت ان الله تذكر صهيون ورأى ان يعلن آياتهِ على الارض بمجدٍ وعظمة لم يسبق لهما نظير · ثم اعرض النبي عن الجموع وقال كأنهُ يشير اليَّ 'كل من يريد ان يعتمد لاجل مغفرة خطاياهُ ويطهر قلبهُ استعدادًا لمجيء قدوس الله فليتبعني الى شاطىء الاردن' · فاطاعهُ الوف وكنت انا اولهم وقد اضطرب كل جسدي وشعرت في داخلي باحلى السرور حين مسك بيدي وسألني هل أُومن بالذي يأتي واهيئ الطريق لاجل سكنهِ في قلبي بواسطة المعمودية التي اتخذ رسمها علامة وعربونًا لمعرفة شيلوه حين ظهورهِ · ولم يكن عدد الذين اعتمدوا منهُ في ذلك اليوم في الاردن · اقل من الف وكلهم اعترفوا بخطاياهم وطلبوا غفرانًا بواسطة ذلك المجهول الآتي · وكان

منهم فريسيون وصدوقيون وناموسيون وجندي روماني متقدّم في الايام · واما يوسف الرامي فلم يعتمد بل قال انهُ يروم فحص هذه الرسالة الغريبة باكثر تدقيق قبل قبولها

«وبعد المعمودية انصرف الجموع جماهير ورجع النبي الى البرية وكان قد امسى المساء فقُدّم لهُ جراد وعسل بري فاكل ثم عاد وخاطب جمعاً غفيراً · وفي وعظهِ هذه المرة اوضح بجلاء اتصال حلقات النبوات التي تكلم عنها في الصباح بمسيّا وهكذا قدّرني ان اطلع بمزيد البيان على صفة مسيّا المنتظر»

وهنا اختم كلامي يا ابي العزيز بدون ان اعلق عليهِ ادنى ملاحظة انما اقول ان عوامل الانتظار قد تنبهت فيَّ واني متوقعة مع الوفرِ اقتراب مجيء مسيّا ابنتك

ادينا

الرسالة الخامسة

ابي العزيز

مع انهُ لم يمضِ عليَّ سوى ثلاثة ايام منذ فرغت من رسالتي السابقة تراني مشتاقــة جداً الوقوف على حكمك ومشورتك في هــذه الحوادث التي اصبحت شاغلة فكر اسرائيل العام ولذا لا يسعني ان امسك عن تكملة الحديث المتعلق بزيارة يوحنا نسيب مريم للنبي الالهي في الاردن وبما ان كلماتهِ احدثت في افكاري تأثيراً عميقاً وحملتني على تصديق دعوة هذا النبي من الله لاق بي ان اجعلك شريكاً لي في الاطلاع على كل ما اخبرني والالمام بجميع مــا ساد على افكاري وآرائي لكي يمكنك ادراك عظم قيمــة واهمية ما سمعتهُ · وحقق يا والدي العزيز اني دائماً مستعدة للاسترشاد في كل الاشياء بحكمتك وعلمك فأصغِ اذاً بفضل حلمك الى تتمة قصة هذا الشاب · قال

«وبعد ما فرغ النبي من موعظتهِ الثانية وعمد اكثر

من مئتي شخص في مياه الاردن الصافية ارسلهم الى المدينة ليبيتوا ويبتاعوا طعاماً لان شدة تلهفهم لاستماعهِ حملتهم الاَّ القليل منهم على الحضور بدون زادٍ معهم وكثيرون منهم قبل انصرافهم دنوا منهُ ليقبلوا بركة محبتهِ . وقد أثَّر فينا للغاية النظرُ الى رجال شيوخ جللهم الشيب متوكئين على عصيهم يحنون رؤُوسهم قدامهُ كانهم واثقون برسالتهِ الالهية والامهات ايضاً قدمنَ اليهِ اطفالاً لكي يباركهم والفتيان والفتيات جثوا عند قدميهِ بدموع المحبة والتوبة اما هو فوقف عند ضفةٍ خضراء كأَنهُ ملاك حالٌّ على الارض وباركهم بكلام جديد وقع احسن موقع في مسامعنا وأسرَّ الى قلوبنا قوة سرية هاجت بنا رعدة الفرح وخشية السرور قائلاً ' اباركُكم باسم حمل الله ' »

فسأَلت مريم بمزيد الاهتمام « ما معنى هذه الكلمات ؟» فاجابها خطيبها انهُ لم يدرك معناها

« اخيراً انصرف الجموع واحداً بعد الآخر ما عدا قليلين نزلوا تحت الاشجار على ضفاف النهر . اما انا ويوسف الرامي فبقينا تقريباً وحدنا جالسين بقرب النبي ننظر اليهِ بمزيد الاعتبار والانذهال . وكانت الشمس اذ ذاك على وشك المغيب وراء ابراج اريحا ملقيةً صبغة الارجوان على

التلال بين اورشليم ونهر الاردن الذي بوقوع اشعتها عليهِ جعلت مياههُ تنحدر كانهُ نهرٌ من ذوب الذهب وضفتاهُ من زمرد · ثم اصابت جبهة النبي شعاعة من خلال اغصان شجرة رمان فاضاء بابهى السناء كأنهُ وجه موسى حين نزل من جبل سيناء · وظهر مشغولاً بتامل سماوي بينما كنـا واقفين ساكتين نتفرس في وجههِ ولا نجسر ان نكلمهُ · ثم التفت نحـونا وحيَّانا متبسماً واتكأَ على عصاهُ من شدة التعب وسار على الشاطئ الى جهة البادية · ولم يبعد بضع خطواتٍ حتى شعرت في داخلي بمحرك لا يقـاوَم يغريني باتباعهِ · فهاج بي شوق الى مكالمتهِ للجلوس عند قدميهِ والسؤَال عن هذه العظائم التي سمعتهُ ينطق بها في وعظهِ · ووددت لو انهُ يشرح لي ما وجدتهُ غامضاً تتلألأُ من خلالهِ انوار الاعلان الالهي فتاقت نفسي للايضاح وصبا قلبي الى المعرفة وتمنيت لو انهُ يفتح لي الكتب المقدسة ويمنحني ما عندهُ فيها من الفهم غير المحدود ولذا قلت لرفيقي

« لنتبعهُ ونتعلم منهُ اكثر عن هذه الاشياء العظيمة التي كلمنا بها اليوم » واذ كان يوسف نظيري مشتاقاً الى محادثتهِ في هذه الامور اطاعني في الحال وما لبثنا ان تأثرناهُ في طريقهِ الى البادية وكانت الشمس عندئذٍ قـد غابت وطلع القمر بـدراً ينير بضيائهِ الساطع عاتيـك الارجاء

فوقف النبي يمتع نظره بمشاهدة جمال اشراقه الخريفي فاقتربنا منهُ ولم يتحوَّل عنا · وعليه دنوت منهُ بملء الثقة وقلت

«يا نبيَّ الله العلي أتسمح لشابين من اسرائيل ان يتكلما معك فان قلبينا يحنان شوقاً اليك» وقال يوسف

«واننا بكل فرح نروم مرافقتك الى البادية لانهُ ليس حسناً ان تكون وحدك» ثم قلت انا

«وعلى الخصوص نرغب اليك ان تزيدنا ايضاحاً عن ذلك القدير الذي انبأتنا عن قرب مجيئه» فاجابنا بكل هدوء ووقار

«يا صديقيَّ اني مختار ومدعوٌّ ان اسكن البرية وانما اخالط الناس لأجل اعلان رسالتي فقط · فهي واحدة ومدتها قصيرة وغرضها الأسمى جديرٌ باعظم انبياء الله ومع ذلك فانا الاخير لست مستحقاً ان أُدعى نبياً وما انا امام بهاء الذي أُعلن اتيانهُ للعالم سوى غبارٍ فان كنتما تطلبانني لاجل الوقوف على المعرفة فتعاليا واجلسا معي على هذه الصخرة ودعاني اسمع منكما ماذا تريدان ان تسألاني فاجيبكما عليه واذهب في طريقي»

«قال هذا بدعةٍ ورقةٍ تشفان عن حزن وبصوتٍ زادني لهُ حباً واعتبارًا وكدت اطرح نفسي امامهُ وابكي لاني تأثرت من رؤية شخصٍ مختار من الله ليكون نبياً

لهُ على الارض يرى بهذا المقدار حطةً واتضاعاً · فجلسنا كل واحدٍ على جانب منهُ لانهُ ابى ان يسمح لنا بالجلوس عند قدميهِ ووبخنا قائلًا كما قال الذين رآهم يجثون لهُ "انا انسان ايضاً" وكان الزمان والمكان في غاية المناسبة للحديث الذي كنا على اهبة الاخذ باطرافهِ وكان قرص القمر الواسع يسكب علينا سيول اشعتهِ البرتقالية ويلبس هيئة النبي الالهية بهاء مقدساً · وكان ماء الاردن القاتم كخضاب الهنود يتكسر عند ارجلنا بينما لجتهُ العميقة تعجُّ بين ضفتيهِ وتشنف آذاننا بخريرها على عقيقهِ فظهرت اريحا على يسارنا كأنها مجتمع صخور سود حصينة لا ينبعث منها سوى ضوء منارةٍ في اعلى ابراجها وورءنا البادية منبسطة بقفرها الموحش وخلائها الواسع الاطراف · وعلى بعدٍ منا صوت منشدٍ في احدى الخيام حُمل الينا متقطعاً على اجنحة الهواء وعلى مقربةٍ منا شجرة سنطٍ يعبث النسيم بافنانها عبثَ اليدِ بالوتر فينشئ لحناً بديعاً يصعدهُ حتى الى مسامع القمر · قال النبي

«أَيجمُل بنا ان نلبث سكوتاً بينما كل الاشياء حولنا تسبح الله فانغنّ أغنية الهيكل المسائية" ثم ابتدأ بصوت شجيٍ موسيقيٍ لم اعهد لهُ نظيراً من الكهنة ينشد مزمور كل خليقة الله فقمنا نشاركهُ في الانشاد وانبسط

في الحال مدَّ اصواتنا على وجه المياه واخذت تصدي به الضفاف المقابلة والانحاء المجاورة كأن الشواطىء والنهر والاشجار والتلال والجو أُعطيت مثلنا صوتاً صالحاً للترنم ونحن نقول -

سبحوا ربَّ السما من عرشهِ سبحوهُ في الاعالي
سبحوا للرب يا أَملاكهُ كل اجناد الجلالِ

سبحي يا شمس يا بدر ويا كل نجمٍ للضياء
يا سماءَ للسماوات ويا جلداً فوق السماء

يا تنانين ويا موج ويا ثلج سبح يا ضباب
سبحي يا نار يا ريحُ لهُ يا جبال يا هضاب

يا جميع الارض يا وحش الفلا والمواشي في الضواحي
يا دبيب البحر والبر ويا كل طيرٍ ذي جناحِ

وملوكُ الارض والشعبُ معاً رؤساها والقضاةُ
وشيوخ وشباب فوقها وغلام وفتاةُ

كلهم يهدون حمداً دائماً لاسم ربّ قد تعالى
مجدهُ فوق السماوات ارتقى وعلى الارض توالى

« ولست انسى ما دمت حياً ما احدثهُ فيَّ من التأثير انشاد هذا المزمور في مثل هذا المكان والوقت وفي رفقة كهذه . اما النبي فكان ينشد كأنهُ في جوق من الملائكة وما دعونا الرياح واطيار الهواء الى مشاركتنا في تسبيح الاله العلي حتى تراءى لي ان الهواء لبَّى دعوتنا واخذ يهزُّ الاغصان فتمزج حفيفها باصواتنا وعندها قلت في نفسي جيدٌ لي ان اكون ههنا . فان هذا المكان ليس سوى باب الفردوس السماوي . وبعد سكوت بضع دقائق خاطبنا النبي قائلاً ' قد طلبتماني ايها الصديقان فماذا تريدان مني ؟ ' فاجابهُ يوسف

« ' نريد ان نسمع منك ايها النبي العظيم شيئاً اكثر عن ذلك الانسان القدير – ان كان يمكن ان يسمَّى انساناً – الذي يأتي بعدك '

« ' ليس عندي شيء كثير فازيدكما يا أخويَّ فوق ما سمعتماهُ مني اليوم فالمستقبل مغطى وليس لي وان كنت مرسلاً بشيراً بهِ أن افكَّ الختم واقرأ لاني لست سوى رسول الله للناس ولكما سوف يعطى ان تعرفا ما ليس معروفاً عندي الآن فطوبى مرَّةً بعد مرَّة. طوبى لكما انتما اللذين سوف تشاهدان وجهاً لوجه ذلك الآتي الذي لا يمكنني ان اشاهدهُ الا من بعيد فقط . وان سُمح لي ان

أراهُ فلا يكون ذلك الأ لوقت قصير لانهُ حين يأتي هو امضي انا - يكمل غرضي - فطوبى لجميع الذين يشاهدون مجدهُ ويسمعون كلمات النعمة الالهية الخارجة من شفتيهِ ٬ فسألتهُ

«متى يكون مجيئهُ وفي اية هيئة وقوة يأتي هذا المنتظر الالهي ؟»

«كانسان ولكن لا جمال لهُ فيشتهيهِ الناس ولسوف يكون منظرهُ وديعاً وحقيراً ومخذولاً ٬

«لكنك قلت اليوم انهُ لا حدَّ لقوتهِ ولا نهاية لملكهِ وتكلمت عن مجد سلطانهِ وخضوع ملوك الامم لقضيبهِ ٬

«هذا لا استطيع ايضاحهُ - فهو سرٌّ غامض لديَّ ! وانما اتكلم حسب ما يلهمني الله الذي ارسلني ٠ واعلم ان الذي يأتي بعدي اعظم مني ولست مستحقاً ان احل سيور حذائهِ ! ٬

«قد علمتنا في المساء ايها النبي الطاهر انهُ سيكون الرب من السماء حال كون اشعياء يقول انهُ محتقرٌ ومخذول من الناس مجروح لاجل معاصينا مسحوق لاجل آثامنا ! ٬

«ان روح الله يعلمني ان هذه الكلمات تنطبق على شيلوه ولكني لا ادرك كنه هذه الامور» فقال يوسف

« اسمح لي ان اذكرك ايهـا المعلم الصالح انك قلت لنا كيف ينبغي ان يموت هذا الآتي مع انهُ ربُّ الحيـاة وانهُ يحصى في موتهِ مع اثمة حال كونهِ قدوس الله! »

« وهكذا تجري الحوادث المحتومة ولكن لا تحاولا ان تعرفا ما لم يعلن لانسان في العالم ومسيًا سوف يكون ترجمانًا لنفسهِ فطوبى للذين يرونهُ ويصغون اليهِ

« إيذن لي ان اسألك يا نبيّ الله الطاهر كيف يمكن ان يكون هذا الذي أُرسلت لتشهد لهُ مخلصًا لاسرائيل وانت تنبئ عن سوءِ حالهِ وحطة شأنهِ؟ فعلى مسيًا ان يردّ عز اورشليم ويرجع مجـد الهيكل ويعيد للعبادة رونـق الخشية والوقار كما يقول اشعياء وعزرا وارميا وهو مدعو سيدًا قديرًا وملكًا وفادي اسرائيـل الذي سوف يسود على الامم ويملك من البحر الى البحر ومن النهر الى اقاصي الارض! ولذا توقعنا ان نرى من مسيًا الانبيـاء ملكًا قديرًا يحكم في اورشليم على كل الارض ويُخضِع كل الامم ويأتي بملوكهم اسرى قدامهُ ويوثق رؤَساءهم بالقيود وتجثو لهُ كل ركبة — ملكًا لا يدع حذاء وثنيّ يدوس ارض يهوذا المقدسة ويثبت عبادة الله في الاماكن المشيدة فيهـا الآن هياكل الاوثان! » فاجابهُ النبي

« ان ملكوتهُ ليس من هذا العالم »

« اذاً كيف نفسر قول داود حيث قال «أقمت ملكي على صهيون جبل قدسي » وايضاً كيف نفسر كلام اشعياء حين تنبأ عن مسيح الله المبارك بقوله «لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن الى الابد» ،

«لا اعلم . هذه الاسرار لله ولا اقدر ان أعلن عنها شيئاً واني لست سوى البوق الذي يهتف به الاله الحي ولا اعرف ما انطق به انما اعلم هذا أنَّ اصغر ولدٍ في ايام مسيا اعظم مني انا آخر الانبياء الواقف على عتبة ذلك الملكوت المجيد الذي نظر الانبياء مجده وبهاءه من بعيد كرؤيا سماوية مبهمة . وقد أُتيح لي ان اقترب اكثر منهم وادرك من مجده شعاعاً اسطع ولعله ينعم عليَّ ان ارى اكثر مما ارى الآن ولكن ليس لي عنهُ اعلان حقيقي . وقد وضع لي ان افتح آخر باب يقود من ليل النبوة الى فجر نهار الاتمام المجيد . على انـهُ لم يُرخَّص لي ان اجتاز العتبة واقاسم بركاته وكل من يأتي بعدي هو قدامي فلتكن مشيئة الله! اني خليقته ولا يليق بمن هو تراب مثلي ان يتذمر عليه تعالى فأُسرُّ بالاولى ان كوكب النهار على وشك الطلوع وان كنت انا وحدي محروماً التمتع برؤية اشعته! ،

«فأحدث فينا كلامهُ تأثيراً عظيماً حتى لم يسعني ان

امسك دموعي عند استماعي اقوالهُ هذه لحنَّ قلبي اليهِ بفعل العواطف المقدسة ولذا جثوت على ركبتي وقبلت يدهُ غاسلًا اياها بدموعي فاقامني وقال لي بارق نغمةٍ واعذب لهجةٍ

«يا شقيقي المحبوب انك سوف ترى هذا الذي اشهد عنهُ فيحبك وانك تتكيء على صدره فجدَّ بي البكاء وهمت سحب اجفاني فنهضت وابتعدت عنهُ قليلًا ورفعت عينيَّ نحو السماء مصليًا الى الله اله آبائنا لكي أُوجد مستحقًا هذا الشرف المبارك ثم سألهُ يوسف بملء الوقار

«هل ارى انا ايضًا ابن الله القدير هذا؟» فاخذهُ النبي بيدهِ وتفرَّس في وجههِ بعين النبوَّة وقال لهُ بصوت الخشية والكآبة

«سوف تحملهُ يومًا ما على ذراعيك وتضعهُ في مضجع أَعددتهُ لذاتك وهوذا انت الآن لا تدري ما اقول لكنك سوف تتذكرهُ في حينهِ»

«وبعد ما قال هذا اشار بيده نحونا كلينا اشارة الوداع ثم انطلق مسرعًا نحو البادية وما ابطأَ ان اوغل في قلب القفر وتوارى عن نظرنا في جنح الظلام المخيم فسألني يوسف «اما سمعت كلامهُ فماذا يعني يا ترى؟ انهُ ينبيء عن حادثة مخيفة دلَّ عليها بتفرسهِ الشديد فيَّ - ان قلبي يضطرب!»

فاجبتهُ ' اما قلبي فيبتهج لاننا سنراهُ واكون بقربهِ وان كان مثل هذا النبي الحلو فسوف احبهُ من كل قلبي أَوليس عجباً اننا سوف نتعرَّف بهذا الشخص الالهي فمرحباً بقدومهِ المبارك '

« ' أَترحبان بقدوم شخص متأَلم؟ ! ' قال هذا صوتٌ قريبٌ منا فانذعرنا لمفاجأَتهِ واذ التفتنا رأَينا شخصاً تحت شجرة زيتون تعلَّقت بهِ فيما بعد تعلقاً شديداً فكان نحيف الجسم شاحب اللون لكنهُ يشف عن ذكاء وفهم فشجاني سؤَالهُ لانهُ ذكَّرني في الحال بنبوة اشعياء المحزنة فقلت

« ' نعم ولكنهُ سوف يكون ملكاً ومتسلطاً على العالم وغايةً في الجودة والصلاح واذ كنتَ قريباً منا فلا بد انك سمعت بامجادهِ التي نطق بها النبي '

« ' كنتُ قريباً متكئاً تحت هذه الشجرة بينما كنتما جالسين هناك فلا تنغشَّا. ان هذا الآتي سوف يكون رجل اوجاع ومختبر الحزن مرفوضاً من اسرائيل ومحتقراً في يهوذا وسيرذلهُ الذين يأْتي ليباركهم لاجل حقارتهِ وخمولهِ وتكون حياتهُ حياة دموع وتعب وانسحاق قلب واخيراً يُقطع من بين الاحياء بذنب اثيمٍ فهل ترحبان بقدوم متأَلم؟ '

« فسأَلتهُ بتعجُّب وانذهال ' وكيف عرفت هذا أَالملك نبيٌّ؟ '

« كلّا يا اخي وانما فتشت كتب الانبياء فضلًا عن اني سمعت كلمات هذا الرجل المقدس المرسل من الله وهو يشير ببشارتهِ الى ذلّ المسيح اكثر مما الى عظمتهِ وصدقني ان مملكة شيلوه ليست من هذا العالم · ولا يمكن ان تكون منهُ ان كانت حياتهُ وموتهُ كما هما معلنان اما حياتهُ فيدلّ عليها اشعياء بكل وضوح · فدعاني اقرأ لكما ما يأتي » ثم اخرج درجاً من عبهِ وقرأ بنور القمر الساطع الاصحاح الذي يبتدئ بهذه الكلمات « من صدق خبرنا » ولما فرغ وادرك التأثير الشديد الذي احدثهُ فينا قال « ليس هذا نبأ عن ملك ارضيّ عظيم بل هو تقريرٌ مؤثّر عن حياة ذلّ وخجل وازدراء » فقال يوسف متحمساً « لكنك لا تقول يا اخي ان الاقنوم المقدس المشهود لهُ بهذا النبي يكون موضوع احتقار »

« ألم يقل اشعياء انهُ يكون محتقرًا ومضروباً ومخذولاً من الناس ومسجوناً ومحكوماً عليهِ بالموت كمتعدي الناموس » فقلت « ليس من ريب في ان اشعياء يشير بهذا الى مسيّاً » فاجابني الشاب بكلام يسيل رقةً وفصاحةً

« ان نبي الاردن هذا يشهد لاشعياء ويطبّق كلامهُ على الآتي بعدهُ فعلينا اذاً نحن الذين اعتمدوا اليوم لاجل

مغفرة الخطايا ان نتوقع مسيًا رجل اوجاع لا اميرًا غالبًا ٠ لننتظر من يدين لنير الشدائد البشرية فيرتفع بعد هـذا ويجذب كل الناس وراءه الى ملكوت سماوي ، فاعترض يوسف

« ومملكة داود ؟ »

« عن يمين الله »

« وملكهُ الذي يدوم الى الابد ؟ »

« يكون حيث الحياة الى الابد ٠ كيف يمكن ان يسود في ملكٍ دائم على الارض بدون ان يحيا هو ورعيتهُ الى الابد ؟ لا تقرأ النبوات على هذا الاسلوب فكما ان آدم سقط وفقد الفردوس هكذا مسيًا كآدم ثانٍ ينبغي ان يضع نفسهُ في الطبيعة البشرية كانسان ليكفِّر عن اثمنا وبعد مـا يكمل تكفيرهُ عنا بموتـهِ يشتري ملكوت الفردوس للجنس البشري لكنهُ لا يرجعهُ الينا على الارض بل فوق في الاعالي حيث الملائكة يخدمونهُ خدامـاً في ملكوت الله ٠ هذا هو الملكوت الذي يعلن هـذا النبي اقترابهُ وانما قائدنا وملكنا يقدر ان يطأ السبيل اليهِ في حمأة خطية آدم الطامية على وجه هذا العالم ولكن بـدون ان يشوب ثيابهُ لوثة من الخطية ٠ وسننجو بواسطة حملهِ خطايانا من طائلة قصاصها وحين نكون قـد شُفينا بجبره نتحرر

من تبعة العقاب التي يقتضيها اثمنا فستوضع عليه معاصي العالم وبذبيحة نفسهِ كتقدمة عن الخطية يستغفر عن ذرية آدم ويرجع لجنسنا المصالحة مع الله · هكذا ينبغي ان يكون انتظارنا لمسيا فلنمزج دموعنا بماء الفرح بينما نحن ننتظرهُ ونضع نفوسنا شاعرين بفضل قدوس طاهر كهذا اخلى مجدهُ لكي يحتمل كل هذه الاشياء لاجلنا ولنجثُ عند قدميهِ حين ننظرهُ محتفلين بعظم محبتهِ واحسانهِ ورحمتهِ وجودتهِ وفضل انكارهِ ذاتهُ وتقديمهِ نفسهُ ذبيحةً عنا اذ ليس من قربان او ذبيحة في الكون افضل واثمن من هذا القربان المقدس أنهُ قدم ذاتهُ حسب قول النبي «هانذا اجيء لافعل مشيئتك يا الله»

«ولما فرغ من كلامهِ معنا انصرف عنا اما انا فلم يسعني بداعي شدة تأثير اقوالهِ فيَّ الآن ان تبعتهُ مسرعاً واخذت بذراعهِ وقلت باحق انك نبيٌّ لان كلامك ردَّد في قلبي صدى نبوَّة قديمة

«كلَّا لستُ بنبيّ لكن تعلمت هذا كلهُ من درس الاسفار المقدسة وقد ساعدني على ذلك مساعدة لا يحيط بها الوصف شخص من اترابي يفوق جميع الناس حكمةً وفهماً وهو لحسن حظي وسعد طالعي صديق عزيز اليَّ فان آنستَ فيَّ حكمةً او فضيلةً او صلاحاً او معرفة في

الكتاب المقدس فذلك لانهُ مستشاري ومعلمي

« ارجو ان تقول لي ما اسمهُ فاني اود الذهاب اليهِ لاتعلم منهُ

« انهُ منقطع عن العالم ولا يكلم الاَّ القليلين وبدون اذنهِ لا اقدر ان آخذكِ اليهِ · سأسألهُ هل يريد

« كيف منظرهُ واين يسكن ؟

« هو الآن في وطني بيت عنيا وهو محبوب عندنا جدًّا حتى انزلناهُ ضيفاً علينا لكنهُ يسكن مع امهِ ارملة تقية ذات فضل وطهر في الناصرة مكابدًا لاجلها شظف العيش ليعولها ويسدّ حاجة معيشتها بكدّه وتعب يديهِ بطاعة وحب بنويين يفوقان الوصف وفي كل هذا يجعل نفسهُ قدوة صالحة ومثالاً حسناً لجميع شبان يهوذا الذين اصبحوا في هذا العصر يسخرون بالطاعة الوالدية وبافراطهم في عادة هدية القربان الردية يهزأون بوالديهم ولا يكرمون آباءهم وامهاتهم · وبالحقيقة لا يدنو منهُ احد ويتكلم معهُ بدون ان يصير عالمًا وحكيماً

« فاجبتهُ انا ويوسف معاً الحق انك زدتنا شوقاً لرؤيتهِ فلا بد انهُ يكون نبيل الطلعة والشان

« لا جمال منظر لهُ ولا حسن طلعةٍ فتشتهيهِ العين انما ينبثق من محياهُ نور كرامةٍ على وقار ومهابة وبساطة

واخلاص ويتألق من عينيهِ ضياء سكينة وطهارة وتلوح على وجههِ اشعة تبسم يتخللها سحب كدر تشير الى حزن عميق مستمر ناتج عن حياة اتعاب ومشقات • وحينما يقرأ لنا النبوات ويفسرها ويشرح لنا بحكمة سماوية الامور المختصة بمسيَّا المنتظر من القديم والذي نتوقع الآن قرب مجيئهِ يظهر لنا كأنهُ يتكلم بوحيٍ الهي • ولكن بكل هدوء وبساطة وبصوت رقيق حسن النغمة حاوها لم يرفع قط ولا سُمع ابدًا في الشوارع ' فقال يوسف 'لا بدَّ انهُ يكون نبياً آخر ' فاجاب الشاب 'لا يتنبأ ولا يكرز ' فسألتهُ 'ما اسمهُ ' فاجاب

« 'يسوع الناصري ! '

« فوعدناهُ كلانا ان نذكر هذا الاسم • واذ كانت طريقنا الى اورشليم في وسط بيت عنيا رغبنا كثيرًا ان نزورهُ ونراه اما الشاب فاعترضنا في ذلك وقال انهُ ينبغي ان يعرض لهُ اولاً رغبتنا في رؤيتهِ فان اراد يرسل يطلبنا من اورشليم وقبلما دار الشاب ليذهب سألتهُ عن اسمهِ هو لانهُ كان قد استمال قلبي بكليتهِ نحوه وقلت في نفسي ان تهيأ لي الحصول على صداقتهِ وصداقة هذا الناصري الحكيم النازل عنده اكون سعيدًا للغاية ولا يعود يبقى لي من سؤل

سوى ان احيا ليوم مجيء مسيا فاشاهده واتكئ على صدره المقدس فاجابني منصرفاً

«اسمي لعازر الكاتب» فاعترضت مريم حين سمعت خطيبها لفظ هذا الاسم

«ماذا ؟ اذاً انا اعرفهُ جيداً فهو اخو مريم ومرتا صديقتيَّ في بيت عنيا حيث صرفت عندهما اسبوعاً كاملاً في العام الماضي قبل عيد الفصح» فقال يوحنا

«يسرُّني للغاية ان اسمع منكِ هذا لانهُ يكون سبباً كافياً لمبادلة الصداقة بيننا . وفي اليوم التالي جدَّدنا معهُ معرفتنا وبعد ثلاثة ايام اتينا نحن الثلاثة راجعين معاً وفي وصولنا الى بيت عنيا بلغ لعازر ان صديقهُ ذهب الى قانا الجليل مع امهِ الى بيت احد انسبائها المزمع ان يزوج ابنتهُ بعد اسابيع قليلة»

فما اثبتُّهُ لك يا والدي العزيز من حديث يوحنا لنا يمكنك الاطلاع على الاسباب التي تؤذن باعتبار نبي الاردن مرسلاً من الله او بتصديق كونهِ ايليا الحقيقي الذي تنبأ عنهُ ملاخي وانهُ كما يقول جلة علماء الكتبة ينبغي ان يأتي اولاً ليعلن قدوم رئيس السلام شيلوه رجاء اسرائيل . اما عواطفي وآرائي وافكاري فهي مضطربة في الوقت الحاضر وغايةٌ في الحيرة والارتباك فتراني من جهة ميالة

لان اصير من تلاميذ يوحنا الاردني واعتمد منهُ منتظرة بايمانٍ مجيء الآتي بعدهُ ومن جهة اخرى تجدني خائفة لئلَّا يكون كل هذا مجرَّد غشّ وخداع اذ يصعب عليَّ تصديق أنهُ كُتِبَ لي ان اكون في عصر مجيء مسيَّا المبارك ذلك العصر الذي انتَظَره كل الاباء متشوقين لان يروا يوم الآتي ولكنهم ماتوا بدون ان ينالوا الموعد وهم ناظرون اليهِ من بعيد وكفى بعظم هذه الفائدة غير المحدودة ان يكون باعثاً على شكي وارتيابي . فعلمني يا ابي وافتح لي كنز حكمتك ! انك متعمق في مطالعة اقوال الانبياء فقل لي اذاً هل يستخدمها هذا النبي الجديد بالحق كما هي مطابقة الواقع ومنطبقة على مسيَّا ؟ وهل يصدّق لعازر الكاتب في استخراجهِ هذا الرسم المحزن عن خطة الآتي المظلمة على الارض ؟ وكيف يمكن التوفيق بين هذه والتي تنطق بامجادهِ وعظم شان ملكوتهِ ؟ زدني يا ابي ايضاحاً وبياناً كيف يمكن ان يكون ملكاً ومأسوراً معاً ؟ رب الحياة ومع ذلك يذوق الموت ؟ بملكوت لا نهاية لهُ ومع ذلك محتقر ومخذول من الناس ؟

وقد بَعَثَت قصة يوحنا بالرباني عاموس على درس النبوات بل حملت الجميع على تفتيش الكتب برغبة لم تعهد من قبل الآن لان الجموع الذين جاءوا من عند النبي اذاعوا اقوالهُ

في جميع هذه الجهات · حقق الله لنا هذه الامنية في انهُ
قد اقترب الوقت الذي فيهِ يبارك شعبهُ ويتذكر ميراثهُ
ادينا

الرسالة السادسة

ابي العزيز

السلام والعافية لك ولجميع احبائي المكرمين في الاسكندرية وبعد فقد شاهدت مرة ثانية ابن اسرائيل الفاضل الذي جئت معهُ منذ اربعة اشهر من مصر لاسيح في اورشليم ولم يسلمني رسائلك الكريمة وهداياك الثمينة فقط بل حقق لي توفيقك ونجاحك في كل الامور وما لبث بعد وصولهِ الى هنا ان ذهب الى دمشق ليبتاع منها النصال السورية الشهيرة ويتجر بها مع اشياء أُخر في مصر وقد

أكَّد لي انهُ يصيب بتجارتهِ هذه ربحاً عظيماً الامر الذي سرَّني جدًّا لانهُ يستحق كل خير ونجاح . وقد طارحني البحث عن رجوعي معهُ الى الاسكندرية فكدت اعدل عن البقاء هنا لولا انك اوصيتني بلزوم الانتفاع من كل ما في اورشليم لاجل التهذيب والتدريب فضلًا عن اني حاصلة على نصيب وافر من لذَّة المشاركة في نتيجة انتظار اسرائيل العظيم وقد اشرت اليَّ في كتابك ان اقتلع من ذهني صورة هذه «الخرافة» والزم العمل على عبادة يهوه بكل خضوع حسب طريقة آبائنا فلي ثقة اني استمرُّ على هذا ما حييتُ ولو كنت شعرت ان في هذا النبي ادنى ميل للاتيان بايمان جديد يناقض ايمان ابراهيم القديم لما البي الافتكار فيه ولو دقيقة واحدة وتقول ان هـذا النبي ينبغي ان يكون «نبياً كاذباً وساقطاً» والاَّ لم يقل ان المسيح سوف يكون محتقرًا ومرذولاً

ثم قلت لي « انهُ قام يا ولدي مسحاء كذبـة وانبياء كذبة كثيرون تبعهم بنو اسرائيل كما يتبعون الآن يوحنا الاردني وكانت النتيجـة انهم هلكوا في القفر او مُزّقوا إرباً هم والذين تبعوهم بواسطة الحكومة الرومانيـة التي عدَّت ذهابهم وراءهم متجمّعين نوعاً من المشاغب والفتن . فتمسكي جيدًا يا ابنتي بديانة آبائنا ولا تُحمَلي برياح تعليم

هذا البرّي كارز التوبة فملكوت مسيًّا ليس ملكوت توبة وخشوع بل ملكوت انتصار ومجد وسلطان · اما نبوات الاحتقـار والذل التي يستخدمها نبيُّ الاردن لمسيًّا فاعلمي انها لا تنطبق ادنى انطباق على رئيسنا شيلوه المنتظر بـل تشير اما الى نبيّ اصغر يظهر سابقاً للمسيح الحقيقي (لان الكتاب يتكلم عن مجيء سابق لهُ بوضوح ليس معهُ ادنى شك) او كما يعتقـد البعض وخصوصاً الفريسيون انـهُ سيكون مسيحان احـدهما يأتي في ذل وآلام الى الامم ليكفر عن خطاياهم والآخر يأتي الينا في قوّة ومجد وعظمة لم تكن لملك قبلـهُ فيجعل اورشليم عاصمة كل الارض ويضع جميع الملوك تحت الجزية · فهكذا يكون مسيحنا رب الجنود الذي يرسلهُ الينا اله يعقوب لينتشل يهوذا من حضيض الذل ويمسح عن اسرائيل غبار العار· فان كان هذا الشخص الحقير الذي يشهد بهِ نبيُّ الاردن مسيا فهو للامم الذين خطاياهم الكثيرة تقضي بالانسحاق والاتضاع على مَن يأتي من الامم ليكفر عنها ولكنهُ ليس مسيا اسرائيل ولا الرئيس القـدير الذي سوف يجلس على كرسي داود في صهيون فاذاً اقول لـك كابنة اسرائيلية انهُ مـا لكِ وهذه البدعـة الآتية من البرية التي أُخـذ بها نحو نصف سكان الارض وتبعوهـا بحماقة زائدة فخلي عنكِ هـذه

الوساوس وتذرعي بالصبر لان نهار مجد اسرائيل سوف يطلع لا محالة ويضيء وكل الامم تنظره وتسر . ولا تعودي تفتكرين بما قاله الك ابن عمك وحينما يأتي مسيا يعلن قدومهُ بواسطة أناس افاضل واعظم من شاب لا يتجاوز الثلاثين يلبس الوبر ويأكل الجراد ولا يعلم احد شيئاً عن حقيقة امره ونظراً لثقتي الاكيدة بان عقلك السليم ورأيك الصائب لا يلبثان يا ابنتي اذيناً ان يحملاك على قبول ملاحظاتي هذه تريني اكتفي بما ذكرت ولا ازيد عليه خوفي من ارتدادك عن ديانة آبائك هذه الذي اذا لا سمح الله حدث يُنزل شيبتي بحزن الى الهاوية . واعتقد ان هذا النبي انما يكرز بنفسه فقط وانهُ بايعاز سري من الآتي بعده يجمع حولهُ بدهاء غريب جموعاً غفيرة ليستعملها آلات لانفاذ مقاصده المجهولة ولذا اتوقع في رسالتك الثانية خبر اعلانه ذاته انهُ المسيح او انهُ وجميع الذين تبعوهُ هلكوا بحدّ سيوف الرومان »

فكيف يمكنني يا ابي العزيز ان اكتب اليك ما يتزاحم الآن للاندفاع من القلم الى القرطاس بعد ما وقفت على افكارك المنقولة من رسالتك ? بيدَ اني اعهدك حكيماً ولا ترفض قبول الحق في اية صورة قُدّم بها اليك فاتكالاً على عدلك وحكمتك اقدمت على بسط الحوادث المتعلقة

بهذا النبي الجديد والجارية الآن في ارض يهوذا مدة اقامتي هنا فاصغِ اليَّ بترو واحكم بدون محاباة اذ لا ريب في ان هذا يوم الاعلانات العجيبة ولا اكتم عنك اني اتصورك الآن امامي مقطباً وعابساً تقول لي «كفى . فهل مرادكِ الكلام بعد عن هذا النبي الجديد؟» نعم يا ابي العزيز ساتكلم بعد اكثر فاكثر عن هذه الحوادث الخارقة العادة وازيدك منها ما هو اغرب واعجب من كل ما كتبتهُ لان بعضاً من كهنة الهيكل انفسهم آمنوا بهذا النبي الجديد

وانك تذكر ان يوحنا خطيب مريم قال لنا ان كثيرين من الكهنة وغيرهم اغتاظوا من كرازة النبي الذي ذهبوا الى البرية ليسمعوهُ . فلما رجعوا الى اورشليم واخبروا الكهنة الباقين بما قيل فيهم من توجيه اقوال اشعياء وارميا وغيرهما من الانبياء اليهم صار للحال صراخ عظيم ضد هذا النبي حتى ان كثيرين من اللاويين اهملوا واجباتهم في الهيكل واخذوا يباحثون الكتبة والفريسيين وغيرهم في الشوارع وعند مداخل الابواب وفي الاسواق بخصوص هذا النبي الجديد وجسارتهِ على شكواهم التي اغاظتهم على الخصوص لانهم والأسفاه وجدوا نفوسهم مستحقين توبيخهُ لسبب تهاملهم وتراخيهم . اخيراً ارسل حنان رئيس الكهنة مع

قيافا رجلين من نخبة علماء اللاويين ليدعوا النبي الى اورشليم فرجع المرسلان في اليوم الخامس وانبأ بما لديهما في دار الهيكل حيث جلس رئيس الكهنة للاجتماع بهما متوقعاً ان يرى النبي معهما وبعد ما اجتمع المجمع نهض المرسلان اللاويان واخبرا انهما سلما البلاغ الى يوحنا بن زكريا نبي الاردن وقد اعطاهما بكل اعتبار جواباً يليق بمقام رئيس الكهنة الذي ارسلهما كما يأتي

«اذهبا واخبرا رئيس الكهنة الموقر انني صوت صارخ في البرية كما هو مكتوب في كتاب اقوال اشعياء النبي اذ تنبأ عن يومي قائلاً صوت صارخ في البرية اعدُّوا طريق الرب اجعلوا سبلهُ مستقيمة فسوف يبصر كل جسد خلاص الرب وليس لي ان ادخل مدينة ولا هيكلاً ولا بيتاً في اسرائيل . اذاً من يروم استماع شهادتي اللآتي بعدي فليطلبني في البرية حيث أُوصيتُ ان ارفع صوتي حتى يأتي شيلوه»

فلما وقف الكهنة على جوابهِ هذا اغتاظوا غيظاً شديداً وابتدأُوا يصرخون بعضهم انهُ ينبغي ان يؤتى به ويُرجَم للموت لانهُ ازدرى بعظيم الكهنة (حال كونهِ لم يزدرِ بهِ يا ابي العزيز لانهُ كان عليهِ ان يطيع الله اكثر من الناس) وبعضهم انهُ ينبغي ان يشكى عليهِ الى بيلاطس البنطي الوالي

بانهُ يُثير شغباً ويفتن الامة وكان قيافا من اهل هذا الراي الأخير فكتب رسالة الى الحاكم الروماني بها يشكو نبي الرامة ويشير بالاسراع في القبض عليهِ قبلما يزداد شرهُ ويتفاقم خطبهُ ويقول ان طيباريوس قيصر في استماعهِ لهذه القضية يتوهم انها ثورة عمومية من كل الامة اليهودية لخلع الطاعة الرومانية على يد زعيم جديد فيجرد جيشاً كبيراً على البلاد ويدمرها اما حنان فنظر الى المسئلة من وجه اخر وقال

« ايها الرجال الاخوة تأنَّوا ولا تفعلوا شيئاً بطيشٍ وخفَّة فان كان هذا الرجل نبيًا كاذباً فلسوف يبيد ويهلك سريعاً ولا نعود نسمع عنهُ شيئاً. وان كان — كما يظهر — مرسلًا من الله فلا نسرعنَّ بالايقاع بهِ والاساءة اليهِ لئلا نوجد محاربين لرب الجنود »

فلم يحز كلامهُ نعمة القبول الاَّ في آذان القليلين وكان من جملتهم الرباني عاموس اما الكهنة الذين كانوا في الدار الخارجية في حضرة عظيم الكهنة فتأثروا جدًّا من بلاغ النبي وصاروا الى هياج عظيم واذا بملكي وهالي اللذين أرسلا قد قاما واشارا بيديهما يطلبان الاصغاء ثم اعلنا انهما بعد ما سمعا للنبي الذي أرسلا اليهِ اقتنعا بصدق كلامهِ وصدَّقا رسالتهُ الالهية واعتمدا منهُ في الاردن معترفين بخطاياهما

فلما سمع الخمس مئة الكاهن كلامهما حنقا عليهما ولكن قداسة الهيكل حالت دون هجومهم عليهما وجلدهما. وامر قيافا عظيم الكهنة ان يُقبض عليهما لاجل فعلهما ما لا يليق بكاهن الله العلي وقال «ان هذين قد حقَّرا بفعلهما هذا شأن الهيكل وجعلا حرمتهُ تُداس تحت قدمي دجال خدَّاع ودلاً دلالة واضحة على خلو عبادة صهيون من كل قداسة وعفة» ثم صرخ بصوت عال «ايها اعظم يا رجال اسرائيل مذبح الرب ام مياه الاردن؟ كاهن العلي ام كارز البرية؟ فعني بهذين المجدفين الخائنين الى حيث يحاكمان ويُقضى عليهما بموجب شريعتنا المقدسة!» واذ ذاك حاول الذين سمعوا كرازة يوحنا انقاذ هذين الكاهنين فحال دون بغيتهما فرقة من جند الرومان الذين كان قيافا قد ارسل واحضرهم

فمن هذا يمكنك يا ابي العزيز ان تتصور الهيجان الناشىء بين عموم الامة من كرازة هذا النبي الجديد فالمحامون عنهُ هم من عامة الشعب والفقراء واما اضدادهُ فالاطباء والكهنة والرؤساء ما عدا القليل من الافاضل والعلماء الذين منهم الرباني عاموس فانهُ مكبٌّ فيما خلا وقت انشغالهِ بخدمة الهيكل على تفتيش الكتب ليرى هل هذه الامور هكذا وكلما طالع نبوَّة زاد ثقةً واقتناعاً

ان يوم مسيا قريب وان هذا النبي هو بلا شك المزمع ان يأتي في «روح وقوَّة ايليا» ليعدّ الطريق امامهُ وفي كل ليلة يجتمع عندنا من الاثني عشر الى الثمانية عشر من رؤساء اليهود ويبقون الى بعد نصف الليل يتباحثون في هذه الامور الخطيرة وترى منهم الذين سمعوا يوحنا النبي مائلين لتصديقهِ انهُ سابق شيلوه ومنهم استفانوس الذي كان ابوه رئيس الكهنة وهو نفسهُ ناموسيٌّ في رتبة رفيعة. هذا لم يسمع يوحنا بعد لكنهُ قال علانيةً ليلة امس انهُ بعد ما فحص النبوات بمزيد الاعتناء رأى بالتحقيق ان يوم اتمامها قريب وانهُ من جهتهِ يود ان يرحب بنبيّ الاردن كسابق مسيَّا ولذا كان ثلثا المجتمعين مصدقين والثلث الآخر في شكّ يحذر الباقين ويحرّضهم على التدبر وعدم الطيش وانهُ باقٍ وقتٌ كافٍ للايمان بمسيًّا حين يأتي بنفسهِ

فهذه يا ابي العزيز حالة شعب اورشليم الحاضرة فلو ظهر رئيس المجد بغتةً لكان بالجهد يمكن ان يحدث هيجان اكثر من هذا وان كان على وجهٍ آخر. فما اعظم هذا الفكر ان شابا فقيرًا مجهولاً يسكن القفر منفردًا يقوى على انشاء كل هذا الاضطراب العظيم في قلب الامة فحقا ينبغي ان تكون قوَّتهُ مستمدَّة من مصدر الهي ولعلك تسألني كما يسأل الكتبةُ والفريسيون والكهنة

تلاميذ يوحنا على الدوام «هل يصنع عجائب؟ أريني آية واحدة فأُومن بهِ لانهُ بهذا يُعرف النبي المرسل من الله» فاقول كلّا يا ابي العزيز انهُ لم يصنع آية واحدة — اذا لم تُحسب لهُ آية مستمرة انهُ جامعٌ اليهِ جمهوراً غفيراً يزداد عددهُ كل يوم بالخارجين اليــهِ من ابواب كل مدينــة في ارض يهــوذا وهم يصغون الى اقوالــهِ ويحنون رؤوسهم ليتقدسوا بمياه معموديتهِ للتوبة

وبما ان الرباني عاموس عازم في الاسبوع القــادم على ترك الخدمة في الهيكل لاسباب تضطرهُ الى الذهــاب الى الجلجال حيث لــهُ تحت اشرافهِ ثلاثــة حقول احصدت زروعها اجاب طلب ابنتهِ مريم وطلبني انا ايضاً الى مرافقتهِ لانهُ لم يخفَ عنا انهُ متخذ هذه الفرصة وسيلةً لزيارة النبي وسمعهِ اذ لا يبعد مقامهُ عن الجلجال سوى ساعتين • واخاف انك لا تسرُّ بهذه الزيارة • على انهُ لما كانت ديانة آبائنا لا ترهب شيئاً من الباطل فبالاولى جدًّا ان لا تخشى امرًا من الحق وفي كلتا الحالتين يجب عليَّ كابنة اسرائيلية ان لا اخاف شيئاً فان كان النبي يعلِّم بالكذب والباطل بقيت على ما انا وان وجدتهُ يعلم ما هو الحق أَفلا اكون الرابحة؟ ويخيَّل اليَّ اني اسمعك تقول ان هذه الاَ حجج نسائيــة ركيكة ولكن اذ انك شهدت لي اكثر من مرَّة مصرحاً

اني بلغت من السنّ والمعرفة ما صرت بهِ اهلًا لان احكم في اكثر الامور التمس منك الرخصة في ان اسمع النبي باذنيَّ لكي يتهيأ لي بعد ذلك الحكم من جهتهِ فاعمل بمقتضى نبواتهِ بملء التجلة والتكريم او ارفضها واعدُّها اضغاث احلام · وواضح انهُ اذا كان المسيحُ الذي يتنبأُ عنهُ يوحنا ابنَ العلي الحقيقي وسوف يعلن ذاتهُ عما قليل في حال الفقر والاتضاع يكون رفضهُ من رؤَساء الكهنة والاغنياء والعظماء صحيحاً · فليكشف الله عن عيوننا حتى اذا كان هذا مسيا الحقيقي يعرف بنو اسرائيل ملكهم حينما يأتي ولا يرفضونهُ علانيةً ويفعلون امرًا مخيفاً كهذا · اذ من يقف حينئذ بين الله وبين جنسنا المنكود الحظ؟ لذلك يليق يا ابي العزيز بكل واحد من بني يهوذا ان يفحص هذه القضية بمزيد التروي والصحو ويحذر كل الحذر من معاكسة ما يُناط بهِ رجاء شعبنا وفي رجوعي من البرية اكتب اليك عن كل ما اكون قد سمعتهُ · ثم انك تذكر القائد الروماني الذي انا مديونة لهُ لانهُ انقذني من شراسة ذينك الجنديين فمن ذلك الحين لا يزال محافظاً على معرفة الرباني عاموس الذي لا يفتر عن ذكره بكل اعتبار واذ قد اعرب مؤَخرًا عن ارتياحهِ الى الوقوف على الدروس التي يرى الرباني عاموس مشغولاً بها في تردده اليهِ مرةً

بعد أُخرى أُعطي نسخةً من النبوات ولكنهُ اذ قال انهُ لا يحسن تلاوة العبرانية جيداً دعا الرباني ابنتهُ مريم لتقرأَ وتفسر لهُ معلقاً على اهتدائهِ وتهوُّدهِ املاً كبيراً . لكنها اذ كانت قاصرة في اللغة الرومانية استدعاني الرباني الى صحن الرواق المرصوف بالرخام بجانب البركة تحت ظل شجرة السنط التي يقول عاموس انك اتيت بها من قبر اشعياء وغرستها هنا من سنين عديدة ولذا ادعوها «شجرة ابي» . ولما دخلت اطرقت الى الارض وبالجهد استطعت ان ارفع عينيَّ نحو ذلك الشاب الذي في الحال حيَّاني بكلام لم ادرك منهُ سوى صوت وقع في قلبي مهتزًّا بما هو اشبه برنة آلات الطرب . حقًا ان هولاء الرومان ينطقون باعذب لهجة وارخم لسان في العالم حتى ان لساننا العبراني يظهر لديهِ غاية في الخشونة . ثم خاطبني عاموس «ان القائد الروماني الذي لا اظن كرم اخلاقك ينسيك معروفهُ يروم ان يعرف شيئاً عن كتب امتنا المقدسة التي سمعها كثيراً وعن النبوات التي يرى ان كتب الاساطير والخرافات مأخوذة عنها» . فقال القائد متلطفاً «اني طالعت كتب الغاليين والغوطيين وكهنة الانكليز الاقدمين والمصريين والفرس وكتب امَّتي الرومان وفي كل هذه وجدت رسوماً وطقوساً وتعاليم ونواميس لا تستحق ان تكون صادرة

عن جوبتير (اله الرومان الاكبر) اله الالهــة العظيم فنحن الرومان على كثرة آلهتنــا وفي تأليهنــا كل شيء نكون بالحقيقة غير مؤلهين شيئاً! فكل شيء ندعوهُ الهاً لكننا لا نعرف اين هو الله!»

فاجاب عاموس بحمو الغيرة والرفق «اذاً فعلت حسناً في توجيهك الاسئلة نحو هذا الكتاب ففيهِ تجد الاعلان الحقيقي الوحيد من الله للانسان وهنا يندرج الوصف الالهي اللائق بخالق الكون وهنــا ترى النواميس والطقوس والفرائض والتعاليم والوصايا والشرائــع الجديدة بان تكون معطــاة من اله العالم وابي الخليقة فلسوف تسمع وتحكم لنفسك واذ اني ضعيف في اللسان الروماني فيما خلا المكالمات العادية فهنا فتــاة مصرية تستطيع ان تفسر لك بالاصطلاح اليوناني او الروماني فبانــذا اضع درج الكتاب المقدس في يدها واجلس مصغياً فتعالي يا ادينــا افتحي واقرإِي بداءة كتب موسى». فاطعتهُ يا ابي كما اطيعك انت وجلست عند قدمي عاموس وقرأت مترجمة الى اليونانية التي قال الشاب انهُ متمكن فيها اكثر منهُ في لغتهِ ذاتها (شأن كل العلماء في العالم) خمس المئة سطراً الاولى التي كما لا يخفى عليك تتضمن نبأ الخليقة من البدء وسقوط الانسان وطردهِ من الفردوس والوعد بمسياً في رد المفقود

ولعنة الخليقة وقتل هابيل وعمران الارض وشرها وخرابها بالطوفان

فاصغى الشاب الى كل هذا بانتباه واعتبار لا مزيد عليهما وبعد ما شكرني واستأذن ان يأتي ويزداد علماً من هذه الصفحات التي رآها بالحقيقة مكتوبة باصبع الله سأل هل اتى مسيّا الموعود بهِ لاجل ردّ كل الاشياء وان كان لم يأتِ بعد فمتى يُنتظر مجيئهُ ؟ وهذا السؤال بعثنا على الحديث عن كرازة يوحنا في البرية وانبائهِ باقتراب مجيء شيلوه . واذ وجدهُ عاموس مسروراً غاية السرور في هذا البحث اشار اليَّ ان افتح على الخصوص نبوات دانيال واشعياء وداود وغيرهم واقرأها لهُ وبعد ما فرغت من تلاوة ما دلني عليهِ الرباني من النبوات التي تصف بآيات ذهبية مجد الآتي وسلطان قوتهِ والتي تمثلهُ محتقراً ومخذولاً من الناس . بقي الشاب برهة مفتكراً ثم قال منتعشاً « الآن قد علمت لماذا يتراكض الناس الى البرية فعليَّ ان اسمع هذا النبي » . ولما اطلعهُ عاموس على قصده في الذهاب الى الجلجال الاسبوع القادم وعزمهِ على الذهاب من هناك الى البرية ليسمعهُ استماح في الحال ان يرافقهُ ولكن حين اخبرتهُ اني انا ومريم ذاهبتان ايضاً اشرقت عيناهُ بنور الفرح وقال « اني اصحبكم بفرقة من الفرسان لان الطريق

غير امينة وبالامس اتصل بنا ان باراباس اللص الشهير ظهر بعصبة قوية من اتباعهِ في التلال بين افرايم واريحا ولم يكتفِ بان سلب قافلتين بل اوقع بكثيرين من الذاهبين ليسمعوا النبي فبعد ما تجتازون اريحا بسلام مرادي ان أتأثرهُ واطاردهُ »

فلما سمعنا ذلك منهُ اوجسنا خوف السفر وحدنا فشكره عاموس على صنيعهِ هذا شكرًا جزيلًا معجَّلًا وقال لهُ « بما انهُ ليس لكم انتم القواد ما يشغلكم الآَ القليل فلا بد انك ترتاح الى هذا التطواف معنا فضلًا عن انهُ كما قلت ينبغي ان تتأثر هذا اللص وعليهِ فنحن لا ننتفع من معروفك اكثر من صيانتك لنا في اثناء قيامك بالواجب عليك »

ولهذا فلقد قرَّ رأينا يا ابي العزيز ان نسير في اول الاسبوع القادم الى اريحا فالجلجال ثم نزور النبي في البرية لنراهُ ونسمعهُ وبعد رجوعي انا لا اتأخر عن الكتابة اليك . اذًا امسك عني حكمك في هذا الموضوع وكن واثقًا بي اني بملء الشوق المقدس الى مجيء ملكوت داود ورد عرشهِ في صهيون ابقى بمحبة وطاعة بنويَّتين

ابنتك

اذينا

الرسالة السابعة

ابي العزيز

ان اناملي المرتجفة بالجهد تستطيع ان تمسك القصبة الخفيفة التي عزمت ان اكتب اليك بها عن الامور العجيبة الفائقة التي رأيتها وسمعتها لكنها انما ترتجف بالفرح ، آه يا ابي العزيز! يا ابي العزيز! هوذا مسيًّا قد اتى! وانا نظرته ! وسمعت صوته ! حقًا أتى ! فيا للفرح والسرور! قد ابصرت عيناي الذي كتب عنه موسى والانبياء ولكي تؤمن مثلي وان كنت لم تنظره رأيت ان ابسط لك جميع الحوادث التي طرأت بعد ما كتبت اليك رسالتي الاخيرة وساجتهد ان اكتب اليك خلوًا من كل انفعال فاسكن قلبي المضطرب واوقف هياج يدي ريثما انسق لك كل مـا حدث لكي تحكم بفهمك وتقضي بحكمتك التي تبعث النـاس ان

ينظروا اليك كأحكم اسرائيلي في ارض مصر٠ ذكرت لك في رسالتي الاخيرة المرسلة مع قافلة القاهرة ان الرباني عاموس تهيأ لهُ ان ينقطع مدة عن مباشرة خدمتهِ في الهيكل بواسطة الفاضل اليهو الذي يقوم مكانهُ في غيابهِ لتفقد حقول الحنطة التي في جوار اريحا والتي ليست ملكاً لهُ كما تعلم بل هو وكيل عليها لورثة منسّى الجندي الشجاع الذي قُتِل في جهاده لانقاذ اريحا من يد الرومان ٠ ولم يرَ الرباني عاموس بأساً من زيارة يوحنا الاردني الذي ذاعت شهرتهُ في سائر الجهات وبموجب التماسي انا ومريم منهُ ارتضى ان يصحبنا معهُ واذ كان يوحنا الشاب خطيب مريم ابنة عمي قد ذهب الى بحر الجليل ليتعهد هناك السفن التي هي تحت ادارة ابيهِ واخيه يعقوب عزم ان يوافينا من هناك الى الجلجال ويرافقنا الى الاردن لان نبي البرية اصبح شغلاً شاغلاً لهُ حتى انهُ يُحسَب خسارة عظيمة ان يغيب عنهُ ولو يوماً واحداً

اما الطريق من اورشليم الى اريحا فقد باتت خطرة بسبب تعديات زعيم العصاة المدعو باراباس الذي منذ سنة ثار بعصبتهِ على الرومان لكنهُ انكسر وجماعتهُ تقهقروا وتشتتوا في الجبال جنوبي بحر لوط٠ ولكنهُ اخيراً اذ عضهُ الفقر نزع الى اللصوصية وقطع الطريق ومؤخراً طلع على

كثيرين من الذاهبين الى الاردن ليسمعوا يوحنا ويعتمدوا منهُ وسلبهم كل امتعتهم وأشيائهم · ولذا لم يرفض الرباني عاموس ما عرضهُ علينا القائد الروماني الذي اوعز اليهِ الوالي بيلاطس البنطي ان يحافظ على حراسة الطريق بين اورشليم واريحا لان قحة هذا اللص العاتي بعثتهُ على التعرض لسعاة الرومان والفتك بكثيرين منهم على ان عزَّة نفس الرباني عاموس جعلتهُ يشمئز حين رأى انهُ حتى التأمين في السفر اصبح مرجعهُ الرومان! ولكن واأسفاه يا ابي العزيز انك لا تجد من ذرية ابرهيم في الوقت الحاضر من يفتش عن حقوقنا الطبيعية ولكننا نعنو صاغرين للذي وضعهُ الرب على اعناقنا

فنهضنا باكرًا جدًّا نتأهب للسفر وقد اتى بالبغال المعدَّة لركوبنا عبدان جبعونيَان للرباني عاموس وهي مسرجة بسروج فاخرة يعلوها نسيج فارسي مطرَّز بالذهب ثم أُعدَّ البغلان لركوبي مع ابنة عمي مريم · فقُرِن احدهما بالآخر وَوُضعت عليهما محفة واسعة قال الرباني عاموس باسماً انها تسع اكثر مما يحويهِ التاجر الدمشقي من الامتعة في سفرهِ · وعند طلوع الشمس بعد ما جثونا على السطح قبالة الهيكل واصعدنا صلواتنا مع تقدماتهِ ودخان بخورهِ نزلنا الى الدار متهيئين للركوب وقد أُعدَّ للرباني عاموس بغلٌ قويٌّ مع

ان القائد ارسل لهُ جوادًا فارسيًا كريمًا لكن عمي قال انهُ لا يروم ان يخاطر بنفسهِ في الركوب على جواد كهذا غير مجرَّب ورأى انهُ ليس من الحزم ان يقدِم في شيخوختهِ على خطر كهذا ولذا آثر البغل عليهِ

ثم علونا السروج وتاهبنا للمسير منتظرين بفروغ صبر قدوم القائد وفرقة الخيالة واذا بعبدٍ جاء من عندهِ مسرعاً يقول للرباني عاموس ان القائد يوافينا الى مفرق الطريقين خارج الاسوار بقرب بيت عنيا فانطلقنا نحو البوابة الشرقية في الطريق التي اصلحها حديثاً بيلاطس وكنا جميعنا خمسة اشخاص الرباني عاموس وابنتهُ مريم وانا والعبدان الجبعونيان — اللذان كانا كلاهما شابين وكان آباؤُهما من اجيال قديمة عبيدًا في بيت عاموس حتى من ايام يشوع الذي خدعهُ الجبعونيون بدهائهم فقضى عليهم من ذلك العهد بعبودية مستمرَّة . وانهُ يشوقني جدًّا منظر هذا الجيل من الناس فانهم ذوو وجوه سمر وانوف حدب كمنقار النسر وعيون سود برَّاقة واجسام نحيفة لينة وعليهم اشارات الدهاء والخيانة لكنهم يبينون جبناء بحيث يسهل التسلط عليهم لدى استخدام اقل قوَّة وهم غير اهل لادنى مودَّةٍ وكنَّادون لا يعرفون جميلاً ولا يذكرون معروفاً وقد حدَّثني عنهم احد اللاويين انهم متسلسلون من خدمة

نوح الذين خلصوا معهُ في الفلك ولكنهم لحطّة شأنهم لم يُذكَروا في احصاء عائلتهِ ٠ على انك ولا ريب سمعت بهذه القصة الخرافية

وكان الصباح بهجاً وجميلاً والشمس قد القت اشعتها الذهبية على كل هيكل وبرج وقلعة وسطح وجدار وسور ورابية وغابة ووادٍ وجدول وبدت هذه كلها تسطع بانوارها الصباحية ولما درنا في الشارع المؤدّي الى باب الضان مررنا بمنزل قيافا رئيس الكهنة وقد رأَيتهُ جالساً في رواق قصرهِ الرخامي ولم يكن حينئذٍ لابساً حلتهُ الفاخرة ذات الصدرة المرصعة بالحجارة الكريمة وليست على راسهِ قلنسوتهُ الملكية كما كان حين رأَيتهُ في الهيكل بل كان في حلةٍ سوداء مرسلة وفوقها وشاحٌ من كتانْ ابيض وعلى رأْسهِ فوق ضفائرهِ البيض الثلجية قلنسوة قرمزية — ذلك زيٌّ كان استعمالهُ شائعاً عند كل الكهنة حتى اني لو لم اكن اعرفهُ من طول قامتهِ وشعرهِ الابيض المرسل وعينيهِ الحادة التي حدَّق بها الينا حين رآنا لخفي عليَّ انهُ رئيس الكهنة ٠ فكلم الرباني عاموس الذي ادَّى اليهِ واجب الاحترام ثم انحنيت بكل وقار امام جلالة مثال الله على الارض وما ابتعدنا قليلاً حتى رأَينا جماعة آتين من القرى والضياع وعلى بغالهم اقفاص كبيرة ملأَى حماماً ويماماً وهم

آتون بها الى الهيكل يبيعونها ذبائح وقد تحركت في قلبي عوامل الشفقة والحنو على هذه الاطيار البريئة التي كانت تزحم بعضها بعضاً وتخرج رؤوسها من خلال عوارض اقفاصها بل بيوت سجنها وتنظر اليَّ كأنها بلسان حالها تتوسل ان انقذها من اسرها ٠ وعندما خطر في بالي انها ستقدَّم ارواحاً بريئة عن خطايا رجال اسرائيل ونسائهِ صبغت خديَّ حمرة الخجل من اننا هكذا اصبحنا اثمة في عيني الرب الاله حتى اقتضى ان يموت البريء لاجلنا ٠ وفيما مريم وهي راكبةٌ ورائي تحاول اخلاء الطريق للبغال المحمَّلة الاقفاص اجفلت يمامة وانضغطت بشدة من بين العوارض وافلتت باسطة جناحيها ومركنةً الى الفرار في عرض الهواء ثم اتجهت نحو القرى وحلَّقت في طيرانها الى ما فوق اسوار المدينة ٠ فسرَّني جدًّا حصول هذا الطائر البريء على النجاة وتمنيت لهُ ان يرجع الى بيتهِ في البرية بسلام ٠ وقبلما بلغنا باب الضأن الذي نخرج منهُ لنتخذ طريق اريحا وجدنا اعمى فقيراً يقود حَمَلاً او بالحري يقاد بحَمَل وديع اليف ومعهُ في عبهِ حمامتان فسألهُ عمي الذي عرفهُ «الى اين ذاهب» فاجابهُ «الى الهيكل لاجل تقديم الحَمَل والحمامتين» فقال عاموس متعجباً «كلَّا يا برتيماوس انك لا تقدم حَمَلك»

«اني نذرتهُ مع الحمامتين للرب ايها الرباني عاموس

ولا اخلف بنذري بدون ان اخطى؟»

«لكنَّ حَملك يقودك حيثما تذهب فهو عينان لك ولا تقدر ان تفعل شيئاً بدونهِ» . فاجابهُ ووجهُ يشرق بضياء الرجاء «الرب يهيئ لي حَملاً آخر» فقال عمي

«وهاتان الحمامتان تربح منهما عدة فلوس في اليوم لانهما متعلمتان العاباً تسرُّ الاولاد فان كان لا بد من التقدمة بموجب نذرك فخلّ عنهما وعن الحَمل انهما ضرورية لك وخذ دراهم تشتري بها عوضاً عنها» . فاجابهُ برتيماوس «اصغِ لما اقول . ان ابي مرض مرضاً شديداً للموت فنذرت لله نذراً اني اذا شُفي ابي الشيخ اذبح لهُ احدى حمامتيَّ وفي اليوم التالي مرضت امي التي عالتني في طفوليتي واحبتني من كل قلبها مع اني ولدت اعمى فنذرت حمامتي الاخرى وفي الليلة نفسها مرضت ابنتي الصغيرة — ابنتي الصغيرة العمياء التي لم ارَ قط وجهها كما انها لم تشاهد وجهي واشرفت على الموت فحدث اني نذرت كل ما بقي لي حتى حملي الذي احبهُ بعد ابنتي ا فشُفي ابي وامي وابنتي وهوذا انا الآن بملء الفرح على طريقي الى الهيكل لاقدم لله ما اعطانيهِ . نعم هو صعب عليَّ جداً يا سيدي ولكن كيف العمل ؟ أفلا أوفي نذري ؟ يشق عليَّ جداً مفارقتها وسوف استوحش لها كثيراً لكنهُ حي هو الله الذي لا يدع

برتيماوس في ضيق بعد ما يرى انهُ في تقديمهِ حمامتيهِ وحملهُ يقدّم كل ما يملكهُ !»

قال هذا وانطلق يقود الحَمَل والحمل يتبعهُ على مهل وبينما انا انظر الى عيني هذا الابن البار والاب التقي العديم النظر رايتها تـذرفان الدموع وهـو يقبل على التكرار حمامتيهِ الكريمتين وقد شجتني هذه الحادثة الطفيفة ومع ذلك فانا اغبط عمل هذا المسكين الذي وان كانت عيناهُ لا تستطيعان ان تريا الناس ظهر انهُ يرى الله ويشعر بحضوره انهُ باقٍ يا ابي العزيز شيءٌ من التقوى على الارض واذ اننا لا نجدها عند الكهنة المتكبرين والمتعظمين يجب علينـا ان ننشدها في قلوب الفقراء المساكين نظير برتيماوس

ولما اتينا البوابة لم يعترضنا الحـارس الروماني كما اعترض غيرنا لفحص جوازاتهم واخذ رسم البوابة ممن ليس معهم جوازات لانهُ مع ان المـارّين مشاةً يُعفَون من الدفع فالراكبون خيلًا او بغالاً يضطرُّون ان يدفعوا ما لم يكونوا مصحوبين بجوازات المرور من عند الوالي ٠ على ان الحارس ما ابطأ بعد ما رآنا ان استقبلنا بكل اعتبار وجعلنا نجتاز البوابة مقدَّمين على كثيرين غيرنا كانوا على وشك المرور قائلًا ان القائد الروماني الذي على ظني لم اخـبرك باسمهِ عوميـليوس امرهُ بان لا يعترضنا ٠ وقد راعـني النظر الى

عساكر الرومان الواقفين عند البوابة وهم غارقون في الحديد والفولاذ لانهُ تبيَّن لي من منظرهم انهم رجال يقوون على اخضاع كل العالم وعند ما افتكرت بانهُ ليست من مدينة في الارض الأَّ وابوابها مخفورة برجال كهولاء مدجَّجين بالاسلحة لم اجد بدًّا من احترام قوة السلطنة الرومانية المستحيذة وخوف جانبها الرهيب ٠ وما خرجنا من البوابة حتى هبَّت علينا النسمات من جبل الزيتون مثقلة باطيب الانفاس واذكى الروائح وتراءى لي بعد طول مدة اقامتي محصورة داخل الاسوار والجدران اني أَفلتُّ من قفصي مثل اليمامة الجميلة الزرقاء الراس وفي اشرافنا على البرية تمنيت كداود لو ان لي جناحي حمامةٍ ٠ ثم دلني الرباني عاموس على بركة بيت حسدا الى اليمين بقرب البوابة وفي التفاتي اليها شاهدتُ منظرًا موثرًا للغاية ٠ كانت الاروقة الخمسة غاصة بالمرضى والمصابين من عرج ومقعدين وعمي وعسم وكلهم يتوقعون كما قال لنا عمي تحريك الماء وقال ان الله يرسل ملائكةُ احياناً فينزل في البركة ويحرّك الماء ومن نزل اولاً بعد تحريك الماء يبرأُ من اي مرض اعتراهُ فلم يسعني الأَّ ان اوقفتُ عمي للتأَمل في هذا المشهد الهائل لان عدد اولئك المرضى البائسين لم يقلّ عن اربع مئة بعضهم صفر الوجوه هزال الاجسام مسندون الى

الاعمدة · وبعضهم يزحفون كالحيوانات محاولين الاقتراب من البركة التي كان يصدهم عنها الاقوياء بينهم · وبعضهم مضطجعون على فرشهم منتظرين بفروغ صبر سرعة تحريك الماء · وآخرون محمولون اليها على اكتاف الناس · وفيما انا استعد للركوب والانصراف عن هذا المنظر المؤثر اذ حدث فجأةً حادثٌ من اغرب الحوادث التي رأتها عيون البشر فان سطح الماء الذي كان ساكناً تحرَّك بغتة كانهُ يغلي واخذ يمتدُّ مندفعاً او بالحري يموج من جانب الى آخر وما عتم بعد هذا ان ارتفع صراخ اولئك المرضى البائسين المزدحمين على حافات البركة وتصاعد ضجيج الافراح وهتاف التعجب والانذهال وطفقت الاقدام تزدحم والارجل تضطرب والاجسام تموج مثل مياه البركة اما الاقربون اليها فغاصوا فيها بينما الذين وراءهم اندفعوا خلفهم يصرخون من شدة الآلام الناشئة عن حركة اسراعهم وبعضهم يقذفون بالشتائم واللعنات المخيفة لانهم عِيقوا عن النزول بسبب الذين تقدموهم · وصار الاضعفون بينهم يتهالكون متلهفين للتقدم وهم يصرخون باصواتٍ تمزق الآذان ويستغيثون للنزول في الماء وما من مجيب فيتسلقون بايديهم وارجلهم ظهور الذين قدامهم ثم يصرعون الى الارض ويداسون باقدام الزاحمين وراءهم حتى ان بعض الرجال

الاشدَّاء الذين كانوا يحاولون فتح الطريق لُقعدٍ يحملونهُ سلُّوا سكاكينهم وانخرطوا يوسعون لهم مجالاً في وسط الضعفاء والمقعدين مغلظين الكلام للذين في طريقهم ولما ابصر الرومان الذين عند البوابة هذا الهيجان العظيم انفذوا في الحال فرقة من الجند بسيوف مساولة لاجل حسم الاضطراب وارجاع السكينة واذ لم يعد يمكنني احتمال النظر الى هذا المشهد الصادع ركبنا في الحال وانطلقنا في حال سبيلنا على انهُ بلغني بعد ذلك ان هذا العراك انجلى عن قتل عدة رجال وخمسة من الذين نزلوا الى الماء ماتوا غرقاً تحت اقدام الذين تعقبوهم في الغوص ونزلوا عليهم

ولما اقتربنا من تخوم قدرون سألت الرباني عاموس «أَممكن ان يكون هذا عمل ملاك وينشأ عنهُ ما نشأ من الاذى والضرر؟» فاجابني «ليس من ريب في ان تحريك الماء عجيبة فعمل الملاك صالح اذ يمنح الماء قوَّة شفاء لابراء الامراض ولكنهُ لا يكون مسؤُولاً بمعروفهِ هذا العظيم عن تبعة هذه النتائج السيئة التي شاهدناها الآن؟» فسكتُّ لكني تأسفت على شر الانسان الذي يحوّل نِعم الله الى نِقم ثم درنا قليلاً نحو اليمين واقبلنا على عمود ابشالوم الذي عند رؤْيتهِ انبسط امامي درج حياة ذلك الفتى السيء الادارة فراعني الافتكار بان ذلك الراس

المجيد الذهبي الشعر الذي اطنبت بوصفهِ شعراء ذلك العصر كان سبباً لموتهِ ! وما تقدمنا قليلاً حتى اطلعنا على اشجار سنديان قديمة قال لي عمي انها قديمة العهد جداً وهي قسم من الغابة الكبيرة التي ركب ابشالوم فيها بقضاء الله ثم أراني بعد قليل الجب العظيم الذي طرح فيهِ العشرة الغلمان جثة ابشالوم بعد ما قتلوه وهالوا عليهِ كومة كبيرة من الحجارة . فلا بد ان ذلك الامير كان شديد القوة بمقدار ما كان كثير الجبال والتمرُّد حتى انهُ بعد ما تعلق راسهُ بالبطمة وبات غير قادر على المدافعة اقتضى ان يحيط بهِ عشرة غلمان ويضربوهُ او لربما كما يظن الرباني عاموس ان هذا العدد اجتمع عليهِ معاً ليتحملوا جميعهم امام الملك داود مسؤولية قتلهِ التي لم يتجرأ احد ان ياخذها على نفسهِ وحدهُ ! فكم يلذ لي مشاهدة كل بقعةٍ حول اورشليم ! فكأني اعيش في الايام القديمة اذ ارى المشاهد التي عرضت فيها تلك الحوادث الخطيرة المؤلف منها تاريخ امتنا المجيد. وحالما بلغنا مفرق الطريقين طرق آذاننا من نحو الغرب صوت حوافر خيل ثم طلع علينا القائد الروماني من طريق باب الخيل راكباً في مقدمة فرقة من الفرسان بمزيد الابهة والعظمة ورمحهُ مشرَعٌ في الفضاء يتقد بريقهُ كانهُ سنان من نار وبجانبهِ شابٌ يحمل راية فرقتهِ النسرية لكن

القائد كان متقلدًا علامـــة رتبتهِ فقط وهي غصنٌ من الكرم مضفورٌ باسلاك من ذهب لخيًّانا بما يمتاز بهِ من التأدّب واللطف ثم قسم جيشهُ الى فرقتــين جعل الواحــدة منها طليعةً في المقدم والاخرى وضعها في المؤخر وهكذا سرنا

والآن استودعك الله يا ابي الى رسالتي التاليــة التي اعود فيها الى تتمة بسط الحوادث التي شاهدتها مدة تغيبي عن اورشليم • وليكن الك عوناً وترساً اله ابرهيم

ابنتك المحبة

ادينا

الرسالة الثامنة

ابي العزيز

انني بما اعهده فيك من الحلم في قبولك انبائي عن النبي العجيب الذي جمع اليهِ في البرية كل اليهودية وبناء على وثوقي بالحصول على امداد حكمتك وعلمك وتقواك توضيحاً للمبهمات وحلًّا للمشكلات ومرشدًا اميناً الى سبيل الصواب أُقدِم على بسط الكلام باسهاب عن الحوادث التي رأيتها بعيني وسمعتها باذني ولا اقتصر في افادتي هذه عما شاهدتهُ واشاهدهُ على شرح تأثيرها الخاص بي فقط بل استطرد الكلام عما احدثتهُ من التأثير في افكار كثيرين غيري من الحكماء والعلماء والعظماء الذين نظروها وسمعوها بحيث تقف على شهادات كثيرة تقدرها ولا شك قدرها من الاعتبار بالنظر الى سمو شأن المأثورة عنهم . وارتفاع مدارك المستفادة منهم

فرسالتي الاخيرة تنتهي بالافادة عن قدوم فرقة

الرومان تحت امرة القائد الشاب الذي ، كما اخبرتك سابقاً ، عرض علينا تكرماً منهُ ان يسير في حمايتنا . وكان الوقت صباحاً والشمس لم يمضِ اكثر من ساعةٍ ونصف ساعة على اشراقها من فوق جبل موآب والهواء يهب على غاية مرونتهِ وخفتهِ وشدَّة موافقتهِ للاستنشاق . فشاقني التمتع بهذه المنحة الكريمة التي حسبتها من جملة بركات ارض آبائنا المقدسة . ففي مصر من الهواء الحار في هذا الفصل ما ينغص العيش وليس لهُ من أثر هنا وفيما نحن راكبون خيل اليَّ من شدَّة الفرح اني امتطي متن البادية العربية واطير في عرض قفار ادوم الرملية بالسرعة عينها التي شاهدتها بملء الاندهاش في ركوب اهل البادية انفسهم اذ طلع علينا من مضيق قرب بيت عنيا جماعة يبلغون الثلاثين وبعد ما حدجونا بابصارهم برهةً لوَوا الاعنَّة وخفُّوا الى التقهقر في سفح الهضاب يسابقون الرياح لان فرقةً من حاميتنا كانت قد أُمرَت بان تنضي الركاب في تأثرهم . وعندها قال الرباني عاموس « انهُ لحسن طالعنا جئنا مصحوبين بهذه القوة العسكرية التي لولاها لكنا وقعنا في ايدي هؤلاء الغزاة اولاد عيسو الذين يسلبون كل من ظفروا بهِ من الاسرائيليين لان العداوة التي كانت بين يعقوب وعيسو لم تزُل للآن بل بقيت نيرانها كامنةً في

صدور ذريتها ولا يبرح عيسو حاقدًا على يعقوب من اجل البركة التي باركهُ بها ابوهُ»

وقد اذهل الرومان ما رأوهُ من فراسة اولاد عيسو ووجدوا عبثاً وهم على خيولهم المجهودة باثقال اسلحتهم ان يحاولوا لحاقهم • ثم صعدنا الى اكمةٍ فوق بيت عنيا ومنها قبل نزولنا الى القرية تبينَّا منظرًا مجيدًا لمدينة الله المقدسة فرأينا هيكلها الرفيع الذرى يتلألأ في ضياء الشمس كانهُ جبل مصنوع من فضة وظهر لديهِ صرح انطونيوس مظلماً قاتماً • اما قلعة داود فكانت عابسة بالاسوار بجلال مهيب أخذ مني تأثيرهُ كل مأخذ • فاوَّاه كيف يمكنني النظر الى هذه المعاقل والحصون بدون الشعور بالخشية والوقار والعجب والاجلال! فأخذت بالعنان وأهبت بالرباني عاموس متوسلة اليهِ ان يقف بي قليلًا ريثما امتع عينيَّ من منظر اورشليم من هاتيك الرابية فان مشهدًا كهذا وان كان قديماً مبتذلاً عندهُ كما عند باقي جماعتي فهو لديَّ جديد غريب لكنهُ كان ابعد من ان يصل اليهِ دعائي بداعي تأخري بضع ثوانٍ • اما القائد فاذ كان راكباً بجانبي وقف بقسم من فرسانهِ وقال انهُ ينتظرني ما شئت فلم يسعني الاَّ ان اشكرهُ على هذه المجاملة والملاطفة ثم حولت نظري نحو اورشليم وغُصت في لجج التامل وصرت لا اعي

شيئاً سوى التفرس بخشيةٍ ورعدةٍ في تلك المدينة الرفيعة القدر والعظيمة الشأن • وفيما انا غارقــة في يمّ الشخوص حملتني مطيتي التذكار من حيث لا ادري الى العهد القديم حــين قابل ملكها ملكي صادق عند ابوابهــا ابانا ابرهيم راجعاً من كسرة الملوك وباركهُ واخذ منهُ عُشراً من كل شيءٍ ثم تراءى لي داود خارجاً من ابوابها الرفيعة في جيوشهِ يفتك بالامم القادمين لمحاصرتها ورأيت عــدداً غفيراً من ملوك الشرق والتيمن والشمال ومعهم ملكة سبا قادمين على سليمان ملك الحكمة والمجد والسلطان • الذي ملأَت الارض شهرة حكمتهِ • امــا الآن فوأسفاه لقــد ملأَت الخافقين سيرة الاسرائيليين ومذلتهم ! لكنهُ سيأتي يوم يا ابي حينما ترفــع صهيون وجهها من الــتراب وتلبس حللاً ملكية ويضع الله على راسها تاجاً ولا يكون لمجدهــا وسلطانها نهاية • وهذا ما كفكف الدمع المنسجم عــلى خديَّ حين قابلت الحاضر بالماضي ورأيت في تذكري كل امةٍ من الاشوريــين والكلدانيين والمصريــين والفرس واليونان بدورهــا تحاصر المدينة وتفتك بهــا مع ان الله ساكنٌ فيها بنار شكينا العجيبة • ولكن وجود الله في بلدٍ او قلبٍ لا ينجيهِ من اعدائهِ ان لم يكن ذلك القلب مع الله ونعلم من الانبياء ان قلوب آبائنــا كانت مبتعدة

بعيدًا عن الله ولهذا اسلمهم الى اعدائهم ليجلدوهم فياليت شعبنا الحاضر يستفيد من هذه العبرة المخيفة التي يعلمهُ اياها الماضي!

ثم قال لي القائد الذي كان لا يزال يرافقني متعجباً «ينبغي لكِ ان تنظري رومية فان اورشليم لا تقاس معها بالعظمة والمجد ومساحتها ستة امثال مساحة هذه المدينة وفيها ثلاث مئة وخمسة وستون هيكلًا مع انهُ ليس في اورشليم سوى هيكل واحد!» فاجبتهُ متأثرة «ولا يوجد الاَّ اله واحد» . فقال «نحن نؤمن باله واحد خالق عددًا كثيرًا من الآلهة الصغار ولكلٍ منها نبني هيكلًا» . فاخذتني الشفقة على هذا الشاب الرفيع المقام عقلًا ورتبةً ومع ذلك يجهل الحق كل الجهل ومن ثمَّ اخذت في ان ابيّن لهُ من النبوات ان الله انما هو واحد وان كل الاشياء مصنوعة بكلمة قدرتهِ لكنهُ قال وقد قطف زهرة من شجرة بالقرب منهُ

«انهُ دون قدر ابي الآلهة جوبتير العظيم ان ينزل ليصنع زهرة كهذه او يهيئ باورةً او يلوّن ياقوتةً او يخلق ذلك الطائر الذهبي الجناح المغرّد بين الاشجار وانما هو خالق الشمس والقمر والكواكب وترك الاشياء الصغرى للآلهة الصغار . فكلميني ايتها الفتاة عن الملك الوحيد

وبرهني لي انهُ خالق كل الاشياء وانهُ واحد حتى يكون الهك الهي»

فلم يسعني حينئذٍ ان اتفرَّغ لمجادلتهِ وانتقاد خطائهِ على اني اخذت اترقب سنوح الفرص واحاول تدريبهُ في الحق المُعلن من السماء لشعبنا المحبوب لأنهُ اعلن رغبتهُ في الوقوف على ايماننا المقدَّس والرباني عاموس علَّمهُ اشياء كثيرة عنهُ من كتب موسى ليست كافية لاقتلاع جراثيم الخرافات الوثنية من قلبهِ لكنها تفي بغرض تشويقهِ الى زيادة البحث والتفتيش وقد اوحت لي ظواهر دماثة اخلاقهِ وسداد رايهِ في الحكم ومضاء ذهنهِ واصابة افكاره انهُ سوف يقتنع اخيراً ببطلان معتقدهِ فيهجرهُ ويعتنق ايمان ابرهيم

ثم استأنفنا المسير وجئنا شارع بيت عنيا وما لبثنا ان دخلنا بيت صديقك القديم الرباني هابيل الذي مات منذ عهد طويل في الاسكندرية حين ذهب اليها في تجارةٍ · ويهمك الوقوف على احوال اولادهِ فانهم بلغوا سن الرشاد ولا يزالون في بيت عنيا واذ كانوا في صداقةٍ مع مريم ابنة عمي اتفقنا على ان ننزل عندهم نحو نصف ساعة نستريح فيها قبل انطلاقنا الى البادية وكان المنزل حقيراً وبسيطاً لكنهُ خافقٌ بروح الاتقان والراحة الاهلية الحلوة حتى

استماني اليه لاول وهلةٍ فتعشقت السكان قبلما اعرف المكان . اما هم فكانوا قد خرجوا لملاقاة مريم والدخول واياها لكنهم اذ سمعوا بي هرعت منهم لاستقبالي صبيةٌ جميلة في الثانية والعشرين من عمرها بمزيد الترحاب والتأهيل. ثم دنت مني بكل لطف وبشاشة واحتضنتني بعد ما عرَّف كلًّا منا بالآخر الربانيُّ عاموس فشعرت في الحال كاني بين ذراعي اختٍ ووثقت اني سوف احبها كثيرًا . ثم خرج شابٌّ يبلغ من العمر ثلاثين سنة تلوح عليهِ سمات التعقل والفطنة والصلاح لكنهُ ضئيل الوجه اصفر اللون يشفُّ محيَّاهُ عن تفكر عميق واذ مدَّ يدهُ للسلام عليَّ انبعث من عينيهِ الجميلتين السوداوين شعاع الصداقة والاخلاص واذ انك قد أُحطتَ علماً بسائر اوصافهِ في احدى رسائلي السابقة فلا حاجة للقول انهُ لعازر ابن صديقك . ثم لاقتني في العتبة مرثا الاخت الكبرى باكثر اعزاز واكرام واعتذرت عن عدم لياقة منزلهم الحقير بقبول الوارثة الاسكندرية الغنيَّة اي بي انا . فاعتنقتها بذراع المحبة الشديدة وازلتُ في الحال هذه الافكار من قلبها . لكنني آنستُ في فؤادي ميلًا شديدًا نحو هذه العائلة الصالحة اذ كان كل عضو منها ذا نوع مخصوص من جواذب الحب وفي الثلاثة معاً وجدت اختين واخاً لي . وفي الحال

اسرعت مرثا لاحضار ما تسنَّى عندها من الطعام الشهي رغماً عن الحاحنا بعدم احتياجنا الى ذلك بداعي اننا لم نركب من عهد طويل وفي غضون ذلك كانت مريم والعازر جالسين حولي يسألانني اشياء كثيرة عن الاسكندرية ولا سيا عن قبر ابيهما ان كنت رأيتهُ وعندما اخبرتهما باني بمقتضى وصيتك كنت لا افتر عن احاطتهِ بالازهار الجميلة شدَّا كلاهما على يديَّ وشكراني على ذلك شكرًا اجبتهما عنهُ بدموعي التي ارسلتها مشتركةً معهما في الاحساسات

ولست اعلم كيف اصف لك محاسن مريم حالة كون محاسنها ليست شيئاً مذكورًا بالنسبة الى طهارة نفسها التي تفيض عليها بانوار الجمال وتزيدها رونقاً وبهاء فان عينيها زرقاوان كسماء يهوذا ولها نصيب وافر من حسن عيون الفتيات الاسرائيليات وشعرها اسمر ذهبيٌّ ناعمٌ كالحرير مضفورٌ ذوائبَ تتدلَّى على جيدها القائم بابدع قالب وطلعتها وَضَاءَة خاليةٌ من كل مظاهر التحسن والدهاء حتى انك تستطيع ان تطلع على اسرار نفسها الطاهرة من صفاء عينيها اللتين مرَّ الكلام عليهما

اما مرثا فليست دونها في شيء من الجمال والملاحة والرصانة والتعقل ولون شعرها وعينيها اسود حالك ولها نغمة شجية مطربة تبعث من يسمع كلامها على الوثوق

بطهارة نيتها وصدق عاطفتها . وظهر كانها اخذت على نفسها امر القيام بواجب ضيافتنا بينما مريم تركت لها كل ذلك مفضلة عليه الكلام معي عن ارض مصر التي قضى فيها آباؤنا وقتاً طويلاً بعبودية قاسية . فسألتني هل كنت اخاف السكنى فيها وهل شاهدت قبور الفراعنة وهل السبعون هرماً من صنع او بناء آبائنا الاولين وهل وقفت هذه الاهرام كما يقال في وجه الطوفان كالجبال الازلية . اما لعازر فكان يتحادث هو والرباني عاموس الذي طارحهُ اسئلةً كثيرة عن نبي البرية يوحنا لانك تذكر ان لعازر زارهُ كما كتبت اليك . وبعد ما استرحنا قليلاً ارتني مرثا ثلاث لفائف مطرَّزة كانت تشتغلها غطاء جديداً للهيكل ليوضع في السنة الآتية . لان الاختين تعيشان من صناعة التطريز للهيكل ولعازر من نساخة الناموس والمزامير للكهنة فأراني النسخ وعليها مدارج الرقوق بعضها منسوخ شيء منها وبعضها كاملة واراني نسخة من سفر اشعياء اكملها حديثاً وقد قضى في نسخها مئة وسبعين يوماً فجاءت غاية في الاتقان والاحكام . ثم اراني نسخة ناقصة مطروحة جانباً وكان حظها ان تحرق بالنار لانهُ أوقع فيها غلطة في كتابة حرف واحد لان زيادة نقطة واحدة او تنقيص نقطة واحدة يقضي برفض النسخة كلها عند الكهنة وحرقها

ثم ارتني مريم غطاء مطرَّزًا اوصتها بصنعهِ امرأة بيلاطس في رجوعها من قيصرية · ثم قالت «في عزمي ان لا آخذ منها ثمنهُ بل اقدمهُ لها هدية لانها محبة لنا جدًّا وفي السنة الماضية لما جاءت مع زوجها بيلاطس من قيصرية الى اورشليم في وقت عيد الفصح ارسلت طبيبها الخاص لمعالجة لعازر الذي كان مريضاً من مداومة الانكباب على شغلهِ وقد عرفتني من مجرَّد السؤال عمن اشتغلت مطرَّزات اغشية المذبح قبلما وُضعتْ في الهيكل فأطنبت في مدح شغلها كثيرًا»

ثم نظرت على المائدة غطاء كتابٍ مصنوعاً من حرير ومخمل ومطرَّزًا عليهِ الحرفان — ي · ن · باوراق زيتون فسألتها هل كان هذا لرئيس الكهنة فسبقتها مرثا الى الجواب قائلة «كلَّا · بل هو لصديقنا صاحب لعازر واخيهِ» فسألتها «وما اسمهُ»

«يسوع الناصري»

فقالت ابنة عمي مريم «اني سمعت يوحنا يتكلم عن هذا الشخص» · ثم ذكرتني بما رواهُ يوحنا عن كلام لعازر معهُ بشأن صديقهِ الناصري كما كتبت اليك سابقاً · ثم زادت على ذلك قولها «اني احسب ذاتي سعيدة بمعرفة هذا الشخص» فقلتُ انا «ونظرًا لما سمعتهُ عنهُ اودُّ كثيرًا ان

اراهُ» . فاصغت الينا الاختان بملء الارتياح. ثم قالت مرثا لو كنتما هنا منذ بضعة ايام لرأيتماهُ فقد غادرنا الى الناصرة بعد ما قضى عندنا ثلاثة اسابيع لكنهُ طلب من لعازر ان يوافيهُ الى بيت عبرا بعد ثلاثة ايام لاجل غرض مهم وسيذهب اخي اليهِ لانهُ يحبهُ حبا شديداً»

فقال الرباني عاموس للعازر «اذاً ان كنت عازماً عن قريب على السفر نحو الاردن لتوافي صاحبك فالاحسن ان ترافقنا وتغتنم فرصة الوقاية بحاميتنا» . وبعدما استشار لعازر اختيهِ اجاب طلبنا فقلت في نفسي يا لها من عائلة سعيدة فالاختان مبتهجتان كلٌّ منهما بمحبة الاخرى والاخ مسرور بمحبتهما والثلاثة متحدون كانهم واحد في طهارة المحبة ومع ذلك فقد أُضيف اليهم رابع لا تنقص محبتهُ للثلاثة عن محبة الثلاثة لهُ وهم على حقارة رتبتهم وفقر حالتهم اذ ياكلون خبزهم بتعب ايديهم في حالة اهلية يحسدهم عليها الملوك ولا تحوي الجواهر والذهب على مشتراها

فغادرتُ هذا البيت المبارك بمزيد الاسف وشعرت باني اكون سعيدةً جداً اذا تمكنت من ان اكون الحلقة الخامسة في سلسلة هذه المحبة الطاهرة حتى ان القائد الروماني كان مثلي مبهوتاً من السلام العائلي الذي رآهُ

سائدًا في ذلك البيت وقد خاطبني في ذلك ونحن سائرون في الطريق • وعند الظهر نزلنا في محط القافلة على منتصف الطريق بين بيت عنيا واريحا وهنا ادركنا صديق الرباني عاموس العالم الشهير غمالائل • هذا قال انـهُ قاصد الاردن ليجتمع بالنبي بسبب حلم غريب رآهُ وقد قصهُ على عاموس ولكن ليس على مسمعٍ منا ورأيت في وجـه عمي من علامات الانذهال بعد سماعهِ ما هاج شوقي الى الوقوف عليهِ وكان يصحب الناموسيَّ غمالائيل شابٌ تلميذ عندهُ يدعى شاول وقـد تفرستُ فيـهِ على الخصوص لاني سمعت الناموسيَّ يطنب في ذكائهِ ويصرّح بانهُ ابرع شابٍ درس عليهِ اسرار الناموس فركب هذا الشاب في جانب لعـازر وانطلقا معاً يتباحثان طول الطريق وكان من رأي اولهما (شاول) ان لا شيءُ يصدر عن كرازة النبي الجديد سوى الضرر بينما الثاني دافع عنهُ بجرارة وأيّد رسالتهُ الالهيـة وكان القائد الروماني مصغياً اليهما بكل انتباه لان شاول كان واسع الاطلاع في الانبياء • فاخذ يقتبس من اقوالهم ادلّةً على كون مسياً الحقيقي لا يمكن ان يُسبَق برسول حقير كهذا كارز في البرية للتوبة • ثم اجاد تمثيل صورة مجيء مسياً ومجد ملكهِ وزاد على ذلك قولهُ ان الطريق قدامهُ ينبغي ان تعدَّ بواسطة الملائكة وعلامات السماء لا برجل

البرية المتوحش · اخيراً اقبلنا على اسوار اريحا وابراجها وقد اخذ النهار يميل لكننا بلغنا ابوابها بعد ما أُغلقت بقليل على ان وجود القائد معنا سهَّل علينا فتحها في الحال وما لبثنا ان دخلنا ودخل بيننا مئات من الذين وصلوا مثلنا والتمسوا اجازة الدخول معنا · وفي الصباح التالي انطلقنا الى الجلجال وحدنا لانهُ اذ كانت الطريق امينة فارقنا القائد بجاميتهِ وبات تلك الليلة على اهبة النهوض لمطاردة باراباس الشهير الذي حمل في ليلة امس على قافلة على بعد اربعة فراسخ من الاردن فسلبهم وقتل كثيرين منهم · وما ياتي مقتطف من يوميتي في الجلجال « اني اكتب اليك تحت سقف بيت عمي في الجلجال وغداً صباحاً نحن ذاهبون الى بيت عبرا قرية صغيرة في عبر الاردن لكنها قائمة على شاطئهِ لانهُ بلغنا ان يوحنا يعمد هناك اذ قد ترك مخاضة الاردن حيث اعتمد منهُ يوحنا خطيب مريم منذ بضعة اسابيع وقد ذهب لعازر مع شاول وغمالائيل وغيرهم كثيرون من الناموسيين والعلماء الذين هم في شوقٍ زائد الى رؤية هذا النبي واستماعهِ »

وحقًا يا ابي ان ظهور نبيّ بيننا نادر جدًّا ولذا تجد الفكر في ترجيح ارسالية يوحنا المعمدان من الله شاغلاً خواطر السواد الاعظم من الشعب حتى انك لا تجد سوى

هذا الموضوع للمداولة والمحادثة بين الناس فكلٌّ يقول لجارهِ « هل رأيت او سمعت النبي الجديد؟ أمسيًّا هو ام ايليا؟ »

وسوف أُطلعك في رسالتي التالية على ما اشاهدهُ في بيت عبرا واظن ان مطالعتهُ تلذُّ لك اكثر من كل ما كتبتهُ اليك سابقاً

ولاجل تحقيق رجاء اسرائيل سريعاً وقبولنا مسيًّا حين يأتي تقدّم صلاتها بخضوع وايمان ووقار ومحبة

ابنتك

ادينا

الرسالة التاسعة

ابي العزيز

انني في هذه الرسائل التي اضمنها مـا عرض لي من الحوادث في اثناء سياحتي مع الرباني عاموس الى الاردن اطلب منك ان لا يثقل عليك تطويلي الشرح لانني اودُّ من كل قلبي ان اجعلك تنظر كل شيء بعينيَّ كانك حاضر معي — لكي يمكنك مع انك غائب ان تحكم في هذه المسائل كما لو رأيتها رأي العين وعهدي بحرية افكارك وارتياحك الى الحق والصواب انك تساق لمطالعة جميع ما اكتبهُ اليك قبلما تأخذ على نفسك الاجابة عن الحقائق التي بمزيد الاحترام والاعتبار لشخصك الموقَّر استرعي انتباهك اليها

فبعد ما بلغ الرباني عاموس بيت حقـول الحنطة في الجلجال حيث عزم ان يقيم مدة الحصاد وعيَّن للخدام الاعمال

المطلوبة منهم اخبرنا انـــهُ مستعد ان يصحبنا الى الاردن لمشاهدة النبي وما ركبنا وسرنا قليلاً حتى ادركنـــا في طريقنا رجلين ماشيين يتوكأ كلٌّ منهما على عصاهُ ومزودهُ على ظهرهِ لحيًا احدهما الرباني عاموس بكل تجلة واعتبار اكراماً لرتبتهِ الكهنوتية واحتراماً لهيئتهِ الوقورة التي كانت تكسبهُ الاحتفاء والاجلال من كل مَن يراهُ ، فخاطبهُ عمي موجهاً لهُ التحية وقد عرفهُ « الى اين تذهب ايها الصديق متَّى ؟ وكيف تهيَّأَ لك ان تترك جبيَ الخراج في مثل هـــذه الايام وتذهب الى البرية ؟ » فاجابهُ هـــذا باسماً وقد كان رجلاً عظيم الجثة اسود الشعر حالـــك اللحية رثّ اللباس تزينهُ شارة الفطنة والذكاء « ان من يهمهُ نظيري اتبـــاع دافعي الجزية يترتب عليهِ ايها الرباني الموقر ان يذهب في مثل هذا الوقت الى برية الاردن حيث ذهب جميع الناس لحقا ان هذا النبي الجديـــد قد اخلى المدن من سكانها فينبغي لنا والحالة هذه نحن معشر العشارين امـــا ان نجلس بطَّالـــين في بيوت الجباية او ان نتبع الناس الى حيث ذهبوا »

« ان كلامك قريب من الصواب يا صديقي متى ولكن أَلم يكن لك في قلبك محرّك آخر للسفر من اريحا غير جمع نقودك الرومانية ؟ »

«بلى فاني اشتاق الى مشاهـدة الرجل الذي تألَّبت حولهُ الشعوب محشودة من الجليل والعشر المدن واورشليم ومن كل اليهودية وعبر الاردن»

«ألا تظنُّ ان هذا النبي ابن حقيقي للانبياء؟»

«لم يصنع ولا آية واحدة اذا مـا كانت كرازتـهُ تُحسب بالحق عجيبة»

فاعترض رفيق متى «ان هذا الرجل خدَّاع اذ لا يمكن ان يكون احدٌ نبيًّا بدون ان يبرهن دعوتهُ بالآيات». قال هذا بغتةً بصوت اجشّ حادٍ جعلني ارتاب في اخـلاصهِ واظن فيهِ الخبث والرياء ولا سيا حين كان يتبسم ويخـفي مظاهر الشر والرداءة تحت اطبـاق جفونهِ فلم تصادف رؤية وجههِ استحساناً عندي ولا عند مريم لانهُ كان قصير القامة قبيح المنظر زري اللباس لكنهُ ابـدى تذللًا فوق المعتاد نحو الرباني عامـوس زادني فيهِ شكًا وارتيابـاً وبالاجمال كان يبدو لعين الناقد البصير انساناً محتالاً يعتَور الخداع ويستخدم الغش ليفوز بمطامعهِ الشخصية فقد يجثو لديك صاغرًا لكي يقابـلك منكوساً ولما تكلم بهـذا شخص اليهِ الرباني عاموس ممتعضاً من تطفلـهِ في الحديث فأسرَّ الى متَّى بعد ان تقدمها الآخر

«ما اسم رفيقك يا صديقي متَّى؟»

« اسمهُ يهوذا المدعو الاسخريوطي وقد استخدمتهُ عندي لحمل الدراهم التي اجبيها من القرى والضياع وقد جاء معي الآن لجمع الجزية من الجلجال وبيت عبرا »

ثم اشرفنا على الاردن بدون ان نرى جمعاً على ضفافهِ وبينا نحن متحيرون من عدم مشاهدتنا آثاراً للجموع اقبل علينا من جهة الشمال رجل غريب ممتطٍ جواداً واذ اطَّلع على حيرتنا سألنا بتأدُّب هل نحن قاصدون يوحنا النبي · واذ اجابهُ عمي بالايجاب قال لنا ان النبي انتقل من هنا الى مسافة ساعتين وهو الآن يعمد بقرب بيت عبرا على شاطىء الاردن الشرقي وزاد على ذلك ان المجموعين على الشواطىء هناك ليسوا باقلّ من ثمانية آلاف · فسأل الرباني عاموس متّى قائلاً « هل تعرف هذا الغريب لاني رأيتك تحييهِ » · فاجاب « انهُ من حاشية هيرودس رئيس الربع وهو يهودي غني جداً ويدفع جزية للامبراطور الروماني عن املاكهِ اكثر من كل يهودي بين اريحا وفلسطين » · وبعد ما حثثنا الركاب واسرعنا في المسير مدة ساعتين على شاطىء الاردن اطللنا على برجٍ مربَّع قائم بين غياض الاشجار المحيطة بقرية بيت عبرا وقال الرباني عاموس ان هذا البرج واقع فوق المغارة التي نزلها ايليا قديماً والتي اختبأ فيها اشعياء مرة من اعدائهِ وهو يدعى الآن "برج ايليا" وعن راس التلة

التي على الشمال منهُ صعد النبي ايليا الى السماء بمركبة نارية ومن جانبها حيث الصخرة الوحيدة شقّ اليشع الاردن بالرداء الذي طرحهُ لهُ نبي الله الصاعد»

وبينما انا شاخصة في تلك التلة ومتصورة امام عينيَّ النبي ايليا جالساً في مركبة السماء ومتوارياً في السحاب لاحت مني التفاتة نحو مدخل الغابة قدامنا فانكشف لي مشهد اوقف نبضان قلبي عجباً وانذهالاً فان النهر متعرج هناك وجاعلٌ تقوساً قائمةٌ فيهِ قرية بيت عبرا على شكل نصف دائرة وكان ذلك الشاطىء الفسيح المتقوس غاصًّا بالنازلين فيهِ حتى لم تخلُ منهُ بقعة من ازدحام الاقدام وكان كل واحدٍ من هذا الحشد الغفير مصروف النظر نحو النبي كأن الجميع في غرف ملعب يشخصون منها الى الالعاب والمناظر العارضة في ساحتهِ فكان النبي واقفاً مقابلهم على الشاطىء في الماء (هنا النهر قريب الغور وسهل الخوض جدًّا) يخاطبهم وهم محيطون بهِ على شكل نصف دائرة. وحواليهِ تلاميذهُ وهم يبلغون المئة عدًّا وكلهم احداث في شرخ الصبا والى الوراء برج ايليا وخلفهُ قرية بيت عبرا الكثيرة الخمائل والجنان. البيضاء الجدران والحيطان. وقد اتصل صوت النبي واضحاً الى آذاننا قبلما اقتربنا منهُ نظرًا للسكوت التام الذي كان مستولياً على السامعين.

ولما لم يعد يمكننا التقدم راكبين اكثر من ذلك ترجلنا وسلمنا البغال للعبدين ودنونا محاولين جهدنا الاقتراب من النبي · وفي الحال اجتهد كثيرون في التنحي من قدامنا حالما نظرونا وعرفوا الرباني عاموس حتى صرنا مقابل المتكلم وعلى مقربة منهُ بحيث استطعت ان اسمع منهُ كل كلمة فاندهشت حين رأَيت يوحنا خطيب مريم واقفاً بقربهِ ومصغياً بمزيد الاحترام لكل حرف ينطق بهِ · وكان موضوع كرازة النبي كما من قبل وعلى الدوام مجيء مسيّاً ويا ليتني كنت قادرة يا ابي العزيز ان اصف لك شيئاً من الحكمة والقوة في كلامهِ وعند وصولي سمعتهُ يقول

«ليس من مغفرة للخطية بدون سفك دم · ان معمودية الماء التي اعمدكم بها الآن هي للتوبة ولكن ينبغي ان يُهرَق دمٌ قبلما تُغسَل الخطية ! وهل تسأَلونني ألا يزيل دم العجول والتيوس الخطية ! فاجيبكم ‹قال الرب ان ليست مسرتهُ بمجاري الدماء هذه› » · فسأَلهُ احد رؤَساء اللاويين «اذاً لماذا وُضعت الذبائح في ناموس موسى ! ولاي شيء ايها النبي العظيم أُقيم المذبح والهيكل وذبيحة الحَمَل اليومية ?» فاجابهُ وعيناهُ تتقدان بنور الوحي والالهام

«لاي شيء تقول ? لكي تكون رمزاً وظلًّا للذبيحة الحقيقية الصحيحة المعينة من الله منذ تأسيس العالم !

فافتكروا كيف يقدر الانسان ان يذبح خروف قطيعهِ لاجل خطية نفسهِ وان كان الله يريد حياتك فهل يرضى بحياة بهيمة ؟ كلَّا يا رجال اسرائيل • على انهُ اقترب اليوم الذي تنفتح فيهِ عيونكم ودنت ساعة فهم المعنى الحقيقي المراد من الذبيحة اليومية هوذا مسيًا يأتي وانتم سترونهُ وتؤمنون » • ثم اقترب اليهِ كثيرون رجالاً ونساء وطلبوا منهُ ان يعمدهم وفيما هو مشغول بمعموديتهم التفت فرأيت على الرابية التي قال الرباني عاموس ان ايليا صعد منها الى السماء لعازر اخا مرثا مصحوباً برجل من اترابهِ وعليهِ من الهيبة والوقار ما لا يحيط بهِ وصف وتعبير فضلًا عمَّا زانهُ من ملامح الدعة واللطف والسلام التي سحرت لبي • وجذبت نحوهُ قلبي • فقالت لي مريم لانها رأتهُ مثلي في الحال « لا بد انهُ يكون صديق لعازر • انظري باي هدوٍ وسكينة يتفرَّس في الجموع ويغض نظرهُ كانهُ يعتزل رؤية العموم ».

وكان عليهِ رداء ازرق قاتم طويل وهو مكشوف الراس وشعرهُ مرسلٌ على كتفيهِ وتراءى لي انهُ لا يشبه احدًا من الناس تجللهُ شارة الجلال والبهاء بحيث لم اقدر ان احوّل نظري عنهُ • وفي الدقيقة نفسها ابصرهُ النبي وحالما وقعت عينهُ عليهِ تغيرت هيئتهُ كانهُ رأى ملاكاً فاضاءت عيناهُ بنور سماويّ وفتح شفتيهِ ليتكلم ولكنهُ لم يستطع كلاماً • ثم مدَّ

يدهُ اليمنى نحو الغريب القادم وظلَّ نحو دقيقة صامتاً كانهُ صنم حتى تحوَّلت كل الابصار معهُ متجهة نحو يدهِ الممدودة فصرخ بغتةً بصوت رنَّ كبوق الهتاف من حوريب قائلاً «هوذا». واذ ذاك لم يبقَ احدٌ من ذلك الجمهور الغفير الاَّ اتجه نحو التلّ حتى ان لعازر ذاتهُ تعجب من كلام النبي وشخوص الجميع الى تلك الناحية حيث كان واقفاً مع صديقهِ ثم استطرد النبي الكلام قائلاً

«سألتموني لماذا يذبح الخروف اليومي فقد جاءَ اليوم الذي تبطل فيهِ هذه الذبيحة ٠ هوذا» ٠ قال هذا مادًّا كلتا يديهِ نحو الآتي العظيم «هوذا الذي يرفع خطايا الناس والذي يأتي بعدي صار قدامي ! هوذا الذي اشهد لهُ انهُ مسيَّا ابن العلي ! هناك مسيح الله الحَمَل الوحيد الذي دمهُ يغسل خطايا الجميع قد سكن بينكم – وجال في شوارعكم – وجلس في بيوتكم ولم اعرفهُ حتى شاهدت فيهِ الان علامة مسيَّا ولهذا اعرف انهُ فادي اسرائيل »

وبعد ما قال النبي هذا بصوت خرق كل قلب نظرنا ذلك الغريب العظيم الشأن متقدماً نحو النبي وحدهُ ولعازر خرَّ ساجدًا على وجههِ حين أُعلن لهُ ان الذي كان يصحبهُ كصديق لهُ هو مسيَّا الآتي وفيما هو يقترب شخصت اليهِ ابصار الجميع من هنا وهناك يحاولون رؤية وجههِ الذي تهيأَ

لي ان المحة واذا به رائق مصفرّ تلوح عليهِ امارات الانشغال والاهتمام . ولما ابصره يوحنا خطيب مريم مقبلًا خرّ ساجدًا لهُ بكل خشية ومحبة . ثم تنحى الذين كانوا حائلين بين النبي وبينهُ واخلوا لهُ الطريق لجانب الماء فسار بخطوات الهدوء والتواضع حاسرًا القناع عن وجه الابهة والعظمة والرفعة الملكية . ثم دنا منهُ النبي وحيّاهُ كما ظهر بخشيةٍ ووقار لا مزيد عليها وقال لهُ بصوت مرتجف «ماذا تريد من عبدك يا نبي الله القدير مسيًا ؟» «ان اعتمد منك» قال المسيح هذا بصوت مع خفوتهِ طرق آذان ابعد الواقفين. ولا انسى ابدًا رنة ذلك الصوت التي لا تزال تموج في اذني! فاجابهُ النبي بغاية الخضوع والاتضاع والخشية وبمزيد التعجب والانذهال «انا محتاج ان اعتمد منك وانت تأتي اليَّ ؟» فقال لهُ مسيًا بكل سكينة «انهُ يليق بنا ان نكمل كل برّ» . فرأى النبي وهو باتٍ مرتابًا انهُ لا بد من ذلك فعمدهُ باعظم ما ينبغي من الاجلال المقدس على مرأى من كل الحضور نفس المعمودية التي عمّد بها تلاميذه

بعد هذا يا ابي العزيز يأتي وصف اعجب حادثة جرت في اسرائيل منذ أُعطي الناموس في جبل سيناء وهي كما هو معلوم لديك تشهد شهادة لا ريب فيها ان يسوع الناصري المعتمد في الاردن والذي يشهد لهُ يوحنا هو مسيًا

ابن الله فانهُ ما صعد هذا الغريب المعتمد من الماء الاَّ هدر فوق رؤوسنا صوت كما من هزيم رعد قاصف مع ان الجو كان صافياً واذ التفتنا الى فوق مذعورين شاهدنا مجداً باهراً المع من الشمس ونشبت منهُ كالسهم شعاعةٌ من نور نزلت واستقرت على راس المسيح • فقال البعض انهُ رعد والآخرون برق. ولكن تأمل في العجب والانذهال اللذين استوليا على الجميع والخوف الذي داخل كل نفس حينما ابصرنا في وسط المجد النازل عليهِ هيئة حمامة نارية وما ظنَّ في السحاب انهُ رعدٌ استحال الى صوت نطق بهذه الكلمات التي سمعتها كل أُذن وهي «هذا هو ابني الحبيب الذي بهِ سُررت»

وعند استماع هذه الكلمات خرَّ جانب عظيم من الجمع على وجوههم وغشيت صفرة الوجل وجوه الجميع ولما انتهى هذا الصوت المجيد توارى النور وارتفعت الحمامة الى السماء وغابت عن النظر مغادرةً هالةً من المجد الالهي حول رأس «ابن الله» الذي ظلَّ في وسط هذا المنظر المخيف هادئاً ثم صعد الى شاطىء النهر واختفى عن الابصار واخيرًا لما رجع الجميع الى نفوسهم وعلموا يقيناً انهُ هو المسيح

وكل واحدة في اسرائيل ترجو مرتعدة بفرح وريبة انه يكون ابنها البكر فهل ينقص شيئاً من يهوديتي بل ألا يزيدني كمالاً في ايماني أن أوقن ان يسوع هو مسيا ناظرةً فيهِ كل ما يتوقع من مسيا حتى صورة الله نفسها ختماً لشهادة ارساليتهِ · على اني باخلاص ارى ذاتي في غنى عن كل هذا التحرُّز والدفاع عن ايماني محققة انك حينما تجلس للقراءة والمقابلة وتحرّي الفحص تُسرّ وتبتهج في ان الله ذكر اسرائيل وعما قليل ينزع عار صهيون من بين الامم

وتراني بفروغ صبر اتوقع ورود رسائلك جواباً لي لكيما اقف على حكمك في هذه الامور الغريبة الحادثة الآن · التي لا تقف عليها من رسائلي فقط لان خبر هذه العجائب قد ذاع وشاع في كل الانحاء · والذين شاهدوا معمودية يسوع لا ريب في انهم سوف يروونها في مصر ويحدّثون بما صحبها من الصوت الالهي الذي قصف كالرعد في عنان الجوّ النقي من كدورة السُّحب وعن الهالة النارية فوق راس النبي الجديد · وقد عاين ذلك تجار كثيرون من دمشق ومصر وفرسان من العرب وجنود الرومان وغرباء كثيرون من بلاد فارس وادوم وميديا مع شعوب متفرقين أمماً ويهوداً · اذا لم يحدث هذا الشيء في زاويةٍ · فقد سمعتُ الصوت وفهمت كل كلمة ! وتراءى لي انهُ آتٍ

من اعالي السموات من بُعدٍ غير محدود بهتاف بوق صافٍ وهزيم رعدٍ قاصف • واما النور الذي نزل عليهِ فكان ابهر ما تعرَّضت لهُ عين بشرية ومع انهُ نزل بهيئة برق ظهر كأنهُ رمحٌ من نار وعند ما دنا من راس يسوع المقدَّس اتخذ كما قلت سابقاً هيئة حمامة استقرَّت عليهِ وظللتهُ بجناحين من نور والبستهُ كلهُ هيئة لامعة كالشمس • ودام هذا نحو دقيقة ثم تبعهُ الصوت من السماء ! وكان ضياء نور الحمامة السماوية هكذا متألقاً وبهياً حتى لم اقوَ على مشاهدتهِ ولكن حين حاولتُ النظر اليهِ مرَّةً ثانية رأيتهُ اختفى وظلَّت سحابة نور لطيف محيطة براس يسوع ووجههِ كالتي احاطت بموسى واخذ يتدفق منها شعاع المجد • وفيما كان الالوف بين واقفين ومبهوتين وساجدين على وجوههم مذعورين توارى عنهم يسوع بدون ان يعلم احدٌ منهم سوى اثنين لم تنفك اعينهما تنظر اليهِ وهما يوحنا ابن عم مريم ولعازر اخو مريم ومرثا • اما الجماهير فبعد ما افاقوا من سبات الاندهاش والخشية اخذوا يفتشون عنهُ وهم ناظرون بعضهم في الماء وبعضهم نحو البرية وبعضهم وانا منهم نحو السماء كانهم توقعوا ان يشاهدوهُ صاعداً بمركبةٍ من سحاب الى عرش الههِ وابيهِ الذي اعلن انهُ ابنهُ • وكان من رأي الجميع انه نُقل الى السماء فبكى بعضهم على ارسال نبيّ واخذه

سريعاً بينما آخرون فرحوا لان الرب لم ينسَ رحمتهُ لبيت اسرائيل والبعض شكُّوا وعدُّوا ذلك سحرًا وآخرون اذ كانوا ولا ريب مشحونين اثماً ودعارة هزئوا وقالوا ان الصوت كان رعدًا والنور برقاً ولكن ردَّ عليهم نحو مئة قائلين «ليس من سحابةٍ في السماء فمن اين يأتي الرعد والبرق ؟» · على ان الاكثرين آمنوا وكانوا مسرورين مما عاينوا وسمعوا · وقد ظهر لي ان النبي يوحنا كان يفوق الجميع تعجباً مما حدث فاخذ يدور مفتشاً عن يسوع · ثم شخص نحو السماء ويداهُ ممسكتان احداهما بالاخرى كانهُ مقتنع مع الالوف حولهُ ان يسوع صعد الى السماء وقد بعث هذا الاضطراب الناشيء عن اختفاء يسوع على تفرُّق الجموع الى ناحيةٍ بعضهم للتفتيش عنهُ والبعض الآخر ليذيعوا الاخبار عما ابصروا وكلهم نسوا يوحنا المعمدان الذي اجتمعوا اليهِ في هذا المكان بسبب ظهور هذا النبي الجديد العظيم الذي صحب ظهورهُ نزول نارٍ وصوت من السماء

اما الرباني عاموس فلبث واقفاً بنا بالقرب من الماء لانهُ اشفق ان نضيع بين الجماهير الراجعين وابتغى ان يكلم يوحنا الذي كان لا يبرح واقفاً في الماء حيث عمد يسوع ولم يبقَ معهُ واحد من تلاميذهِ · فدنا منهُ الرباني

عاموس وقال «ايها النبي المقدَّس أَلا تعلم اي انسان هذا — ان كان ممكناً ان يدعى انساناً — هذا الذي اعتمد منك؟» اما النبي الذي كان الى الآن شاخصاً بعينيهِ الى العلاء فالتفت نحو عمي بعين الرقة واجاب بكلام واضح موثَّر «هذا هو الذي قلت عنهُ — انهُ ياتي بعدي رجل صار قدامي لانهُ كان قبلي وانا لم اكن اعرفهُ لكن الذي ارسلني لاعمد بالماء قال لي ان الذي ترى الروح نازلاً ومستقرًّا عليه فهذا هو الذي يعمد بالروح وقد رأيت الروح نازلاً عليهِ شبه حمامة فانا قد رأَيت وشهدت ان هذا هو ابن الله» · فسأَلهُ الرباني باهتمام شديد ورغبة حارة مقدسة «والى اين انطلق يا نبي الاردن الطاهر؟»

«هذا لم اكن اعرفهُ لانهُ ينبغي ان يزيد وانا انقص سواء بقي على الارض او صعد الى السماء وقد باتت خدمتي على وشك النهاية لان الذي شهدت لهُ قد جاءَ» · فاعترضت انا «وهل جاء لينطلق هكذا سريعاً ولا نعود فننتظرهُ بعد؟»

«السرائر للرب الهنا فلا اعلم من اين جاء ولا الى اين ذهب لاني لم اعرفهُ في كل مجدهِ سوى انهُ نبي وابن الانسان حتى نزل الروح واستقرَّ عليهِ وقد سمعتم شهادتي ان هذا هو مسيًّا ابن الله»

واذ قال هذا خرج من الماء ومشى نحو بيت عبرا

وتوارى عنا بين الاشجار التي كانت مخيمة على طول الشاطىء · ثم رفعت عينيَّ الى وجه الرباني وكانت مريم مستندة الى ذراعه من جرَّاء التأثير الذي اصابها حين عاينت ذلك المشهد الهائل فرأيتهُ يشفُّ عن تفكر واهتمام فقلتُ «أتؤمن يا عمي بكل ما عاينتَ وسمعتَ ؟» فاجابني «لا اعلم ماذا اقول سوى ان هذه الاشياء التي رأيتها اليوم اوضح بينة على ان الله لم ينسَ شعبهُ»

ثم برحنا شاطىء الاردن وكأنَّ على رؤوسنا الطيرَ لا نفوهُ بكلمةٍ وامتطينا بغالنا التي وقف لحراستها العبدان الجبعونيان تحت شجرة نخل ورجعنا الى بيت عمي في الجلجال · فاجتزنا جماعات كثيرة مشاةً وفرساناً وجميعهم يتباحثون بصوت عالٍ عن الحوادث العجيبة التي جرت عند النهر وكان عند الجميع ان يسوع صعد الى السماء بعد ما اعتمد · لكنهُ يسرني القول يا ابي العزيز ان هذا الشخص العجيب باقٍ على الارض وليس من ريب في انهُ بقي لغاية عظيمة فقد ذكرت لك ان يوحنا خطيب مريم ولعازر ظلَّا ناظرين اليهِ من البداءة وانهما شاهداهُ منطلقاً على شاطىء النهر حيث توارى عنهما تحت اشجار وارفة الظلال · فهذان تبعاهُ مقتفيين آثار قدميهِ على الرمل المبلل حتى نظراهُ منصرفاً عن الشاطىء وذاهباً نحو البرية بين تلَّين وارياهُ عن

اعينهما فقال احدهما للآخر وهما مشتعلان بنار العجب والمحبة «ينبغي ان لا نيأس من اتباعهِ لان الحياة لا تطيب الاَّ معهُ اذ هو حبيب الله العلي» وهكذا تقدما مسرعَين ولكن على رغم عدوهما في المسير ابصراه زاد ابتعادًا عنهما وضرب في السهل الممتدّ نحو اريحا والبادية فزادا في الجري حتى اقتربا منهُ وصرخا «ايها المعلم الصالح قف لنا قليلاً فاننا نتبعك لنتعلم منك» · فوقف وادار نحوهما وجهاً مصفرًّا يسفر عن الحزن والالم حتى اذهلهما ذلك فوقفا صامتين يتفرسان فيهِ متعجبين من هذا التغير السريع الذي طرأَ عليهِ فانهُ كان قد فارقهُ جمالهُ وتحوَّل عنهُ نور المجد الذي اشرقت به اسرَّة وجههِ وتبدل بمظهر حزن عميق أَثَّر فيهما تأثيرًا شديدًا · فبكى لعازر الذي كان صديقهُ الحميم · اما هو فقال لهما «لا تبكيا يا صديقيَّ · انكما لسوف ترياني يوماً آخر · اما الآن فانا ذاهب الى البرية امتثالاً للروح الذي يقودني الى هناك وبعد وقتٍ قليل تنظراني ثانية وخيرٌ لكما ان اذهب الآن الى حيث لا تذهبان معي» · فقال لعازر

«كلَّا بل نمضي معك وان كنت تعاني شرًّا فنحن نكون معك» · فاجابهما بلهجة الحزن والثبات «ليس لاحد ان يكون معي ويساعدني ولا لانسان ان يصحبني

ويعضدني بل وُضع لي ان ادوس معصرة التجربة وحدي».
ثم تركهما مشيراً لهما بيدهِ ان يرجعا فاطاعاهُ آسفين ومندهشين قائلين ماذا عسى ان يكون المراد من كلامهِ هذا ولماذا كان محتاجاً ان يذهب الى البرية حيث تنتظرهُ تجارب سرية وقد تعجبا بالاكثر من استحالة هيئتهِ التي بعد ما كانت محفوفة بنور مجيد تغيرت الى صورة بشرية. ثم انطلقا وهما من وقت الى آخر يلتفتان ليراقبا انطلاقهُ حتى غاب عنهما في قلب البرية التي كان مصوباً وجههُ نحوها

وقد رجع الصديقان تلك الليلة الى بيت الرباني عاموس في الجلجال وهناك اطلعنا لعازر على كل ما كتبتهُ اليك الآن بهذا الخصوص فأثر فينا كلامهُ وجلسنا جميعنا تحت شجرة التين وقضينا اكثر الليل في المحادثة عن جميع ما عرض لنا في ذلك النهار ومع اننا سررنا لعلمنا انهُ باقٍ على الارض بكينا كثيراً لدى وقوفنا على انسياقهِ الى البرية ببواعث مجهولة عندنا خفنا شر عواقبها

فالآن يا ابي العزيز كم يكون هذا الامر عجيباً افيمكن انكار ظهور نبي عظيم بيننا فان نجم شهرة يوحنا المعمدان ظهر لدى مجد ابن الله مظلماً قاتماً ولا ريب في انهُ سوف يجرُّ كل الناس اليهِ في البرية ان كان مرادهُ

السكن هناك ولكن كل شيء مبهم وعجيب وغريب ومهيج وليس من يقطع في رأيٍ من جهة نهاية هذه الامور والرباني عاموس ينصح للجميع ان يتأنوا منتظرين النتيجة لانهُ اذا كان هذا النبي مرسلًا من الله فلا بدَّ لهُ من رسالة يخرج الى البرية لتأديتها في الوقت المعين

ولعلي في الرسالة الآتية اقف على شيء جديد فاكتبهُ اليك بخصوص تدرُّج ما لا يزال باقياً طي الكتمان والابهام والرب اله بيت ابينا يطلع من السماء لاجل خلاص شعبهِ

ابنتك

ادينا

الرسالة الحادية عشرة

ابي العزيز

اخبرتك في رسالتي الاخيرة عن رجوعنا من الاردن الى الجلجال في بيت حقول الحنطة حيث عزم الرباني عاموس على الاقامة مدة اسبوعي الحصاد ولم يكن معنا يوحنا خطيب مريم ولعازر فقط بل غمالائيل وتلميذهُ شاول اللذان اخبرتك عنهما سابقاً وجميع هؤلاء مع كثيرين آخرين غرباء ومن عامة الشعب اذ كانوا بعيدين عن اوطانهم وقد فرغ زادهم دُعوا ليبيتوا عند عمي ويكونوا في ضيافتهِ تلك الليلة • وفيما نحن جالسون للمباحثة بشأن الامور التي حدثت في النهار انتهى بنا البحث الى ملاحظة ما ابداهُ يوحنا من جهة تغيُّر وجه يسوع وانهُ صار «منظرهُ كذا مفسداً اكثر من بني آدم» فقال غمالائيل «ان هذه الكلمات لاشعياء

وقد نطق بها عن مسيّاً في مجيئهِ «· فصرخ عاموس « فلنفتش اذاً اشعياء فنرى ما يقول بهذا الخصوص · يا مريم احضري الى هنا درج الانبيـــاء »· فرجعت مريم اليهِ بالكتاب ووضعتهُ على مائدةٍ صغيرة قدامهُ لاننا كنا كما قلت سابقاً جالسين في الرواق نستنشق النسيم البارد · ثم أشعل مصباح فرفعتهُ بيدي فوق الدرج بينما فتحهُ عمي ليطالع فيهِ النبي الناطق بتلك الفقرة · فقال لهُ غمالائيل الفيلسوف « اقرأ بصوتٍ عالٍ ايها الرباني المحترم وهوذا كلنا مصغون اليك لانهُ مع كوني لا اصدّق ان هذا الشاب الذي اعتمد اليوم هو مسيّاً والمسيح الذي يرد كل شيء لنا فانني مستعدٌّ لان اعتبرهُ نبيا عظيماً »· فاجابهُ الرباني عاموس « وان وجدنا النبوات تُسند اليهِ الاشياءَ التي نتوقع وجودهـــا في مسيا حينما يأتي أفلا تؤمن ايها الاب الجليل؟ »

« اني أومن واسجد لهُ بكل ورع »· اجاب بهـــذا غمالائيل الحكيم وقد انحنى الى حدٍّ كادت عندهُ لحيتـــهُ البيضاء تمس ركبتيهِ ثم طلب عمي مني قائـــلاً « إقرإي يا ادينا فان عينيك حادتان »· فاطعتهُ رغماً عن خشيتي امام جمهور كهذا وقرأت ما يأتي :

« هوذا عبدي يعقل يتعالى ويرتقي ويتسامى جدّاً كما اندهش منك كثيرون · كان منظرهُ كذا مفسداً اكـــثر

من الرجل وصورتهُ اكثر من بني آدم» · فقال يوحنا «حقا ان هذه الكلمات تصف منظرهُ تمام الوصف وهو عند تخم البرية ومع ذلك فانا استعملتها بدون انتباه» · فقال شاول تلميذ غمالائيل «اذاً سيكون لنا مسيح ذلٍّ وهوان لا مسيح شرفٍ ومجد · اقرإِي ايتها الفتاة ما اضربتِ عنهُ فانهُ يشير الى حالة اسمى مما لذلك الشخص المجهول الذي يوحنا المعمدان نفسهُ قال انهُ لم يعرفهُ ولا رآهُ قبلًا» فقرأتُ ما يأتي :

«هوذا عبدي يعقل يتعالى ويرتقي ويتسامى جداً · هكذا ينضح امماً كثيرين من اجلهِ يسدُّ ملوك افواههم يرفع يدهُ على الامم ويقيم راية للشعوب · ملوك يسجدون لهُ ووجوههم الى الارض ويلحسون تراب قدميهِ» فصرخ شاول «هكذا يكون مسيحنا» . قال غمالائيل «نعم ان المسيح الذي يفدي اسرائيل هو مسيح قوَّة وسلطان وليس رجلًا مجهولاً بالجهد يبلغ الثلاثين سنة جاءَ من حيث لا يعلم احد وهكذا ذهب لان المسيح نعلم من اين يأتي»

وعند استماعي كلام هذا الرجل العظيم الصالح غار قلبي داخلي لانهُ لم يسعني الآنَ الاعتراف بان نبوات العظمة والسلطان لا يمكن نسبتها الى الشخص الحقير الذي عمَّدهُ

يوحنا . ولعازر اخبرنا ان صديقهُ يسوع كان حقير الولادة ابن نجار وقد عرفهُ من حداثتهِ ولكن كمحبّ فقط . فتطلعت في وجههِ الآن وتشجّعتُ اذ وجدت ان كلام غمالائيل لم يكسف شيئاً من نور ايمانهِ وثقتهِ بان صديقهُ يسوع كان بالحقيقة مسيا الله . ثم وقع نظري على ما يأتي فزادتني تلاوتهُ ثقة وإيقاناً وهو

«لا صورة لهُ ولا جمال فننظر اليهِ ولا منظر فنشتهيهِ».

وعند ذلك التفت لعازر الى شاول وقال «اذا كان الجزء الاول من هذه النبوة يختص بالمسيح كما قلتَ فهذا الجزء الاخير يُنسَب اليهِ ايضاً وحقيقة رفضك لهُ ليست سوى اتمام هذا الجزء من هذه النبوة» . فقامت محاورة شديدة بين غمالائيل وشاول من جهة والرباني عاموس ويوحنا ولعازر من جهة أُخرى . فالاولان ذهبا الى ان النبوات تشير الى مسيحين مختلفين احدهما يكون ذليلاً متألماً والآخر عظيماً وظافراً والثلاثة الآخرون ذهبوا الى ان هذه النبوات المختلفة حسب الظاهر انما تشير الى مسيح واحد في احوال مختلفة من حياتهِ وبعد ما فرغ الفريقان من تقديم الادلة والبراهين قال يوحنا «وان غضضنا النظر عن كل هذا فكيف تفسّران انتما يا غمالائيل وشاول الصوت الالهي والمنظر الناري الفائق العادة اللذين تميزت بهما معموديتهُ ؟»

فاجاب الفيلسوف

«لا بد ان يكون هذا من ظواهر الطبيعة او انهُ عمل احد السحرة البابليين الذين كان منهم عدد كثير بين الجموع» فسأَلهُ الرباني عاموس «اما سمعت الكلمات؟»

«بلى يا رباني ولكن لا يبعد انها خرجت الى الهواء من الساحر نفسهِ لانهم يأْتون بسحرهم اشياء عجيبة».

فسأَلهُ يوحنا «وهل تظن ان ساحراً يستخدم المنطق بكلمات الرب المقدسة؟»

«بدون شك»

«ليسمح لي الرباني عاموس فاريكم هذه الكلمات نفسها في نبوات الملك داود عن مسيّاً» . قال يوحنا هذا واخرج من ردائهِ درج المزامير والكل شاخصون اليهِ . ثم فتحهُ وقرأَ ما يأْتي ناظراً الى غمالائيل «لماذا تآمر الرؤَساء معاً على الرب وعلى مسيحهِ؟» «اني اخبر من جهة قضاء الرب قال لي انت ابني» . فلاحت على وجه غمالائيل سمات التأمل والافتكار فقال الرباني عاموس «بالحق نحن اليهود نؤْمن ان هذه الكلمات نُطق بها عن مسيحنا بواسطة الرب الاله أَفما سمعنا اليوم انغامها في آذاننا؟» فاجاب غمالائيل «ان هذا من الغرائب فسوف افتش الكتب عند رجوعي الى اورشليم لأَرى هل هذه الامور هكذا» . فسأَلهُ

الرباني عاموس «وهل وجدت من تفسير للنور بهيئة حمامة ؟»

«كلّا . وسأمسك الآن عن ابداء أيّ رأيٍ في هذه المسائل»

«انهُ يليق بك كاتبٍ ومعلم في اسرائيل ان تعرف هل هذه الامور هكذا لكي تعلِّم تلاميذك» . فقال شاول بقوَّة

«التمس اصغاءكم فاقرأ لكم بعض النبوات الأُخر» . قال هذا وفتح سفر النبوات وتلا ما يأتي

«اما انتِ يا بيت لحم افراتة وانتِ صغيرة ان تكوني بين الوف يهوذا فمنكِ يخرج لي الذي يكون متسلطاً على اسرائيل ومخارجهُ منذ القديم منذ ايام الازل»

ثم خاطب عاموس ملقياً عليهِ نظرة الانتصار «لا يسعك الآن الاعتراف بان هذا الكلام يشير الى مسيحنا المنتظر»

«ولا ريب — ولكن —»

«مهلًا حتى اقرأ لك نبوة اخرى» ثم قرأ ما يأتي

«حلفتُ لداود الى الدهر أُثبتُ نسلك وابني الى دور فدور كرسيك . نسلهُ الى الدهر يكون وكرسيهُ كالشمس قدامي . ها أيام تأتي يقول الرب وأُقيم لداود غصن برّ» . فالآن كلكم تسلمون معي ايها الاخوة ان هذه الآيات

تشير الى مسيًّا ٠ اذًا هو يأتي من نسل داود ويُولد في بيت لحم ٠ فبينوا لي ان هذا يسوع الناصري يستوفي هذين الشرطين في ذات شخصهِ فاكون مستعدًّا للايمان بهِ » ٠ قال هذا بافتخار كمن بلغ حد الاعجاز واصبح الرد عليهِ مستحيلًا على ان لعازر ما عتَّم ان انتصب واقفًا على رجليهِ وقال

« مع اني لم اتذكر هذه النبوة عن المسيح انهُ يولد في بيت لحم يسرُّني الوقوف على حقيقة اتمام يسوع لهذا ايضًا فقد وُلد في بيت لحم يهوذا وقد عرفت هذا منذ بضع سنين و — » وهنا بينما كان قلبي يطفح فرحًا وسرورًا بكلام لعازر اعترضهُ غمالائيل مقطبًا وقال « كنت اظن ان هذا الرجل وُلد في الناصرة » ٠ فاجاب لعازر

« انما سكن في الناصرة من طفوليتهِ وحينما صدر امر اوغسطس قيصر بان يكتتب كل المسكونة صعدت امهُ ورجلها يوسف الى مدينة داود التي تدعى بيت لحم ليكتتبا وهناك ولدت يسوع كما سمعتُ منها مرارًا كثيرة » ٠ اما شاول فاذ كان متدربًا في الاحتجاج اعترض عليهِ قائلًا « بقي عليك ان تبرهن لنا انهُ من عشيرة داود ». فاعترضهُ الرباني عاموس بقولهِ « لو لم يكن ابواهُ من نسل داود الملكي لم يكن لهما حاجة الذهاب الى مدينتهِ لانهُ لم

يذهب احد قط ليكتتب في مدينة ليست لعشيرتهِ فذهابها الى هناك برهان واضح على كونها من بيت داود» . فقال غمالائيل

«ليس من الضروري ان كل مولود في مدينة داود يكون من بيتهِ ولكن من العجب العجاب ان يكون يسوع هذا مولودًا في بيت لحم» . فسألتُ عمي «أَليس ممكناً ان نتحقق نسبتهُ من جداول الاسباط وعشائرهم المحفوظة بامر شريعة الهيكل ؟» فاجابني

«بلا ريب لان كتب مواليد شعبنا هذه يعتمد عليها في هذه الامور» فقال غمالائيل

«حقا انها محفوظة باكمل ضبط وقد امر الله بحفظها هكذا لاجل هذه الغاية حتى يمكننا ان نعرف هل الذي يدَّعي انهُ مسيًا من بيت داود ام لا وسوف افحص كتاب المواليد وانظر هل كانت امهُ وابوهُ من نسل داود وذريتهِ» . فسألهُ يوحنا «وان وجدت انها كذلك فهل تعود تشك في ان يسوع هو المسيح ؟ أَلا تكون حقيقة كونهِ مولودًا في بيت لحم ومن ذرية داود— فضلًا عن شهادة صوت الله التي سمعناها بآذاننا كافية لحملك على الايمان بانهُ المسيح ؟» فاجابهُ معجزًا «لربما تكفي لمنعي عن رفضهِ فقط لان كل الاولاد المولودين في بيت لحم ومن

بيت داود – وكثيرون هم الذين كذلك في ارض يهوذا – تصدق عليهم شروط هاتين النبوتين وهم ليسوا لاجل ذالك مسحاء» · فسألت مريم «وماذا تطلبان غير هذا؟»

قالت مريم هذا لانها كانت ممتلي مؤمنة ان يسوع هو المسيح وقد ساءها ما سمعتهُ من الشكوك فيهِ والاحتيال في رفضهِ من ذينك اللذَين كانا متدرّبين وواسعَي الاطلاع في كتب الانبياء · ولكن هي العادة ان الرجال يكثرون من الاحتجاج بينما النساء يقتصرنَ على الايمان فقط · فاجابها تلميذ غمالائيل قائلًا وهو ينظر الى وجه معلمهِ نظرة السائل المتفحص «انما نطلب عجائب» · فوافقهُ غمالائيل قائلًا «نعم نطلب عجائب فعلى مسيًّا ان يشفي المرضى بكلمة ويُعطي النظر للعميان ويخرج الشياطين ويُقيم الموتى» · ثم طلب شاول ان يقرأ على الخصوص النبوة التي تشير الى قوة المسيح في عمل العجائب فقال هذا «فان فتح عيون العمي واقام الموتى لم اشك فيهِ»

وهنا توقفت المباحثة بما قام من المجادلة الجهارية في الدار بين تلاميذ يوحنا من جهة رياسة المسيح وعلت اصواتهم بين موجبين وسالبين حتى اضطر الرباني عاموس ان يخرج لتسكيتهم واذ ذاك دخل غمالائيل الى غرفتهِ لينام

وانقطعت المحاورة · وهكذا ترى يا والدي العزيز انهُ حتى في يوم حدوث هذه الامور العجيبة كان بين الذين شاهدوها بعيونهم اختلاف عظيم في الآراء من جهة يسوع ولذا لا اتوقع منك وانت بعيد عن هذه المشاهد ولم تعلمها بسوى الخبر ان تؤمن سريعاً مثلي · اذاً دعني ان اجد نعمةً في عينيك واقف على ما عندك من جهة هذا الموضوع وما الذي تجدهُ في الكتب دليلاً على ان مسيّاً لم يأتِ بعد

وفي الصباح التالي انصرف الجمع باكراً وبعد ما اضحى النهار ركبنا الى اريحا حيث قضينا النهار عند مريم بنت يوئيل ابنة عم امي · اما لعازر فرجع الى بيت عنيا اذ كان شغلهُ يستدعي حضورهُ ولكن يوحنا بن الياصاف بقي معنا . وقد اتفق مع لعازر على انهُ يذهب يوحنا وحدهُ مرةً ثانية الى البرية ولا يقعد عن التفتيش عن النبي الالهي يسوع حتى يجدهُ لانهما (يوحنا ولعازر) كانا حزينين على فراقهِ كانهما فقدا اخاً عزيزاً محبوباً عندهما

ابنتك

اديئا

الرسالة الثانية عشرة

ابي العزيز

كم يليق بي ان اشكر لك طول اناتك ولطف اجوبتك عن كل رسائلي المشحونة بالاسئلة والآراء المتعددة التي لا بد انها بعثتك على العجب ولربما اغاظتك ايضاً وقد قلت لي انك قرأت كل ما كتبتهُ اليك وانك تأبى من جهتك الاصغاء لاقل ايقان بما فصَّلتهُ لك ورأيتك تريد الاستفهام عن صحة الصوت الالهي في الاردن وحضور حمامة النار ومفسرًا ذلك كما فسرهُ كثيرون غيرك بخداع الحواس وتقول انهُ لا يستبعد ان يكون مولودًا في بيت لحم لانك تعرف كثيرين وُلدوا هنالك وليسوا انبياء ولا بني انبياء. وعندك ايضاً انهُ ليس من الغريب ان يكون من نسل داود لان كثرة عدد اولاد هذه العشيرة كفقرهم وخمولهم لا ريب فيهِ ومع ذلك ليسوا مسحاء ولا يدَّعي احدٌ منهم

انهُ مسيًّا وتشكُّ في صدق ما كتبتهُ اليك ابنة عمي مريم من جهة تذكر ام لعازر في الهيكل منذ ثلاثين سنة حالة كونك تقرُّ بانك كثيرًا ما شاهدت فيهِ سمعان وحنة في الوقت نفسهِ (اي منذ ثلاثين سنة) وترفض شهادة يوحنا بان هذا هو المسيح على الخصوص لفقرهِ وضعة مقامهِ وخلوهِ من السلطان وقبولـهِ المعمودية من انسان . لان مسيًّا ينبغي ان يُمسح من الله ويعترف بهِ الحكماء والنبلاء والعلماء والمتقدمون في الايام والاخبار والناموسيون والكهنة والكتبة والفريسيون وكل عظماء اسرائيل انهُ هو الذي كتب عنهُ موسى والانبياء وانهُ الشمس التي تدور حولها نبوات اشعياء الباهرة ونهاية الناموس وكاالهُ والاسد من سبط يهوذا وشيلوه الامم والعجيب المشير الاله القدير رئيس السلام ومجد اسرائيل وفرح كل الارض — ليس ذلك الشاب الخامل في سن الثلاثين الاميّ الذي لا يعرف هجاء الحروف ابن النجار من الناصرة (المدينة التي كان يُضرب المثل في حقارتها) الشخص الخالي من الاسم والصفة والقوة والرتبة والغنى والسلطة وآخر ما سمع عنهُ انهُ هرب الى البرية . وزدتَ على قولك ذلك ان وصفكِ لما ينبغي ان يكون فيهِ المسيح الحقيقي وبيانكِ للاشياء التي تعوز هذا الرجل كافٍ لاقناعي باني سلمت احساساتي وايماني لمن

لا يستحقها وتقول انك لتدعو مسيحي خداعاً لانهُ لم يُعلن شيئاً ولا صرَّح بشيء من جهة نفسهِ بل ساكتاً ظهر وساكتاً اختفى بدون ان يعرف احد من اين والى اين وتختم ملاحظاتك هذه بالقول «سأنتظر اكثر قبلما أعير هذا الموضوع شيئاً من الاعتبار»

وفي رسالتك الثانية حيث تعود الى هذا البحث تقول «ان كان هذا النبي يظهر ثانيةً ويصرّح من شفتيهِ انهُ مُرسَل من الله ويؤيد ذلك بالعجائب الواضحة معلناً انهُ المسيح فاني مستعدٌّ للايمان بهِ مصدّقاً انطباق النبوات عليهِ» ثم تزيد «ولا اتأخر عن الاعتراف بمسيحية كل من يكمل النبوات في شخصهِ وان اتى في حالةٍ وصفةٍ تخالفان سابق اعتقادي بصفات مسيّا واحوالهِ لان اصلاح تفسيري للنبوات التي تشير الى مسيا افضل من محاولة تحقق ذاتية الذي تصدق عليهِ بدون ريب الاقوال النبوية التي تشير اشارة واضحة الى المسيح»

وعليهِ تراني يا والدي العزيز مكتفية الآن بابقاء هذه المسئلة في معرض البحث مقتنعة في فكري ان هذا الشخص الحقير يسوع وان جاءَ الى العالم في حالة الدناءَة والخمول فلا بد انهُ يبرهن للعالم انهُ مسيا الحقيقي مسيح الله · والآن اسمح لي يا والدي العزيز ان استأنف الكلام عن الموضوع

الذي شغل رسائلي اليك امتثالاً لاشارتك في اطلاعي اياك على كل ما يجدّ ويحدث بخصوص يسوع الناصري · فاليك ما اتصل بي عنهُ منذ ما كتبت اليك كتابي الاخير

مضى علينا الآن ثمانية اسابيع منذ رجعنا من الجلجال وقد لبثنا اكثر من نصف هذه المدة لا نسمع شيئاً عن يسوع حتى عاد الينا يوحنا بن الياصاف · هذا دخل المدينة مع لعازر واتيا الى بيت الرباني عاموس وكان اول سؤال القيناهُ عليهما «هل نظرتماهُ ? هل سمعتما عنهُ خبراً ?» فاجاب لعازر «قد نظرهُ يوحنا فاسألوهُ يخبركم» فالتفتنا الى يوحنا فوجدناهُ جالساً متفكراً بمظهر الغم والكآبة واول من ادرك ذلك فيهِ ابنة عمي مريم فخاطبتهُ واضعةً يدها على جبهتهِ وقد حسرت الشعر عن صدغيهِ «اخاف انك منحرف الصحة فقد كنتَ في سفر بعيد تقاسي الحزن والالم والتعب والسقم»

«التعب ? لست اشكو تعباً يا مريم بعد كل ما شاهدتهُ» فسألتهُ «ماذا شاهدت ?»

«يسوع في البرية ! وحينما اذكر انهُ هناك اغيب عن رشدي وانسى وجودي»

«اذًا وجدتهُ ?»

«نعم بعد ما عانيتُ اياماً مشاقّ التفتيش عنهُ في

قلب الصحراء حيث لم تطأ قبلًا قدم انسان وقد شاهدتهُ جاثياً على ركبتيهِ وسمعت صوتهُ في الصلاة فوضعت امامهُ ما معي من خبز وسمك وماء»

«كيف اهتديت اليهِ»

«من آثار خطواتهِ على الرمل فعرفت اين جلس طلباً للراحة واين اضطجع ليلتين على الارض وكنت اتوقع ان اجدهُ ميتاً لكن كل يوم كنت اتبيَّن تقدم خطواتهِ واتأثرها وحينما قربت منهُ سمعتهُ يئن بالروح وظهر انهُ متثقلٌ الى الارض بألمٍ مميت وكان في الواقع يكلم ارواحاً شريرة تصادمهُ فقلت لهُ 'ربي ايها المعلم الصالح قد جئتك بخبزٍ وماء . عفواً عن تطفلي على وحدتك الرهيبة المبعوثة عن حزن عميق لكني اشاركك في مصابك واقاسمك آلامك فكُل لكي تملك قوة تقدرك على احتمال تجاربك' . فادار نحوي وجههُ الاصفر ومدَّ يديهِ النحيلتين وابدى تبسُّماً لطيفاً يشفُّ عن خوار عزيمتهِ وضعف قواه . ثم باركني وقال

«'يا ابني انت عزيز جدًّا عليَّ وسوف تتألم معي يوماً ما ولكن ليس الآن وحينئذ تفهم سرَّ وجودي هنا اتألم في البرية' . فقلت 'دعني ابقى معك ايها المسيح الطاهر' فاجابني بلسان المحبة 'اذًا تؤمن اني انا هو؟' فاجبتهُ بان

طرحت ذاتي امام قدميهِ المشوَّطتين بهجير الصحراء وغسلتها بدموعي • اما هو فاقامني وقال ' اذهب الآن في طريقك وحين ينقضي وقت صيامي وتجربتي اعود فاراك ثانيةً ' فقلت ' كلا لا اتركك ' فاجابني بلحنٍ يشف عن توبيخ لطيف ' ان كنت تحبني يا حبيبي فانك تطيعني ' • فتوسلت اليهِ قائلًا ' اذًا تاكل اولاً وتشرب مما اتيت بهِ من الخبز والماء ' • فاجابني بحزنٍ ' انك لا تعرف اية تجربة تسبب لي بتقدمتك هذه وليس معك ما يسدُّ احتياجاتك فاذهب ودعني انال الغلبة على الشيطان رئيس هـذا العالم الذي لاجله قادني الروح الى هنا ! ' وعندها القيت نفسي مرةً ثانية عند قدميهِ فاقامني وقبَّلني وارسلني • آه انكم لو شاهدتموهُ لما عرفتموهُ فهو غاية في النحول والهزال من شدَّة التقشف وآية في الضعف من معاناة الآلام المبرحة حتى لم يبقَ منهُ سوى رسم خيالهِ وما كان يتهيأ لهُ ان يحيا هكذا لولا ان قوَّة الهية تعضدهُ من الداخل فوجودهُ وقتاً طويلًا كهذا — لانهُ كان لهُ حين رأيتهُ خمسة اسابيع في البرية بدون طعام — عجيبة تبرهن انهُ مؤيد بقوَّة من الله »

فسأل الرباني عاموس متأثرًا « ترى لاية اعمال خطيرة بين الناس يعدهُ الله ؟ » . فسألتهُ والمخاوف تخنقني وتوشك ان تحول دون تكلمي « أتظنه باقياً حيًا » • فاجاب يوحنا

«نعم وقد جئت لاخبركم انهُ تغلب بقوة الهية على كل التجارب وبعد اربعين يوماً خرج من البرية واظهر نفسهُ بغتة على شاطىء الاردن بين تلاميذ يوحنا وانا كنت جالساً بقرب المعمدان نبحث عن المسيح ونتعجب قائلين متى تنتهي مدَّة خلائه في البرية واذا بالنبي رفع عينيهِ وصرخ بصوت عال بلهجة الفرح والابتهاج

« ' انظروا ثانيةً حمل الله الذي يرفع خطايا العالم ! هوذا قد خرج من الاتون كالذهب المصفى سبع مرات في النار ! هو الذي وحدهُ حل عليهِ روح الله ' . فالتفتُ وابصرت يسوع آتياً ووجههُ اصفر يسفر عن رقةٍ وحلم ولطف لا مزيد عليها فسحرني ما آنستهُ فيهِ من الهدوء والسكينة ومظاهر السلام فحُملتُ اليهِ على اجنحة الشوق وحينما دنوت منهُ وسجدت لهُ عند قدميهِ احتضنني كأخ وقال ' ايها الامين والممتلىء حباً هل تتبعني ؟ ' فاجبتهُ ' لن اتركك الى الابد ' فسألهُ احد تلاميذ يوحنا المدعو اندراوس الذي كان معي ' يا معلم اين تمكث ؟ ' فاجابهُ ' تعال وانظر ' فتبعناه بفرح لا يوصف »

فسأل الرباني عاموس « وماذا حدث بينهُ وبين يوحنا المعمدان عند اجتماعهما على شاطىء الاردن»

«لا شيء البتة اذ التقيا وافترقا كأن كلًّا منهما غريب

عن الآخر ويوحنا ذهب الى البرية في عبر الاردن بينما يسوع دخل قرية بيت عبرا وجاء الى بيت ارملة فتبعناهُ والتمسنا منهُ ان نسكن معهُ وحقا لا يمكنني ان اصف لكم بالكلام حلاوة تعليمهِ وكرازتهِ · فبوجودي معهُ يوماً واحداً صرت حكيماً لان كلماتهِ كالخمر الجيدة تملأُ النفس وتفرّح القلب وفي اليوم التالي اراد ان يذهب الى الجليل ثم الى الناصرة حيث تمكث امهُ · واذ قد عقدت نيتي على اتباعهِ لاكون لهُ تلميذاً من الآن فصاعداً جئت الى هنا لأُعلن قصدي هذا لمريم وادبر اموري في المدينة · وغداً اذهب لاكون مع سيدي العزيز في قانا الجليل »

فقال لعازر « آه الطوبى والغبطة لك يا صديقي واخي وكم كنت اود ان اذهب انا ايضاً واكون تلميذاً لهُ لولا ان اعتنائي بامي واختيّ يحول دون ذلك ويضطرني الى فقد سعادة الوجود بقرب هذا الاقنوم الالهي والاستماع للحكمة السماوية الخارجة من شفتيهِ وكم كنت اعمى حتى لم اقدر ان اكشف من اوصافهِ اللطيفة المحبوبة وحكمتهِ الالهية الحقيقية عن مسيَّا · خفيا كان بيننا ولم نعرفهُ »

فسأل الرباني عاموس يوحنا « ألا تقدر ان تنبئنا بمقاصدهِ فنعلم هل في عزمهِ ان ينشئ مدرسة حكمةٍ

يصنع حتى الآن عجيبة واحدة تدل كما تنتظر انت على رسالتهِ الالهية فلا ارتاب في انهُ عن قريب يعلن هذا البرهان ويوضح بقية البينات الضرورية الدالة على كونهِ مسيح الله

ابنتك

ادينا

الرسالة الثالثة عشرة

ابي العزيز

اطلعت على رسالتك الاخيرة الكريمة المرسلة صحبة التاجر المصري جابر بن ملكيئيل وتلوتها على الرباني عاموس الذي من بعد تدقيقهِ النظر فيها صرَّح لي انهُ لا يمكنهُ التسليم برأيك من جهة محمد مسيًا الظاهر اعني انهُ «سيأتي

ملكاً وقائد جند قوياً ويملك وينتصر ويحكم في الارض ويسود على ملوكها» وهو يرغب اليَّ ان اسألك عن المراد بكون مسيا «رجل اوجاع ومختبر الحزن» كما تُنبِّئَ عنهُ وكيف تفسر يا ابي العزيز قول دانيال «وبعد اثنين وستين اسبوعاً يقطع المسيح وليس لهُ» ثم يطلب منك ان تبحث عن الوقت المعين من دانيال لمجيء المسيح الرئيس «سبعة اسابيع واثنان وستون اسبوعاً» ويقول الرباني عاموس انهُ حقًّا قد اتى وقت ظهور المسيح كما يشهد بذلك كل قارىء النبوات وان السبب الوحيد لعدم الايمان بهِ هو انهُ جاء في الفقر والذلّ والصوم والآلام ◦ ولكن ألم يكن مكتوباً يا ابي العزيز ان المسيح يأتي في هوان ويكمل في قوَّة ◦ فآهٍ لو ان لك ما لي من الايمان بان يسوع الناصري هو مسيا المنتظر! وقد تثبَّت ايماني بعد ما كتبت اليك آخر مرة بالشهادة التي تطلبها انت في احدى رسائلك حيث قلت «دعني اسمع انهُ صنع عجيبة تؤَيد رسالتهُ الالهية — عجيبة من العجائب التي تنبىء عن مسيا انهُ يجريها كشفاءِ المرضى بكلمةٍ وارجاع النظر للعمي واقامة الموتى — فأُومن بهِ»

فاعلم انهُ صنع عجيبةً لا يرتاب احدٌ في صحتها وسانقل اليك ملخصها من رسالةٍ كتبها يوحنا الى مريم بعد

انطلاقهِ الى يسوع في الناصرة بايام قليلة لان يوحنا التصق بهِ وصار لهُ تلميذاً ٠ قال

«وحين بلغت الناصرة دلوني على بيت حقير تسكنهُ أمُّ يسوع وقدامهُ جمٌّ غفير يزحم بعضهم بعضاً ولدى السؤَال علمت انهم اتوا ليشاهدوا النبي الجديد فسألتهم متجاهلًا لكي اقف على ظنهم فيهِ ' اي نبي جديد هذا؟ ' فاجابني واحد ' هو الذي تنبأَ عنهُ يوحنا في البرية ' ٠ واجاب آخر ' يقولون انهُ مسيا ' واعلن ثالث بجراءَة ' انهُ المسيح ' وعند ذلك اعترض لاويٌّ بهزء واحتقار ' وهل يأتي المسيح من الجليل؟ فلستم تستفيدون شيئاً من مطالعة الانبياء ان كنتم تجدون فيها ان المسيح تنبىءَ عنهُ انهُ يأتي من ناصرة الجليل ' ٠ واذ وجدت انهُ بكلامهِ هذا شكَّك كثيرين واضعف ايمانهم قلت ' حقًّا يا اخوة ان المسيح ينبغي ان يكون من بيت لحم ومع انهُ الآن في هذا المكان فهو بدون ريب قد وُلد في بيت لحم ' ٠ فاجابني اللاويُّ غاضباً ' لست قادرًا ان تبرهن هذا يا انسان ' ٠ فاجابهُ رجل مسنٌّ وامرأَة عجوز معاً ' ان هذا الغريب يتكلم بالحق فنحن نعلم انهُ لم يولد هنا وان والديهِ حينما اتيا الى الناصرة وهو بعدُ طفلٌ قالا انهُ وُلد في بيت لحم وكلنا نتذكر هذا جيداً ' ٠ واذ لم يجد اللاوي احدًا معهُ انصرف

في طريقهِ وسرت انا نحو البيت حيث يسكن يسوع وامهُ وكان لهُ بابان احدهما يؤَدي الى حانوت شغل رأَيت فيهِ مقعداً من خشب وآلات كان يشتغل بها يسوع لاعالة امهِ وعندها سأَلت نفسي هل هذا الصانع الحقير الذي شاهدت دكان شغلهِ وآلاتهِ هو بالحقيقة مسيح الله — الرئيس مسيا الذي نظر اليهِ كل الآباء والانبياء من بعيدٍ بعين الايمان مشتاقين الى رؤية يومهِ ! وذلك اعاد فيَّ تذكار مناظر معموديتهِ العجيبة ورؤْية الحمامة السماوية وسماع صوت الله وبقائهِ العجيب في البرية وحينما دخلت البيت ورأَيتهُ جالساً يعلِّم الذين كانوا مجتمعين اليهِ وهم مصغون الى استماع صوتهِ الهادىء ملتقطين درر حكمة تعاليمهِ المشهورة من شفتيهِ نسيتُ النجار — ذهلت عن الانسان — وظهر لي اني لا ارى فيهِ سوى مسيّا الرئيس ابن الله !

«وحالما رآني مدَّ يدهُ واستقبلني بكل اكرام وقال مشيرًا الى الرجال الخمسة الذين كانوا جالسين بقربهِ محدّقين اليهِ بعين المحبة والاحترام ‹هؤلاء اخوتك الذي خرجوا مثلك من العالم لكي يتبعوني› . فمنهم اندراوس الذي كان نظيري تلميذ يوحنا وكنا كلانا نكلمهُ حين جاء يسوع من البرية ومنهم اخو اندراوس المسمى سمعان الذي اذ سمع اخاهُ يتكلم عن يسوع انهُ مسيا ذهب معهُ لينظرهُ

لكنهُ ما لبث بعد ما رآهُ ان تبعهُ ايضاً · اما يسوع فاذ رآهُ شديــد الغيرة والثبات دعاهُ بطرس او صخرة ومنهم واحد من بيت حسدا مدينة اندراوس وبطرس واسمهُ فيلبس الذي تبع يسوع لانهُ كان مستعدًّا لقبولـهِ بواسطة يوحنا المعمدان وقد سرَّهُ جدًّا ان رأى يسوع حتى انـهُ ركض الى بيت قريبهِ نثنائيل واذ ابصرهُ يصلي في بستانهِ تحت شجرة تين صرخ

« هوذا قد وجدنا مسيح الله الذي كتب عنهُ موسى والانبياء ! ' فسألهُ نسيبهُ ناهضاً 'واين هو نشاهـدهُ ؟ ' فاجاب فيلبس 'هو يسوع الناصري ابن يوسف ' · فحينما سمع نثنائيل هذا الجواب سقط وجههُ وقال 'أَمن الناصرة يمكن ان يخرج شيء صالح ؟ ' فاجاب فيلبس 'تعال وانظر '

« وعندها ذهب نثنائيل معــهُ الى حيث كان يسوع وحينما ابصرهُ يسوع مقبلًا قال للذين حولهُ 'هوذا اسرائيلي لا غشَّ فيهِ ! ' فسألهُ نثنائيل متعجباً · لانهُ سمع الكلمات التي قيلت · 'من اين تعرفني ' · فاجابهُ يسوع قائلًا 'قبلما دعاك فيلبس وانت تحت التينة رأيتك ' · وعند ما سمع نثنائيل هذا وعرف جيدًا انهُ كان وحدهُ في البستان وغير منظور من احد في صلاتهِ رفع عينيهِ شاخصاً في وجه يسوع فتراءى لهُ انهُ شاهد فيهِ قوَّة الحضور في كل مكان فصرخ

قدام الجميع ‹ يا معلم انت ابن الله ! انت ملك اسرائيل ! ›
فالتفت اليهِ يسوع مسرورًا باقرارهِ وقال ‹ لاني قلت لك اني رأيتك تحت التينة آمنت فلسوف ترى اعظم من هذا ؛ الحق الحق اقول لكم من الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الانسان ›

«هؤلاء الاربعة اندراوس وبطرس وفيلبس ونثنائيل كانوا معهُ في البيت وقد سررت منذهلًا بان رأيت معهم اخي يعقوب الذي رآهُ يسوع في قاربهِ على بحيرة طبرية ودعاهُ فترك يعقوب كل شيء وتبعهُ وهكذا كنا جميعاً ستة متحدين معاً برباط الايمان والمحبة

«وكانت امهُ حاضرة معنا تتفرَّس فيهِ بعين الافتخار والحنو وتصغي الى كلماتهِ كانها مثلنا راغبة في اكتساب تلك الحكمة الهابطة اليهِ من فوق وهي بالحقيقة امرأة فاضلة وتقية وعليها بقية وافرة من الحسن والجمال . وفي اليوم التالي ذهبت انا واخي يعقوب الى بحر طبرية مسافة ساعتين لكي نجتمع بابينا زبدي ونحوّل السفن الى عهدتهِ وبعد الظهر رأينا يسوع على الشاطىء مجتازًا في طريقهِ الى قانا الجليل واذ دعانا تركنا سفننا وابانا وتبعناه . وكانت امهُ وكثيرون من ابنائها معهُ وجميعهم ذاهبون الى عرس احد اقربائهم وحين بلغنا قانا الجليل أُدخلنا الى غرفة المتكإ وكان ليسوع

على الخصوص استقبال عظيم من رب البيت مع انهُ كان في خدمة الرومانيين وهناك لقينا اليصابات ام يوحنا المعمدان نسيبة مريم ام يسوع وكان مشهد اجتماع هاتين المرأتين المباركتين مؤثرًا للغاية

« فقالت ام يوحنا لمريم حينما التفتت الى يسوع وهو يخاطب رئيس المتكإ ' آه كم انتِ سعيدة يا مريم لان ابنك دائماً معكِ ! بينما انا الام لستُ بعدُ أُما لان الابن الذي اعطانيهِ الله اخذهُ مني ليكون نبيا لهُ وهو عندي كانهُ مائت ! فانهُ في الثانية عشرة من عمرهِ اختار سكن البرية لا يعرف انساناً ولم يخرج منها الآ منذ ستة اشهر حين جاء يُعلن حسب كلمة الله قدوم الابن القدوس ! '

« ثم ابتدأ الاحتفال بالعرس وكانت الخمر المرسلة من دمشق لهذه الحفلة لم تأتِ بعد لان القافلة القادمة بها تاخرت بسبب الفتنة التي حدثت قرب قيصرية ولذلك لم يكن للمدعوين سوى قليل من الخمر واذ كان رئيس القرية حاضرًا في الاحتفال ورأى فراغ الآنية من الخمر امر الخادمين ان يملأوها ثانيةً . ولما علمت ام يسوع انهُ لم يبق خمرٌ التفتت الى ابنها وقالت ' ليس لهم خمرًا ! ' وكأنها عرفت بقوتهِ القديرة مع انهُ لم يكن قد اوضحها علانيةً ، كنتُ جالسًا بقربهِ فسمعتها تسرُّ اليهِ قولها السابق .

فالتفت اليها برصانةٍ وخاطبها بلسان التوبيخ الموقَّر ملقبـاً اياها بما نتخذهُ في اليهودية اعظم الالقاب اعتبارًا قائلًا ' يا امرأَة ما لي ولالتماسكِ السري في امر اجراء قوتي . انتِ تريدين ان اصنع عجيبة قدام المتكئين لكي يشاهدوها ويؤمنوا بي لكن ساعة اعلان مجدي للعالم لم تأتِ بعد ومع كل ذلك فاطاعةً لارادتكِ ايتها الوالدة المكرمة سوف افعل ما اعلم انكِ تبتغين فعلهُ '

« فشكرتهُ شكرًا جزيلًا . ثم التفتت الى الخـدام واشارت اليهم وحمرة الفرح تصبغ خديهـا بينما عيناهـا تسطعان بنور شعور امٍ سوف تنظر ابنها يعلن قوتهُ شهادةً على كونهِ من الله وختماً لنبوتهِ العظيمة امام عيون اليهود والامم وعند ما اقترب منها اثنان او ثلاثة من الخـدام قالت لهم ' مهما قـال لكم فافعلوهُ ' . فجعلوا يراقبونـهُ منتظرين اشارةً منهُ . اما هو فاشرق وجههُ بنور مجيد لا يوصف وابرقت عيناهُ بضياء ينشُّ عن ادراكهِ القوة التي فيهِ ثم التفت الى عدَّة اجران موضوعة عند الباب وقـال للخدام ' املأُوا الاجران ماء '

« وكان في الدار مقابل المائدة بئرٌ فاندفع اليها الخدام بجرار واخذوا يملأُونها منها ويفرغونهـا في الأجران حتى ملأُوها كلها ستةً الى فوق . وفي اثناء ذلك كان رئيس

المتكإِ مشغولاً بمحادثة المدعوين وهو يقص عليهم خبر النزاع الذي جرى موخراً بين هيرودس وبيلاطس البنطي لان بيلاطس في طريقهِ من قيصرية فيلبس الى اورشليم ليحضر مع جنودهِ عيد الفصح جاء ليلاً الى فندق كان هيرودس نازلاً فيهِ برجالهِ فاخرجهُ منهُ بيلاطس ليوسع محلاً لهُ ولحاشيتهِ مدعياً ان والياً رومانيا على اليهودية اعظم من رئيس ربع يهودي على الجليل · ثم زاد على ذلك قولهُ وكان الجرن الاخير قد امتلأَ وهذا النزاع بينهما لا تنحسم مادتهُ في وقت قصير لكننا في حديثنا يا اصدقائي نسينا امر الخمر · فقال يسوع استقوا الآن وقدموا لرئيس المتكإِ

«فاطاعوا واستقوا خمرا حمراء فاقعة من الاجران التي شاهدتها انا والآخرون حينما مُلئت ماء صرفاً من البئر وقدموها لرئيس المتكإِ الذي ما لبث بعد ما ملأَ كأسهُ منها وشرب ان قال للعريس الجالس في صدر المنتدى انما كل انسان يضع الخمر الجيدة اولاً ومتى سكروا فحينئذٍ الدون اما انت فقد ابقيت الخمر الجيدة الى الآن ·

فسأل العريس وقد شرب من الماء المتحول خمراً من اتى بهذه الخمرة؟ قال اني لست اعلم من اين هي!

«وحينئذٍ قال الخدام انهم ملأُوا الستة الاجران ماء

الى فوق حسب امر يسوع النبي وانهم حينما استقوا اذا بالماء قد تحوّل خمرًا ! فارتفع من الجميع هتاف التعجب والانذهال وحينئذٍ صرخ رئيس المتكإ حقًا ان بيننا نبيا جديدًا ونحن لم نعلم ٠٠ ثم نهض ليدنو من يسوع ويقدم لهُ الاكرام لكن كان اذ ذاك قد خرج يطلب الانفراد في البساتين فتبعتهُ الى هناك وبعد ما سجدت لهُ جلست عند قدميهِ مصغيًا اليهِ بينما هو اخذ يشرح لي اشياء عجيبة عن نفسهِ مبينًا انهُ بالحق المسيح ابن الله على اني لا استطيع ان اكلمك عن هذه الاشياء الآن لاني لا اعرف تمامًا كل ما ينبغي ان يكون انما اعرف انهُ وُضع لهُ ان يتألم ويرتفع »

ثم يختم كلامهُ بقولهِ لها « لا تشكي في ان يسوع هو المسيح فان آيتهُ في قانا الجليل بتحويلهِ الماء خمرًا تصريح عامٌ بقوتهِ الالهية وكل الذين حضروا العرس آمنوا بهِ وقد ذاعت شهرتهُ في كل الجليل والسامرة وقد اخبرني سرًّا انهُ سيأتي اورشليم عن قريب وهناك يظهر ذاتهُ علانيةً انهُ مسيح الله »

فهذا ما اقتبستهُ ياوالدي العزيز من كتاب يوحنا المرسل الى خطيبتهِ مريم ابنة عمي لكي ترى ان يسوع مستميل اليهِ الانظار وان لهُ تلاميذ وانهُ ليس فقيرًا البتة ما دام لهُ

قوة على تحويل الماء خمراً ! ولا بد انك من هـذه الرسالة تعتبر يسوع على الاقل نبيا معادلاً ايليا الذي ابقى كوز ارملة صرفة ملآناً وان اقررت بهذا فلا بد انك تعترف انهُ رجل صالح لا يغشّ وقد صرَّح يسوع ليوحنا انهُ هو المسيح فاذًا كيف يسع من يسلم بنبوَّتهِ ان ينكر كونـهُ اعظم من نبي بل كونـهُ مسيًّا ؟ عفواً يا والدي العزيز واصفح عن ابنتك في دخولها بالمحاجَّـة معك لكنني شديـدة الغيرة والاهتمام والرغبة في انك تؤْمن بهذا الآتي العظيم ! اما من جهة عمي الصالح العالم الرباني عاموس فقد صار اكثر من نصف تلميذٍ لهُ ولا ارتاب في انهُ حينما يظهر يسوع ذاتهُ في اورشليم ويقدر (عمي) ان يراهُ يترك كل وهم وتحامل ويتبعهُ علانيةً

وقد بلغ خبر عجيبة قانا الجليل سكان اورشليم وانا أكتب اليك هذه الرسالة فاحـدث في الأسواق وساحات الهيكل هيجاناً ليس بقليل وقـد اخبرني الرباني عاموس بعد رجوعهِ من خدمته منذ ثلاث دقائق انهُ شاهد في دار الهيكل اكثر من ثلاثين كاهناً وكتب الانبياء في ايديهم يفحصون باهتمام النبـوات عن المسيح • وهكذا ترى يا والدي العزيز ان هذا الشاب الذي كما قلت جاء من حيث لم يعرف احد وهكذا ذهب قد استمال انتباه كل اسرائيل

وحوَّل افكار الناس للنظر في صحة دعواه انهُ المسيح

ابنتك

ادينا

الرسالة الرابعة عشرة

ابي العزيز

اظنك لم تعد في حاجة لشهادة رسائلي في شهرة الرجل الناصري العجيب يسوع الذي يبرهن يوميا عن ذاتهِ انهُ بالحق نبيٌّ وقديرٌ امام الله مظهرًا للناس ان الله معهُ فلا يأتي اورشليم غريبٌ لا يخبر بعجيبة فعلها يسوع اعلانًا لقوتهِ ولا يزال يبطئ قدومهُ الى اورشليم لكنهُ مشغول

بالكرازة باقتراب ملكوت داود وملك الله على الارض معلماً في المجامع ومبيناً من كتب الانبياء انهُ هو مسيًا وقد ذاعت شهرة حكمتهِ ومعرفتهِ في الكتب المقدسة وقوتهِ في التعليم والآيات في كل سورية حتى انهم يأتون اليهِ بالمرضى من اغنياء وفقراء حتى من دمشق ليشفيهم وهو يشفي جميع الذي يأتون اليـهِ سواءٌ كان فيهم ارواح نجسة او كانوا مجانين او مفلوجين وحيثما ذهب يتبعهُ الوف حتى ان والي فيابي نزل في الطريق من مركبتهِ ودخل بين الجموع حتى جاءَ اليهِ وسجد عند قدميهِ وسأَلهُ ان يشفي ابنـهُ المفلوج فشفاهُ بكلمةٍ منهُ مع انهُ كان بعيداً عنهُ عـدَّة فراسخ وبينما انا اكتب اليك الآن اجتاز جماعة من امـام شباك غرفتي يحملون على فراشين رجلين غنيَّين من اورشليم قد يئس الاطباء من شفائهما وهم ذاهبون بهما اليهِ ليشفيهما ٠لان كل اهل اورشليم لا يشغلهم شيءٌ سوى حديث آيات يسوع العجيبة وكان رجل يصنع سلالاً على دكةٍ مقابل بيتنا من سنين عديدة ومنذ اثنتي عشرة سنة اصابهُ فالج في ساقيـهِ اعدمهما الحراك وصار يُحمَل من ذلك العهد ٠ هذا اذ بلغتهُ شهرة يسوع اشتاق كثيراً ان يراهُ ليفعل فيهِ آية الشفاء٠ ولذا سأَل صدقة من الكهنة المجتازين بهِ الى الهيكل فاعطاهُ بعضهم على حين هزىء بهِ الكل قائلـين لهُ ان شفاءَهُ

متعذر اما هو فآمن واذ حصل على دراهم تكفي لسفره استأجر رجلين يحملانه مسافة خمسة ايام الى الجليل وبعد ثلاثة اسابيع رجع يمشي منتصباً وصحيحاً ! فاجتمعت اليهِ كل المدينة لتراهُ فقصَّ عليهم كيف انهُ لما جاءَ كفرناحوم حيث كان يسوع وجد الجماهير مجتمعة حولهُ حتى ان حامليهِ لم يستطيعا الاقتراب منهُ ثم قال «اخيراً تقدَّم يسوع وهو يشفي المرضى المجتاز بهم بكلمة ورآني فتفرَّس فيَّ ودعاني باسمي قائـلاً عظيمٌ ايمانك فكما آمنت يكون لك فتشدَّدت رجلاي في الحال وطفرت من السرير الى الارض واذا انا بريءٌ من الالم والداء فحاولت ان اسقط على وجهي عند قدميـهِ من شدَّة الفرح ولكن ازدحام الجمهور حال دون ذلك على اني ملأت الفضاء بهتاف الحمد والشكر لابن داود!»

وهذا الرجل أراهُ يا ابي العزيز يوميا يخطر ذهابـاً واياباً صحيحاً معافىً ولكن حادثتهُ ليست سوى واحـدة من الف ويوحنا الذي يتبع يسوع اينما ذهب ويشاهد كل ما يفعل يكتب الى مريم «ان المرضى والمصابين باوجاع يأتون اليهِ من الجليل واشهر المدن ومن اورشليم وعبر الاردن حتى من اسيا الصغرى» ويقول «حينما يخرج معلمي المحبوب من مجمع كان يقرأ فيهِ الانبياء على مسمع الجموع

المصغين اليهِ بفرحٍ كنت اشاهد نحو مئتي شخص من عرج ومفلوجين ومشلولين وعمي ومعذبين بارواح نجسة ومصابين باوجاع وامراض مختلفة موضوعين صفوفاً عند باب المجمع ينتظرون خروجهُ والذين يحملونهم واقفين بجانبهم ومما يؤثر في نفس المشاهد ان يرى عيون اولئك المرضى البائسين تتجه حالاً نحو الباب حين يخرج الناس مسرعين وهم قائلون "هوذا يأتي! هوذا يأتي!" . فينقطع في الحال جهاد المعذبين بالارواح النجسة ويعقب انينهم سكوت تامّ. واخيراً يظهر يسوع وعند ما يبصرون وجههُ الساطع بانوار القداسة والقوة يصعدون اليهِ اصوات استغاثة . ثم يجتاز صفوف الفرش والاسرَّة فيضع يدهُ على البعض وينطق بكلمة للآخرين ويلمس عيون العمي وآذان الصم ويضع يدهُ بلطف على رؤوس المجانين ويأمر بصوت السيادة الارواح النجسة ان تخرج من المعذَّبين بها . والاغرب من كل شيء ان الارواح الشريرة تضطرب اضطراباً عظيماً عند اقترابهِ وحينما تخرج مجدّفة تعترف جهراً ان يسوع "ابن داود — ابن الله" وتتوسل اليهِ ان لا يعذبها الى التمام ولكثرة عدد الجموع التي تتبعهُ يضطرّ احياناً كثيرة ان ينسحب خلسةً الى مكان منفرد حيثما يريح قواه المنهكة بضعة ايام واذ ذاك نغتنم نحن اتباعهُ الملازمين لهُ فرصة سماع تعاليمهِ وارشاداتهِ

الانفرادية · لكنهُ لا يقدر ان يلبث وقتاً طويلاً متوارياً عن الناس لانهم حالاً يهتدون اليهِ ولا يسعهُ رفض توسلاتهم في اجراء قوتهِ العجيبة ليصنع لهم خيراً · فما اعجب هذا القابض بيديهِ على القوة الالهية ! وليست شيئاً سيادة وقوة الملوك في جنب السلطة التي لهُ في صوتهِ ومع كل ذلك فهو لتخجيلنا رزين هادئ ولطيف متواضع · فما اشد تواضعهُ! ويقضي كثيراً من وقتهِ بالصلاة على انفراد لله الذي دائماً يخاطبهُ كأبيه فلم يكن قط انسان كهذا على الارض. ونحن — اعرف الناس بهِ — نقف بمزيد الخشية امامهُ على ان احترامنا لاقنومهِ المقدس مقرون باطهر محبة وكما انني اكرمهُ كسيدي احبهُ كاخي وكلنا نشعر هكذا نحوهُ فاشتغالهُ بنا وصبرهُ على جهلنا وطول اناتهِ على خشونتنا واستعدادهُ دائماً لمسامحتنا حين نؤخذ امامهُ بزلةٍ قبلما نزكي انفسنا امامهُ كل ذلك وصلنا بهِ بعرى وثيقة لا انفصام لها · وحينما اكتب اليكِ مرَّة ثانية اطلعكِ على كل ما اعرفهُ انا ورفقائي التلاميذ عن الامور التي يعلنها من جهة نفسهِ وموضوع رسالتهِ على الارض · واشياء كثيرة لم ندركها حتى الآن لكنهُ يعدنا اننا شيئاً فشيئاً سنفهم ما نراه الآن عسر الفهم لدينا»

فعلى هذا النموذج تتمشى الرسائل التي تصل ابنة عمي

مريم من يوحنـــا تلميذ يسوع فهي مشحونة بانباء آياتـــهِ وتعاليمهِ وسفراتهِ وحينما اراهُ في اورشليم اتمكن بواسطة امتحاني الشخصي من الكتابـــة اليك بخصوص تعاليمـــهِ ومعجزاتهِ اما من جهة انـــهُ المسيح فالوف الآن يؤمنون هذا الايمان لانهم يسألون طبيعيا كيف يمكنهُ ان يجري هذه العجائب بـــدون ان يكون الله معهُ ؟ والامر المهم ايضاً انهُ اتضح بواسطة امتحانات بعض كتبة الهيكل انهُ بالحق مولود في بيت لحم وان امهُ مريم ورجلها يوسف هما على خطّ مستقيم من ذرية داود وفوق ذلك يشهد فينحاس الكاهن الذي تعرفهُ انهُ لمـــا كان يسوع طفـــلًا في ايام هيرودس الكبير جاء ثلاثـــة رؤساء رفيعي الشان رجال حكمةٍ وفهم احدهم من بلاد الفرس والآخر من بـــلاد ميديا والثالث من العربية ومعهم هدايا ذهب وبين ايديهم الخدم والاعوان وقد بلغ كلٌّ من هؤلاء الثلاثة مدينة اورشليم في واحدة من ثلاث طرق مختلفة ودخلوا من ثلاثة ابواب متباينـــة وكل منهم لا يعلم شيئاً عن الآخرَين او غرضها حتى اجتمعوا في المدينة امام قصر هيرودس فاعلن احدهم انهُ من نسل سام والثاني من نسل يافث والثالث من نسل حام! وقيل انهم كانوا رمزاً سريا عن جميع قبائل

الارض التي بواسطتهم عرفت وتعبدت لمخلص الناس الولد يسوع

وحينما سمع الملك بقدومهم ارسل يسألهم عن سبب مجيئهم الى مملكتهِ فاجابوهُ ، على قول فينحاس وقد روى لنا هذه الحادثة امس بحضور قيافا وكثيرين من الناموسيين والفريسيين ، « اننا اتينا لنسجد للرئيس المولود ملكاً لليهود » . واذ سألهم اي رئيس يعنون اجابوا « من رأينا نجمهُ في المشرق واتينا لنسجد لهُ ! » فسألهم ثانيةً وقد اضطرب مما سمع « كيف عرفتم ان النجم الذي رأيتموهُ يشير الى ولادة رئيس يهوذا ؟ » فاجابوا « رأيناهُ يتحرَّك نحو هذه المدينة وقد انقدنا لاتّباعهِ بقوة سماوية وها قد قادنا الى اورشليم التي لو كان الوقت ليلاً لكنت تراهُ متدلياً فوقها وهو يضيءُ بمجد اعظم الكواكب السيارة وقد أُعلن لنا انهُ نجم ميلاد واحد سوف يحكم ملكاً على اليهودية فقل لنا اذاً ايها الملك اين هذا الرئيس الجليل حتى نذهب ونسجد لهُ ! »

حينئذٍ اصدر الملك امراً لكل رؤَساء الكهنة وكتبة الشعب ان يجتمعوا الى مجلس الاستشارة في قصرهِ فخاطبهم « انتم الذين أُعطي لهم الاهتمام بشأن كتب الناموس والانبياء ووُجدَت فيهم الاهلية والذكاء لتفسير النبوات

يجب عليكم ان تفتشوا وتبحثوا وتخبروني بالحق اين ينبغي ان يولد المسيح. وهؤذا المجوس الاجلاء هنا قد اتوا من بلاد بعيدة ليسجدوا لهُ بل اكثر من ذلك في عزمهم ان يجثوا امامهُ كالهٍ. فلنجتهد ان نتأدب في اجابتهم على ما يطلبون ولا نكن في هذه الامور اجهل من هؤلاء الساكنين في بلادٍ غريبة» فنهض كثيرون من رؤَساء الكهنة وقالوا «انهُ معلوم ايها الملك عند كل اليهود وجميع الذين يطالعون الانبياءَ ان مسيًا يأتي من بيت داود في مدينة بيت لحم لانهُ هكذا مكتوب بالنبي ُوانتِ يا بيت لحم ارض يهوذا لستِ الصغرى بين رؤَساء يهوذا لان منكِ يخرج مدبر يرعى شعبي اسرائيل ٬»

واذ ذاك صرف هيرودس المجوس وانفرد في مخدعهِ الخاص واستدعى سرًّا رؤَساء المشرق الثلاثة ليتحقق منهم زمان النجم الذي ظهر وحينما عينوا لهُ اليوم والساعة التي فيها رأَوهُ اولاً تمكن من الوقوف بالتقريب على عمر الطفل فقال لهم

«أُجيز لكم ايها المجوس المحترمون ان تذهبوا الى بيت لحم وتفحصوا بالتدقيق عن الصبي ومتى وجدتموه فاخبروني لكي آتي انا ايضاً واسجد لهُ لانهُ انما يليق بنا ان نقدم كل ما لدينا من الاكرام لولي عهد مملكتنا الذي

أعلنت ولادتهُ بطريقة كهذه غير معتادة ونسجد للذي ارسل المشرق نفسهُ مجوسهُ اليهِ »

فخرجوا من لدنهُ وكان الوقت ظلاماً لكنهم فرحوا فرحاً عظيماً جدًّا حين رأوا النجم الذي ابصروه في المشرق يتقدمهم فتبعوهُ حتى برح اورشليم من باب بيت لحم يقودهم اليها حتى وقف فوق بيت حقير فيها . وحينما دخلوا البيت ابصروا اشعة النجم تحيط برأس طفل في ذراعي والدتهِ مريم امرأة يوسف فعرفوهُ حالاً وحيّوهُ كرئيس وملك اورشليم ثم سجدوا لهُ وفتحوا كنوزهم وقدموا لهُ هدايا ذهباً ولباناً ومرًّا مما يقدم على مذبح الله فقط

وحينما سأل قيافا فينحاس كيف عرف هذا اجاب انهُ اذ استفزّتهُ غرابة انباء المجوس لرؤية هذا الرئيس الذي جاءوا ليسجدوا لهُ اقتفى اثرهم من قصر هيرودس الى باب المدينة . ثم تأثرهم الى بيت لحم وشاهد سجودهم وتقادمهم لولد مريم الطفل وزاد على ذلك قولهُ « وان كنتم في ريب ففي اورشليم باقٍ للآن كثيرون من اليهود يشهدون بالامر المعطى من هيرودس لقتل جميع اطفال بيت لحم . ومعهم رئيس متقدم في الايام يدعى ارميا وقد كان قائداً لجنود هيرودس في هذه المجزرة » . فسأل قيافا « ولماذا كانت هذه المجزرة فانها غير مؤرّخة ؟ » . فاجاب فينحاس « ان

الملوك لا يؤرخون فظائعهم وقد كتمها هيرودس حين وجد انهُ لم يستفد منها شيئاً سوى مقت الشعب لهُ وقد قتل الاطفال رجاء ان يكون الطفل يسوع بينهم فيُعدَم . لان المجوس الثلاثة عوضاً عن ان يرجعوا الى بلادهم عن طريق اورشليم ويخبروا هيرودس اين وجدوا الصبي انصرفوا في طريق اخرى . وعند ما بلغهُ انطلاقهم حمي غضبهُ فانفذ فرقة من حرسهِ الخاص تحت امرة القائد ارميا الذي لا يزال حيا يشهد بذلك موعزًا اليهم ان اقتلوا كل صبيّ في بيت لحم من ابن سنتين فما دون آملًا كما قلت سابقاً ان يهلك يسوع بينهم . لكن الصبي نجا بلا ريب بعناية الله القديرة وقد ملأت شهرتهُ اليوم آذان كل بيت اسرائيل . وسجود المجوس الثلاثة الذين كانوا ابناء سام وحام ويافث يرمز بوضوح الى تعبُّد كل الجنس البشري لـهُ اذا كان بالحقيقة هو المسيح ! » فسأَلهُ قيافا ناظرًا اليهِ شزرًا بعين الحنق والانذهال

« هل تؤمن بهِ انت ايضاً ؟ »

« اريد اولاً ان انظرهُ واسمع كلامهُ فان تبيَّن لي انه مسيًا اتعبَّد لهُ بكل فرح »

وعند ذلك حدث شغب عظيم وصار البعض يصرخون

قائلين ان يسوع هو المسيح والبعض ان فينحاس ينبغي ان يُرجم الى الموت وهذا كلهُ رواهُ لي الرباني عاموس الذي كان حاضراً هذه المباحثة

ومنهُ ترى يا والدي العزيز كيف ان البينات تزداد يومياً موضحةً بملء الاهمية ان يسوع هو المسيح وهوذا سريرهُ يشهد بصفاته الالهية وحقاً ان عجائبهُ الآن اصبحت العربون المعطى بالحوادث الشهيرة المرافقة طفوليتهُ وقد أُحضر القائد ارميا مجللاً ببياض المشيب فشهد بانهُ اطاع تنفيذ امر هيرودس في ذلك ٠ وقد اصدرهُ بعد انطلاق المجوس من اورشليم الى بيت لحم بثلاثة ايام

والآن دعني يا ابي العزيز أُلخص لك البينات التي ترى منها ان يسوع هو مسيًا ٠ اولاً حضورهُ في الهيكل حين سجد لهُ وتنبأ عنهُ سمعان الشيخ وحنة التقية! ٠ ثانياً ظهور النجم الخارق العادة الذي قاد المجوس الى بيت لحم ! ٠ ثالثاً السجود لهُ في سريرهِ ! ٠ رابعاً شهادة يوحنا المعمدان خامساً صوت الله عند معموديتهِ ! ٠ سادساً حلول الروح القدس عليهِ بهيئة حمامة نارية ! ٠ سابعاً عجيبتهُ في قانا الجليل ٠ واخيراً تاج الآيات الساطع الذي يحيط الآن بجبهتهِ ويضيء في طريقهِ بنور ومجدٍ لا تقوى العين على النظر اليها فقل لي

يا والدي العزيز أَليس هذا هو المسيح ؟

ابنتك المحبة
والمطيعة
ادينا

الرسالة الخامسة عشرة

ابي العزيز

سأَلتني في رسالتك الاخيرة «ماذا اصاب يوحنا المعمدان من بعد ما سحب عليهِ ذكر يسوع وشهرتهُ ذيول النسيان ؟» فاجيبك وانما بحزن

ان سؤالك هذا يلمح منهُ توقع الحسد من يوحنا لما

امتاز بهِ عليهِ الآتي بعدهُ من القوة والآيات مع انهُ بعكس ذلك صرَّح في كرازتهِ «انهُ ليس مستحقاً ان يحل سيور حذاء الآتي بعدهُ» وكثيراً ما قال بوضوح «ان الذي اشهد لهُ ينبغي ان يزيد وانا انقص»

وقد انتهت رسالتهُ حين جاء يسوع ولذا ما لبث بعد ذلك ان غادر البرية ودخل اريحا حيث اتفق ان هيرودس كان هناك وطفق يكرز في المجتمعات العمومية في الاسواق حتى انهُ وقف على دكة امام قصر الوالي وانذر بقرب اتيان دينونة الله على الارض وانهُ على الناس ان يتقدموا اليهِ تعالى بالتوبة تفادياً من غيظهِ وان يسوع سوف يكون حاكماً على الناس ! وبينما هو يتكلم هكذا في مسامع الشعب والقواد والعسكر خرج هيرودس واطلَّ من شرفة القصر مصغياً لانهُ كان قد سمع كثيراً في الجليل عن يوحنا واشتاق الى استماعهِ ٠ اما النبي فلم يلبث بعد ما رآهُ ان خاطبهُ بجراءَة موبخاً اياهُ توبيخاً شديداً على الخطيئة التي ارتكبها في اتخاذه امرأة اخيهِ فيلبس زوجةً لهُ مخالفاً للناموس ٠ فقيل ان هيرودس لم يبدِ لهُ مقاومة في الظاهر على توبيخهِ هذا بل دعاهُ اليهِ وعرض عليهِ هدايا رفض يوحنا أن يلمسها بيده وفي اليوم التالي استدعاهُ ايضاً ليسألهُ من جهة مسيا الذي يكرز بهِ ٠ اما هيروديا فلما بلغها بعد

رجوع هيرودس من اريحا الى مركز ايالتهِ كيف ان النبي قبح جهراً زواجها بهِ غضبت جدًّا واذ علمت انهُ لا يزال مقرباً الى زوجها ارسلت الى هيرودس تقول لهُ « ان اردت ان تفعل مسرَّتي فعليك ان تلقي نبي الاردن في السجن » . وكان في عزم هيرودس ان يسامحهُ بداعي انهُ كان رجل الله لولا ان هيروديا طلبت اليهِ بالحاح ان يضعهُ في السجن فاضطرَّ هيرودس مرغماً ان يأمر بالقاء القبض عليهِ فأُخذ يوحنا مخفورًا بحرس القصر . ولما بلغ هذا اتباع يوحنا حزنوا جدًّا وكثيرون منهم ذهبوا اليهِ لينظروهُ ويكلموه فاوصاهم ان لا يهتموا بهِ لان حياتهُ قاربت النهاية بل ينبغي لهم ان يحوّلوا انظارهم نحو شمس البر التي يدوم اشراقها مدى الدهر . ثم سألهم « اما قلت لكم انهُ ينبغي ان يزيد واني انا انقص ؟ » . وظلَّ هذا الرجل المقدَّس مدة اسابيع موثقاً حالة كونهِ لم يأتِ ذنباً سوى انهُ اقدم بشجاعة على تقبيح الخطية في قصر الملك وكان هيرودس كل يوم يحاول ان يجد عذرًا لاطلاقهِ بدون ان يغيظ هيروديا التي كان لشدة محبتهِ لها يرهب جانبها وينقاد اذل من عبد اليها ويتجنَّب على الدوام فعل ما يكدر خاطرها عليهِ . اخيرًا جاءَ يوم مولد هيرودس فبعث الى يوحنا يقول لهُ انهُ اكراماً لهذا اليوم العظيم سوف يرسل ويخرجهُ من

السجن حالما يحصل على رضى زوجتهِ في هذا الشأن وعندهُ انها لا بد ان تجيبهُ الى ذلك في عيدٍ سنويّ كهذا . فحدث في ذلك اليوم ان فيلبَّا ابنة هيروديا من زوجها فيليب السابق جاءَت ورقصت قدام هيرودس فسرَّهُ ما رآهُ فيها من الجمال والرشاقة واذ كان ثَملاً بما رشفهُ من الخمر مع المتكئين وَعَدَها محرِّجاً القَسم انهُ ليُعطيها مهما طلبت ولو كان نصف مملكتهِ . فدعتها امها واسرَّت اليها كلاماً فرجعت الفتاة الى هيرودس بالطلب الذي تلقنتهُ من امها وقالت «اعطني الآن رأس يوحنا المعمدان على طبق» . فلم تبلغ كلماتها هذه أذني هيرودس حتى علتهُ صفرة الغيظ واجاب بحنق «ان امكِ ايتها الفتاة كانت تضع الآن كلاماً في فيكِ» . على ان هيروديا تجلدت حتى انهُ لم يظهر عليها ادنى اكتراث او اهتمام وقيل ان هيرودس بعد ما توقف عن الكلام برهة ليست بقصيرة قال لها «اطلبي نصف مملكتي فأُعطيكِ ولا تدعيني اهرق دماً في يوم ميلادي» . فاعترضتهُ زوجتهُ ساخرةً بهِ «وهل تحنث بقسمك؟» فاجابها متنهداً بفعل الأسف وتوبيخ الضمير «اني لاجل القسم والذين سمعوهُ امتحنكِ مشتهاكِ» . ثم التفت الى رئيس الحرَّاس وأَمرهُ ان يذهب الى يوحنا المعمدان في السجن ويأتي برأسهِ على طبق وبعد برهة قصيرة انقضت

على هيرودس في اضطراب عظيم وعلى ضيوفهِ في سكوت واضطراب) فتح الباب ودخل الرئيس يتبعهُ الجلاد وفي يدهِ طبق من نحاس عليهِ رأس يوحنا سابق المسيح مضرجاً بالدم ٠ فصرخ هيرودس غاضباً ومشيراً نحو تلك الفتاة القاسية الفؤَاد التي كانت جالسة عند الباب الداخلي « اعطها اياه » اما هي فبدون ان يخامرها ادنى هلوع اخذتهُ من يد الجلاد ودخلت بهِ وعلى وجهها تبسم الانتصار الى امها التي كانت في المخدع الداخلي ٠ويروى انها حالما ابصرتهُ بصقت في وجههِ ووضعتهُ امامها تُهيل عليهِ الاهانات والتعييرات ٠ وتقذفهُ بالشتائم والمسبات ٠ ولما بلغ تلاميذهُ نبأ قتلهِ اتوا الى هيرودس وطلبوا منهُ جسد يوحنا واخذوهُ ودفنوهُ ولكن حينما طلبوا رأسهُ من هيروديا اجابتهم «انها طرحتهُ لكلابها فمزَّقتهُ !» فما افظع انتقام امرأَة لا تخاف الله !

ثم ذهب جميع تلاميذه الى يسوع حيث كان يكرز ويشفي واخبروهُ بما حدث ليوحنا ٠ وهنا يكتب تلميذهُ يوحنا لمريم « انهُ لما سمع يسوع بموت يوحنا حزن جدًّا وذهب الى مكان خلاء منفردًا لينوح على نكد طالع سابقهِ الشجاع الصالح » ٠ وفي غضون ذلك رأى تلاميذ يوحنا ان قتل نبيهم ليس الأ بداءَة مجزرة عامة فهربوا متشتتين بعضهم الى البراري والبعض الآخر الى يسوع

يطلبون فيهِ عوناً وصيانةً حتى انهُ نظر اخيراً واذا بهِ محاط بجمهور غفير من تلاميذ يوحنا فضلاً عن ان كثيرين آخرين كانوا قد جاؤوا ليسمعوه يكرز وينالوا منهُ الشفاء وكان الموضع خلاءً وبعيداً عن المدن والجموع اذ قد انساهم اتباعهم يسوع كل شيء . كانوا بدون طعام وفي هذا المعنى يكتب يوحنا للرباني عاموس قائلاً « ولما رأينا هذا نحن التلاميذ طلبنا من يسوع ان يصرفهم ليذهبوا الى القرى ويبتاعوا لهم طعاماً لكنهُ اجابنا قائلاً ' لا حاجة لهم ان يمضوا — اعطوهم انتم ليأكلوا ' . فاجابهُ سمعان ' يا سيد من اين لنا خبزٌ يكفي عدداً كهذا ؟ . فحقاً ان لدينا جيشاً ينبغي ان يقات وليس عندنا سوى خمسة ارغفة وسمكتين صغيرتين ' فقال يسوع ' يكفي فائتني بها الى هنا '

« فجمعنا الارغفة والسمكتين ووضعتها انا بيدي على صخر قدام يسوع فقال لنا ' اتكئوا الجموع على العشب ' . وبعد ما اتكأ الجميع اخذ الارغفة الخمسة واذ وضع يديهِ عليها وعلى السمكتين رفع نظرهُ الى السماء وباركها . ثم كسرها وامرنا نحن تلاميذهُ ان نعطي الجموع . وعلى رغم ما كنا نوزعهُ منها كانت تبقى كما هي لا يعتريها نقص وقد شاهدت بعين العجب كيف كان كلٌّ من الارغفة والسمكتين حينما يكسر منهُ قسمٌ يظلّ كاملاً كانهُ لم

ينزع منهُ شيء وهكذا استمرّ نحو ساعةٍ يكسر ويعطينا لنوزع حتى اكل الكل وشبعوا ولما لم يبقَ احد يطلب وانقطع هو عن الكسر امرنا ان نجمع ما كان بجانبهِ من الكِسَر التي كان يجمعها حولهُ وهو يسرع في الكسر فملأنا منها اثنتي عشرة سلة فضلت عن الآكلين الذين كان عددهم نحو خمسة آلاف رجل ما عدا ما يقاربهم في العدد من النساء والاولاد · فهذا النبي القدير الذي استطاع ان يشبع جمعاً غفيراً كهذا احتمل من تلقاء ذاتهِ آلام الجوع في البرية مدة اربعين يوماً واربعين ليلةً ! فهو على ما ارى انسان في تحمل الاوجاع · واله في الخلق والابداع ! » · فهذه الآية العجيبة يا والدي العزيز هي لكثرة شهودها اعظم من ان تنكر ومَن استطاع ان يُشبع خمسة آلاف يقدر ان يشبع جميع الناس · ومن يقدر ان يشبع جميع الناس أفلا يكون الهاً ؟ حقاً ان هذا ينبغي ان يكون ابن الله ولو شئت ان أُثبت لك كل الآيات التي وضعها لاقتضى لي عدة رسائل اذ انهُ لا يمرُّ بنا يوم لا نسمع فيهِ نبأً جديداً يفوق سالفهُ في الدلالة على قوتهِ الفائقة وفي كل صباح حينما يجتمع الناس في رؤوس الازقة او في دار الهيكل يكون سؤَالهم الاول «أية آية جديدة صنع ؟ وهل سمعت بعجيبة أُخرى فعلها هذا النبي القدير ؟ » ولا تسل عن ارتياح الناس

وشوقهم المتزايدين الى رؤية يسوع ومشاهدة آياتهِ حتى انهُ من حيث كان يذهب واحد ليسمع كرازة يوحنا في البرية ينطلق الآن عشرة لينظروا يسوع في الجليل واغما الكهنة ساخطون عليهِ مغتاظون منهُ ولذا يتكلمون عنهُ شرًّا لسبب الحسد وشكواهم عليهِ هي انهُ يصرف الشعب عن تقدمة الذبائح ويعلِّم ناموساً يخالف ناموس موسى ويأكل مع الخطاة ويدخل بيوتاً للسامريين ويؤثر الجليل على اورشليم وذلك كلهُ عندهم دليل واضح على كونهِ ليس المسيح الذي ينبغي «ان يأتي الى الهيكل ويخرج شريعتهُ من اورشليم»

وقد افرطوا في تحاملهم عليهِ حتى انهم عزَوا آياتهِ لقوَّة سحرية او مساعدة بعلزبول رئيس الشياطين · وقد قال قيافا للرباني عاموس حين سمع ان يسوع مشى على البحر ليأتي الى تلاميذه في السفينة وانهُ بكلمة اسكت الانواء «ان لم نبادر الى صدّهِ عن الاستيلاء على افكار الناس كما يفعل الآن تبطل العبادة في الهيكل وتلغى الذبائح لانهُ آخذ في استمالة الجميع اليهِ»

اما هيرودس فاذ كان قد قتل يوحنا كما ذكرت آنفاً وسمع الآن بشهادة الجميع لشهرة يسوع قال لهيروديا «هذا هو يوحنا المعمدان قد قام من الاموات ولذلك

تُعمل فيهِ القوات» فاجابتهُ هيروديا «دعهُ يقوم من الاموات سبعين مرة فلسوف اطاب منك رأسهُ كل مرة بدون اكتفاء» . ولذا أرسل اليهِ هيرودس سرًّا ظانًا انهُ يوحنا المعمدان يطلب منهُ ان يبقى مقيماً في نواحي الجليل حيث هو وقد حدثت مجادلة بشأنهِ بين اللاويين والكتبة وغيرهم في المدينة . فالبعض ذهبوا الى انهُ ايليا المكتوب عنهُ انهُ يأتي ويردُّ كل شيء قبل مجيء شيلوه . والبعض زعموا انهُ اشعياء او ارميا وقد قام من الاموات . وبعضهم قالوا شيئاً وآخرون شيئاً آخر وكلهم ميالون الى الاعتقاد ان يسوع كل شيء سوى شيء واحد اي المسيح الحقيقي وابن العلي

وقد سألتني يا ابي العزيز في كتابك «اين ايليا الذي ينبغي ان يسبق مسيًّا حسب نبوَّة ملاخي؟» فيوحنا خطيب مريم يقول ان يسوع ذاتهُ اجاب عن هذا السؤَال بقولهِ «ان ايليا قد جاءَ وعملتم بهِ كل ما اردتم» . ولما سمع هذا الذين حولهُ سألوهُ «اتعني بقولك هذا يوحنا المعمدان؟» فاجابهم ان يوحنا اتى بروح وقوة ايليا ولهذا اشار اليهِ النبي باسم ايليا

وتراني يا والدي العزيز قد كتبت اليك على الخصوص عن آيات يسوع من جهة كونها بينات على قوتهِ وسلطانهِ الالهيين في تعليم اسرائيل وردهِ ولم اذكر سوى القليل

عن تعليمهِ لاني لم اسمهُ بعد · على اني سمعت الذين اصغوا اليهِ يراجعون كثيرًا مما علمهم اياهُ · والحق اقول ان كلمات حكمة كهذه ونقاوة ارشادات كهذه وطهارة افكار وتعاليم كهذه لم تخرج قط من شفتَي انسان · آه متى يسعدني الزمان باستماع صوتهِ الحلو والتقاط درر الفوائد المنثورة من فيهِ واني لاغبط جميع الذين سمعوهُ يتكلم · وفاتني ان اخبرك انهُ فضلًا عن ستة التلاميذ الذين ذكرت لك اسماءَهم قد اختار ستة آخرين بحيث اصبح عندهُ الآن اثنا عشر تلميذًا جعلهم اشد الناس اقترابًا اليه وانقطع لتعليمهم كل يوم التعاليم التي نزل من السماء لنشرها وقد انتقى ايضًا من الالوف الذين لا يشكون مللًا في اتباعهِ من مكان الى آخر سبعين رجلًا ارسلهم اثنين اثنين الى كل مدينة وقرية في اليهودية ليكرزوا باقتراب ملكوت الله وانهُ حان الوقت لندامة الناس في كل مكان ورجوعهم الى الله

وهكذا ترى يا والدي العزيز ان ذلك الشاب المجهول المتزهد الذي لم يكد يمرّ عليه سنة منذ اعتمد من يوحنا في البرية اخذ الآن يفوق في الشهرة والنفوذ والي الرومان بيلاطس او هيرودس لا بل انهُ بعد تلك العجيبة في اشباع الخمسة الآلاف صنع آية اخرى مثلها واشبع مرة ثانية

جمهورًا غفيرًا واجمع الشعب على جعله ملكاً بالقوة لولا انهُ اعتزلهم في الحال وانقطع الى جبل منفردًا ليتخلص من هذا الاكرام

اذًا ليس هو في شيء من حب الطمع في الشهرة والسيادة · وملكوتهُ — ان كان مزمعاً ان يصير ملكاً — لا يكون من الناس في هذا العالم على ان صيرورتهُ ملكاً محققة كتحقيق كونه المسيح لان النبوة تقول ان مسيًّا «سيجلس على كرسي ابيه داود»

فمن يستطيع ان ينظر الى المستقبل ويشاهد نهاية مجدهِ ؟ حقًا انني الآن اراهُ بالايمان مكللًا بمجد الاله القدير الذي اعلن من السماء انهُ ابنهُ الحبيب ملك الملوك ورب الارباب وكرسيهُ على جبل صهيون وتكون امم الارض تحت الجزية لقضيب برّهِ وفي خضوع لسلطانه الذي لا نهاية لهُ · فهو الحجر المقطوع من صخرة بدون ايدٍ الذي سوف يملأُ كل الارض

ولعلك تحكم عليَّ يا والدي العزيز انني غيور جدًّا لهُ ولكن اذا كان يسوع هو المسيح فليس للارض لسان يقدر ان يعبر عن مجد ملكه · والمسموع عندنا الآن انهُ سيكون هنا في عيد الفصح وحينئذٍ اشاهدهُ ونظير

المجوس اسجد لهُ بخشيةٍ ومحبة واكتب اليك بعد ما انظرهُ واسمعهُ وثق بانني لا ازال

ابنتك المحبة
والمطيعة
ادينا

الرسالة السادسة عشرة

ابي العزيز

اكتب اليك الآن والمدينة كلها في اضطراب وهياج. كالبحر العجاج المتلاطم الامواج حتى ان ضوضاء الجماهير المتألبة في الشوارع والمزدحمة في الساحات البعيدة ترتجُّ في

اذني وقد ارعدت اصوات فرقةٍ من فرسان الرومـان في جهة الهيكل حيث الشغب على معظمهِ لان بيلاطس البنطي بلغهُ حدوث فتنة بين الشعب لكنها ليست ضد سلطـة الرومان بل انما هذا الشغب الذي هو كل يوم على ازدياد ناشيءٌ بسبب استعلان قوة النبي الجديـد الخارقة العادة! وساقصُّ عليك اعلانها الذي انما هو برهان آخر على صدق رسالتهِ الالهية

فقد ذكرت لك يا والدي العزيز في رسالتي الاخيرة عما شاع عندنا من عزم هذا الرجل العجيب على الحضور في عيد الفصح وان جميـع الناس يتحدثون بشأن قدومـهِ ويهتمون بامر حضورهِ اكثر من اهتمامهم بالعيد نفسهِ لا بل قيل ان كثيرين لم يكونوا قبلًا ينوون الحضور في العيـد مزمعون ان يحضروا لكي ينظروهُ ويشاهـدوا منهُ آيةً جديدة . واليوم قال لي الرباني عاموس ان عدد الغرباء في المدينة اصبح من الآن متكاثرًا الى حدّ لم يسبق لهُ نظير

وامس حضر يوحنا خطيب مريم على غير انتظار وكنا جالسين نصغي الى الرباني عاموس وهو يقرأُ لنا من ارميا نبوة تشير الى مجيء مسيًا (بل قد جاءَ يا والدي العزيز) واذا بيوحنا دخل علينا فانصبغ محيًا مريم بحمرة الترحيب بهِ وقـام الرباني عاموس واعتنقهُ وقبلهُ واجلسهُ معنـا

واهاب بخادم يغسل لهُ رجليهِ ترويحاً من مشاق السفر ·
ومنهُ علمنا ان سيدهُ المحبوب جاء بيت عنيا ومكث
هناك يستريح نازلاً ضيفاً على بيت لعازر اخي مريم ومرثا
واذ ذاك سررنا جميعاً ولا سيما الرباني عاموس الذي قال لهُ
على الفور «متى جاء الى اورشليم يكون ضيفي فادعهُ
يا يوحنا الى تحت سقفي حتى يتبارك بيتي باجتياز اقدام نبي
الله في عتبتهِ» · فصرخت مريم بجدٍ واهتمام ناظرةً الى
يوحنا وقابضةً بيدها على معصمهِ «بلا ريب فلا تنسَ
ان تدعوهُ ليمكث عندنا مدة العيد !» فاجاب يوحنا
«سوف ابلغ سيدي المحبوب مشيئتك ايها الرباني واذ
انهُ ليس لهُ بيت ولا اصدقاء في المدينة فبلا ريب ينزل
تحت سقفك» · فصرخت انا «لا تقل ليس لهُ اصدقاء
فجميعنا اصدقاؤهُ هنا ومستعدون بملء الفرح لان نكون
من تلاميذهِ» · فسأل يوحنا بلسان الفرح والاندهاش
ناظراً الى الرباني «ماذا ؟ وانت ايضاً ؟»

«نعم فانني مستعدٌّ بعد ما انظر واسمع للاعتراف بهِ
نبيٌّ مرسل من الله» فاجابهُ يوحنا

«انهُ اعظم كثيراً من نبي ايها الرباني عاموس اذ لم
يعمل نبيٌّ قط الاعمال التي يعملها يسوع ويظهر ان كل
قوة تحت سلطتهِ ولو امكنك ان تشاهد جميع ما شاهدتهُ

منهُ وهو يجول في الجليل لقلت انهُ يهوه الاله العظيم وقد حل في الارض بصورة انسان!»

فقال الرباني بنوع من التوبيخ «صه لا تجدّف ايها الشاب» · فانحنى يوحنا اجلالاً لتوبيخهِ واستطرد كلامهُ بوقار وثبات «حقاً لم يصنع انسان اعمالهُ. فان لم يكن هو الله بالجسد فهو ملاكٌ متجسدٌ ومؤيَّدٌ بقوَّة الهية». فقلتُ «ان كان هو مسيّاً فلا يمكن ان يكون ملاكاً أَوليست النبوات تصرّح بجلاءٍ ان مسيّاً يكون رجل اوجاع · ألم يجب ان يكون نسل المرأة انساناً وليس ملاكاً؟» فاجاب يوحنا

«بلى انكِ تتذكرين جيداً النبوات واني من كل قلبي أُومن ان يسوع هو مسيّاً ابن الله ومع ذلك فجميع ما فيهِ من الزيادة عن الانسان والنقصان عن الله مجهول لديَّ ولدى رفقائي التلاميذ · فنحن دائماً تجاههُ في تعجب وحبٍ وعبادة فتارةً نشعر كأننا نعتنقهُ نظير اخٍ عزيز لدينا وطوراً نرى انفسنا على اهبة السقوط عند قدميهِ والسجود لهُ ! وقد شاهدتهُ يبكي على شقاء المرضى الذين قدِموا اليهِ وبلمسةٍ او بكلمةٍ كان يشفيهم فيقفون امامهُ بجمال الصحة ونقائها وعزم الصبوة ومضائها ! ورأيتهُ بصوت السيادة الذي لم اسمعهُ من انسان قط يخرج الارواح النجسة

من المعذبين بها وسمعت الشياطين تتوسل اليهِ بتذلل ان لا يوسلها الى مكانها بل يجيز لها ان تبقى جائلةً في الهواء وعلى الارض حتى تُعلَن ساعة دينونتها من شفتي الله. فحتى الشياطين خاضعة لقدرتهِ وكل الامراض تضمحلّ امام عينيهِ اضمحلال اوساخ هذهِ الآجام والمستنقعات امام اشعة الشمس!»

فقال نيقوديموس وهو رجل غني من الفريسيين ومعلم لليهود وصديق لعمي وقد دخل حين كان يوحنا يتكلم ولبث للآن مصغياً لهُ بدون اعتراض «ومع ذلك سمعتك ايها الشاب تقول ان يسوع الذي رويت عنهُ هذه القوات بقي في بيت عنيا ليستريح من التعب فكيف يتفق لانسان متسلط على كل مرض ان يعنو لتعب جسدي طفيف؟. فحقاً لو كنت معهُ لقلت لهُ 'ايها الطبيب اشفِ نفسك'!» قال هذا بلحن ينم عن انكار وعدم اعتقاد وسكت ينتظر جواب يوحنا لانهُ كان مثل بعض الرؤساء، لا بل اكثرهم، بعيداً عن الايمان بكل ما سمعهُ عن يسوع ويرجح انهُ وان يكن لم يرَ يسوع لا يزورهُ متى جاء الى اورشليم حرصاً على مقامهِ السامي من السقوط في عيون اليهود لانهُ يتوقع ان يصير يوماً ما رئيساً للشعب. ولذا فمع امكان اقتناعهِ ان يسوع هو المسيح اخشى انهُ يخاف

اليهود في الاعتراف بهِ . وهذا رأيي في صديق عمي الفريسي الوجيه الغني . اما يوحنا فاجابهُ قائلًا «ان قوة يسوع في شفاء الامراض هي كما اعلم لاجل منفعة الجموع وليست لاجل خير نفسهِ فهو يستعمل سلطانهُ في صنع المعجزات لفائدة الآخرين بالمحبة والرأفة ولاجل اظهار القوة الالهية التي فيهِ فآياتهُ انما تجري بينات على صدق مسيحيتهِ ولكونهِ انساناً حائزاً قوة الهية نراهُ خاضعاً مثلنا لسلطة الاوجاع فيجوع ويعطش ويتعب ويتألم كانسان . وقد شاهدتهُ شفى ابن رجل شريف واعاد لهُ قوتهُ ونشاطهُ بكلمةٍ . ثم ما ابطأ ان جلس منهوكاً خائر القوى يسند رأسهُ بيدهِ ويشكو من ألمٍ فيهِ لان اعمالهُ المبرورة كثيرة حتى انهُ في غالب الاحيان يزحمهُ الذين يتبعونهُ طلباً للشفاء ولا يبقى لهُ فرصة ليلة واحدة للراحة . ومرةً اذ رآهُ سمعان بطرس على وشك الخوَر من شدة الاعياء قال لهُ 'يا معلم نراك تمنح الآخرين قوةً فلِمَ تتألم انت بينما نجدك مصدرًا لكل صحة وقوة؟'

«فاجابهُ 'ليس لي ان انجو من الاوجاع البشرية بواسطة القوة الممنوحة لي من ابي لاجل خير الناس فيجب عليَّ ان احتمل كل شيء لانهُ بواسطة الآلام فقط اجتذب الناس اليَّ !'» . قال هذا يوحنا حزيناً كانهُ يراجع اللهجة

التي تكلم بها يسوع حتى لبثنا جميعنا من جرّاء ذلك سكوتاً وشعرت ان الدمع ملأَ عينيَّ لكنني فرحت اذ رأيت علامات التأثر ظاهرة على وجه ذلك الفريسي المتكبر نيقوديموس وبعد تأمله قليلاً قال

«حقاً ان هذا الرجل ليس نبياً اعتيادياً وحينما يأتي اورشليم ساجتهد بكل فرح ان اسمع تعاليمهُ من فيهِ واشاهد بعض معجزاتهِ» . فقال عاموس «نعم ان كان بالحقيقة نبياً فلا يليق بنا ان نرفضهُ بل يجب علينا ان نفحص دعوى كونهِ مرسلاً من الله لشعبنا» . فاجاب نيقوديموس «لا ريب في اننا نحن الفريسيين مستعدون لاستماعهِ ويظهر انهُ باتيانهِ الى اورشليم من الاماكن التي كان الى الآن يكرز فيها ويعمل قوات يقصد ان يدعو جميع الناس للاعتراف بنبوتهِ»

فقال عاموس «انهُ نبيٌّ بلا شك وليست المسألة بعدُ أنبي هو ام لا ؟ لان المئات الذين شفاهم هم شهود احياء بان لهُ روح الانبياء القدماء وقوَّتهم وانهُ بالحقيقة نبيٌّ فيبقى علينا ان نرى أمسيا هو ام لا ؟»

فاجاب نيقوديموس سالباً «ان مسيّا لا يأتي من الجليل» فاعترضهُ يوحنا بغيرة وحمية وقال

«سوف يبرهن بقوة انهُ مسيّا وحينما تسمعهُ

يتكلم ايها الرباني نيقوديموس تجد من نعمة شفتيهِ وعمق حكمتهِ سحرًا حلالاً يحملك على الايمان بهِ وبدون ان ترى منهُ آياتٍ سوف تعترف انهُ المسيح»

وفي هذه الدقيقة هتفت مريم بغتةً هتاف فرح وصراخ ابتهاج اوقفا حركة اعصابنا واذ التفتنا نحو الباب وجدناها آخذة بذراعيها شاباً لم ارهُ قبلًا ولم يمهلني تعجبي واندهاشي ان استعلم عن حقيقة الواقع حينما شاهدت هذا الشاب المجمّل بالحسن والصحة وقد انتهى من تقبيل مريم المصفقة فرحاً وسرورًا والقى بنفسهِ بين ذراعي الرباني عاموس صارخاً «يا ابي العزيز ! يا ابي العزيز !» · اما عمي الذي كان واقفاً الى الآن بملء التعجب والحيرة يتفرَّس فيهِ ويكاد يكذّب عينيهِ فيما يرى ويشاهد فاخذ ينطق بعبارات الحمد والشكر بلسان المسرَّة والحبور وبعد ما ضمَّ الشاب الى صدرهِ سقط على عنقهِ وبكى وبالجهد امتلك قوة النطق بما يأتي

«ابني ! يا ابني ! كنت ضالاً فوُجدت · ان هذا عمل الله وهو عجيب في اعيننا !»

ثم اعتنق يوحنا هذا الآتي الجديد بينما وقف نيقوديموس مَسُودًا بسكوت الحيرة والعجب · فمن هذا الشاب الذي احدث قدومهُ تأثيرًا كهذا؟ ولماذا رحَّب بهِ عمي كابن لهُ؟

لم اكن ادري . وبينما انا انظر متحيرة من جراء ما حدث ركضت اليَّ مريم وقالت ودموع الفرح تتلألأ في عينيها السوداوين الجميلتين «هو بنيامين اخي الضال ايتها الحبيبة ادينا!» فاجبتها مدهوشة «لم اعلم ان لكِ اخاً» . فقالت والسرور يقيمها ويقعدها «اننا من عهد طويل عددناهُ ميتاً لانهُ جُنَّ من سبع سنين وهرب الى القبور خارج المدينة حيث قضى مدة طويلة مع كثيرين آخرين مثلهُ معذبين بارواح نجسة ومنذ ما ابتلي بالجنون لم يعد يكلمنا ولا يعرفنا وقد بذلنا جهدنا في ان ننسى انهُ حيٌّ لكي لا نذكره ونزداد شقاء بانقطاع رجاء شفائهِ ولكن الآن — الآن هوذا هو — كما في رؤيا . انظريهِ كعادتهِ قبلما أُصيب بالجنون فهو الآن في سابق جمالهِ وصحوهِ وتعقلهِ» . ثم انطلقت لتأخذ بيدهِ وتأتي بهِ اليَّ وكانت كل الاعين شاخصة اليهِ كانهُ روحٌ وحينما احسَّ بتعجبهم قال

«اني انا هو ابن واخو هذين العزيزين (يريد الرباني عاموس وابنتهُ مريم) وفي تمام صحتي عقلاً وجسداً» . فاستفسر منهُ الرباني عاموس وشفتاهُ ترتجفان ويدهُ على كتفهِ كانهُ يخاف انهُ يفلت من بين يديهِ «من صنع بك هذا التغيير الفائق العادة يا ابني؟» . «هو يسوع نبي العلي» . قال هذا بلسان الصحو والشكر فصرخنا جميعنا

بصوت واحد «يسوع!» وعندها قال يوحنا بملء السكينة «اني عرفت هذا ولم احتج الى سؤَالهِ فانت ايها الرباني نيقوديموس تعرف هذا الشاب! نعم تعرفهُ منذ طفوليتهِ وقد شاهدتهُ في ابَّان جنونهِ وجلوسهِ بين القبور فهل ترتاب بعد هذا في ان يسوع هو المسيح؟» فلم يجبهُ نيقوديموس بكلمة لكني شاهدت على وجههِ ادلة الايمان على انهُ سأل بتأثر عميق منظور «كيف حدث هذا لك ايها الشاب؟» فاجاب هذا المفقود المردود بكل حشمة ووقار

«كنت جائلاً هذا الصباح قرب بيت عنيا واذ ابصرت جمعاً تبعتهم بقوة الجنون ولما دنوت منهم عاينت بينهم رجلاً حالما وقعت عيني عليهِ شعرت في داخلي بقوة لا ترَد تبعثني على الوثوب عليهِ والايقاع بهِ . وهذه القوة عينها ثارت في سبعة من رفقائي المجانين فاندفعنا نحوهُ جميعاً بفكر واحد ورغبة واحدة وايدينا ملأَى حجارة غليظة وسكاكين اما الجمع فتقهقر الى الوراء وكل واحدٍ منهم ينادي ذلك الرجل ان يخلص نفسهُ ولكنهُ لم يبدِ حراكاً بل لبث وحدهُ في بقعةٍ واسعة واقفاً ينتظرنا ولما صرنا على بعد اقدام قليلة منهُ وكنت انا في مقدمة الثائرين عليهِ تأهبت وهممت ان اصرعهُ الى الارض واذا بهِ رفع اصبعهُ نحوي بكل هدوءٍ وقال 'اصمت'! فوقفنا جامدين لا نقوى على

تحريك قدم وقد زدنا له بغضاً وحنقاً على عدم استطاعتنا ان نمسهُ بضرر فصرنا نصيح ونزبد قدامهُ اذ عرفنا انهُ ابن الله وقد جاء ليهلكنا. اما هو فقال موجهاً امرهُ لنا ولكنهُ في الحقيقة للشياطين التي فينا «اخرجوا من الرجال وانطلقوا في الحال!» وعند هذه الكلمة سقطت عند قدميهِ في تشنج مخيف واخذ كل جسدي يهتزّ كأني اصارع شيطاناً منظوراً فانحنى يسوع عند هذا ووضع يدهُ على جبهتي وقال 'انهض يا بنيَّ انك شفيت!' وحينما قال هذا تراءى لي ان غمامةً سوداء انقشعت من سماء ذهني وتقطعت ورأيت كأن مجدَ وجود جديد أخذ يشرق على نفسي بينما صوت يسوع اذاب قلبي داخلي فاستغرقتُ في البكاء وجعلت اذرف دموعاً لم تبتل بها عيناي منذ سبع سنين. ثم سقطت عند قدميهِ واحتضنتها وقبلتها وقد استولى عليَّ شعور جديد بسلام وسعادة داخليين لا يمكن التعبير عنها». ولما فرغ بنيامين من كلامهِ قدمنا جميعنا مجداً لله الذي ردَّهُ الينا وقد ارسل الى الناس نبياً عظيماً كيسوع وحينما قام معلم اسرائيل يستأذن للانصراف سمعتهُ يهنئ الاب السعيد برجوع ابنهِ ويقول لهُ انهُ سيغتنم اول فرصة للاجتماع بيسوع. ولما اخبرهُ عمي انهُ يرجو ان ينزل هذا النبي القدير ضيفاً عليهِ التمس منهُ ان يسمح لهُ بزيارتهِ عندهُ حين مجيئهِ قائلاً وقد

وضع فاهُ في اذن الرباني عاموس «ولكن سراً»

قد بدأت لك يا ابي العزيز هذه الرسالة بذكر الشغب الذي حدث هنا في كل المدينــة بسبب النبي يسوع الذي جاءها منذ ساعتين في هذا الصباح وحالاً دخل الى الهيكل وكان الجموع الذين يتبعونهُ في الاسواق لا يحصى عددهم ولم يُشاهد لكثرتهم نظيرٌ في اورشليم من قبــل واذ قد تكلمت كثيراً امس اضرب الآن صفحاً من جهة الكلام عن الشغب والاصوات التي لا يزال ضجيجهــا مسموعــاً وأُرجىء ذلك الى رسالتي التالية التي ابتدئ بها هذا المساء ونظراً لعظم اهمية الحوادث المتعلقــة بالمسيح النبي العظيم اجتهد في ان اكتب اليك يومياً عنهــا لكي تكون على بصيرة في جميع ما يحدث كما قد اشرت عليَّ وقد سرَّني ذلك منك لانهُ حقق لي انك اخذت تهتم بهــذه الامور العجيبة المختصة بمسيا وبعثني على توطيد الامل بانك تؤمن بهِ وتقبلهُ كمسيح الله الذي لا بد وان يكون هذا اياهُ. ودليل ذلك كلامهُ وقواتهُ. وبعد ما اهيئ لك عدة رسائل ابعث بها اليك صحبة اسرائيل بن يهوذا مــع القافلة التي تبرح اورشليم بعد عيد الفصح بثمانية ايام. واله آبائنا يكون معك ويباركك انت وكل شعب الموعد المقدس

ابنتك المحبة ادينا

الرسالة السابعة عشرة

ابي العزيز

ان رسالتي الاخيرة كُتِبت في اثناء الشغب العظيم الذي حدث في المدينة وبها وعدتك بارجاء تفاصيلـهِ الى رسالتي هذه فاقول

شاع في صباح عيد الفصح ان نبي الجليل داخلٌ الى المدينة من بوابة اريحـا فاضطربت كل اورشليم وتزاحمت اقدام المسرعين الى تلك الجهة تتدفق جماعات لا عدد لهـا من البيوت والحوانيت فصعدت انا ومريم الى السطح آملتين ان ننظر شيئاً لكننا لم نرَ من بعيـد وقريب سوى بحرٍ طامٍ بهامات الالوف المحشودين المتراكمين يعج عجيج بحر كبير تتلاطم امواجهُ على شواطئ صخرية . وقد استطعنا ان نرى من حيث كنا واقفتين اعالي تلك البوابة فلاحت

لاعيننا سوداء من جرى ما غشيها من الجماهير المطلّة منها الى اسفل . اخيراً تصاعد من الجموع هتاف عالٍ وتبعهُ اندفاع انسياق الى الامام فصرخت مريم متقطعة الانفاس «قد دخل النبي البوابة انظري كيف يرحبون بهِ . انهم يستقبلونهُ كملك» . وكنا نرجو ان يمر ببيتنا لانهُ واقع في احدى الشوارع الاولية ولكن امانا خاب حين شاهدناه سار في منعطفٍ عند جبل الزيتون وصعد على جبل المريّا مجتازاً الى الهيكل واذ استطعنا ان نشرف من مكاننا على قسم من طريقهِ الى بيت الرب تمكنا من رؤيتهِ عن بعدٍ فعرفناهُ لانهُ كان في مقدمة الصاعدين والناس يسيرون وراءهُ تاركين بينهم وبينهُ خلاء صغيراً وقد قالت لي مريم ان اقرب واحد اليهِ كان يوحنا خطيبها مع اني انا لم اقدر ان اتبينهُ لكنَّ عين المحبة وان كانت كعين الحمامة في السكون والوداعة فهي اشبه بعين النسر حدَّة ونفوذاً . ثم توارت طليعة الجماهير تحت قبة جناح الهيكل وانهالت وراءها الالوف تزحم الالوف وطلع في المؤَخر ذلك القائد الروماني الذي اخبرتك عنهُ سابقاً وهو في مقدمة اربع مئة فارس يقودها منعاً لحدوث ما يكدر الراحة اما مريم فلم تعرفهُ . وقالت انهُ ابعد من ان يتحقق شخصياً لكنني عرفتهُ ليس من هيئة منظرهِ فقط بل من راية قرمزية

كانت تخفق من راس حربتهِ وقد اهديتها اليهِ لانهُ اضاع واحدة مثلها كانت من عند اختهِ المحبوبة جوليا وقد ساءَهُ فقدها فعوَّضتهُ منها بواحدة نظيرها اشتغلتها بيدي وهو معروف وان اصطنعتهُ مع غريبٍ فلست اظنك تستهجنهُ وان كان لا يسرك عملهُ لوثني لكنني على ملء الثقة يا والدي العزيز ان يصير هذا الفتي النبيل يهودياً لانهُ يحب كثيراً الاصغاء لتعليمي الذي القيهِ عليهِ من الانبياء وفي الاسبوع الفائت اخبرني انهُ لا يسأم ابدًا الاصغاء الى ما اتلوهُ على مسمعهِ من كتب الانبياء واقوال موسى ومزامير الملك داود التي يقول انها تفوق كل شعرٍ سواءٌ كان في لغتهِ او في اليونانية ولهذا فبالمواظبة والصبر ارجو انهُ يُبعث يوماً ما على هجر ايمانهِ الوثني ويصير من عبّاد رب الجنود

اما الجموع فبعد ما دخل منهم من دخل الى الهيكل بعد جهد المزاحمة والمسابقة استولى عليهم سكوت تام مدة بضع دقائق فقالت مريم «انهُ يسجد الآن او يقدّم ذبيحةً» . فاجبتها «لعلهُ يخاطبهم وهم مصغون اليهِ» وبينما انا اتكلم اذ قصف صراخ شديد عالٍ من وسط الهيكل مقذوف من نحو الف صوت فردَّدهُ الجالسون خارجاً باشد منهُ اجهارًا وارتفاعاً . ثم شاهدنا اشدَّهم اقتراباً من الاسوار مدبرين بتشويش عظيم وزاد الشعبَ اضطراباً ان تقدمت

فرسان الرومان وخفّت تحاول خرق الصفوف لتبلغ البوابة المتدفق منها الشعب تدفــق النهر الطامي بحيث نــكص عندهُ مقدم الفرقة وانداس الى الارض فخمدت نفسي بقوة الرعب الشديد غير عالمة سبب هذا المشهد المخيف ونهايتهُ٠ اما مريم فاذ كانت متحققة وجود ابيهــا وخطيبها عرضةً لجميع ما يحدث من المخاطر بالذين داخل الهيكل استولى عليها الخوف الشديد من جهة حياتهما فوارت وجهها بــين يديها ٠ وسقطت بجانبي مغشياً عليها ٠ وعندها انصرفت بــكليتي عن النظر نحو جبل المريا الى الاعتناء بها فانزلتهــا الى مخدعها ولم اعد ارى شيئاً من كل ما حدث على انــهُ لم يمض ِ نحو نصف ساعة حتى دخل الشاب صموئيل بن عزيئيل احد انسباء الرباني عاموس الاباعد وكان قد جاء نهار امس من نايين مع والدتهِ ليحضرا العيد ٠ وفي دخولهِ قصَّ علينا سبب ذلك المشهد الذي ابصرناهُ بعد ما حقق لمريم سلامة ابيها وخطيبها ٠ قال

«بعد ما دخل النبي يسوع الهيكل والجموع يتبعونهُ لينظروا ماذا عسى ان يفعل وجد عرصات الدار وفسحاتها ملأى تجارًا وصيارف وباعــة مواشٍ ورأى اقسام القدس مقطوعة زرائب لثات من الغنم والمواشي وهنا وهناك رجال جالسون عند موائدهم يشتغلون في صرف الدراهم الاجنبية

التي يأتي بها اليهود من بلاد اليونان ومصر وعيلام وفرثيا وافريقيا واستبدالها بنقودٍ رومانية لا يقبل الباعة قبض سواها ثمن مواشيهم وفي طريقهِ الى القسم الداخلي من الهيكل اعترضتهُ الزرائب والموائد وكانت تضطرهُ تارةً الى ان يدور حولها وطوراً لان يرجع ويستطرق سبيلًا آخر اقل تسيجاً وتحويطاً حتى جاءَ اخيرًا الى اسكفة دار الكهنة ووجد عليها كاهناً جالساً الى مائدة صرافةٍ وبجانبهِ لاويٌّ عندهُ اقفاص حمام واطيار أُخر ليبيعها للساجدين فوقف يسوع عندها والتفت ملقياً بنظرهِ (وكان اذ ذاك على هدوهِ حادًّا) على المشهد القائمة فيهِ جلبة المتاجرة والمقايضة فتحولت جميع الوجوه نحوهُ بملء التوقع والانتظار ووقفت حركة البيع والشراء من الجميع واتجهت نحوهُ الابصار من كل ناحية وعليها لوائح الخشية والرعب · اما الذين كانوا مزدحمين حواليهِ فتقهقروا الى الوراء واخلوا لهُ المكان منقادين الى ذلك بفاعلٍ سريّ فائق العادة لم يدركوا كنههُ حتى لم يبقَ بجانبهِ احد سوى تلميذه يوحنا ثم عقب ضوضاء اصوات الباعة والشراة سكوت تام حتى ان ضجيج خوار المواشي وثغاء الغنم انقطع كأن خشيةً فائقة الطبيعة سادت ايضاً على تلك الخلائق العُجم في حضرة ذلك النبي الرهيبة ولم يعد يسمع في ذلك السكوت

المطلق سوى هدير الحمام بعد ما كان قبل دقيقة قائماً بصخب الاقسام ولغاط الصراخ وضوضاء الخاطرين في عرضهِ ذهاباً واياباً للبيع والشراء ورنين النقود وجلبة عشرة آلاف صوت ! فكان اشبه باوقيانوس عصفت عليهِ زوبعة هوجاء ولطمت امواجهُ باشد عناصر الطبيعة هيجاناً . ثم قُسِرَ بغتةً وقُطع دابر ثورانهِ بحدّ سكوت عظيم فكان الهدوء مخيفاً حتى انهُ اوقف نبضان كل قلب وتراءى ان كل عين من ذلك الجم الغفير اصبحت مجذوبة بقوة شديدة نحو النبي متوقعة حدوث طارىء مخيف واذ ذاك تشخَّصت العالم مجموعاً امام عرش الله للدينونة ولاح لناظري موقف النبي في الهيكل كأنهُ كرسيُّ القضاء والجمع كلهُ وقف قدامهُ انتظاراً للحكم . ثم اعترض ذلك السكوت المستحيذ صراخٌ فجائيّ صارعٌ زعق بهِ شابٌّ بالقرب مني وسقط على الارض مغشياً عليهِ فاخذت الرعدة كل مأخذ من جميع الواقفين . ثم ارتفع بغتةً صوت النبي جهيراً صافياً كانهُ هتاف البوق الذي هزَّ اركان جبل سيناء يوم أُعطي الناموس وهال سماعهُ جميع الشعب . فقال

« مكتوبٌ بيتي بيت الصلاة يُدعى وانتم جعلتموهُ مغارة لصوص » . ثم التقط حبلاً صغيراً ملقىً على الارض قدامهُ وصنع منهُ سوطاً وتقدم ففرَّ من امامهِ

الصيارف والكهنة واللاويون وباعة الثيران والغنم والحمام مذعورين مما شاهدوهُ في وجههِ من العبوسة والانقباض مغادرين اشياءَهم وكل ما لهم وهاربين بنفوسهم ٠ اما هو فصرخ

«ارفعوا هذه جميعها من هنا ولا تجعلوا بيت ابي بيت تجارة!» وحقاً لم يبقَ لهذا المشهد نظير في الهول اذ كان الجميع يتقهقرون خائفين حتى حُمِلتُ انا من جملتهم فقُلبت موائد الدراهم بدون ان يجسر احد في تلك الساعة على الوقوف لالتقاط شيء من الذهب والفضة المدوسين تحت اقدام الالوف المتزاحمين الى الفرار ولم يكن السوط هو الذي حملنا على الهرب قدامهُ لانهُ لم يمس احداً بهِ! لكننا جزعنا من هيبة منظرهِ فقط! فكنا منثورين قدامهُ كالعصافة قدام الريح ٠ اما ذلك السوط الصغير فتراءَى لعيون الجميع ملتهباً ومنقضاً فوق رؤُوسهم كانهُ سيف من نار في يد ملاك مهلك فلم يبالِ احد بسوى الخوف والهرب وطلب النجاة وفي بضع دقائق فرغت دار الكهنة فلم يعد فيها احدٌ اذ انسقنا جميعنا مجتازين دار اسرائيل الى تخم دار الامم نحو الباب الجنوبي فالتفتُ الى الوراء واذا بهِ لم يتبعنا بل وقف وحدهُ رب الهيكل وسيدهُ ولم يبقَ السوط في يدهِ وقد استحالت هيئتهُ من

العبوسة والانقباض الى اشد رفق ورأفة وهو ناظر الينا هاربين مَن حضرته

لكنهُ لم يتهيأ لي امعان النظر في هذا التغير العجيب الذي طرأ عليهِ لان الجموع كانت لا تزال في ازدحام طلباً للنجاة بحيث انسقت رغماً عني للخروج وأكرهت على فقد رؤية ذلك النبي القدير · وفي الباب التقينا بفرسان بيلاطس وانضغطنا مزحومين الى داخل الهيكل وهنا اصبح المشهد مخيفاً للغاية لان حراب الرومان من الامام ورؤية النبي من الوراء اطبقت على الجموع واوقعتهم في حيص بيص لا يدرون اين يذهبون فصاروا يطأون بعضهم بعضاً وبات الضعفاء مدوسين تحت اقدام الاقوياء حتى امتلأ الفضاء بجميع اللعنات والشتائم واصوات الاستغاثة مقذوفة من افواه المتألمين والمدوسين والمذعورين · اما انا فكيف نجوت لا ادري انما حينما وجدت ذاتي خارج الباب لم البث ان اركنت الى الفرار مع مئات قاصداً المدينة وقد قضى لي حسن الطالع ان طلبت لنفسي ملجأً في هذا البيت لان جنود الرومان طائفون في الاسواق يعيثون وهم يسوقون الجميع الى البيوت »

وحينما فرغ صموئيل من كلامهِ ونحن نعجب مما رواهُ لنا جديداً عن قوة النبي يسوع اذا بالشارع الذي تجاه بيتنا

قد غصَّ بالنـاس الهاربين الى بيوتهم والبعض يصرخون «النبيُّ المخيف ! » والبعض الآخر «الرومان ! » والبعض من صراخهم يظهر انهم هاربون من كليهما ٠ وفي مدة هذا الهيجان دخلت يا ابي العزيز لاكتب اليك عن هذه الحوادث مخافة ان يجدَّ شيء غيرها ينسيني اياها ٠ حقـاً يا ابي العزيز ينبغي ان يكون يسوع الناصري مؤَيداً بقوة الهية ! هذا الذي بمجرَّد كلمة والتفاتة (لان السوط الذي كان في يدهِ على قول الرباني عاموس لم يكن يقوى على ايـذاء ولدٍ) استطاع ان يدحر الوفـاً من الناس قدامهُ وتمكن من اضطرارهم الى الهرب خشيةً من جـلال حضرتهِ اما عمي الرباني عاموس فبعد رجوعهِ واثباتهِ ما قصهُ علينا صموئيل قال ان يسوع لبث وحدهُ سائداً على دور الكهنة المنثورة النقود في ارضها حتى تقـدم نحوهُ رئيس الكهنة وطلب منهُ بخشية وخوف الخطر ان يقول لهُ باي سلطان فعل كل هذه الاشياء آخـذاً على نفسهِ امر تطهير الهيكل فكان جوابهُ

« انهُ ينبغي ان لا يكون بيت ابي بيت تجارةٍ ٠ ان الغيرة على مجد هيكلهِ دعتني ان افعل هذه الاشياء » فسألهُ رئيس الكهنة وهو لا يزال واقفاً بعيداً عنهُ

« أَأَنت المسيح ؟ »

قال «اذا قلت لك انا هو فلا تصدقني»

فاجابهُ رئيس الكهنـة «حينما يأتي المسيح يردّ كل شيء»

فاجاب «وقـد ابتدأت بهـذا الرد اذ اخرجت من الهيكل جميع الذين ينجسونـهُ واعدتهُ بيتاً للصلاة حسبما جعلهُ ابي»

فسألهُ قيافا «من هو ابوك ؟»

«الله ابي وقد أُرسلتُ الى العـالم لكي اصنع مشيئتهُ ولم آتِ من نفسي بل هو الذي ارسلني لانهُ مكتوب عني 'ويأتي بغتةً الى هيكلهِ ويجلس ممحصاً ومنقياً للفضة'»

«اية آية ترينا برهاناً على انك مرسل ولك سلطان ان تفعل بالهيكل ما فعلت اليوم ؟»

فاجابهُ يسوع مادّاً يدهُ مشيراً الى الجموع الذين كان الرعب لا يزال مستولياً عليهم : «ألم يكن لـك اليوم برهان كافٍ لاقناعك بسلطاني السماوي ؟» . ثم زاد على ذلك واضعاً يـدهُ على صدرهِ «انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة ايام اقيمهُ ! . ولتكن هذه لك ايها الكاهن العظيم ولكل يهوذا اني مرسل من ابي الذي في السماوات وكما امرني افعل»

وعند هذا قال الرباني عاموس انهُ حدث شغب عظيم

لان كثيرين من الكهنة مع حنان ايضاً تجرَّأُوا على الاقتراب منهُ فقال حنان «لا يمكن ان يكون صالحاً وهو ليس ممن يكرمون الله ان كان يدعنا ننقض الهيكل» . فاعترض آخر «فمن اين لهُ هذه القوات ان لم يكن مرسلاً من الله؟» فاجاب حنان بصوت عالٍ «انما يفعل هذه بقوة بعلزبول الذي هو بلا ريب نبيٌّ لهُ وما كان النبيُّ الحقيقي ليطلب خراب بيت الله المقدس» وحينئذٍ تجدَّد السجس والشغب وابتدأَ البعض يصرخون شيئاً والبعض آخر لكنَّ اكثرهم كانوا يعلنون ايمانهم بان يسوع رجل صالح ونبيٌّ من الله . اخيرًا تمكن قيافا من تسكينهم وخاطبهُ بخشية «أَأَنت مسيح الأنبياء؟» فاجابهُ النبي بكل هدوء وسكينة «نعم اني انا هو!» ثم رفع نظره نحو السماء وقال بصوت مؤَثر «اني مرسل من الله»

ولما سمع حنان هذا رفع صوتهُ وصرخ هاتفاً «قد سمعتم تجديفهُ! فهلموا نخرجهُ خارج الهيكل الذي يدنسهُ!»

على انهُ لم يجسر احد قط ان يدنو من النبي الذي كانت قوتهُ قد أُعلنت مؤَخرًا بطرد التجار والمشترين من ذلك المكان المقدس اما هو فقال آسفاً

«اشهد اني جئت الى خاصتي ولم تقبلوني فاعلموا ان هيكل ابي الذي منهُ تخرجونني الآن لا يبقى طويلاً بيتاً

ومذبحاً للاله العليّ وسيأتي يوم فيهِ يؤخذ كهنوتكم منكم ويُعطى لآخرين · ويقام لابي بين الامم على كل اكمةٍ وفي كل وادٍ في الارض هياكل مقدسة يسرُّ الله ان يسكن فيها ولا يحتاج الناس الى السجود في صهيون · بل في كل مكان تقدم لهُ الصلوات والتسابيح · وهذا الهيكل الذي دنستموهُ سوف يخرب وانتم تتشتتون بين الامم لانكم لم تعرفوا وقت رحمة الله!»

واذ قال هذا خرج من الهيكل وترك رئيس الكهنة مع الكهنة واللاويين واقفين يتفرسون فيهِ ولا يستطيعون ان يكلموهُ بكلمة وانطلق بدون ان يلتفت اليهم · اما انا (الرباني عاموس) فاذ شاهدت يوحنا يتبعهُ اسرعت اليهِ لاطلب منهُ ان يدعوهُ لكي ينزل في بيتي وياكل الفصح عندي لكنهُ توارى عن نظري في الحال ولم اعد اراهُ على اني لقيت في البوابة رجلاً يطفر وينشد لان النبي كان قد شفاهُ لامساً اياهُ وهو مجتاز من فالج اصابهُ منذ ثلاثين سنة · وهكذا نرى ان هذا الشخص القدير لم يكفَّ عن ان يصنع خيراً

الى هنا ينتهي كلام الرباني عاموس عمَّا حدث في الهيكل اما كون يسوع هو المسيح فلا حاجة بعد للسؤَال عنهُ اذ قد صرَّح بذلك علانيةً لرئيس الكهنة

استودعك الله يا ابي العزيز · قد اخذ الخدام ياتون بالاغصان لصنع المظال · وينبغي لي ان اختم هذه الرسالة بالصلاة الى اله آبائنا لاجل سعادتك وسلامتك

ابنتك
ادينا

الرسالة الثامنة عشرة

ابي العزيز

ان رسالتك الاخيرة التي وصلت اليَّ صحبة الرسول الروماني ملأَت قلبي شكراً · اذ بشرتني بشفائك · وحينما سمعت من ابن اسرائيل عن انحراف صحتك وددت لو ان لي جناحي حمامة فاطير الى وسادتك واسعى في راحة شخصك الموقر المحبوب فالحمد لله اله آبائنا على سلامتك

وان صلاتي اليهِ دائماً هي لاجل حفظك وصيانتك

قلت لي يا ابي العزيز انك طالعت بمزيد الارتياح كل رسائلي ولا سيما التي تتعلق بيسوع الجليلي النبي القدير المعطى لاسرائيل · وتقول انك حاضر للاعتراف بانهُ نبي مرسل من الله «لانهُ بالحقيقة لا يقدر انسان ان يعمل اعمالاً عظيمة كهذه ان لم يكن الله معهُ» · لكنك تزيد على ذلك قولك «ومع اني مستعد يا ابنتي للتسليم بانهُ نبي الرب لا ازال ابعدَ من ان ارى فيهِ مسيًّا الموعود بهِ شعبنا ! وفضلًا عن حقارة مولدهِ ودناءة حالهِ وتطوافهِ ماشياً منفردًا بدون بطانةٍ وخلوًّا من حاشية (حالة كون مسيا ينبغي ان ياتي رئيساً وملكاً) لا ارى لهُ حقاً ان يكون المسيح لانهُ خرج من الجليل · فهل يأتي مسيًّا من الجليل ? فدَعي الرباني عاموس الذي اراهُ مستعدًّا للتسليم بمسيحيَّتهِ يفتش كتب الانبياء وينظر ! أَلم يقل الكتاب ان المسيح يأتي من نسل داود ? ومن مدينة بيت لحم حيث كان داود ? ففتشي وانظري لانهُ ليس نبيٌّ وهو اصغر من مسيا يأتي من الجليل»

فعن هذا الاعتراض المتقدم منك ايضاً (وقد اجبتك عنهُ) في رسالة سابقة يجيبك الرباني عاموس بانهُ قد فحص جداول الانساب والمواليد المحفوظة في الهيكل ووجد كما

اخبرتك سابقاً ان يسوع ولد في بيت لحم وبعد ذلك انتقل بهِ والداهُ الى مصر ثم في رجوعها الى يهوذا سكنا في الجليل حيث تربى ولم يكن الرباني عاموس وحدهُ مقتنعاً بصحة هذه الحقائق بل نيقوديموس ايضاً الذي لا يسعك انكار علمهِ وقد خاطبنا مساء أمس ونحن على العشاء بما ادهشنا جميعاً وسرَّني خصوصاً وهو قولهُ « توجد ايها الرباني عاموس نبوة تؤَيد دعوى هذا النبي القدير انهُ مسيًّا »

فسألتهُ بحرارة واهتمام « وما هي ؟ دعني اسمع كل ما يؤَيد دعاويهُ » · وذلك ليس لان ايماني بهِ محتاج الى تثبيت بل لاني اريد ان الآخرين يؤمنون ايضاً · فاجابني نيقوديموس « انكِ تجدينها في نبوة هوشع ومفادها هكذا 'من مصر دعوت ابني' · الكلمات تشير بدون جدال الى مسيًّا كما يقول الرباني عاموس · اذًا هذه بينة جديدة ليسوع » . فطفح قلبي فرحاً يا ابي عند استماع هذه الكلمات ولكن تصوَّر كيف كانت احساساتي حين اخذ نيقوديموس كتاب اشعياء وقرأ الكلمات الآتية مشيرًا بانطباقها على يسوع « عبر الاردن جليل الامم الشعب الجالس في الظلمة ابصر نورًا عظيماً ! » فهذه تردُّ الاعتراض على مجيئهِ من الجليل وتكون برهاناً جديدًا على كونهِ مسيًّا

واني لاسمعك يا ابي العزيز تسأل مع كثيرين من

اغنياء اورشليم وعظمائها «هل ابتدأ الحكام والولاة يؤْمنون بهِ؟» نعم ان نيقوديموس ابتدأ يؤْمن انهُ المسيح لانهُ اصبح محققاً ذلك اكثر فاكثر بقدر ما يزداد في فحص الاسفار الالهية بهذا الخصوص فآه يا ابي العزيز لو انك تقدر ان تنظر يسوع وتسمع تعاليمهُ كما سمعتها انا فيزول كل ارتيابك فيهِ وترى ذاتك مشتاقاً الى الجلوس عند قدميهِ لتسمع منهُ كلمات الحياة! · فكيف اصفهُ لك — بل كيف اجعلك تسمعهُ وتنظرهُ كما سمعتهُ ونظرتهُ انا؟

في رسالتي الاخيرة اخبرتك ان الرباني عاموس دعاهُ لينزل عندهُ ويقضي مدة العيد · وهذه الدعوة ابلغهُ اياها يوحنا خطيب مريم فتنازل الى قبولها وجاء الى هنا امس بعد ما برح الهيكل الذي اخرج منهُ الباعة والصيارف بقوة سلطانهِ

وبينما نحن في انتظاره سمعت ضجيجاً في الشوارع وصراخاً «هوذا النبي يأتي! هوذا النبي يأتي!» صاعداً من افواه مئات من الرجال والاولاد · فصعدت الى السطح ومنهُ اشرفت على الشارع الممتد من بيتنا الى الهيكل فكان بحراً طامياً برؤوس الجموع وهو يموج باقدام المتزاحمين كانهُ نهر كبير فائض وقد ذكَّرني النيل في فيضانهِ الغزير وتلاطم مياههِ المتدفقة على ضفافهِ · وكانت مريم واقفة

بجانبي • وقد بذلنا جهدنا في ان نخترق بنظرنا الصفوف المتقدمة الى وسط الحشد لنرى ذلك الشخص الطاهر القدوس • الذي تلاطمت حولهُ امواج بحر الرؤوس • وتزاحمت لرؤيتهِ اقدام مئات من النفوس • ولكن حال دون ذلك شدة الانضغاط والزحام • وتكاثف اغصان النخيل المشرعة قباباً فوق رؤوس الانام

وبينما انا محدقة بنظري بغية ان ارى النبي اذا بمريم لمستني واشارت اليَّ ان انظر الى الجهة المقابلة فتطلعت واذا بعوميليوس الشاب الروماني الذي اخبرتك عنهُ سابقاً وقد اصبح الآن قائداً عاماً لكل كتيبة بيلاطس في مقدمة مئتي فارس مسرعاً لملاقاة الجموع القادمين وردّهم • وعند ما اجتاز مقابل بيتنا رفع نظرهُ واذ رآنا حرَّك سيفهُ بلطف مبدياً لنا اشارة التحية واجتاز مسرعاً فنادتهُ مريم

«يا سيدي القائد الشريف لا تثق بما لا بد ان يكون البعض قد نقلهُ اليك من وجود فتنة لكن الحشد الكبير الذي تراهُ قادماً انما هو عبارة عن حامية تسير امام نبي الناصرة المزمع ان ينزل علينا ضيفاً»

«اني مأمور ايتها السيدة من قبل بيلاطس بالقاء القبض عليهِ كمكدر للسلام»

«وهل من العدل ايها الامير الروماني ان يُعاقب نبيٌّ

بسبب ان قواتهِ جرَّت وراءهُ جمعاً غفيراً كهذا ? ويخشى ان تقدمت بفرسانك الى هناك من حدوث قتال بينهم وبين الشعب فان شئت ان توقفهم قليلًا تجد انهُ بعد ما يدخل النبي بيت ابي يعضي الجميع لحال سبيلهم بسلام »

فلم يجبها القائد بشيء · بل نظر اليَّ متوقعاً مني كلاماً وعليهِ توسلت اليهِ ان يرفق بالنبي ولا يعاملهُ بعنف فقال « امتثالاً لارادتكِ ايتها السيدة اقف بفرساني هنا ولا سيما لاني ارى الشعب بدون سلاح »

ثم امر فرسانهُ ان يصطفوا في خط مقابل بيتنا وكان الجمع آخذاً في الاقتراب ولكنَّ كثيرين في المقدم اذ ابصروا فرسان الرومان وقفوا او تقهقروا الى المؤَخر واذ ذاك شاهدت يسوع مقبلًا وهو يسير سيراً رزيناً هادئاً ويوحنا الى جانبهِ والرباني عاموس معهُ وفيما هو يزداد اقتراباً بقي الشعب متأخراً الى الوراء خوفاً من رماح الرومان الطويلة حتى كان يسير تقريباً وحدهُ فنظرت يوحنا يدلهُ على بيتنا فرفع نظرهُ وشخص فيهِ هنيهة وعندها تمكنت من رؤية جميع ملامحهِ فلم يكن منظرهُ كشابّ بل كرجل اجتاز سن الكهولة حالة كونهِ ابن ثلاثين وقد وخط الشيب راسهُ ورسم الاهتمام والحزن خطوطاً ظاهرة وتقاطيع بينة في وجههِ البيضيّ الشكل والجميل الهيئة · وكانت

لحيتهُ مرسلة على صدرهِ وعيناهُ شاخصتين فينا ترسلان الينا اشعة الرأفة والسلام بينما لاح على محياهُ البديع سيماء الحزن العميق الممتزج باللطف والرفق . وفيما هو يتقدم بين اتباعهِ كنت تشاهد منهُ الهيئة الملكية على تنازل واتضاع كانا يزينان جلال منظره ويكتسبان خشية ومحبةَ الذين رأوهُ ويهدان لهُ في القلوب اجلالاً واحتراماً . وفي النفوس شوقاً وهياماً . ولما جاء الى الموضع الذي كان فيهِ القائد الروماني واقفاً بفرسانهِ اشار محيياً بلطف بينما انحنى ذلك القائد على سرج حصانهِ باحتشام لا يوصف مسلماً كما على ملك . فادهشنا هذا الامر وعظَّم فينا الشكر لذلك القائد الكريم . ثم تقدم يوحنا والرباني عاموس وقاداهُ الى بابنا ولكن قبل وصولهِ اليهِ ارتفعت اصوات كثيرين يطلبون من الرومان ايقافهُ فنظرنا واذا بالصارخين جمٌّ غفير من الكهنة يتقدمهم حنان وقد خرقوا صفوف الجمع واتوا يصرخون متهددين وقائلين

« اننا ندعوك ايها القائد ان تقبض على هذا الرجل! عيبٌ عليك ايها الرباني عاموس! وهل تؤمن انت ايضاً بهذا الخارج ؟ ايها الرومان اننا نشكو امامكم هذا الجليلي بانهُ اثار فتنة وقد اغتصب الهيكل وان لم تسرعوا الى تلافي الامر يغتصبكم القلعة ايضاً وان لم تقبضوا عليهِ

كنتم انتم لا نحن المسؤولين بما يعود على المدينة والامة من وخيم العواقب»

فاجابهم عوميليوس «اني لا ارى شيئاً يوجب الحذر من هذا الرجل ايها اليهود فهو اعزل (اي بلا سلاح) وليس معهُ من جيش فتنحَّوا وارجعوا الى هيكلكم . وهذا الشعب انما هو صادر عن صراخكم! فالى مذابحكم! وان حدثت ثورة في المدينة فانما انتم المطالبون بها لدى بيلاطس اذ لست ارى غيركم من سكان اورشليم في هياج شديد واضطراب عظيم»

فصرخ حنان الذي كان متقدماً في الكلام «اننا مقدّمون شكوانا الى بيلاطس» . قال هذا وسار في طريقهِ نحو قلعة الوالي الروماني يتبعهُ فريق الكهنة واللاويين وعصيّهم بايديهم والغيظ حشو قلوبهم وحينئذٍ أُفعم قلبي شكرًا لعوميليوس على انحيازه الى جانب النبي بدون خوف

ثم اخذ الشعب يتفرّق راجعاً ودخل يسوع الى البيت لان مريم كانت قد نزلت مسرعة لتفتح لهُ الباب وعاد السكوت والهدوء الى مجراهما. على ان جمعاً كبيرًا من الصيارف الذين قلبت موائدهم جاءوا يشكون خسائرهم وكادوا يهجمون على البيت لولا ان الرباني عاموس خرج اليهم وخاطبهم برقة واستعطاف مبيناً لهم ان بيعهم

وشراءهم في الهيكل مخالف للشريعة واخراج يسوع اياهم خارجاً دليل لا ريب فيهِ على كونهِ نبياً لانهُ لا يقدر واحد ان يهزّم الف رجل بكلمة ما لم يكن نبياً وزاد على ذلك قولهُ «واذا كان نبياً يا اصدقائي فقد فعل ما امر الله بهِ فاحترزوا ان تنتقموا منهُ لئلا توجدوا محاربين رب الهيكل»

وبكلام كهذا حملهم على الانصراف· على ان كثيرين من المرضى والعرج والمقعدين والعمي والسقماء والبرص بقوا خارجاً يدعون النبي ليخرج ويلمسهم فينالوا الشفاء

وفي غضون ذلك كان يسوع قد أُدخل الى ردهة الدار الداخلية وأُحضر لهُ ماء فتقدم الرباني عاموس نفسهُ ونزع نعليهِ من رجليهِ وغسلها واتت مريم بملاءة ثمينة صنعتها من قبل استعداداً لزفافها الى ابن عمها يوحنا ونشفتها بها واذ ذاك دخلت انا وفيَّ شوق عظيم لرؤية النبي والتكلم معهُ وحين شاهدتهُ وجهاً لوجه اجفلت بقوة الخشية والرعب اما هو فرفع نظرهُ اليَّ وخاطبني قائلاً

«تعالي يا ابنة وكوني من جملة اصدقائي الاعزاء المرحبين بي لاني اعلم انكِ تؤْمنين بي وتودين ان اباكِ يؤْمن ايضاً · فصبراً سوف تشاهدين من تحبينهُ واحداً من تلاميذي !»

ولما فرغ من كلامهِ معي مدَّ اليَّ يدهُ فقبلتها وغسلتها

بدموع الفرح والابتهاج ووثقت بانهُ اطلع على امري · وعرف حقيقة فكري · ولا بد من صدق كلامهِ · نعم يا ابي العزيز سوف تؤمن بهِ انت ايضاً كما نؤمن نحن! وتعترف بهِ انهُ هو المسيح

ولم يكن في البيت عاموس ويوحنا ومريم فقط بل كان الكاهن ايليا ابن عم قيافا وقد دخل مع النبي مشتاقاً الى ان يسمع من شفتيهِ تلك التعاليم السامية وكان ايضاً خمسة رجال آخرون اعرفهم ولكن يوحنا قال لي انهم تلاميذهُ وكان واحد منهم طويل القامة نحيف الجسم نبيه الشأن تلوح عليهِ امارات الحذق والاقدام والثبات واسمهُ سمعان بطرس · وآخر متوقد الذهن شديد الرصانة والتعقل كان حريصاً على الاصغاء الى كل كلمةٍ ينطق بها سيدهُ كانهُ مصغٍ لاستماع ذات فرائض الله واسمهُ اندراوس وهو اخو سمعان · على انهُ في الحقيقة لم يكن لي عين ترى او اذن تسمع سوى ما يقولهُ يسوع وقد ادركت من تحديق النظر اليهِ انهُ كان متعباً خائر القوى وعلمت انهُ يشكو الماً في رأسهِ اذ رأيتهُ من وقت الى آخر يرفع يدهُ الى صدغيهِ · وعليهِ ما ابطأت ان ذهبت وهيأت لهُ شيئاً مقوياً واتيت بهِ · وفيما انا على وشك تقديمهِ لهُ اعترضني الكاهن ايليا بخشونة وقال «قفي يا فتاة ودعينا

نرى منهُ آية ! » ثم التفت الى النبي وقـال «يا معلم قـد سمعنا كثيراً عن قدرتك في عمل الآيات لكننا لم نشاهد منك آيةً واحدة فأُومن بك انا واهل بيتي ! انك تشكو صداعاً في رأسك فاشفهِ بلمس يدك فاصدق انك المسيح ابن المبارك »

فحوَّل يسوع نظرهُ نحوهُ وقال · «يا ايليا انك تقرأ الانبياء ولست تعلم اذا كان من يكلمك هو المسيح او لا! فتش اذًا الكتب فتعلم ان وقت افتقادهِ قد حضر واني انا هو ! وان اتمام نبوة واحدة لخير من آيات كثيرة على انني لا اصنع ولا آية واحدة لاجل التخلص من اوجاعي الذاتية لاني انما اتيت الى العالم لكي اتألم وقد كتب عني اشعياء كرجل اوجاع ومختبر الحزن ! فطوبى للذين وهم لا يرون يؤمنون · وحسنًا انتم تؤمنون اني نبيٌّ ومرسلٌ من الله · وهل كان نبيٌّ مرسلٌ من الله ليغش ويخدع ؟ فان كنت انا نبياً (ولستم تشكون في هـذا) وقلت اني انا ايضاً المسيح فلماذا لا تصدقونني ؟ فان كنت بالحق نبياً ومرسلاً من الله فلا اقدر ان اغش · على انكم تؤمنون بي حين اقول اني نبيٌّ لكنكم تغتاظون ان قلت اني المسيح فان كنتم تصدقونني فصدقوا ما اقولـهُ لكم اني انا المسيح »

فقال الشيخ اشير اللاوي «يا معلم نحن نعلم من اين اتيت – انك من الجليل – ولكن المسيح حينما يأتي لا يعلم احدٌ من اين هو!»

«حقاً قلت ايها الاسرائيلي انكم تعرفونني وتعلمون من اين اتيت · ولكنكم لا تعرفون الذي ارسلني فلستم تفهمون الكتب والاَّ كنتم بلا ريب تعرفونني وتعلمون من اين اتيت ومن الذي ارسلني لكنكم لستم تعرفونني انا ولا الذي ارسلني لانني اتيت من الله فلو عرفتموهُ لعرفتموني ايضاً وسيأتي وقت حين تعرفون من اين اتيت وتؤمنون بي ولكن الآن قلوبكم غليظة ومغشاة بظلمات الجهل وعدم الايمان · فقد قلت لكم صريحاً انني انا المسيح»

ولما قال هذا بقوَّة وسلطان اغتاظ كثيرون من الحاضرين واخذوا يتذمرون · ثم دعاهُ الرباني عاموس الى الغرفة التي اعدَّها لهُ وظلَّ الشعب في مباحثة ومجادلة وانقسام · البعض يقولون انهُ المسيح · والبعض الآخر ينكرون · والبعض يهتفون قائلين انهُ عمل آياتهِ ببعلزبول رئيس الشياطين وعندها قال لي يوحنا بمرارة قلب «هذا شأن سيدي الحبيب في كل مكان وحيثما ذهب يتأثرهُ الحسد

والنميمة والحقد والجحود وكل يوم حياتهُ في خطر وليس لهُ مكان يسند فيهِ رأسهُ»

وبينما يسوع مجتازٌ الى غرفتهِ تقدم اليـهِ اربعة رجال دخلوا متسلقين حائط البيت من جهة الشارع لان الابواب كانت مغلقة والقوا عند قدميهِ رجلًا ملفوفاً بملاءة وهو ابوهم وقد أُصيب بفالج من زمان طويل واذ ابصر يسوع محبتهم البنوية وقف وسألهم متلطفاً «ايها الشبان ماذا تريدون ان افعل لكم ؟»

«ان تشفي ابانا الشيخ ايها الرباني الصالح»

«أَتؤمنون اني اقدر ان افعل هذا ؟»

«نعم يا سيد نؤمن انك انت المسيح ابن الله الحي ! وان كل الاشياء مستطاعة لديك»

فنظر اليهم يسوع متحنناً . ثم امسك بيد ذلك الشيخ المقعد وقال بصوت عال سمعهُ كل الذين كانوا ناظرين اليهِ . «لك اقول ايها الاب الشيخ قم وامشِ !» فنهض المفلوج للحال على قدميهِ صحيحاً وقوياً وبعد ما التفت ناظرًا الى ذاتهِ التي بنفسهِ عند قدمي النبي وغسلها بالدموع فخذا البنون الاربعة حذو ابيهم بينما هتف باقي الحاضرين بصوت واحد صارخين . «المجد لله الذي اعطى الناس سلطاناً مثل هذا !»

ثم انسحب يسوع من بين البنين وهم يوسعونهُ شكرًا وحمدًا فاحاطوا بابيهم وبكوا على عنقهِ وساروا بهِ وهم على جانبيهِ اثنان من هنا واثنان من هناك واذرعهم ملتفة حولهُ حتى خرجوا الى الشارع حيث لاقاهم جمهور عظيم من الشعب بهتاف التهنئة لان اباهم كان معروفاً عند الجميع انهُ مفلوج من سنين عديدة ولا يقوى على المشي

وعلى هذا الاسلوب تجد يا والدي العزيز ازدياد البينات المتقدمة عن يسوع بالآيات والتعاليم دلالةً على كونهِ مسيًّا · والله اله آبائنا يحفظك سالمًا

لابنتك المحبة

ادينا

الرسالة التاسعة عشرة

ابي العزيز

ان زيارة النبي يسوع لاورشليم كان لها نتائج غريبة وتأثير عظيم · فان آياتهِ العديدة التي تجري علانيةً بكلمةٍ او نظرةٍ او بلمس او امر وقوَّة كرازتهِ وسموّ تعاليمهِ الالهية وجلاء تصريحهِ بانهُ هو المسيح كل ذلك دعا الى حمل الوجوه في اسرائيل من الرؤَساء والشعب على الايمان بهِ · وقد زارهُ في الايام الاربعة التي قضاها في بيت الرباني عاموس رؤَساء المدينة ليسمعوهُ ويروا اذا امكن منهُ آية · وقد حصل بسببهِ انقسام بين الكهنة فقيافا أَقرَّ جهارًا بانهُ نبيٌّ وحنَّان صرَّح علناً انهُ خادع · وهكذا تجد فريقين في المدينة يرأسها هذان الكاهنان العظيمان والقسم الاعظم من الشعب داخل في هذا الانقسام ومنحاز بعضهُ الى هذا

الفريق والبعض الى ذاك ولكن اكثر العامة في المدينة هم
مع يسوع وموْمنون بهِ انهُ المسيح · والقسم الاكبر من
الفريسيين يقاومونهُ لانهُ وبخهم على خطاياهم وريائهم ومع
انهم يخافونهُ فهم يبغضونهُ بغضاً شديداً ويودُّون اعدامهُ
لانهُ يكرز جهراً ضد شرورهم حتى ان الشعب كف عن
اعتبارهم واحترامهم · ونيقوديموس الذي كان في بادىء
الامر مائلًا لقبول نبوة يسوع اذ رأى ان الفريسيين ضدهُ
واشفق ان يسقط مقامهُ في عيونهم انقطع عن التردد نهاراً
الى البيت حيث كان يسوع ولكنهُ رغبةً في الاستفادة
والتعلم منهُ اخذ يزورهُ ليلًا · وقد فعل ذلك مرتين بان
جاءَ تحت جنح الظلام ودخل خفيةً بمساعدة الرباني عاموس ·
وبواسطة مريم استطعت ان اقف على ما حدث في كل مقابلة
بينهُ وبين يسوع · فانها كانت جالسة في طاقة غرفتها ناظرةً
الى الرواق حيث كان يسوع يتمشى وحدهُ مشغولاً بالتأمل
في السماء واذا بالرباني عاموس قد دخل واخبرهُ ان
الناموسي نيقوديموس يريد الاجتماع بهِ فاجابهُ ملتفتاً نحوهُ
« دعهُ يدخل اليَّ اذا كان يريد مني شيئاً » · وزادت مريم
قولها « ان نيقوديموس دخل حينئذ ملتفاً بطيلسانهِ بضبط
وتحرُّز · ثم نظر حواليهِ ليرى هل يراهُ احدٌ وازاح ثوبهُ
عن وجههِ وانحنى انحناء الاعتبار قدام النبي وقال عفواً

ايها الرباني فلا تؤاخذني على قدومي اليك ليلًا لان وقتك نهارًا مشغول بالشفاء والتعليم ويسرُّني ان اراك على انفراد ايها النبي العظيم لان لي امورًا كثيرة اروم ان اسألك عنها . فاجابهُ النبي تكلم يا نيقوديموس فاني مصغٍ اليك فقال رئيس الفريسيين اني اعلم ايها الرباني انك معلم من الله لانهُ لا يقدر احد ان يعمل هذه الاشياء التي انت تعمل ما لم يكن الله معهُ . اما كونك نبيًّا قديرًا فهذا اومن بهِ كما يؤمن جميع الناس . ولكن هل انت مسيًّا ؟ قل لنا صريحًا ! فاجابهُ يسوع متأنيًا اذا قلت لك يا نيقوديموس لا تصدقني . انا اسألك سؤالًا واحدًا من اين يأتي المسيح ؟

« هو ابن داود ويأتي من بيت لحم

« بالصواب اجبت وهوذا الرباني عاموس يخبرك انهُ فحص جداول المواليد فاسألهُ من اين هذا الذي يكلمك . فاجابهُ الرباني عاموس

« ابن يوسف ومريم من بيت داود . اني لقد اطلعت يا نيقوديموس على جدول ميلاد هذا النبي كما اطلع عليهِ قيافا وآخرون كثيرون ولك ان تفحصهُ انت بذاتك اذا صحبتني غدًا الى الهيكل

« لكني اني اثق بصدق كلامك ايها الرباني عاموس ومَن ترى يقول انك تتكلم كذباً ؟ »

« وهذا الجدول نفسهُ يدلُّ على ان النبي العظيم الحاضر معنا الآن وُلد في بيت لحم ايام الاكتتاب »

« اذاً كيف حدث انك خرجت ايها النبي الجليل من ناصرة الجليل ؟ »

« اعلم يا نيقوديموس ان امي قطنت الناصرة وحينما جاءَت الى بيت لحم لتكتتب في مدينة عائلتها مدينة داود وُلدت ! وهكذا اكون من نسل داود من قرية بيت لحم . واكون ايضاً كما تنبيءَ عني ناصرياً فهل تسأل بعد ؟ ألا تؤمن الآن ؟ »

« بلى يا سيد ولكن كيف يقال في الانبياء ان مسيّاً يكون ملكاً ويسود كل الارض ؟ »

« ان ملكوتي ليس من هذا العالم ! حقاً انني ملك ولكن في مملكة روحية لا نهاية لها خلاف ممالك الارض . والذين يصيرون من رعيتي ينبغي ان يولدوا ثانيةً والاَّ فلا يقدرون ان ينظروها »

« يولدوا ثانيةً ؟ كيف يمكن الانسان ان يولد ثانيةً بعد ما يكون قد صار رجلاً ؟ حقاً انك تتكلم ايها الرباني بامثال »

«هوذا انت مؤدب الفريسيين ومعلم اسرائيل ولست تعلم هذا؟ . الحق الحق اقول لك ان لم يولد الانسان من الماء والروح لا يقدر ان يدخل ملكوتي . المولود من آدم جسدي هو ومن ملكوت الشيطان الذي كان منهُ آدم . واما المولود ثانيةً فهو روحي ومن ملكوتي . لانني انما جئت لابني ملكوتاً على خرابات عرش الشيطان . لا تتعجب اني قلت لك ان ابناء آدم ينبغي لهم ان يولدوا ثانيةً لكي يصيروا ابناءَ الله . فان كنت تروم ان تدخل ملكوتي وتحيا الى الابد يقتضي انك ان تولد ثانيةً من الماء والروح»

«كيف يمكن ان يكون هذا؟ التمس منك الايضاح لكي يمكنني ان ادرك سرّ هذه الامور كيف يمكن الانسان ان يولد وهو شيخ؟»

«ماذا! — أتعثر وانت بعدُ في عتبة تعاليم ملكوتي ايها الفريسي؟ ان كنتم لا تؤمنون بالارضيات فكيف تفهمون السماويات؟ كل من يريد ان يكون لي تلميذاً ينبغي لهُ ان يولد ثانيةً فولادتكم الاولى انما هي تحت سلطان الشيطان الذي يسود العالم المتعبد لهُ الآن . اما الثانية فهي للملكوت الذي جاء ليهدم مملكة الشيطان ويبني عليها ملكوتهُ هو . فهذه الولادة الروحية»

«وحينئذٍ نهض نيقوديموس وقال وعليهِ لائحة الانكار ‹سأسمع منك مرَّة ثانية ايها الرباني عن هذه الولادة الجديدة التي تشير اليها › • وبعد ما مضى نيقوديموس قال الرباني عاموس

« ‹أَصحيح يا معلم انك عازم على تأسيس ملكوت؟›

« ‹نعم سأَبني ملكوتاً يسكن فيهِ البر›

« ‹وجميع الامم تقدم لنا الجزية ؟›

« ‹انك لا تعرف ما تقول ايها الرباني عاموس لكنهُ سيزول البرقع عن عينيك حين ترى ابن الانسان مرفوعاً على عرشهِ كما رفع موسى الحية في البرية›

« ‹اين يكون ملكوتك يا مسيَّا؟ فهل تطرد الرومان من مدينة داود وتملك انت هناك ؟›

« ‹انك سوف تشاهدني على عرشي يا عاموس مرتفعاً الى فوق الارض ومجتذباً اليَّ جميع الناس›

« ‹وهل تبني ملكوتك في السحاب يا معلم حتى انك ترتفع فوق الارض لتجلس عليهِ ؟›

« ‹ان ملكوتي سيكون في الجلجثة فتنظر اليَّ اقاصي الارض وتعترف بي لكنك لا تعلم الآن هذه الاشياء على انك سوف تتذكر اني قلت عنها› »

وحينئذٍ نهض يسوع وحيَّا مُضيفهُ التحية المسائية

ودخل المخدع المعدّ فيهِ مضجعهُ ولبثت مريم تفكر باقوالهِ متعجبة

فقد تحقق يا والدي العزيز من كلامهِ انـهُ هو المسيح وانهُ سينشىء ملكوتاً ويجلس على «عرش عالٍ مرتفع» كما يقول النبي وكل الارض تتعبد لهُ . ولكن لماذا يكون عرشهُ في الجلجثة عوضاً عن كونهِ في جبل صهيون ؟ فهذا عجز الرباني عاموس عن فهمهِ لان الجلجثة مكان الجماجم ومحل الاعدام العمومي وهو مغشى بالصلبان الرومانية اذ لا يمضي اسبوع بدون ان يُصلب فيهِ مجرم لجنايتهِ ! ومـع ذلك فقولهُ بوجوب ولادتنا ثانيةً اغمض منهُ واشد ابهاماً ولكن قال يوحنا ان اموراً كثيرة يقولها يسوع لهم ولباقي التلاميذ بكل بساطـة ومع ذلك لا يفهمونهـا ويخبرهم انهم سيذكرونها شيئاً فشيئاً فيما بعد وانما يخبرهم بها الآن حتى متى رأَوها صائرة يذكرون انهُ قالها لهم ويؤمنون بهِ ويثقون باتمام باقي اقوالهِ ونبواتهِ في المستقبل

ويظهر ان يسوع في جميع ما يقولهُ ويفعلهُ عالم بكل شيء وقادر على كل شيء ! لانهُ فعَّالٌ لما يريد ولم يُعطَ قط انسان سلطاناً مثل سلطانـهِ . وفي هـذا الصباح بينما هو خارج من البيت اذا بمفلوج منذ حداثتهِ مقعد على باب الدار فلمس طرف ثوبهِ وقال «يا معلم اشفني !» فاجابهُ يسوع

«يا ابني مغفورة لك خطاياك» . قال هذا واجتازهُ منطلقاً لكنَّ الكتبة والفريسيين الذين كانوا واقفين صرخوا اذ سمعوا قولهُ «ان هذا الانسان يجدّف سواء أكان نبياً او لم يكن لانهُ لا يغفر الخطايا الاَّ الله وحدهُ !»

فوقف يسوع والتفت اليهم وقال

«ايما ايسر ان يقال لهذا الانسان الذي لم يمشِ منذ اثنتي عشرة سنة ويداهُ ورجلاهُ يابسة كما ترون ‹مغفورة لك خطاياك› او ‹قم وامشِ ؟› . فان قلت لهُ قم وامشِ كما في الماضي وقام ومشى قدامكم أفلا يكون ذلك برهاناً على ان لي سلطاناً ان اغفر لهُ خطاياهُ ايضاً ؟ لانهُ من يقدر ان يجعلهُ يقوم ويمشي غير الله وحدهُ الذي يغفر خطايا الناس ؟ ولكن لكي تعلموا ان لابن الانسان سلطاناً على الارض ان يغفر الخطايا . انظروا !» . ثم قال للمفلوج بصوت عالٍ «قم احمل فراشك واذهب الى بيتك !»

فقام الرجل على قدميهِ في الحال وطفر يسبح الله . ثم اخذ الفراش الذي حُمل بهِ الى الباب وانطلق مسرعاً يري ذاتهُ لأهلهِ بينما كان الحاضرون قد طفقوا يهتفون ويسبحون الله

وهكذا بيَّن يسوع للناس جهاراً انهُ يقدر ان يغفر الخطايا كما يقدر ان يشفي — لان قوة فعل كلٍ منهما انما هي

من الله أفلا تدلّ هذه القوة على انهُ ابن الله ؟

وكنت اود لو انك تراهُ يا ابي العزيز حين غادرنا منطلقاً الى الجليل فاني انا ومريم سقطنا عند قدميهِ وغسلناهما بدموعنا والرباني عاموس ونيقوديموس ايضاً وآخرون كثيرون سجدوا لهُ ملتمسين بركتهُ وكثيرات من الامهات قدمنَ اليهِ اولادهنَّ لكي يضع يدهُ عليهم . ووُضع المرضى والضعفاء بواسطة اصدقائهم في طريقهِ لكي يخيم عليهم ظلهُ ويشفيهم ومئاتٌ اتوا بمناديل وتعاويذ واغصان سرو لكي يلمسوا بها اهداب ثيابهِ ويذخروها عندهم بركة منهُ حتى كان الشارع غاصاً بصفوف سقماء اورشليم وحينما اجتاز يسوع مخترقاً هذه الصفوف حدّقت بهِ ابصار اولئك المصابين ومُدّت اليهِ منهم ايدي التضرع والاستغاثة طالبة الشفاء فطفق يشفيهم بكلام يخاطبهم بهِ وهو مارٌّ في وسطهم حتى انهُ حينما كان يجد مرضى مطروحين عن جانبيهِ على فراش الضنى كنت تراهُ يجتازهم مغادراً وراءهُ صحةً وعافيةً وفرشاً فارغة واسرَّة خالية فبكينا جميعنا على فراقهِ وشيعناهُ الى بوابة دمشق وهناك اذ وجدنا جمعاً غفيراً من اللاويين والكهنة ومعهم فريق من السوقة اهل العيث والطيش ارسل الرباني عاموس على الفور الى عوميليوس صديقنا الروماني يخطرهُ بالمؤامرة المعقودة لاغتيال

يسوع بعد خروجهِ من البوابة ويطلب منهُ المساعدة

فلم يبطيء عوميليوس ان ركب في خمسين فارساً وجاءَ الى البوابة وفرَّق شمل الثائرين على يسوع . ولما اجتاز يسوع في وسط القوة المسلحة عرض عليهِ القائد ان يركب في حراستهِ فاجابهُ يسوع متلطفاً

« لستُ في حاجة ايها الشاب الى مساعدتك لان ساعتي لم تأتِ بعد وقبل اتيانها لا يقدرون ان يصنعوا بي شراً . ولم أُسلَم بعد من ابي الى ايديهم فاقبل الآن بركتي وسوف يأتي يوم تعلم فيهِ على من عرضتَ مساعدة جنودك »

فاندفع اللاويون ومأجوروهم الاراذل يحاولون خرق الفرسان والوصول الى يسوع لكنَّ عوميليوس حمل عليهم وبدَّد شملهم بعد ما اوقع بكثيرين منهم . ثم دنا من النبي وقدم لهُ اكرم جوادٍ معهُ ليركب فرفض يسوع ملتمسهُ هذا وظلَّ ماشياً بجانبهِ يحدّثهُ ويعلمهُ اشياءَ كثيرة عجيبة عن ملكوت الله

وقد اخبرني عوميليوس انهُ بقي راكباً في خفارتهِ الى تخم افرايم وهناك بينما هو على وشك توديعهِ والقفول راجعاً الى المدينة طلع اربعة برص من بين القبور وهم يصرخون من بعيد « ايها المسيح المبارك ارحمنا ! »

فوقف يسوع على حين همَّ تلميذهُ بطرس ان يسكتهم لانهُ مضى الوقت ومعلمهُ قد أعيا · اما يسوع الذي لم يكن قط ليُعييهُ فعل الخير فدعا البرص اليهِ · ولما ابَّوا دعوتهُ وتقدموا نكص جميع الذين معهُ الى الوراء مذعورين من رؤية اولئك البرص الموتى وهم احياء · ثم تقدم هؤلاء حتى صاروا على بعد عشرين خطوة منهُ ووقفوا مرتعدين ! فقال لهم « لا تخافوا سوف اشفيكم ! » · ثم تقدم نحوهم ووضع يدهُ على كل واحد منهم · وفي الحال تغيروا من لمسهِ الى أناس اصحاء وطهروا !

فلما ابصر عوميليوس هذه الآية ترجَّل عن جوادهِ وسقط عند قدمي يسوع وسجد لهُ صارخاً :

« حقاً انك عطارد او المشتري ايها الاله القدير ! فهب لي حكمة وقوة من العلاء ! »

فاجابهُ يسوع ناظرًا اليهِ بعين الاسف

« انهض ايها الشاب انك ستنال حكمة ونعمة ولكن ليس من آلهتك اذ ليس من الهٍ الاَّ الله الآب فاسجد لهُ تنلْ منهُ ثواباً »

فقال لي عوميليوس ان قلبهُ اضطرب من استماع هذه الكلمات وغيرها التي كلمهُ بها في الطريق ووعدني انهُ

من الآن وصاعداً «يهجر آلهتهُ ويؤمن بالله اسرائيل ويسوع نبيهِ القدوس الجليل»

أفليست هذه بشائر مباركة؟ وكما يقول النبي «هوذا ينادي بالحرية للامم»

فترى يا ابي العزيز اني كتبت اليك بامانة جميع ما سمعتهُ وشاهدتهُ عن يسوع كما تروم ومنهُ ينبغي ان تتخذ يسوع اعظم من نبيّ وتحكم انهُ المسيح ابن المبارك فلا تؤَخر . آه لا تؤَخر ايمانك بهِ ! . ان الوفا يؤمنون بهِ ويحبونهُ ويكرمونهُ كمسيًّا وقوتهُ تزداد يوماً بعد يوم في التسلط على قلوب الناس وافكارهم حتى ان عامة الشعب يكرمون غبار نعليهِ . اما الكهنة فيؤمنون ويخافون وهم كهيرودس حين كان يسوع طفلاً في بيت لحم يرومون هلاكهُ مخافة ان يتعقبهم وينزع منهم وظيفتهم ويقولون انهُ ان أُجيز ليسوع ان يحيا ويكرز ويفعل هذه القوات والعجائب بين الشعب تبطل الذبيحة اليومية ويخرب الهيكل ويزول ايمان اسرائيل . ولكن ذلك يؤيد دعواهُ !

أَلم يتنبأ داود عن مسيًّا انهُ حينما يأتي «تقوم ملوك الارض ويتشاور الرؤَساءُ معاً على الرب وعلى مسيحهِ»

ولكن « الساكن في السموات يضحك . الرب يستهزئ بهم »

وعليهِ فجميع الاشياء يا ابي العزيز آخذة شيئاً فشيئاً في الشهادة والدلالة على ان يسوع الناصري هو مسيح الله

ابنتك المحبة

والمطيعة

ادينا

الرسالة العشرون

ابي العزيز

لقد مضت عليك عدة شهور لم تقف فيها على رسالة مني بخط يدي ولذا افرح الآن لاني شفيت من مرضي

وعدت الى صحتي واصبحت قادرة على مواصلتك بانبائي

وحقّق يا والدي العزيز اني لست بقادرة ان اقوم بايفاء ما عليَّ من الشكر لعمي عاموس وابنتهِ مريم على ما صنعا معي مدة مرضي فانهُ بعنايتها واهتمامها بعد بركة الله اقبلتُ على الشفاء . ولما وُصف لي الذهاب الى جبال الجليل للانتفاع باستنشاق هوائها النقي لم يتقاعدا عن مرافقتي الى قرية نايين في سفح جبل تابور حيث قضيت اسابيع عديدة اتدرج فيها الى الصحة والعافية

فنحن الآن مقيمون في بيت حقير للارملة سارة التي اذ كان رجلها ملاحاً في سفينة تجارية من قيصرية غرق في البحر المتوسط . وبيت هذه الارملة في بستان مقابل جبل تابور بحيث يمكننا ان نتمتع بمشاهدة منظرهِ السامي

وفي ذات يوم بينما كنت اتمشى في البستان اذا برجلين يعلوهما غبار السفر وقد وقفا في بوابة البستان المفتوحة الى نصفها وحيّيانا قائلين

«سلام لهذا البيت ايتها الفتاة والجميع من فيهِ» واذ سمعتها الارملة قالت

«ادخلا وخذا ماء لارجلكما وخبزاً تسدّان بهِ جوعكما»

فدخلا وجلسا وبعد ما قدمت لهما تلك الارملة المسكينة المضيافة ما تسنَّى عندها نهض احدهما وقال

« في هذا اليوم حصل خلاص لهذا البيت . انما نحن رسولان من قبل يسوع الناصري نطوف مدينة بعد اخرى ونكرز بقرب يوم الرب لان مسيًا قد جاء ! »

وحينئذٍ هتفت انا ومريم هتاف الفرح وقلنا اننا رأينا يسوع وسمعناهُ في اورشليم وآمنًا بهِ . اما هما فنظرا الينا بعين السرور والابتهاج واخذا يجيبان اسئلتنا المتعلقة بالنبي قائلين انهُ الآن في السامرة يكرز ويصنع آيات ويعلن ملكوتهُ . فلما سمعنا هذا سررنا جدًّا لانهُ كان قد مضى علينا وقت طويل لم نسمع عنهُ خبرًا ومنها علمنا انهُ قد اختار لهُ اثني عشر تلميذًا لكي يلازموهُ على الدوام ويتعلموا منهُ . ومؤخرًا اختار سبعين آخرين وارسلهم اثنين اثنين الى كل مدينة للتبشير والكرازة

فسألتهما الارملة باهتمام « أفلا يأتي الى نايين ؟ لاني اودُّ قبلما اموت ان تنظر عيناي شخصاً قدوساً وعظيماً كهذا ! »

فاجابها الرسولان

« بلى سوف يأتي الى هنا وحينها نخبرهُ بضيافتكِ لنا لا بد انهُ يزور بيتكِ لانهُ لا ينسى كاس ماء تُسقى لاحد تلاميذهِ »

ثم انطلقا طالبين سلام الله لنا ولم يمضِ على انطلاقهما بضع دقائق حتى طرق آذاننا ضجيج في السوق بقربنا .

وما صعدنا الى السطح حتى رأينا ذينك الرجلين واقفين على دكةٍ يكرزان باقتراب ملكوت الله ويدعوان السامعين ان يتوبوا عن اعمالهم الشريرة ويحيوا حياةً جديدة لان يسوع سوف يدينهم يوماً ما على اعمال الجسد · وعندها قاموا عليهما — البعض يصرخون ضد يسوع والبعض يرجمونهما بالحجارة · ورأينا احدهما يخلع نعليهِ وينفض غبارهما قائلًا بصوت عالٍ

«بما انكم رفضتم كلمات الحياة فخطاياكم تُرَدّ عليكم. اردُّ لكم الآن غبار مدينتكم»

ثم انطلقا يتبعهما اللاويون وكثيرون من الرعاع والاجلاف حتى طردوهما من القرية · وقد علمنا ان هذه المعارضة كانت ناتجة عن الامر الذي اصدرهُ مجلس اليهود الاعلى لكل المجامع والكهنة في الارض ومآلهُ وجوب نبذ جميع من يكرز بيسوع الناصري مسيحاً

وفيما نحن آسفون على ابتداء هذه العداوة ضد نبي مرسل من الله وواقف حياتهُ على فعل الخير اذا بفتاةٍ اسمها راعوث قد دخلت الينا مسرعة وفي يدها رسالة مفتوحة ووجهها مشرق بنور فرح سرّي تألف منهُ ومن حزن قلوبنا طباق غريب · وكنا نعرف هذه الفتاة حق المعرفة ولها في قلوبنا محبة الاخت وهي ابنة يتيمة كانت تقيم مع عمها

اليهاز اللاوي وهو رجـل على جانب عظيم من المكانـة والوجاهة · و كانت راعوث غاية في صفاء القلب وطهـارة النية والاستقامة في جميع طرقها · فسألتها مريم باسمةً في وجهها الطلق البشوش

« ما وراءكِ يا راعـوث من البشائر ؟ وممَّن هـذه الرسالة ؟ » فاجابتها متورّدة ومحيّاها يسطع بضياء الحقيقة التي اوشكنا ان ندركها

« هي لسارة » فعادت مريم تسألهـا بنوع من الهزل « ولكن جوابكِ هذا لا يعلمنا ممَّن هي » · فاجابت مائلة بجيدها ميـل الظبية وواثبةً من بيننا الى داخـل البيت « تقدرين ان تحزري » · فما لبثنا ان اقتفينا اثرها وسمعناها تقول للارمـلة وهي تسلمها الرسالة « من صموئيـل ! » فصرخت الارملة · « ليكن اسم الرب مباركاً ! ابني باقٍ حيا ! » فنادتها الفتاة « اقرإي يا عزيزتي سارة انهُ كان في الاسكندرية حين كتب هـذه الرسالة وعما قريب يرجع الينا · فيالهُ من يومٍ سعيدٍ سعيدٍ جدًّا ! » قالت هذا وهي ذاهلة بفرط الفرح عن حضورنا · على اننا كنـا من زمان طويل قد اطلعنا على محبتها الطاهرة لابن الارملة الذي شاهدناهُ مرَّةً في اورشليم وقد امَّنتنا اسرارها بخصوصهِ وقرأَت على مسمعنا كل الرسائل التي اتتها منهُ لانهُ كان قد خلف اباهُ

في الملاحة والسفر في البحر وعرفنا ايضاً ان ذلك الشاب احبها باخلاص وطهارة كما احبتهُ هي ولهذا لم نلبث ان شاركناها في افراحها وقاسمناهـا مسرة قلبها · ثم قالت الارملة

«كلَّا لا استطيـع القراءة لان عينيَّ مغرورقتـان بدموع الابتهاج فلا اقدر ان انظر كيف اقرأ · اذًا اقرإيها انتِ علناً ودعي ادينا ومريم تطلعان على مضمونها · أوَلي مرسلةٌ ام لكِ ايتها الفتاة؟» فاجابتها بملء الارتباك والحيرة

«ل — لي يا عزيزتي سارة»

«الارجح — الارجح · فليس من امر طبيعي كهذا انكِ تُخصَّصين منهُ باوفر قسم من رسائلهِ ولكن حسبي ان اسمع عن سلامتهِ سواء كتب لي او لكِ!»

ثم قرأت راعوث مـا يأتي بعد ما القت علينـا نظر الفرح والسرور

«ايتها العزيزة راعوث — لست اجهل ان انقطـاع رسائـلي عنكِ هذه المدة الطويلة قـد بعثكِ على القلق وانشغال البال وفراغ الصبر · على ان محبتي لكِ باقية رغماً عن هذا الانقطاع على عهد كمالها وحرارتها لا يشوبها شيء من النقصان او الفتور · والآن اكتب اليكِ مبشراً بسلامتي ونجاتي من الاخطار التي تهددت سفرتنا الاخيرة · فاعلمي اننا بعد ما اقلعنا بسفينتنا من قيصرية قاصدين كريت هبَّت

علينا ريح شمالية شديدة · وفيما نحن نحـاول الوصول الى طرف الجزيرة الشرقي جرت الرياح على معاكستنا وساقتنا الى شواطىء افريقيا حيث انكسرت سفينتنا وفقد كل وسقها وجملة من الركاب غرقاً · اما انا فأُخذت هنـاك مع آخرين غيري داخل البلاد واستُعبِدْتُ عند احـد مقدَّمي البرابرة عبودية قاسية · اخيراً اوحى اليَّ قلبي شدَّة المصيبة التي لا بد انها تلمُّ بكِ وبوالدتي العزيزة اذا انقطعت عنكما اخباري · وناجتني نفسي ان احاول النجاة هرباً · وبعـد مقاساة اهوال شديدة ومخاطر عديـدة وصلت الى البحر وبعد ما قضيت اياماً طائفاً على شاطئـهِ حُملتُ على ظهر سفينة من قبرص وأُخذت الى الاسكندرية وكانت تلك السفينة لتـاجر غنيّ من شعبي يدعى منسى بنيامـين ابن اسرائيل الذي اذ وجدني مريضاً وفي شدة الفاقـة دعاني الى بيتهِ واخذ يبالغ في اكرامي وأعزازي كابن لـهُ حتى شُفيتُ تماماً ورجعت اليَّ قوتي — قائـلًا لي ان لهُ ابنـةً وحيدة بعيدة عنهُ في اليهودية (وقـد رأَيتها مرَّة في بيت الرباني عاموس) راجياً انها اذا مستها الحاجة الى مساعدة الغرباء يُثيبهُ الله بانْ يحنن قلوبهم عليها »

وحينئذٍ تبادلت انا ومريم نظرة الدهشة والابتهـاج

وصرختُ متهيجةً « انهُ ابي ايتهـا السيدة! ويسرني ان بيتهُ صار موطناً لابنكِ فليكن ابي مباركاً!»

ولما سمعت سارة ان ابنها قوبـل بهذا الاكرام في بيتك يا ابي العزيز قامت اليَّ واعتنقتني مرةً بعـد أُخرى وطلبت مني بالحاح ان انوب عنها بتقديم الشكر لك على حسن صنيعك · ثم اكملت راعوث تلاوة رسالتـهِ المفيدة بانهُ قادم مع اول سفينة تُقلع الى صيداء او قيصرية آملاً انهُ يراها مع والدتهِ وجهاً لوجـه بسلام · وظهر ان سارة ازدادت اقتراباً مني في المحبة وهكذا راعوث بعد مـا عرفتا اني ابنة ذلك اليهودي الشريف الذي فعل ما فعل من الخير مع صموئيل في ارض غريبة · اخيراً اقترب وقت رجوعي الى اورشليم لان صحتي عادت الى جودتها السابقة وقد سررنا جدًّا ودهشنا كثيراً عند روٴية صموئيل بعد ذلك الغياب الطويل · وكنت انا ومريم قد شاهدناه مرةً قبل الآن وانما شاقنا هذا الوقت جمال طلعتهِ ونباهة شأنهِ ونبالة نفسهِ ولم يسعنـا الاَّ ان نسلم بحسن ذوق راعوث الجميلة في الاختيار · وقد سلمني الرزمة التي طلبت منـهُ ان يرسلها الى اورشليم ولهذا كان لجميعنا اسباب للفرح في قدومهِ · ولكن أَوَّاه يا ابي العزيز ان مدة سرورنا لم تطل! ولم يدُر قط في خلدنا ان افراحنا تنتهي سريعاً بحزن فانهُ

في ذات ليلة قدومهِ أُصيب بحمى خبيثة اتى بها من افريقيا فاخذ الغم والكدر من جميعنا كل مأخذ

وانهُ يستحيل عليَّ ان اصف لك مقدار الحزن والكآبة وشدة انكسار القلب التي استولت على الامّ والخطيبة حينما جلستا حول فراشه تشاهدان الداء الخبيث يشويهِ كانهُ في اتون · وهو آخذ في الهذيان الشديد وغير شاعر بحضورهما فكان تارةً يرى نفسهُ يتلهب عطشاً في رمال افريقيا المحرقة وتارة يصارع البرابرة مدافعاً عن حياتهِ · وكل ما فعلهُ الاطباء والاصدقاء (لانهُ كان محبوباً من الجميع لحسن سيرتهِ واكراماً لوالدتهِ وخطيبتهِ) لم يأتِ بفائدة · وفي هذا الصباح وهو اليوم الثالث من وصولهِ اسلم الروح بعد مقاساة اشدّ الآلام والاوجاع · ولا تسأل عن حالة راعوث المسكينة فانها طرحت نفسها بجهد الحزن الشديد على جثتهِ العديمة الحياة واستخرطت في البكاء حتى اتى البعض وحملوها الى غرفةٍ ثانية حيث غادروها رهن النواح والبكاء والنحيب والرثاء · اما والدتهُ فجلست بجانبهِ صريعة الهمّ والاسى قابضة بيدها على يده الباردة وهي تصيح بالويل وتعولِ باصوات تفتت الاكباد · وتلين قلب الجماد :—

« ابني! يا ابني! حيف عليك ان تُفقد وتوجد · ثم

تُسلب مني للابد! أوَّاه يا بنيَّ لو متُّ عنك بديلة· وتركتك مع راعوث تتجاذبان اطراف السعادة والهناء اياماً طويلة· فواحرَّ كبدي — عليك يا ولدي · كنت اودُّ من كل قلبي لو سمحت لي العناية الالهية · ان اجرع عوضاً عنك كأس المنية

« ما كان اسعدني لو قَدَّرَتْ وَحَدَتْ
عنايةُ اللهِ لي عنك الرَّدى عوضا
« لكنَّها هكذا شاءَت ولستُ أرى
ايَّ اعتراض على ما الله لي فرضا »

وعلى هذا الاسلوب كانت تلك الثكلى تندب حظها المشؤُوم · وتبكي وحيدها صموئيل بكاء داود على ابشالوم

اني اكتب اليك يا والدي العزيز هذا النبأ المحزن وانا عالمة مقدار الاسف الذي يبعثك عليهِ نعيُ هذا الشاب الفقيد لاني من رسالتك الاخيرة ادركت شدة اهتمامك بهِ وانعطافك اليهِ · وكيف كنت عازماً على إمداده بسفينة يرأَسها ويعيش من ريعها بعد ما تزفّ راعوث اليهِ · ويلاه! عوضاً عن احتفال زيجتهِ ترانا في مأتم جنازتهِ لانهُ عن قريب يُحمل على النعش الى المقبرة خارج المدينة فلله امر هذا

الانقلاب المخيف العظيم · وليكن اسمهُ مباركاً في حالتي البؤس والنعيم

وبينما انا جالسة الان لاكتب اليك اسمع مريم تتنهد بجانبي قائلة «أوّاه لو كان يسوع النبي العظيم هنا لشفاهُ !» وقد ارسل اليها يوحنا رسالةً يخبرها ان يسوع قادم الى هذه الانحاء وهو على طريقهِ يشفي ويعلم وينتظر ان يكون هنا مساءً · ولكن ماذا يفيد يا ابي العزيز ? فيسوع لا يعيد الموتى الى الحياة · آه لو كان هنا امس لكانت قوتهُ على شفاء الامراض مكنتهُ من انقاذ حياة هذا الفقيد العزيز ! ولكن ماذا عسى تفيدنا هذه التمنيات · وصموئيل العزيز مات ? وانما يحيا ثانيةً في قيامة الصالحين

اني اسمع الآن وقع اقدام حاملي الميت في الدار اسفل حتى ان صراخ النادبات ونواح الباكيات افعم نفسي حزناً وبعث قوايَ العقلية على الذهول والتضعضع ولكن اشد عويل واعلى نواح اسمعهُ من تلك الام الحزينة والوالدة الثكلى · اما راعوث فقد خنقت عبرتها ضغطة الحزن وغادرتها شاخصةً لا حراك لها كانها قطعة من رخام · وقد غارت عيناها واستولت عليها اعراض مخيفة انذرت بقرب جنونها او موتها · فلا يُستدلُّ على حياتها بسوى نبضان ضعيف متقطع تختلج بهِ عروقها ! · فياالعظم مصابها ! بل

يا لشدة الضربة التي ذهبت بصوابها وكادت تقضي عليها

وفي هذه الدقيقة جاءَ مريمَ رسالة عرفت من انصباغها بجمرة الخجل انها من خطيبها يوحنا فتبسَّمت آسفة · ثم ناولتني اياها والدموع ملءُ اجفانها فتلوتها واذا فيها ما يأتي · وان سمح لي الوقت انسخها لك كلها قبل الدعوة الى السير وراءَ الجنازة الى المدفن

« عن عبر الاردن

« ان المحبوبَ حامل هذا الكتابِ احد تلاميذ يسوع واسمهُ بارتياوس وقد كان اعمى وفقيراً يعيش من التسوُّل وقد أُعيد اليهِ بصره كما ترين ومرادهُ الآن » بالجولان من مدينة الى أُخرى حيث عُرف قبلًا انهُ اعمى » ان يُعلن ما صنعهُ بهِ يسوع وهو يحمل اليكِ الآن هذه الرسالة التي بها اتمنى لكِ كل نجاح وان تنالي مع ابنة عمكِ الصحة التي لاجلها جئتما تستنشقان هواءَ جبل تابور · واعظم سرور عندي ان اسمع عن سلامتكما · وقد بعثت اليكِ بهذه الرسالة ملتمساً منكِ انهُ كما نحب بعضنا باخلاص يصير الاسراع في ارتباطنا بذلك الاتحاد المقدَّس الذي باركهُ الله وامر بهِ وأُومل انكِ تتذكرين ما وعدتني بهِ آخر مرة اجتمعنا في الناصرة · هذا وان لي كلاماً كثيراً أُريد ان

اقولهُ لكِ لكنني لا اود تبليغهُ بواسطة القرطاس والمداد واثقاً اني اذا شاء الله أراكِ غداً او بعد غدٍ · واكلمكِ ايتها الحبيبة العزيزة وجهاً لوجه عن هذه الامور التي تجول الآن في فكري · استودعكِ الله واطلب السلام لكِ ولجميع من في بيتكِ · حيّي عني وعن عاموس ابيكِ واخينا الآن في الرب جميع اصدقائنا واخبريهم اننا سوف نلتقي قريباً · ان عندي اموراً كثيرة سمعتها ورأيتها عن سيدي يسوع ورسالتهِ الى العالم سوف اطلعكِ عليها حين نجتمع لكي يمكنكِ ان تشاركينا في ما نعلمهُ ونؤمن بهِ من جهتهِ · سيدي يسلم عليكِ وعلى من في بيتكِ · والرباني عاموس ابوكِ يقبلكِ · هذه رسالة ثانية كتبتها اليكِ من هذا المكان»

فصرخت مريم «آه لو قدَّم النبي القدير حضورهُ يوماً واحداً لكان كفى راعوث والوالدة الثكلى مصاباً قصم الظهور · وقوَّض معالم الفرح والسرور · ولكن لتكن ارادة الله كل حين · وهو وحدهُ معزي المحزونين»

والآن هوذا رئيس المأتم يدعونا لننزل الى الاحتفال بدفن الميت · فاستودعك الله يا ابي عالمة انك سوف تذرف دمعاً سخيناً على وفاة هذا الشاب الذي عمَّ الاسف على فقده جميع اهل نايين · وقد اطللت الآن من الشرفة فرأيت

الشارع غاصاً باقدام المجتمعين للمأتم • واله ابينــا ابرهيم يصونك ويحفظك بعين عنايتهِ التي لا تنام • ويقدّر لنا ان نجتمع وجهاً لوجه بفرح وسلام

ابنتك الحزينة

ادينا

الرسالة الحادية والعشرون

ابي العزيز

اني اقبض الآن على القلم الذي القيتهُ من يدي منذ ساعة لاجل مرافقة الفقيد الى مدفنهِ كما افدتك في ذيل رسالتي السابقة لكي اقصَّ عليك نبأ اغرب الحوادث التي

جرت وافيدك عما ملأ قلوبنا فرحاً وقضى علينا بالعجب والدهش واخاف ان اناملي المرتجفة لا تقوى على التعبير عن جميع ما اريد ان اطلعك عليهِ

اخبرتك في رسالتي الاخيرة التي اكملت كتابتها منذ هنيهة اني دُعيت لمرافقة الامّ الباكية الى مدفن فقيدها خارج البلد لكنني حينما اتيت الى فسحة الدار حيث كان الميت موضوعاً على النعش والحاملون قد رفعوهُ على اكتافهم تغلَّب الحزن الشديد على راعوث فقدتها الى غرفتها حيث انطرحت على فراشها مغشياً عليها • واذ لم اقدر ان اتركها وحدها في هذه الحالة خرجوا بالجنازة بدوني — اما مريم فسارت تسند الامّ الثكلى على ذراعها • وقد خرجت لا تعي الاَّ على حزنها والتياعها • ولما سير بالجنازة تطلعت من الشرفة فرأيت وراءَها جمعاً غفيراً لا يحصى من الكثرة وكل ذلك جرى اكراماً لارملةٍ في اسرائيل • ثم تُركتُ وحدي بجانب راعوث المستلقية لا حراك لها • وكانت في غيبوبة النوم تهذي متمتمةً باسم الفقيد فجلست اقلب افكاري في طرق الله السرية بردهِ ابن هذه الارملة سالماً من خطر تعرَّض لهُ بانكسار السفينة والعبودية ليفرح قلب والدتهِ برؤيتهِ بضع ساعات • ثم يموت بين ذراعيها اوفيما انا انظر الى هيئة تلك الفتاة الرخامية لم يسعني الاَّ ان اصلي

لها لكي لا تستفيق من اغمائها وتعود الى تحقق نكبتها الهائلة وادراك رزيتها الفادحة · وفي الحال طرق اذني صوت هتاف عظيم فاجفلت واسرعت الى الشرفة وعندها تكرر الهتاف بصوت دلّني على انهُ هتاف فرح وتراءى لي انهُ آتٍ من عبر اسوار المدينة داوياً من مئة صوت مرتفعة كانها صوت واحد واذ عرفت ان سطح البيت يشرف منهُ على ما وراء الاسوار ورأيت راعوث باقيةً في ذهولها عمدت الى تسلق الجدار وصعدت الى السطح واصوات هتاف الفرح لا تزال في ازدياد تضيف الى انذهالي انذهالاً · وما وصلت الى السطح وتسلقت الجدار المحيط بهِ حتى رأيت خادمنا الجبعوني «أَلَك» قادماً ينهب الارض بعدوهِ وهو يشير بيده وينادي بما لم اقوَ على استماعهِ جيداً · وابصرت وراءَهُ شابَّين مسرعين وبين ايديهما بشرى يرومان اذاعتها · فناجتني النفس ان قد حدث امر غريب لكنني لم اقدر على استجلائهِ · وبينما انا ناظرة نحو البوابة التي تصاعدت الاصوات من جهتها ابصرت على جانب تلة المقبرة جمعاً غفيراً يحيط بشخص في الوسط · على اني لم انظر النعش ولا استطعت ان ادرك السر في تحويل مشهد الجنازة من حالة الخشية والسكوت الى تشويش وضجيج اصدى بهِ الجوّ · ثم اخذ الجمع يتقهقر نحو المدينة · امـا الاشخاص الذين

شاهدتهم اولاً فكانوا الآن قد اقتربوا مني يصرخون على مسمعي فنادى ايليا «هو حي ! هو حي !» ونادى الشاب التالي لهُ «قد قام من الاموات !» وصرخ الثالث مخاطباً الذين خرجوا نظيري الى السطوح يستطلعون طلع هذا الضجيج «قد عاش وهو راجع الى المدينة !»

اما انا فاسرعت الى الاستفهام من «أَلك» في مروره من تحت الجدار صارخةً بمزيد التلهف «مَن مَن الذي تقول عنهُ انهُ حي ؟ وما هذا الهتاف يا «أَلك» ؟» فرفع نظره الي بابتهاج لا مزيد عليهِ وقال «الشاب صموئيل عاد الى الحياة ! ولم يبقَ ميتاً بعد وسوف تنظرينهُ عما قليل لانهُ قادم في موكب عظيم تحفهُ اصوات الفرح ونشائد السرور ! اين الفتاة راعوث ؟ قد جئت لابشرها بهذا الفرح العظيم»

فخففت الى راعوث غير مصدّقة ما سمعت وحاولت ان احول دون انفعالها بثورة الفرح الفجائي . ولما اتيت الغرفة رأَيت ان اصوات «أَلك» الحامل اليها هذه البشرى المجيدة ايقظتها من سبات الذهول والبحران وكانت تفتش عنهُ بقلق وفراغ صبر فركضت اليها مسرعة واعتنقتها قائلةً لها «عزيزتي راعوث البشرى ! بشرى صادقة ! هوذا هتاف الفرح يدوي في كل انحاء البلدة !» فردَّدت القول وهي تهزُّ رأسها

«يحيا! لا — لا — لا! نعم هناك!» قالت هذا شاخصة بعينيهـــا الجميلتين نحو السماء مشيرةً الى العلاء . فاجابهـــا «أَلك» محققاً

«ولكن على الارض ايضاً! فقـــد شاهدتـــهُ جالساً يتكلم حسب عادتهِ!» فاعترضت انا صارخةً «ولكن كيف كان هذا؟ اخبرني» . فاجاب «كيف؟ ومن ذا يقـــدر ان يصنع آية عظيمة كهذه غـــير النبي القدير الذي شاهدناهُ في اورشليم؟» فهتفتُ بصوت الفرح «يسوع؟»

«ومن يكون غيرهُ؟ نعم فانهُ صادف النعش خارجاً — هوذا هم آتون» . ثم حال دون تفصيل «أَلك» ضجيج الاصوات في الزقاق ودويّ اقدام مئات من الآتين . وما لبثت الغرفة ان غصت بالمزدحمين وهم بين باكين وضاحكين وصموئيل بينهم حيٌّ وصحيحٌ وامهُ لاحقة بـــهِ أَعاق من داليةٍ بسنديانة

اما هو فنادى سائـــلًا «اين راعوث؟ آه! اين هي دعوها تُسعد بحضوري»

فتأَملت بعين الخشية كاني ارى روحاً ولم تلبث راعوث بعد ما سمعت صوتهُ ان صرخت بصوت الفرح قائلة «انهُ حي — حقاً هو حي!» ثم وثبت الى الامـــام وحال دون سقوطها على الارض اسراعهُ في ضمها الى صدرهِ فخاطبها

قائلاً « لنركع امام الله ونشكر مراحمهُ ! » وظل المشهد مدة دقائق رهيباً ومؤثراً الى حدّ لم يسبق لهُ نظير على الارض فان القائم جديداً من الاموات جثا على ركبتيهِ في وسط ارض الغرفة وامهُ عن يمينهِ مسندة راسها الى كتفهِ وراعوث قابضة على ذراعهِ اليسرى ومحدقة بهِ بضبط كانهُ ملاك تخشى ان يبسط جناحيهِ ويصعد الى العلاء تاركاً اياها للابد . اما انا ومريم فسجدنا بجانبها بينما جميع الحضور حنوا رؤوسهم اشارةً للسجود مصغين الى صموئيل الذي رفع صوتهُ بتقديم الحمد والشكر لمعطي الحياة والصحة على انهُ ردّ كلتيهما اليهِ . وبعد ما فرغ من هذه الفريضة المقدسة نهض على قدميهِ واعتنقنا جميعاً . وقد تسارع مئات لرؤيتهِ والجميع يمثلون احسن الوقار والخشوع . والسنتهم تنطق بمدح قوة يسوع . وعندها سألتُ مريم « واين النبي الطاهر ؟ أيليق بنا ان ننساهُ في اوان فرحنا وسرورنا ؟ » فاجابتني « اننا شكرناهُ هناك من كل قلوبنا وغسلنا يديهِ بدموع الشكر والثناء لكنهُ اذ شعر بانهم عازمون على الاتيان بهِ الى المدينة على موكب الاجلال والتعظيم توارى عن العيون في الحال ولم يقدر احد ان ينظرهُ على ان يوحنا اذ كان معهُ اخبرني انهُ سيرجع الى المدينة بعد استتباب الراحة وسوف ينزلهُ ضيفاً علينا » . فقلت « آه اني سأراهُ

حينئذٍ وازيده شكرًا على شكر » • ثم سألتها « قصّي عليّ يا مريم تفصيل هذه الآية العجيبة » • لاني مع كوني قد نظرت صموئيل جالساً في الغرفة يتناول الطعام الذي اعدَّتهُ لهُ والدتهُ المسرورة وراعوث السعيدة والجميع ناظرون اليهِ ليروا هل يأكل حقيقةً ومع اني مؤمنة بقوة يسوع على فعل كل الاشياء كنت بالجهد استطيع التصديق ان هذا الذي شاهدتهُ محمولاً على نعشهِ هو الذي اراه الآن جالساً على المائدة ياكل حياً صحيحاً • فانفردت بي الى ناحية وقالت ووجهها يتلألأ بنور فرح سماويّ منبثق من شمس افراحها « اعلمي اننا خرجنا وراءَ النعش نبكي وننوح حتى اجتزنا البوابة فشاهدنا على طريق وادي جبل تابور جماعة يبلغون اثني عشر او ثلاثة عشر رجلاً وهم مشاة ووراءَهم جمٌ غفير من رجال ونساء واولاد من القرى المجاورة وعلمنا اننا سوف نلقاهم على طريق الجسر • واذ سمعت واحدًا يقول 'هذا النبي الناصري وتلاميذهُ' • فنظرت الى الامام محدقة بعين الاهتمام وفي الحال تعرَّفت يسوع في مقدمتهم ويوحنا على جانبهِ • فقلت للارملة مشيرة اليهِ بينما وقف هو ورفقاؤهُ عند مدخل الجسر متنحياً عن الطريق لانهُ كان اضيق من ان يجتاز فيهِ فرقتان في وقت واحد 'آه لو ان يسوع كان في نايين حينما مرض ابنكِ' •

اما هي فحينما رفعت نظرها وشاهدته شاخصاً اليها بعين الاسف والحزن يقاسمها مصابها هذا وتصوَّرت كيف انهُ كان يمنع موت ابنها لو وُجد في نايين لم يمكنها امساك نفسها عن الرضوخ لفواعل الحزن التي جدَّدت منازعتها وشدَّدت وطأتها عليها فسدلت نقابها على وجهها واجهشت في البكاء وعيون الجميع ناظرة اليها بحزنٍ ولاحظت ان النبي ناظرٌ اليها بعين الرأفة والحنو حتى انهُ حينما اجتازت الارملة مقابلهُ تقدَّم نحوها وقال لها بصوت جهير رهيب

« ‹لا تبكي ايتها الوالدة سوف يقوم ابنكِ !› فاجابتهُ ‹اني اعلم يا سيد انهُ يقوم في اليوم الاخير فقد كان غض الشباب • مجمَّلاً بحلي الآداب • عنصراً لسلواني • وقواماً لتعزيتي في احزاني • وقد غاب مدة طويلة عني • ولم يرجع اليَّ الاَّ لكي يموت في حضني • ولست اجهل انك نبي مرسل من الله • تفعل خيرًا طبقاً لارادته ووفقاً لرضاه • فلو كنت هنا لم يمت ابني العزيز الوحيد • بل كان نال منك شفاءً لانك قادرٌ وتريد • لكنهُ الآن واأسفاه مات ! مات ! مات ! مخلفاً لقلبي حسرات واي حسرات !› ثم طفقت تسجم الدمع الغزير السخين • وتراوح التنهد والانين

« ‹لا تبكينَ ايتها المرأة اني سوف اردُّ لك ابنك !› فاعترض احد الفريسيين ‹ماذا يقول هذا ؟ انهُ يقيم واحدًا

من الاموات ؟ انهُ اضيق ذرعاً من ان يفعل هذا الان اقامة الموتى انما هي عمل الله وحده ‘‘ . ثم اخذوا يهزأون بهِ ويسخرون . اما يسوع فوضع يدهُ على النعش وقال للذين يحملونهُ

« ‘ انزلوهُ الى الارض ’ فاطاعوهُ في الحال فتقدم يخترق ذلك الحشد والسكون مخيِّم على الجميع حتى جاءَ النعش فرفع عنهُ الغطاء وقبض على يد الميت وقال بصوت سائدٍ عالٍ

« ‘ لك اقول ايها الشاب قم ! ’ . ثم عقب كلامهُ هذا هدوء تامٌّ مدَّة دقيقة وقد اتجهت ابصار الجميع نحو النعش . اما صوت يسوع فبلغ مسمع روح الميت فارتدت الى الجسد . ثم ظهر للعيان اختلاج حيويٌّ في تلك الجثة الباقية حتى الآن عديمة الحركة ! . فتلوَّن الوجه وانفتحت الاجفان واذا بعينيهِ قد شخصتا في يسوع ! ثم رفع يديهِ وحرَّك شفتيهِ ! ولم يلبث ان جلس في النعش وتكلم بصوتهِ الطبيعي الاعتيادي قائلًا

« ‘ هوذا انا ههنا ’ فامسك يسوع بيدهِ واعانهُ على النزول من النعشِ وقادهُ الى امهِ وسلمها اياهُ قائلًا ‘ هوذا ابنكِ يا امرأة ! ’

« فلما ابصر الشعب هذه الآية هتفوا باصوات الفرح

والانـذهال واستولى علينا جميعنـا خوف عظيم · والذين كانوا من قبل ينوحون ويبكون رفعوا اصواتهم يمجدون الله قائلين ' حقاً لقد افتقد الله شعبهُ اسرائيل فاقام بيننا نبياً عظيماً · فقد جاء محييًا ويسوع هو المسيح الذي في يـده مفاتيح الموت والهاوية '

« واذ ذاك احاط الجمع بالشاب صموئيـل وتقدموا يرافقونهُ الى المدينـة بابتهاج عظيم وفرح جزيل · وقـد اذهلتهم رؤية العائد الى الحياة · عن الاهتمام بـذلك الذي احياهُ بعد الوفاة · فطلبت يسوع لألتي نفسي عند قدميـهِ فأَبى تقديم السجود والامتنان لـهُ على حسن صنيعهِ لنا · وحقاً ان اتضاعاً كهذا هو عنصر كل قوة »

فهذه يا ابي العزيز تفاصيل اقامـة صموئيل ابن سارة ارملة نايين من الاموات اثبتها لك كما هي واظنها لا تقصر عن استمالتك الى الايمان · وقد أُجريت هذه الآية علناً على مرأى الوف من الحـاضرين ولا يسع اضداد يسوع من الكتبـة والفريسيين ان ينكروها لانهم حققوا وفـاة صموئيل وانـهُ مات كما سبقتُ وقلت بالحمّى الخبيثـة وظهرت جثتهُ كريهة لا تطاق امام عيون الذين شاهدوها لكنهُ لما أُعيد الى الحياة بقوة يسوع ظهر متنزّهاً عن كل شائبة نقيّ الجسد صحيح الجسم ممتلئاً صحةً وجمالاً وعليـهِ

فلم يقوَ احدٌ على انكار حدوث هذه الآية العجيبة الفائقة العادة لانهُ لم يُسمع قط قبلًا ان ميتاً عاش بقوّة انسان فقد بعثت هذه المعجزة — احياء صموئيل ابن الارملة — مئات على الاعتراف باسم يسوع والايمان بانهُ شيلوه مسيح اسرائيل

وبعد ما فرغت من المكتوب اعلاهُ طارحت صموئيل الحديث عما شعر بهِ وهو ميت فاجابني بانهُ تراءى لهُ انهُ كان في حلمٍ انمحت صورتهُ من ذهنهِ ولم يستطع تذكرهُ . وزاد على ذلك قولهُ «ولم يبقَ منهُ سوى آثار فرح ومجد وسعادة واصوات الحان لا يُنطق بها ومشاهد لا يُعبَّر عنها عرضت على عقلي مدة قصيرة بعد وقوفي على قدميَّ وزالت بحيث لم يبقَ لها عندي سوى تذكر فقط»

وقد زارهُ اليوم كثيرون من الاطباء والقوا عليهِ اسئلة عديدة من جهة حالة النفس منفصلة عن الجسد لكنهُ لم يقدر ان يفيدهم شيئاً سوى انهُ كان في رؤيا وعاد الى يقظةٍ . ثم دخل يسوع المدينة في المساء ونزل عندنا وكنت اودُّ لو انك معنا فتشاهد الشكر المقدَّم لهُ من الوالدة السعيدة ومن راعوث التي ليست دونها مسرَّة وابتهاجاً ولا تسأل عمَّا قدَّمناهُ لهُ من الاحتفاء والاكرام . فقد كانتا بجملتها موقوفتين لقضاء ما تبدو منهُ اشارة اليهِ وتمنتا ان لهُ الف

سؤَال فتجيباهُ عنها · لكنهُ في المعيشة ابسط مما يمكنك ان تتصوَّر فبالجهد تراهُ يحتاج الى شيء او يطلب شيئاً · فقلما يهتم باسباب الراحة ولذا فكثيراً ما تشغلهُ الكرازة بملكوت الله للذين حولهُ عن تناول الطعام الموضوع قدامهُ · ونحن ننسى كل شيء في جنب الاستماع لكلامهِ والوقوف او الجلوس حولهُ نرشف زلال الحكمة القاطر من شفتيهِ · وكلما اطلت الجلوس في جانبهِ تراني يا ابي العزيز بمقدار ذلك ازداد خشيةً لهُ وميلاً اليهِ

غداً يُحتفل بزفاف مريم الى يوحنا بحضور يسوع لانهُ مع كونهِ يوبخ بصرامة على الخطية والحماقة تراهُ يقدّس بحضرتهِ هذا السرَّ المقدَّس المرسوم من الله

وفي الشهر التالي تزفُّ راعوث الى صموئيل · وفي مساء اليوم الثامن من تاريخ هذه الرسالة انطلق الى اورشليم مع يوحنا ومريم ومن هناك اكتب اليك ثانيةً

ابنتك المحبة

والمطيعة

ادينا

الرسالة الثانية والعشرون

ابي العزيز

هوذا قد عدت الآن مرّة ثانية معنونةً رسالتي باسم هذه المدينة المقدسة . وفي هذا الصباح اذ استيقظت على اصوات ابواق الكهنة ترنُّ من قمة جبل المريّا صعدت الى السطح للصلاة فابصرت دخان البخور يتجعَّد مرتفعاً الى الاعالي وكذا دخان المحرقات يموج متكاثفاً وناشراً ظلاله على الهيكل حتى اذا امتدَّ صاعداً فوق جبل قدرون اشرقت الشمس واصابت حواشيهُ باشعتها فردتها كانها مطرزة بالذهب . ثم هتفت الابواق ثانية وغشيت اعالي السطوح باقدام الساجدين بينما غصَّت الاسواق بجمهور الشعب البعض يقودون حملاناً والآخرون يسوقون جداء وغيرهم يحملون حماماً لتقدم للرب على يد الكاهن

ولست بقادرة ان اصف لك عظم مسرَّتي في هذا الصباح يا والدي العزيز لان عوميليوس القائد الروماني عازم على ان يتقدم جهارًا الى الهيكل ويطلب ان يكون دخيلًا في ايمان اسرائيل المقدس ولست اشغلك الآن بتفصيل البراهين التي قدِمت لهُ وبها أَقدم على هجر وثنيتهِ وصار يهودياً ! وقد نشطهُ الى ذلك بيلاطس البنطي عوضاً عن مقاومتهِ زاعماً ان هذا يزيد اليهود حباً للرومان ولذا عوَّل على الحضور في الاحتفال . وقد شاهدتهُ راكباً الى الهيكل بمزيد الابهة محفوفاً بحرسهِ الخاص المزين بالملابس الرسمية . وطلبت عبثاً ان ارى عوميليوس فلم اتمكن من ذلك لانهُ اتى من طريق اخرى . بينما انا واقفة امجد الله واحمدهُ على هداية هذا الشاب الشريف جاءَ عمي عاموس وقال انهُ سيأخذنا الى الهيكل . وفي الحال خرجنا وسرنا على الطريق المرصوفة صاعدين الى جبل المريا وكانت البوابات من الشمال والجنوب والشرق والغرب جميعها غاصَّة بالداخلين . ثم دلَّني عمي على الابواب الكبيرة المغشاة بصفائح الذهب وعلى الرخام الاخضر الذي كنا نطأهُ في مسيرنا واراني العُمُد المزينة اعاليها بحجارة كبيرة ملوَّنة منقوشة بالازميل اليوناني والسقف الفضي المرصع بالحجارة الكريمة كالجزع والزبرجد والياقوت الازرق والبهرمان واليشب . فبُهتُّ

متحيرة من جلال ذلك المنظر المحيط بي بمجدهِ وبهائهِ بينما كان نحو عشرة آلاف شخص يزحمون بعضهم بعضاً متقدمين نحو مذبح المحرقة٠ثم سير بي من تلك الدار السامية الانيقة الى ردهة طولها نحو مئة ذراع مسقوفة بالذهب النقي وفيها الف عمود وعمود من حجر البرفير والرخام الابيض٠ فزخرفة كهذه لم اتصوّرها قط ولا دار في خلدي انها توجد على الارض ٠ ولكن حينما قال الرباني عاموس انها كلها صُنعت على مثال الاشياء السماوية زال تعجبي وانما تمنيت اننا يوماً ما نسكن في تلك المساكن السماوية التي يعلمنا يسوع المبارك انها ابدية معدَّة للصالحين والاتقياء

ولم يُجزْ لي ان اقترب الى القدس حيث الاربعة الآلاف اناء من ذهب اوفير المستعملة للذبائح في الاعياد الكبيرة ٠ واذ كان ذلك اليوم واحداً منها لم ارَ اقلَّ من ست مئة كاهن حول المذبح وفي يد كل منهم مبخرة ذهبية والى الوراء كان تابوت العهد وعليهِ الكروبان عاطفان الواحد على الآخر بجناحيهِ وبينهما كرسيُّ الرحمة! واذ كان هذا قدس الاقداس لم يُسمح لي بالنظر اليهِ ولكن أُشير لي اليهِ بواسطة الحجاب الذي يسترهُ عن سوى رئيس الكهنة مرة واحدة في السنة٠ فوااسفاه ان هذا مكان عرش الله على الارض وقد اصبح الآن خالياً منذ هجر مجد شكينا قدس الاقداس!

وقد كان هواء الهيكل معطرًا باريج يصعد عن بخور المحرقة وحينما سفكت دماء الذبائح وتصاعد دخانها سقط الشعب على وجوههم وسجدوا لله فتبدَّى لعينيَّ منظر رهيب بعثني على الخشية والرعب وظهر كاني اتوقع استماع صوت يهوه معترضاً السكوت السائد على الجميع · ولكن بعد سكوت بضع دقائق ارتفع صوت بوق اهتزَّت لهُ نفوس ذلك الجمع الفائق الاحصاء · ثم عقبهُ اصوات هتاف ارتجَّ لها الهواء من جوق منشدين يبلغون الالفين عدًّا من ذكور واناث من بني وبنات لاوي الخادمين في الهيكل الذين دخلوا من الدار الجنوبية وتقدموا ينشدون الاغاني الروحية ويضربون على العود والسنطير والرباب وغيرها من آلات موسيقى الهيكل حتى جاءُوا الى صدر بيت الله وهناك امتزجت اصواتهم باصوات الآلات واخذ كل الهيكل يُصدى بها · فلم اسمع قط قبلا ايقاعاً جميلًا كهذا ولا سيما حين جاءُوا الى الصدر المرتفع حيث اتحد معهم نحو الف لاوي والجميع انشدوا معاً احد مزامير داود السامية · فعندها رأيتني في بحر اصوات ملائكية وارتفع قلبي في داخلي حتى اوشك ان يطير مني ولم اجد لنفسي منفذاً من تلك الحالة الا بذرف دموع غزيرة · ولما فرغ المنشدون من الترنيم اجابهم الباقون «آمين فآمين» بصوت

عميق اشبه بريح قوية هبَت فجاءَة وهزَت اساس الهيكل · ثم ابصرت فريقاً من الكهنة يتبعون الكاهن الاعظم في الدورة حول المذبح ثلاث مرات واذ ذاك عاينت جوقاً من الدخلاء يصحبهم اثنا عشر شيخاً من اللاويين الطاعنين في السن بلحىً بيض وثياب نقية بيضاءَ وبين هؤلاء الدخلاء الذين يبلغ عددهم العشرين على اختلاف في الجنس شاهدت الامير الجليل عوميليوس الروماني وكان متوشحاً حلة سوداء من الراس الى القدم · وعندما اقترب من المرحضة اتى اليهِ كاهنان ونزعا عنهُ الثياب السود والبساهُ حلة بيضاءَ · ثم رأيتهُ يغتسل للدخول في عشيرة ابرهيم وقد أُعطي اسماً جديداً فدُعي لعازر · بعد هذا طرق اذنيَّ صوت الابواق الفضية تعلن تهوُّدهُ وجميع الشعب هتف باصوات الفرح !

ولا اتذكر شيئاً من باقي الاحتفال لاني بعد اعتماد عوميليوس صرت لا ابالي او افتكر بشيءٍ آخر · ولم يبقَ من حاجز بيننا فقد صار يهودياً يعبد اله آبائنا ! وقد قلت لي في رسالتك الاخيرة انك تخاف ان يكون هذا الشاب الروماني منقاداً بواسطة ميلهِ اليَّ الى هجر وثنيتهِ وليس بمجرَّد اعتقاده الحقيقي بفسادها لكنني احقق لك يا والدي العزيز انهُ انما فعل ذلك عن اعتقاد تام ويقين خالص · وكان

من حديثهِ معي ومع الرباني عاموس وغيره من علماء امتنا الذين اجتمع بهم عندنا ومن اطلاعهِ المدقق على كتب الانبياء انهُ لم يقتنع فقط بان الرب اله اسرائيل هو اله كل الارض بل ان جميع عبدة الاوثان يعبدون الشيطان الذي وضع تلك الديانة الباطلة ليقاوم بها ديانة الاله الحقيقي

وبينما انا مسرورة القلب بتهوُّد عوميليوس واليهود مجتمعون حولهُ يمدون لهُ ايدي الصحبة مبتهجين بدخول رجل عظيم كهذا في ايماننا وجه عمي عاموس نظري اليهِ بان هتف صارخاً بصوت الفرح «هوذا ! يسوع النبي !» فصرخت مطلقة عنان نظري للتفتيش عنهُ بين الجمهور «اين ؟»

«هناك وراء عمود البرفير · ويوحنا على الجانب الواحد منهُ وبطرس على الجانب الآخر وهو يشير الى الهيكل موضحاً لهما او مفسراً بعض الامور فلنسعَ في الاقتراب منهُ !»

فلم نبطئ ان نهضنا نجتاز الصفوف المزدحمة بكل صعوبة متجهين نحو المكان الذي شاهدناهُ فيهِ وكان خبر وجود يسوع قد انتشر في الهيكل على وجه السرعة وتراكض جميع الحضور للازدحام حول مكانهِ · اخيراً تمكنا من الوصول الى حيث لم نبقَ بعيدين عنهُ سوى بضع

خطوات وهناك تقدم شاب يوناني طويل القامة نبيل الطلعة من الرباني عاموس وسألهُ

« ارجو يا سيدي ان تخبرني من هــذا الشاب اليهودي المرسومة على جبينهِ سمات الاتضاع والثبات والمشرقة هيئتهُ بظواهر المجد والحكمة والساطعــة عيناهُ بضياء حزنٍ مقدَّس والعامر منظرهُ باسباب الطهر والملاحة حتى يتراءَى انهُ وُلد ليحبَّ الناس ويسودهم وارى الجميع يحاولون الدنو منهُ · قل لي اذًا يا سيدي مَن هذا ؟ »

فاجابهُ الرباني عاموس مسرورًا بالترجمة عن يسوع لرجل غريب الجنس

« ان هذا يسوع الناصري النبي اليهودي » فاجابــهُ اليوناني

« اذًا حسنًا فعلتُ بان مررت في اورشليم لاني سمعت في مكدونية بشهرة هذا النبي · وقد قدَّر لي الآن حسن الحظ ان اراهُ · أتظنهُ يصنع آية عظيمة ؟ » فاجابهُ عمي

« انما يصنع آيات ليس لتعظيم ذاتهِ او لزيــادة دهشة الناس بهِ بل ليثبت ان الحقائق التي يعلمها قد تسلَّمها من الله · أُنصت ! هوذا يتكلم »

واذ ذاك ساد السكوت على الجميع وارتفع صوت يسوع صافيًا حلوًا يرنُّ كانهُ بوق سماوي · ثم الــتى يا ابي

العزيز موعظة ملآنة حكمة ومحبة للناس ولله ومشحونة بمعرفة قلوبنا ومفعمة بالقوة الالهية المقنعة حتى انهُ ابكى الوفاً وجعل الكل يتأثرون كانهُ قد كلمهم ملاك من السماء فصرخوا «لم يتكلم قط انسان كهذا . وبالحقيقة لم تنطق شفة بمثل هذه الحِكَم»

ولما فرغ من كرازتهِ رأى الكهنة انهُ قد استمال اليهِ قلوب الشعب فتلظَّوا غيظاً وحنقاً . واذ وجدوا انهم غير قادرين ان ينتقموا منهُ بطريقة أُخرى اغروا رجلاً شريراً من اهل اللصوصية وسفاكي الدماء يدعى غازيل فاستلَّ مدية بيدهِ وانسلَّ الى جهة يسوع وراءَ العمود قاصداً اغتيالهُ . وفيما هو يرفع يدهُ ليبتدرهُ بالطعنة التفت اليهِ يسوع واوقف يدهُ بمجرَّد النظر فقط ! . اما غازيل القاتل فلبث يابس اليد لا يستطيع ان يبدي حراكاً وهو مشهرٌ لدى الجميع بهيئة الحجر . فقال لهُ يسوع

«عد راجعاً الى الذين استأجروك فان ساعتي لم تأتِ بعد . ولا يكون لهم اقلُّ تسلط عليَّ حتى تتمَّ مشيئة ابي من جهتي» . فانحنى القاتل قدامهُ بمزيد التذلل ثم سقطت السكين من يدهِ ترنُّ على الرخام والقى بنفسهِ عند قدمي يسوع ملتمساً غفراناً . وهمَّ الشعب ان يمزق هذا اللص ارباً إِرباً لولا ان يسوع قال لهم

« دعوهُ ينطلق بسلام فسوف يأتي يوم يودُّ هذا فيهِ ان يضع حياتهُ لكي يخلص حياتي انا »

ثم حوَّل نظرهُ نحو الذين ارسلوا غازيل وقال « انتم ايها الكهنة المحاولون قتلي لماذا تطلبون حياتي ؟ لاني اشهد بشروركم الذاتية فانكم تضعون على اكتاف الناس احمالاً ثقيلة ولا تريدون ان تحركوا واحداً منها باصبعكم . فقد جئت الى خاصتي وهيكلي ولستم تقبلونني فسيأتي يوم يُهدم فيهِ هذا الهيكل . ولا يبقى منهُ حجر على حجر . وبعض الذين يسمعونني الآن سوف يبصرون وينوحون في ذلك اليوم . يا اورشليم يا قاتلة الانبياء وراجمة المرسلين اليها كم مرَّة اردت ان اجمع اولادكِ كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا . سوف تتركين مهجورة ومنبوذةً لانكِ لم تعرفي يوم افتقادكِ . واما انتم الذين يرومون النجاة من هذه الاضطرابات فاطلبوا الدخول الى ملكوتي الذي لا نهاية لهُ واهربوا الى اورشليم العليا التي اساسها ابديٌّ وهيكلها الرب الاله القادر على كل شيء . وهو ايضاً نورها ومجدها »

فارتفع صراخ عظيم من نحو عشرة آلاف صوت « السلام ليسوع ملك اسرائيل ويهوذا ! اوصنَّا لرئيس بيت داود ؟ لا نريد ملكاً علينا سوى يسوع »

واذ كان هذا الهتاف قد أُعيد وبلغ صوتهُ الى خارج ابواب الهيكل الاربعة صرخ الكهنة باعلى اصواتهم قائلين ان الشعب في فتنة وعصيان· اما بيلاطس الذي كان خارجاً حينئذٍ مع بطانتهِ من دار الأمم فاذ سمع هذا الضجيج رجع ليسأل ماذا حدث · فاجابهُ على الفور احد الكهنة الذي كان يتمنى قتل يسوع قائلاً

« ان الشعب قد اقام يسوع الناصري ملكاً · وعندها انفذ بيلاطس رسلاً الى قلعة داود ليمدُّوهُ بالعساكر ورجع الى بوابة الهيكل يحمل على الشعب بالسلاح فتفاقم الخطب وكادت تهرق الدماء لولا ان يسوع أسرع في الاقتراب من بيلاطس بدون ان يدرك احد كيف استطاع اختراق الصفوف اليهِ وقال

« ايها الروماني ! اني لا اطلب ملكوتاً لكني افعل كما اعطاني ابي فليس من خطر على سيادتك ولا على سلطان رئيسك لان ملكوتي ليس من هذا العالم ! » فانحنى بيلاطس على رغم تكبره امام النبي وقال بملء الاتضاع

« حسبي ما قلتهُ ايها النبي فلست انوي القاء القبض عليك وقد سمعت عنك كثيراً أَفلا تريد ان تصحبني الى قصري فاسمعك هناك وارى منك آية ؟ »

« انك سوف تراني في قصرك ولكن ليس اليوم ·

ولسوف تشاهد مني آية ولكن ليس الآن» · ولما قال يسوع هذا لبيلاطس خرج من حضرتهِ فطلبهُ الذين ارادوا ان يقيموهُ ملكاً فلم يجدوهُ في مكانٍ · وكان من نتيجة عزم الشعب على تسمية يسوع ملكاً ان الحكومة الرومانية وقد اغراها حنان وباقي الكهنة اصبحت تنظر الى يسوع بعين التحرُّز والغيرة · وفي هذا الصباح قال بيلاطس لوفدٍ من الكهنة الذين جاءوا اليهِ متوسلين القاء القبض على يسوع وسجنه · انهُ عند اول شاهد يقدمونهُ على مقاومة يسوع لقيصر يرسل جنودهُ ليقبضوا عليهِ · واليوم اذ كان يسوع في بيت عمي اتى اليهِ كثيرون من الكتبة والفريسيين · وقد تبينت من هيئتهم المكفهرَّة انهم ينوون شرًّا ولذا بعثت «بألك» سرًّا الى عوميليوس (المدعو الآن لعازر) طالبةً منهُ ان يأتي لحماية يسوع لان عوميليوس يتعبد لهُ مثلنا ويسوع نفسهُ يسرُّ كثيرًا بتعليمهِ اياهُ الاشياء المختصة بملكوت الله

واذ عرف يسوع دخيلة اولئك الاردياء · قال لهم بعد ما جلسوا ولبثوا برهة صامتين

«لماذا اتيتم اليَّ؟» فقال يهورام احد رؤَساء الكهنة «يا معلم نعلم انك اتيت من الله معلماً ولا تخاف انساناً لانك لا تنظر الى وجوه الناس» فزادُ على ذلك صادوق

اللاوي وهو رجل رفيع المقام بين الشعب «نعم وقد سمعنا كيف تتكلم في كل حين ببأس ولست تخشى سلطة انسان — ولو كان بيلاطس او هيرودس نعم وقيصر ايضاً فلا ترهب جانبهُ وتحجم عن النطق بما تريد · أفيجوز لنا نحن اليهود شعب الله الخاص ان نعطي جزية لقيصر الوثني ؟ أَيليق بنا ان نطيع ناموس بيلاطس ونؤثرهُ على ناموس موسى ؟ · نحن انما نسأل هذا كيهود من يهودي فقل لنا باخلاص لانك لا تخاف وجه انسان» فقال يهورام «ليكن السؤَال محصورًا في تقديم الجزية للرومان · أَفيجوز لنا يا معلم نحن الامة المقدسة ان نعطي الجزية للامبراطور قيصر ؟»

فنظر اليهم يسوع وقد اطلع على مكرهم وخبثهم وقال «اروني معاملة الجزية» · فاراهُ صادوق قطعة من النقود الرومانية الجاري التعامل بها في اليهودية من قبل قيصر والتي تدفع منها الجزية · فاخذها يسوع ونظر اليها فاذا برأس اوغسطس منقوش على جانب منها · فالتفت اليهم وهم ينتظرون جوابهُ بفروغ صبر وقال لهم «لمن هذه الصورة والكتابة ؟» فاجابوهُ جميعهم «لقيصر» فقال لهم بكل رزانة «اذًا اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله» ·

فسُرّيَ عن قلبي اذ ذاك لاني خفت انهُ يجيبهم علانيةً

بوجوب الامتناع عن تقديم الجزية كما كانوا يأملون فيشكونهُ الى بيلاطس انهُ يعلم برفض تقديم الجزية للرومان على ان الحكمة الالهية في جوابهِ نفت ما كنا نحاذرهُ • فنظر اليهِ اعداؤهُ الكتبة واللاويون متعجبين • ثم تبادلوا فيما بينهم نظرات الخيبة والفشل ومضوا

فهذه حكمتهُ يا ابي العزيز حتى ان اعداءهُ لم يستطيعوا الانتصار عليهِ • فيا ليتك كنتَ قادرًا ان تنظرهُ وتسمع كلامهُ وأرى انهُ يجمل بك ان تزور اورشليم فتصغي اليهِ وتشاهد آياتهِ التي يُجري منها كل يوم واحدةً او اثنتين • حتى ان الامراض والاوجاع والبرَص وسائر انواع الاسقام تكاد تزول من اورشليم وكل اليهودية • وحينما جاءَ عوميليوس ووجد يسوع وحدهُ مع أُسرتنا سالمًا اظهر غاية سرورهِ فقال لهُ يسوع «يا عوميليوس هوذا قد صرت الآن يهودياً فلم يبقَ عليك سوى خطوة واحدة حتى تدخل ملكوت السماوات»

فسأَلهُ بلسان الاهتمام «اية خطوةٍ هذه يا سيدي العزيز؟»

«ينبغي ان تعتمد بالروح القدس فتنال الشركة في الحياة الابدية»

«ربوني • قد ظننت اني بصيرورتي دخيلًا في دين

شعبك اكون تلميذ موسى وانال ختم الحياة الابدية فهل يعوزني شيءٌ آخر»

«نعم ان تصير تلميذاً لي · انا خاتمة ناموس موسى · كل من يؤمن بي ولو مات فانهُ يحيا لانني اعطي حياة ابدية لجميع الذين يؤمنون بي· لكنك لا تعرف الآن ما اقول· سوف تعرفهُ فيما بعد»

وكان من نية عوميليوس ان يسألهُ عن اشياء أُخر · على ان يسوع تركهُ وخرج الى البستان حيث قضى القسم الاكبر من الليل في التأمل والصلاة

سررت جدًّا يا ابي العزيز لانك سمحت لي ان ارافق الرباني عاموس الى قيصرية وسوف نسير اليها في استهلال القمر ولا ازال واثقة بان كل ما كتبتهُ اليك عن يسوع لم يذهب عبثاً بل سوف يجعلك مثلي ومثل الوف من بني اسرائيل تساق للايمان بانهُ هو المسيح منقذ يعقوب

ابنتك

المطيعة والمحبة

ادينا

الرسالة الثالثة والعشرون

ابي العزيز

بفرح لا مزيد عليهِ اطلعت على رسالتك الكريمة التي تعلن لي بها انك قادم من مصر مع القافلة الآتية في عيد الفصح المقبل لزيارة اورشليم وعليهِ فلا بد انك تكون الآن على الطريق قرب مدينة غزَّة حيث كما قال لي عمي عاموس تنزل القافلة غدًا مساءً · هوذا قلبي يخفق ابتهاجاً ويكاد يثب مني لاعتناقك وعيناي تذرفان دموع الفرح حين افتكاري بانني عما قليل اتمتع بمشاهدة طلعتك البهية· واشنف مسمعي بنغمات صوتك الابوي الشجية · وقد زادني سرورًا انك تكون هنا حين يكون يسوع في اورشليم لانهُ قيل ، ويوحنا زوج مريم يحقق ذلك ، ان يسوع سوف يكون بلا ريب في عيد الفصح · فاتمنى من

كل قلبي يا ابي العزيز نعم اتمنى انك تراهُ لانني موقنة انك لا تقوى على رفض الاقتناع بانهُ هو مسيًّا الذي كتب عنهُ موسى والانبياء • وهَبْ ان كلام الحكمة الخارج من شفتيهِ لم يكفِ لاقناعك فالآيات التي يجريها تثبيتاً لرسالتهِ الالهية اعظم من ان تقاوم وهي آخذة يوماً فيوماً في الانتشار والشيوع بما يورث العجب العجاب • ويقضي بحيرة الافكار وذهول الالباب • ولم نرَهُ قط يستمد هذه القوة الالهية لتعظيم ذاتهِ او لاجل صيانة حياتهِ (لانهُ كثيراً ما تعرض لاخطار الاغتيال من اعدائهِ) بل ليجعلها بينة على صدق اتيانهِ من الله

وكما انهُ لم يتكلم انسان قط نظيرهُ كذلك لم يعمل انسان الآيات التي هو يعمل فقد حوَّل الماء خمرًا وشفى بكلمةٍ ابن مدبر بيت هيرودس المائت وهو بعيد عنهُ عدَّة فراسخ • وسكَّن هياج بحر طبرية بان قال لهُ «اسكت!» • واخرج الارواح النجسة من مجانين كثيرين وفي خروجها اقرَّت بقوتهِ واعترفت على رغم ارادتها بانهُ هو المسيح ابن داود • وقد كتبت اليك عن اقامتهِ ابنة يايروس وابن الارملة في نايين وعلاوة على آيات الشفاء واقامة الموتى وُجد ماشياً على البحر على بعد فرسخ من الشاطىء كانهُ على اليابسة واذ نظرهُ كثيرون من الصيادين امتلأوا خوفاً

واقلعوا يطلبون البر . وقد ارجع النظر لعميٍ ذهبت عيونهم وصنع اعضاء جديدة لاناس فقدوا سيقانهم واذرعهم من زمان طويل . وفي الاسبوع الماضي جاءَ اليهِ عالي المفلوج الذي انت تعرفهُ وهو كاتب من اللاويين يبست يدهُ من تسع سنين وصار يعيش على صدقات الساجدين في الهيكل

ففيما يسوع جالسٌ معنا في آخر النهار اذا بعالي قد دخل ووقف ينظر الى يسوع خائفاً ومرتعداً بدون ان ينطق بكلمة . واذ عرفت مرادهُ دنوت منهُ وقلت لهُ «لا تخف يا عالي اسألهُ فيمنحك شفاء تامًّا ؟»

«آه يا سيدتي اخاف ان يكون هذا فوق ما تقدَّر لي السعادة انتظارهُ واكثر مما اجسر ان اراهُ في الحلم لكنني جئت اليهِ راجياً» . قال هذا بصوت مرتجف والدموع تنحدر من عينيهِ متذكرًا شدة فاقتهِ وشقاءِ حالتهِ . ثم زاد عليهِ «أَنَّى لي ايتها الفتاة ان اكلم النبي العظيم انا المتسوّل عند باب الهيكل ! فكلميهِ عني والرب يبارككِ . هوذا لساني لاصق بحنكي !»

اما يسوع فلم ينظرهُ الى هذا الوقت لانهُ كان ملتفتاً نحو الرباني عاموس يفسر لهُ معنى ذبيحة هابيل . ثم اضرب عن هذا الموضوع وقال بصوت حنون وهو بعد معرض لم يلتفت

تعالَ يا عالي واسأل عما في قلبــك ولا تخف • فان تؤمن تنل كل سؤلك ! » • واذ ذاك تقدَّم عالي وسقط عند قــدمي يسوع يقبلها وقال « ربوني اني بائس وخاطئ وأُومن انك المسيح ابن المبــارك ! » فسأله يسوع متفرساً فيهِ « أتؤمن يا عالي اني استطيع ان اشفيك ؟ » فاجابــهُ منحنياً الى الارض « اني أُومن يا سيد » • « مغفورة لك خطاياك • فقم واذهب الى بيتــك ولا تخطئ بعد لئلَّا يكون لك شرٌّ » • فصرخ الكاهن منسى « هذا الرجل يغفر فيخطئ • هو ؟ انــهُ يجدّف ! لان الله وحــدهُ يغفر الخطايا فيدعو نفسهُ الله ؟ » قال هذا ونهض ممزقاً جبتــهُ وبصق على الارض مقتاً واستكراهاً • فقال لهُ يسوع بكل رزانة

« يا منسى قل لي ايما ايسر — ان يقال لهــذا الرجل الجاني ' مغفورة لــك خطاياك ' ام ان يقال لهُ مــدَّ يدك صحيحة كالاخرى ؟ » فاجاب منسى متعجباً من هذا السؤَال « ان فعل الامر الاخير اصعب جدًّا »

« ومن يقدر ان يفعل هذا ايها الكاهن ؟ » فاجابهُ منسى ناظرًا الى اليد اليابسة المعلقة بكتف عالي ميتــة لا حراك لها « الله وحدهُ الذي جعل هذا الانسان هكذا من البداءَة » • « فاذًا ان كان الله وحدهُ هو الذي يشفي ويغفر

الخطايا فكلا العملين يا منسّى يكون من الله » · ثم قال للمفلوج « لذلك اقول لك يا عالي مدّ يدك صحيحة ! »

واذ ذاك نظر عالي في وجه يسوع كمن يريد ان يستعين بثقة القوة المشرقة عليهِ · ثم حرَّك يدهُ حركة عنيفة مظهراً يبوستها التامة · ومدها على طولها وفي الحال اكتست تلك اليد باللحم والعضلات واخذت تنبض بدم الحياة· وصارت صحيحة كالاخرى · وقد حصل هذا التغيير بسرعة لا مزيد عليها وتمَّ قبلما ندرك كيفية حدوثهِ· اما عالي المأخوذ بالعجب والدهشة فحنا مرفقهُ وفتح يدهُ واطبقها وجسَّ لحمها وضغطها بيدهِ الاخرى قبلما تحقق شفاءها ثم رفع صوتهُ يسبح الله وطرح نفسهُ عند قدمي يسوع صارخاً « انك لست انساناً بل ملاك الله جبرائيل ! »

فقال لهُ يسوع « قد شُفيت الآن يا عالي فاسجد لله واذهب ولا تخطىء فيما بعد ! »

« حقاً يا معلم انت تعلم كل الاشياء · هوذا خطيتي لم تكن مستورة عنك وكنت اظن ان ليس من عين تراها » ·
ثم قال يخاطب الحاضرين « ايها الرجال الاخوة حسناً قال لي اولاً هذا النبي الصالح او الملاك الالهي مغفورة لك خطاياك · لان خطية عظيمة ارتكبتها سبَّبت لي الفالج قصاصاً وذلك باني زوَّرت مرَّةً رقماً في جدول نسخة

لفينحاس اللاوي جابي خراج الهيكل لاجل ربح اربعة شواقل من الفضة وفي الحال شعرت بضربة الفالج ويبست يدي وكان ذلك لي عقاباً من الله . وقد مرَّ عليَّ ثماني سنين ولم يطلع احدٌ غيرهُ تعالى على عملي الاثيم هذا ولكنني ندمت عليهِ ندماً شديداً . ولذا لخمسنا قال لي سيدي النبي القدير ‹مغفورة لك خطيتك› . لانني منذ استماع هذه الكلمة شعرت بتحويل القصاص عني وجريان دم الحياة في عروق يدي المائتة ! »

وعندما فرغ عالي من اعترافهِ صرخ منسى بلسان التعجب والدهش « بالحقيقة ان الله صالح لاسرائيل وقد اتت ساعة وعدهِ . فحقًا انك يا يسوع الناصري ‹ ابن العلي › فسامح دودةً من تراب واغفر خطاياي ! » . ثم سقط هذا الكاهن المتكبر عند قدمي يسوع وارخى عليها ضفائر شعرهِ البيض خشيةً واجلالاً

فان كان سرّ خطايا الناس معلناً ليسوع وان كان يغفر الآثام . كما يشفي الاسقام . فاي اسم وقوة وسمو ينبغي لنا ان ننسب اليهِ ونطلق عليهِ ؟ أفلا ندعوهُ مع اشعيا . « عجيباً مشيراً الهاً قديراً اباً ابدياً رئيس السلام . لنموّ رياستهِ وللسلام لا نهاية لهُ على كرسي داود وعلى مملكتهِ ليثبتها ويعضدها بالحق والبرّ من الآن الى الابد ؟ »

لانهُ كما قال منسّى . «مَن يغفر الخطايا غير الله ؟»

وكيف استطيع ان اذكر فاكتب اليك بالتفصيل كل القوات التي صنعها يسوع بينة على قوتهِ الالهية! ولا بد انك سمعت كيف انهُ اشبع من سلة خبز صغيرة (زاد زهيد اتى بهِ فتىً قوتاً لامهِ واخوتهِ) لا اقل من خمسة آلاف رجل ما عدا النساء والاولاد . وهذا الجمع كان قد تبعهُ من المدن ليسمع تعاليمهُ — شعباً مختلفاً في الجنس واللسان . وبينهُ عدد ليس بقليل من قواد الرومان . ولما جاع هذا الحشد الكثير امرهُ يسوع ان يتكئَ على العشب الاخضر . ثم اخذ من السلة خبزاً كان يزداد في يدهِ وهو يوزع عليهم حتى انهُ بعد ما شبع الكل رُفع من الكسر اثنا عشر ضعف الخبز الاصلي فمن يقدر يا ابي العزيز غير مسيًّا ان يفعل هذه الآية ؟ ألم يكن هذا الذي استطاع ان يصنع خبزاً حسب مسرتهِ هو رب حصاد الارض . وحينما اتأمل قدرة يسوع وقوَّتهُ وجلالهُ تأخذني الحيرة والانذهال واخاف ان اسأل ذاتي «من ذا الذي هو اكثر من انسان ؟ أترى هذا هو يهوه اله سيناء المخيف متمثلاً بهيئة بشرية؟»

فيا لهُ من سرّ غريب عجيب حارت بهِ الافهام! ان انساناً مؤَيداً بقوَّة قديرة يمشي في الارض مُظهراً يهوه رب الجنود ويكلم الناس ويسكن في مسكننا آكلاً وشارباً معنا

وينام تحت سقوفنا ! • فلست اجسر ان اركن الى افكاري في التعمق في البحث عن سرّ مسيره بيننا بقوة الله غير المدركة • وقد قال لنا يوحنا تلميذهُ الحبيب انهُ اخبره بوشك مجيء اليوم الذي فيه يزول البرقع فنعرفهُ من هو ومن اين اتى الى العالم وما هي نتائج بعثتهِ للبشر • وقد اقترب وقت الفصح حين نشاهد جلال طلعتهِ ونتيمن بحضوره • وقد سمعت مؤَخرًا ان لعازر اخا مريم ومرثا أُصيب بغتةً بمرضٍ وعليهِ اختم هذه الرسالة تأَهبًا للذهاب مع ابنة عمي مريم وابيها الى بيت عنيا لعيادة صديقنا المريض شفاهُ الله

ابنتك

ادينا

الرسالة الرابعة و العشرون

ابي العزيز

اخبرتك في ذيل رسالتي الاخيرة ما بلغنا من ان لعازر اخا مريم ومرثا مريض جدًّا· وقد جاءَ الينا بهذا النبإِ المحزن أَلك العبد الجبعوني فقصهُ علينا والدموع ملء عينيهِ · ففى الحال قمت انا ومريم ابنة عمي نتأهب مسرعتين للذهاب الى بيت عنيا· فهيأَ لنا عمي عاموس بغلين للركوب ووعدنا بانهُ بعد ما يفرغ من خدمتهِ المسائية في الهيكل يتبعنا على الاثر

فخرجنا نجد المسير مصحوبتين بخادمنا الامين الذي كان يحثنا على الاسراع في الجري وهو يرفع من وقت الى آخر يديهِ وعينيهِ مبتهلاً الى الله لاجل سلامة صديقنا المشرف على الخطر · منذرًا بعظم خطب أُختيهِ ان فجعتا بهِ

لانهُ كان كما كتبت اليك سابقـاً سندهما الوحيد يعولهما بتعب يديهِ في كتابة نسخ من اسفار الانبياء لكثير من المجامع المختلفة

ومع ثقتنا باننا لسنا بقادرتين ان نفيد تينك الاختين شيئاً في اسراعنـا اليهما كنا نرجو ان وجـودنا عندهما ومشاركتنا لهما في هذه المصيبة الفادحة يخففان عنهما شيئاً من الحزن والكدر

وفيما نحن نسير بقرب جبل الزيتون سألت مريم ألك قائلةً «ألا تعلم ما هذا المرض الفجائي الذي اصاب لعازر؟» فاجابها هازًا رأسهُ «كلَّا يا سيدتي لست اعلم عن مرضهِ شيئاً فانهُ بالامس رجع من المدينة حيث كان مكبًا الليل والنهار مدة اسبوع على نسخ اسفار موسى الخمسة للقائد الروماني الذي وعدهُ بانهُ يعطيهِ عليهـا مبلغاً عظيماً من الاجرة»

فسألتهُ وقلبي يكاد يناجيني بالجواب «وما اسم هذا القائد الذي يهتم بالحصول على كتبنا؟»

«يقولون انهُ الامير عوميليوس الذي احتفل بتهوُّدهِ في عيد الفصح الغـابر» · وليس بخافٍ عليـك يا والدي اني سررت سرورًا عظيماً لدى تحقق رغبة هذا الامير الزائدة في مطالعة نواميسنا المقدسة · ثم استطرد ألك كلامهُ

قائلًا «وقد كان شغلهُ هذا الشاق باعثاً على مرضهِ فانهُ لم يطلب لعينيهِ نوماً ولا لجسمهِ راحة حتى اكملهُ · وحينما رجع الى بيتهِ وفي يدهِ النسخة المفضضة القاها على المائدة امام أُختيهِ وسقط لساعتهِ على الارض مغشياً عليهِ ! وبعد ما انهضتاهُ اخذتهُ حمى شديدة واستحكم فيهِ الهذيان بحيث لم يعد يعرف احداً حولهُ»

فصرختا كلتانا معاً «أسفاً عليك يا لعازر !» ثم حثثنا الركاب مسرعتين جهدنا وقلبانا ينزفان دم الحزن على حالتهِ وحالة اختيهِ المسكينتين وقد اخبرتك في رسالة سابقة عن حسن صفات هذا الشاب المتجمل باحلى الخصال وافضل المزايا حتى انهُ اكتسب بفضائلهِ صداقة النبي يسوع المساوي لهُ في السن والذي كثيرًا ما كان ينزل عندهُ ويصحبهُ في قيامهِ وقعودهِ · فكانا كيوناثان وداود في عصر بلادنا الذهبي المجيد

وبعد نصف ساعة من مبارحتنا بوابة المدينة اقبلنا على بيت عنيا وشاهدنا سطح بيت لعازر وابصرنا عليهِ مريم واقفة تراقب الطريق نحو اورشليم فما لبثت بعد ما رأتنا ان اشارت بيديها علامة التلهف والشوق الينا وبعد بضع دقائق اتيناها نتعانق ونمزج دموعنا بدموعها وفيما هي داخلة بنا الى البيت سألتها وانا بالجهد استطيع تفسير

الكلام «ألا يزال حياً؟» . فاجابت «نعم لكنهُ آخذٌ في النزع والانحلال ساعة بعد ساعة فالله يبارككما كلتيكما على اسراعكما في افتقادنا» . وعندها استقبلتنا مرثا في باب المخدع الداخلي تغشاها صفرة الحزن والغم . ثم وضعت يديها في ايدينا واسرَّت الينا بصوت تقطعهُ انفاس الكآبة واليأس . «قد جئتما ايتها الصديقتان المحبوبتان لتشاهدا اخي يموت !» ثم قادتنا الى حيث كان المريض ملقىً على فراش الضنى تتنازعهُ اعراض دائهِ العياء . وتُفعم قلوب الذين حولهُ كدراً لا يُبقي على الصفاء . ولما احسَّ بدخولنا حوَّل نحونا عينيهِ الساطعتين بنور البهاء وابدى لنا تبسماً اعرب بهِ عن شكره لحضورنا . فقالت لي مرثا «قد نام قليلاً لكنَّ الحمَّى ضاغطة عليهِ بوطأتها الشديدة . فقد اغمض عينيهِ ثانيةً وظهر متثاقلاً لكنَّ نومهُ مضطرب كما ترين ويظهر انهُ يظن ان صديقهُ يسوع في جانبهِ ويتكلم عن راحيل كأنها غائبة عنهُ» . فسألتها مستعدة للخروج معها من الغرفة مخافة ان نثقل عليهِ بوجودنا . «ومن هذه راحيل ايتها العزيزة مرثا» فاجابت «اوَّاه ! انهُ لاجل محبتهِ الشديدة لراحيل ترينهُ الآن مطروحاً على فراش السقم فهي تلك الفتاة الجاثية على الجانب الآخر من فراشهِ وقد اخفت وجهها الغريق بدموعها تحت ثنيات الستائر وليست تفارقهُ

دقيقــة ومع انهُ في الظاهر غــير شاعر بوجودها كان منهُ حينما خرجت مرة او مرتين من الغرفة ان استيقظ على الفور ودعاها»

واذ ذاك التفتُ أُنعِم النظر في تلك الفتاة المنحنية على وسادتهِ ويدها قابضة على يدهِ . فرفعت نظرهــا واما لتهُ نحوي . واذا بوجهها غاصٍ بمجاري العبرات المنحدرة عليهِ كانها قطرات الندى وعيناها النجلاوان تتألقان بنور اللطف والمحبة السماويين وشعرها الاسود الناعم يشتدُّ حلكاً وهو يتموج تحت اشعة النور الواقعة عليهِ وحينما التقت عيناها وعيناي ظهر لي كانها ضمتني الى نفسها وتراءى ان قلبي يعانــق قلبها . وعندها تحرَّك لعازر ولجلج ناطقــاً باسمها فحوَّلت نظرها عني وانحنت عليهِ تظللهُ كملاك . وفيما انا خارجة مع مرثا الى فسحة الدار سألتها «من عسى ان تكون هذه الفتاة الجميلة ؟» فاجابت «انها خطيبة اخينا المحبوب . تعــالى اجلسي تحت ظل هذه الدالية فاحدثكِ بقصتها المحزنة . فليس بخافٍ عليكِ ايتها العزيزة ادينا ان لعازر كاتب في الهيكل وبواسطة دأبهِ واجتهادهِ حصلنا على كل اسباب الراحة بل السعادة والرفاه ايضاً فكل ما تملكهُ ايدينــا هو من فائض دين محبتهِ الابوية الاخوية . وقد بعثتهُ محبتهُ الشديدة على هجر مسرات الاجتماع بغيرنا اذ انهُ وجد كما

قال رباط محبتنا الاخوية كل ما فيهِ سعادتهُ وهناؤهُ ولذا كان قلبهُ خالياً من الميل نحو جميع الفتيات اللواتي هنَّ من معارفنا وصديقاتنا · ولما انضمت امنا الى آبائها منذ بضعة اشهر قال لنا انهُ شعر بالاكثر بوجوب وقف حياتـهِ على اعالتنا وتكثير وسائل سعادتنا · امـا انا واختي فكنا بمزيد الفرح نلحُّ عليهِ بان يختار لنفسهِ رفيقة حياة ضامنتين الراحـة والسعادة لاية فتاة يتخذها لهُ زوجـةً من بنات اسرائيل لكنـهُ كان بعد الحاجنا والحاحنـا يجيبنا باسماً وهازلاً ان ليس لهُ سوى قلب واحد صغير وهذا فيهِ من المحبة لي ولمريم ما يحول دون وسع محبة أُخرى

« ومنذ بضعة اسابيع بينما كان جالساً على انفراد في غرفة النسخ في الهيكل مكباً على شغلهِ يهيّئ نسخةً للامير عوصيليوس الذي طلب منهُ اتمامها في يوم معيَّن ووعدهُ عليها باجرة باهظة اذا بفتاةٍ دخلت عليهِ فجأَةً وهي مذعورة كانها هاربة من مطاردين وحينما ابصرتهُ خفَّت اليـهِ وسقطت عند قدميهِ تلتمس لنفسها نجاةً وحمايةً فوعدها بذلك وطيَّب قلبها · وقد اخذ منهُ العجب والانذهال كل مأخذ لـكنـهُ بالجهد فرغ من كلامهِ هذا معها حتى دخل حنان ودنا منها ووجههُ ممتقع اضطراباً وهياجاً وصوتهُ يشتد خشونة وارتفاعاً وطلب من اخي تسليم الفتاة · فاجابهُ اخي ببسالة كلا يا

سيدي حنان . فهب انها حمامة سقطت عليَّ تحتمي بي من مخالب صقرٍ يطاردها أفما كنت أُقدِم على حمايتها ? فكم بالحري فتاة طريدة من بنات ابرهيم !' قال هـذا ووضع نفسهُ بـين حنان والفتاة فردَّ عليهِ حنـان بلسان الرجز والسخط

«او تجسر ان تحول دونها ? انهـا ابنتي وهي فتاة متمرّدة شريرة وبنت بليعال ! فسلمها الى يدي ايها الكاتب والآَ قدتك في الحال الى ارداِ سجن في قلعـة داود' . فصرخت الفتاة حين اقتراب حنان منها ليقبض عليها خلصني! خلصني ! اني لست البتة ابنتهُ بـل انا يتيمة الرباني لاوي الذي اقام عليَّ وصياً هذا الكاهن الكاذب ولم اكن عالمة انهُ سيبيعني بزواج فاسد انا وميراثي الى قائد يوناني في جند الرومان رشاهُ بمبلغ عظيم من الذهب لكي يحصل عليَّ حتى هذه الساعة حين همَّ ان يسلمني اليهِ فاركنت الى الفرار ولجأتُ الى مذبـح الله التمس لنفسي نجاةً انكرها عليَّ الانسان وقد ضللت الطريق وساقتني التقادير اليك واني لافضل من كل قلبي ان اطرح نفسي من اعلى الهيكل على الاقتران بهذا اليوناني المخيف الذي يروعني منظرهُ للغاية!». قالت هذا وقفزت من شباك الغرفة الى حافة صخرٍ شاهق قائم فوق وادٍ عميق على علو ثلاث مئة قدم ووقفت هناك

تُولي لعازر من فعلها هذا اعظم الخوف واشد الدهش . فقال لحنان

« انك ترى يا حنان ماذا كانت نتيجة شراهتك وطمعك بالمال . أكان من ارض اسرائيل ان تصل الى هذه الدرجة من الدناءة ؟ فيُقدِم رئيس كهنتها على بيع بناتها بالذهب لاجل شهوات الامم ؟ بل أهذا حق الوصاية التي وكِلَتْ اليك على هذه اليتيمة ؟ فدعها وشأنها انها تبقى ضيفة مقدسة عند اختيَ حتى اجد لها من تلوذ بهِ فيحميها ! »

« سوف تجازى على كبريائك هذه ايها الشاب . وانت تعلم اني قادر ان اقرن القول بالفعل »

« انت تعلم يا سيدي حنان ان هذه الفتاة لجأت الى جناح مذبح الله تلتمس التأمين والوقاية فان اصررت على اضطهادها شكوتك لا محالة الى بيلاطس البنطي وليس بخافٍ عليك كيف يقتص العدل الروماني من كل يهودي اثيم »

« فداخل الكاهن الخوف من جراء تهديد اخي اياهُ بالشكوى الى بيلاطس فخرج ينفث سموم الضغينة والحقد . وفي ذلك اليوم جاء لعازر بالفتاة التي دللتك عليها الآن الى بيتنا ولا تزال مقيمة عندنا وقد أسرت قلوبنا بمحبتها . اما بيلاطس فبعد ما رفع اليهِ لعازر دعوى هذه الفتاة جعلها واخي تحت كنف حمايتهِ . ولكي يتمكن

لعازر من تحصيل دارهم تكفي نفقات اقترانهِ براحيل سقط فريسة شغل شاقّ نهك قواهُ وغادرهُ طريحاً على شفار القبر»

فسألتها بعد ما اصغيت اليها هذه المؤثرة «أَما من أمل بشفائهِ ؟»

«كلا فالاطباء يقولون لن يبرأَ من مرضهِ»

«انما باقٍ رجاءٌ واحد»

«وما هذا الرجاء ؟»

«ان يشفيهُ يسوع! فارسلي استدعيهِ يا مرثا فيأتي ويعيدهُ صحيحاً معافى»

وما اكملت جملتي هذه حتى دخلت مريم وقد سمعت ما قلت وهي تصرخ بصوت الفرح

«ان يسوع يستطيع ان يشفيهُ وهو يحبهُ كثيراً . وسوف يأتي ويخلصهُ حين يسمع انهُ مريضٌ وفي حالة الخطر» . وفي الحال كتبت على قطعة رق ما يأتي

«يا سيد ان الذي تحبهُ مريض . فاسرع الينا لكي يحيا . اذ لا شيء غير مستطاع لديك»

وقد حمل هذه الرسالة بعض الاصدقاء الى بيت عبرا في عبر الاردن حيث يسوع الآن . وعليهِ فلا رجاء لنا من

جهة قريبنا العزيز بسوى قوة النبي يسوع

لابنتك المحبة

ادينا

* * * *

الرسالة الخامسة والعشرون

ابي العزيز

باشد الحزن والاسف انقل اليك خبر موت لعازر! وفي وسط انين ونحيب اختيهِ المتوجعتين لفقدهِ . وفي فيض دموعي الغريقة بها عيناي اللتان بالجهد تستطيعان رؤية ما اكتبهُ أنعى اليك فقيدنا الحبيب . فيا لها من ضربة فاجعة. ومصيبة قاصمة صادعة! هوذا يد الرب قد وقعت ثقيلة

على هذه العائلة وانتزعت منها قِوامها ورُكنها بل اقتلعت السنديانة التي تعرَّشت عليها الاختان اللتان هما اشبه شيء بالكرمة٠ نعم ان حاجتها الى اخيهما اشدّ من حاجة الكرمة الى السنديانة المعرشة عليها٠ والآن قد انطرحتا على الارض معفرتين بالتراب عانيتين لحكم العزَّة الالهية الذي ليس له من مردّ ٠ فليكن اسم الرب مباركاً الى الابد

وقد كتبت اليك يا ابي العزيز غير مرة عن حسن سجايا لعازر وطيب اخلاقهِ وكيف انهُ بواسطة انصبابهِ على الكتابة في غرفة النسخ في الهيكل كان يسعى في اعالة امهِ واختيهِ بينما هنَّ كنَّ يجتهدنَ ايضاً بواسطة تطريزهنَّ وسائر اشغال الابرة التي كان لهنَّ فيها اليد الطولى ان يخففنَ شيئاً من اتعابهِ وينقصنَ قليلاً من اهتماماتهِ وقد كان لعازر متخذاً عند الشيوخ مثالاً لشبان اسرائيل في فضيلة الاخاء والامانة في السعي والاجتهاد كما كانت اختاهُ نموذجاً بين الفتيات في العفة والتقوى والتدبير فقد كان منزلهما على حقارتهِ محط رحال الضيافة والانس والرحب وقبلة الترتيب والاتقان بحيث كان نبي الله يسوع على الدوام مرتاحاً الى النزول فيهِ كلما مكنتهُ اشغالهُ وسمحت لهُ احوالهُ للاستراحة من اعمالهِ الشاقة ٠ وكانت مريم تبذل جهدها في اكرامهِ واظهار محبتها واعتبارها لهُ ٠ وقد طرَّزت لهُ

غطاء حريرياً لكتب الانبياء التي نسخها لهُ لعازر واهداهُ اياها بينما كانت مرثا تهتم في عمل مـا تعظم بهِ مسرّتهُ وتزداد شهوتهُ الاكل وعليهِ فلم يكن يسوع يجد من يصغي الى كلمات الحكمة المتدفقة من فيهِ مثل مريم — التي احبت ان تجلس عند قدميهِ وتسمع اقوال النعمة الخارجة من شفتيهِ

وفي ذات يوم بينما كنت انا ومريم ولعازر نصغي الى تعاليمهِ السماوية بزيد الارتياح والاستلذاذ اذا بمرثا التي كانت تعدّ الطعام جاءت وطلبت من مريم ان تذهب وتساعدها · لكن مريم لم تبالِ بها ولا سمعت لكلامها بل ظلت مهتمة بتحصيل الطعام السماوي المنحدر من شفتي يسوع اذ كان يكلمنا عن ملكوت الله وامجاد السماء وعن شدَّة حاجتنا الى القداسة التي بدونها لا نقدر ان ندخل ذلك الملكوت ونرث تلك الامجاد . ولما وجدت مرثا ان اختها مريم اغفلت طلبها ولم تحفل بهِ قالت ليسوع

«يا سيد أَلا يهمك ان اختي تركتني اخدم وحدي ؟ قل لها ان تأتي وتساعدني » . فنظرنا اليها جميعاً متعجبين لا ندري مـا الذي حملها على مخالفة طبعها الرصين اللطيف والنطق بمثل هذا قدام النبي · وفيما لعازر مهتمّ بالاعتذار عنها التفت يسوع وكلمها متلطفاً

«مرثا مرثا انتِ تهتمين وتضطربين لاجل اشياء كثيرة وهوذا اعمالكِ المنزلية تستغرق قسماً كبيراً من وقتك وافكاركِ مع انهُ ليس في العالم سوى امر واحد يستحق اهتمام الناس واعتناءهم وهو سدُّ حاجة النفس فقط لان الجسد يبيد وقد ظهرت مريم احكم منكِ في الاختيار لانها بينما انتِ تهتمين كثيراً في قضاء حاجات الجسد كانت هي تهتمُّ بقضاء حاجات النفس وهكذا اختارت النصيب الصالح الذي ان ينزع منها · فلا تهتمي ايتها الحبيبة مرثا ان تعدّي طعاماً فاخراً لي انا الذي لا يملك شيئاً وليس لهُ اين يسند رأسهُ !»

واذ ذاك سقطت عند قدميهِ وعيناها مغرورقتان بالدموع وصرخت قائلة «لا تقل هذا · ارجو ان لا تقول هذا يا سيدي العزيز فهذا البيت بيتك وبهِ ما دمنا احياء تسند رأسك فلا تقل هكذا يا سيدي !»

فأثر فينا كلامها تأثيراً عميقاً · اما يسوع فقال لها «اني اعلم جيداً ان محبتكِ هي التي تبعثكِ على الاهتمام الشديد بي لكنَّ لي طعاماً لستِ تعرفينهُ · فتعليمي حقائق الله كما تجدينني افعل لهولاء هو طعامي وشرابي لاني بهذا افعل مشيئة ابي الذي ارسلني»

وتراني يا والدي العزيز قد اطلت الكلام في شرح

الحالة الاهلية في منزل لعازر وذكر الصداقة العظيمة التي يذخرها اهل هـذا المنزل ليسوع ووصف محبـة يسوع الشديدة لهم · ومنهُ تدرك السر في انهُ حينما مرض لعازر أُرسل خبر الى يسوع وهو في بيت عبرا في عبر الاردن لان الطبيب الذي ارسلهُ قيافا من اورشليم الى بيت عنيا حين سمع بمرض لعازر وكان يحبهُ جدًّا نظير جميع الذين يعرفونهُ انذر بتفاقم الخطب واشتداد الخطر بسبب نزفٍ في الرئتين ولعلك تسأل يا ابي العزيز «فما الفائدة من استدعاء يسوع وهو ليس بطبيب وعلى فرض انهُ طبيب فما كان ليقدر على ردّ الموت عمَّن هو في حالة النزع!»

والحق ان استدعاء يسوع ليس كطبيب بشري بل كنبي الله ليصنع آيةً! وهذا يدل على ان اللتين عرفتا قوتهُ وتذكرتا آيتهُ العجيبة في نايين أيقنتا انهُ يستطيع تخليص اخيهما من مخالب الموت واستدعاؤهما لـهُ ليحول دون موت اخيهما برهان واضح على ايمانهما ليس بقوتهِ عـلى صنع المعجزات فقط بل بسلطانهِ على الموت ايضاً · وقـد ابصرتا منهُ بيّنات كافية حققت لهما عظم قوتهِ واقتدارهِ على انقـاذ اخيهما بينما كانتا واثقتين بان شدة محبتهِ لهُ تبعثهُ على القيام بذلك

وفي ذيل رسالتي السابقة اخبرتك بذهـاب الرسول

فبعد ما خرج يجدّ المسير وانقطعت عنا اصوات حوافر جوادهِ الذي انطلق على ظهرهِ ينهب الارض في عدوهِ دخلت الى المخدع حيث كان لعازر مضطجعاً فرأيتهُ بلون الكافور. وقد تضاعف حجم عينيهِ وازدادتا تألقاً واشراقاً وتصعَّب عليهِ التنفس ومست الحاجة الى رفع راسهِ مرّةً بعد اخرى لتطهير فيهِ من الدم الذي لم ينقطع تدفقهُ من مجاري حياتهِ و كان يتم ذلك بواسطة راحيل ومريم. وهذه حينما عطفت عليهِ تمعن نظرها بعين الاهتمام في وجههِ المصفرّ وتراقب ظلَّ كل تغيير يحدثهُ الموت المسرع في بسط جناحيهِ عليهِ قلت في نفسي اني لم اشاهد قط اجمل منها صورة بشرية! وقد ذهلت برهة عن النظر الى لعازر الذي كان محاطاً بذراعيها اللتين تفوقان الثلج بياضاً وراسهُ مسند الى صدرها وشعرها مرخىً عليهِ ضفائر تتدلى على جوانب الوسادة

وقد افتتحت هذه الرسالة بان نعيت اليك فقد لعازر الصالح الكريم التقي. وقد قضى نحبهُ راقداً شبه طفل يرقد في ذراعي والدتهِ وقد تدرج في الانحلال من شدة نزف الدم وازدياد النحول حتى أُغمضت عيناهُ وانقطع نبضان قلبهِ الى الراحة

فقد كان استدعاء يسوع بعد اوانهِ! فوااسفاه! كيف

قُضي بغتةً على هذا الشاب العزيز الذي شقَّ فقـدهُ على كل اليهودية !

استودعك الله يا ابي . ان قلبي مفعمٌ غمـاً وحزناً ولست استطيع الآن ان اكتب اليك اكثر من هذا فبعد غدٍ ارجع الى اورشليم ومن هناك اكتب اليك بالتفصيل . وقد قلت لي في رسالتك الاخيرة انـك عن قريب تبرح مصر آتيـاً الى اليهودية لكي ترجعني الى وطـني العزيز وادي النيل . فليحفظك اله ابرهيم ويوصلك سالماً لمشاهدة

ابنتك المحبة

والمطيعة

ادينا

الرسالة السادسة والعشرون

ابي العزيز

في رسالتي السابقة اخبرتك ان لعازر فارق الحياة! والآن اكتب اليك قائلةً انهُ عاش بعد الوفاة! لعازر حي! ذلك الذي شاهدت موتهُ ودفنهُ وختم حجر قبرهِ قد بُعث حياً من الاموات . في هذه الدقيقة بينما انا جالسة لاقص عليك حادثة قيامتهِ الخارقة العادة اسمع صوتهُ وهو آخذٌ في تفصيل ما حدث لهُ على مسمع شعب غفير من اورشليم . وبيلاطس الروماني نفسهُ قد اوقف مركبتهُ في هذا الصباح عند الباب ليسمع لعازر الذي مات والآن يتكلم معهُ

وليت شعري لست ادري باية لغة استطيع ان استوفي لك وصف ما حدث في خلال الاربع والعشرين ساعة

الماضية ! وباية واسطة يمكنني ان اجعلك تصدق ما عمدت الآن الى بسطهِ لديك ! . حقاً لا ادري كيف افتتح لك تقريري هذا العجيب لان الفرح يحول دون جمع افكاري والتعبير عمَّا في قلبي بلسان الكلام . فبالحقيقة ان الله قد افتقد شعبهُ اسرائيل مرة ثانية واعلن قوتهُ بيننا !

اخبرتك سابقاً عن مرض لعازر الفجائي وعن تهوُّرهِ في الحال الى درجة النزع وموتهِ . وكيف أُرسل وراء يسوع رجاء انهُ يأتي ويشفيهِ ولكن بيت عبرا بعيدة سفر يوم طويل فقبلما بلغها الرسول توفي لعازر وقضي الامر . وفي اليوم التالي دُفن فحضر للاحتفال بدفنهِ جمهور غفير من بيت عنيا واورشليم لانهُ كان محبوباً من الجميع حتى ان لوسيا متيلَّا امرأة بيلاطس جاءَت في مركبتها الى هذا الاحتفال اجلالاً لهذا الفقيد العزيز

وقد كانت الجنازة سائرة في خط طويل وازدحام الناس فائق الوصف حتى ان كثيرين من المارة الغرباء وقفوا يسأَلون عن السيد العظيم في اسرائيل او الرجل الشهير المحمول الى القبر فاجابهم البعض « لعازر الكاتب الهام ! » والبعض « شابٌّ وقف حياتهُ على اكرام والدتهِ ! » مع انهُ لو كان لعازر حياً لكان يودّ انهم يجيبونهم « هو لعازر صديق يسوع ! »

وقد كان لهُ هذا اللقب (صديق يسوع) وهو حيٌّ اشرف شيء يفتخر بهِ · اما الآن وقد مات فلا يريد سواهُ ايضاً · قرَّب الله يا ابي العزيز ذلك اليوم الذي فيهِ ترى انت ايضاً ان هذا اللقب اعظم واكرم من ذهب مصر بل من كل مجد سلفائك المتكبرين الذين هم من ذرية ابرهيم وداود!

وقد أُعدَّ قبرهُ في المغارة التي دُفن فيها قبلًا ابوهُ وامهُ · وكانت في وادٍ عميق تظللها اشجار السرو والنخل والرمان وفوقها احدور عالٍ مغشًّى باشجار الزيتون · وكان الامير عوميليوس معنا في حفلة الدفن وعليهِ علامة الحداد لانهُ كان محباً للعازر وقد أمسكت قلمي في المدة الاخيرة فلم اكتب اليك عن عوميليوس لاني لو تجرَّدت لذلك لشغلت عن كل شيء سواهُ لكنك سوف تراهُ عن قريب وعندها تحكم من جهة استحقاقهِ لثقتك واهليتهِ لمحبة قلبي · وهنا لا يسعني السكوت عن ابداء شكري لك يا والدي العزيز على انك لم ترفض اقتراني بهِ لكنك أَجلتهُ الى حين حضورك في اورشليم · فلتجرِ الرياح على مشتهى سفينتك الميمونة فتسرع بك الى يافا لكي يتهيأ لي عن قريب ان اعانقك واعرِّفك بالامير عوميليوس الذي هو من عابدي الهنا الامناء كانهُ ابن ابرهيم مولداً وليس دخيلًا فقط

وبعد ما جيءَ بالنعش الى قمة الوادي رُفع منهُ الميت وحملهُ اربعة شبان ومعهم عوميليوس يساعدهم الى المقبرة في بطن الوادي · وعند ما اتوا بهِ الى بابها توقفوا قليلًا ريثما تتزوَّد منهُ مريم ومرتا آخر نظرة وضمةٍ وقبلةٍ فقاسمتها حينئذٍ حزن ذلك المنظر الرهيب · وشاركتها في البكاء والنحيب · وبتُّ من جرَّاء هذا المصاب الفادح بنفسٍ آسفة وقلبٍ كئيب · وفيما الرجال يهتمون بادخالهِ الى داخل المغارة اذا بمريم انقضَّت باسرع من وميض البرق الى داخل وهي تصيح مولولةً «رحماكم ! قفوا قليلًا عليَّ · دعوني اودعهُ قبلما توارونهُ عن عينيَّ · فيا لوعتاهُ عليك يا أخيَّ · ليتني متُّ عوضاً عنك يا حبيبي لعازر ! اني اودُّ ان اضطجع هنا مع الدود واودعهُ اخي وانام بين ذراعي الموت كاني على صدر اخي فتحيا انت يا قوام حياتي ! اخي يا اخي لا تدعهم يبعدونك عن ناظري ! اذ كيف استطيع الحياة بعدك ! »

فدخل عوميليوس واقامها عن الجسد الذي القت بنفسها عليهِ وقادها الى خارج مطيباً مرارة قلبها ملطفاً بحسن درايتهِ عظم خطبها · ثم اشار اليَّ فاحتضنتها في الحال

اما مرتا فكانت اشد تجلدًا واصطبارًا لكنها كانت تشتعل بنار حزن عميق لم تخفَ آثارهُ من وجهها حين القت

النظرة الوداعية الاخيرة على اخيها المحبوب لعازر الذي كان الصخر الوطيد المبنية عليهِ اركان راحتها وسعادتها والحصن المنيع تجاه يوم الضيق والنبع العديم الانقطاع الذي كان يتدفق منهُ لها ولاختها مريم ماء السرور الاهلي المقدَّس!

ثم غُطي وجههُ بمنديل واخذت فتيات القرية يكللن رأسهُ بالازهار ولا تسأل عن الدموع التي ذُرفت عليهِ فانها حاكت الامطار مصحوبةً بالبكاء والتنهد والانين · من جميع الذين كانوا حاضرين · وبعد الفراغ من حفلة الدفن دحرج خمسة رجال اقوياء حجرًا كبيرًا على باب القبر · ورجعنا وقلوبنا مثقلة بضغطة الغم والقهر والحزن على هذا الفقيد · واذ ذاك كان النهار قد مال والشمس آخذة في المغيب وراء جبال عجلون واشعتها الصفراء تمثل لعين الناظر بحيرة من ماء الذهب · ولكي نتسلى قليلًا عن شدة حزننا بمشاهدة مغيب الشمس انفردت بمريم وصعدت بها الى قمة الجبل من حيث رأيت الشمس تذهّب بانوارها اعالي الهيكل المقدَّس وتردُّها عوالي مشرعة في عنان السماء · ثم أصدت تلك النواحي باصوات ابواق اللاويين في الذبيحة المسائية وتصاعدت سحابة المذبح الى الهواء حتى وقعت عليها اشعة الشمس الاخيرة فاضاءت كعمود السحاب والنار الذي

كان يحلّ على خيمة الشهادة في البرية · ثم ابصرنا فعلة الحصاد يسرعون نحو بوابات المدينة قبلما يقفلها الحرس الروماني في وجوههم بينما كان سكان القرى المجاورة يسرعون في الخروج منها قبلما يُقفَل عليهم داخلاً

وكان الهواء في سكوتٍ تام لا يبدي حراكاً كأنهُ مشاركٌ لنا في هذه المصيبة الفادحة · فجلست على صخرة وأتكأتُ مريم على صدري وأخذت في التأمل والافتكار ولم يكن معنا احدٌ سوى ميليوس الذي اقلقهُ امر انفرادنا فجاء يطلبنا حتى صار على مقربة منا · وظلَّ على ظهر جواده واقفاً في حراستنا شاغلاً نفسهُ في التمتع بجمال ذلك المنظر المسائي · اما مرثا ومريم ابنة عمي فرجعتا الى البيت الذي اقفر واظلم بعد لعازر الذي كان لهُ أُنساً ونوراً · وبعد قليل رفعت مريم رأسها ونظرت اليَّ وعيناها تسطعان باشعة الدموع وقالت « اشعر اني احسن الآن واحسُّ ان قلبي نال نصيباً وافراً من الهدوء والسلام المنتشرين في فضاء هذا الجوّ البديع · وارى ان سماء نفسي تبسم عن صفاء ونقاء وامن كالسماء التي فوقي ! وهوذا روح لعازر تشمل جميع ما انظر وتبارك كل ما ارى ! فلستُ بباكية بعد ولا ريب في انهُ سعيد الآن · نعم سعيد جداً · فلنسعَ في اتباع البر والقداسة تأهباً للذهاب اليهِ لانهُ لا يستطيع

ان يرجع الينا !» واذ ذاك طرق آذاننا وقع حوافر خيل ايقظت عوميليوس من شرود افكارهِ فافاق مذعوراً وتمكن من الاستواء على ظهر جوادهِ وقد قبض بيدهِ على سيفهِ لان الرومان وان كانوا سائدين على بلادنا ليسوا بمحبوبين من الشعب وقلما يمضي اسبوع بدون حدوث مناوشة بين عساكر الكتيبة وبعض عامة الشعب من اليهود · وعندها تأهب عوميليوس الذي لم يكن معهُ حينئذٍ سوى خادمهِ الكلتي (من سكان اوربا الاولين) لمصادمة عدوّ او ملاقاة صديق · وما لبث ان طلع من وراء صخر في الجهة المقابلة من جناح جبل الزيتون فارس من اسماعيليي البادية وبيدهِ رمح طويل · ثم طلع ثانٍ وثالث وكلهم في هيئة واحدة ونوع واحد من اللباس يمتطون خيولاً كريمة · ثم تبعهم على الاثر فارس طويل القامة جسور المنظر في لباس فاخر يراوح في لغتهِ بين اليونانية والعربية مع ان ملامح وجههِ تدل دلالة واضحة على انهُ اسرائيلي وهو راكب جواداً حبشياً كريماً ومستوٍ على ظهرهِ كقنطورس (وحش خرافيّ نصفهُ حصان والنصف الآخر انسان) الوثني الذي قرأت عنهُ في الكتب اللاتينية التي اعطانيها عوميليوس · فلما رآنا اخذ بعنان جوادهِ وتبسم مشيراً بيدهِ المرصعة بالجواهر مبدياً تحية اللطف والتأدُّب ·

لكنهُ حالما نظر عوميليوس قدحت عيناهُ نارًا وبذل المهماز في شاكلة جوادهِ وحمل عليهِ زاعقاً باعلى صوتهِ وحسامهُ مسلول بيدهِ

فبرز لهُ عوميليوس بقلب كالحديد · وتلقى ضربتهُ بشفار سيفهِ القصير فصرخ ذلك الزعيم بعد ما ادار حصانهُ باسرع من البرق الخاطف واعاد الكرة على عوميليوس قائلًا «عدنا التقينا ايها الروماني!» فاجابهُ عوميليوس واضعاً البوق في فيهِ «نعم يا باراباس واني ارحب بك بمزيد الفرح»

فلما طرق اذن زعيم اللصوص صوت البوق الذي اصدت لهُ ارجاء جبل الزيتون قال بعجرفة واحتقار «عيب على امير روماني مثلك ان يكون قائد كتيبة ويستغيث بغيرهِ على حين تراني اعرض عليك عراكاً انفرادياً يداً ليد بدون ان التمس مساعدة رجالي!» فاجابهُ عوميليوس مشددًا عليهِ المضايقة «بل عيب عليَّ منازلة لص نظيرك اطاردهُ كما اطارد الذئب وغيرهُ من ضواري البادية» · وعندها اشار زعيم اللصوص الى رجالهِ الاربعة الذين كانوا الى الآن باقين على مقربة منا عند قبر لعازر فصاحوا صياح الجوارح وحملوا باسرع من مهبّ الرياح على عوميليوس والى هذا الوقت كنت باقية اراقب مراقبة المتفرج · ولكن

عند ما نظرت هذا الخطر المحدق بعوميليوس لم ارَ نفسي الاَّ بجانبهِ بدون ان اعرف كيف وصلت الى هناك فالحَّ عليَّ بالاسراع في الرجوع قائلًا « تنحَّي يا عزيزتي ادينا لان وجودكِ هنا يضطرني ان احامي عنكِ وعني ويفسح مجالاً لاستظهار هؤلاء البرابرة الاوغاد عليَّ »

قال هذا وأقحم جوادهُ لمصادمة الخمسة . اما انا فنجوت منقادةً على غير علم مني بقوة الاسراع الى بيت عنيا طلباً للنجدة . على ان الله قدَّر عوناً من عنده ! فان فرقةً من حرس بيلاطس كان عوميليوس قد تركها في غابة زيتون لتستريح هي وخيلها اذ سمعت بوق قائدها جاءَت تستكد خيلها تلبيةً لدعوتهِ . وكان عددها عشرة فرسان مدججة بالسلاح فلما ابصرها باراباس وجماعتهُ ولَّوا الادبار يطلبون النجاة وفرُّوا فرار الحمام البري امام البزاة . اما عوميليوس فما لبث ان ادرك باراباس واخذ بنطاقهِ القرمزي المشدود على حقويهِ واخذا يتصارعان وهما راكبان واذ ذاك كانت النجدة الرومانية قد وصلت فجرت بين الفريقين موقعة انجلت عن اسر اللص الشهير مضرجاً بدمائهِ فأُوثق بنطاقهِ الى عمود احد القبور . اما عوميليوس فاصيب بجراح خفيفة لكنها لم تكن شيئاً مذكوراً في جنب مسرته باسر زعيم اللصوص هذا الذي كان هولاً

ورعباً على كل ابناء السبيل ولا سيما على المارة بين اريحا واورشليم وقد قُبض على رجالهِ ايضاً فأُوثقوا وسارت بهم الفرقة راجعةً الى اورشليم ورجعت انا ومريم الى بيت عنيا مصحوبتين بعوميليوس

وقد كان من عزمي يا والدي العزيز ان اقصَّ عليك في هذه الرسالة قيامة لعازر من الاموات فعرض لي ما بعثني على إرجاء ذلك الى الرسالة الآتية ولكن صدقني ان لعازر حيٌّ والناس يتقاطرون الوفاً الى بيت عنيا ويزحمون بعضهم بعضاً في بيتهِ بغية الوقوف على تفاصيل هذه الحادثة الغريبة . ويكفيني ان اقول لك في خاتمة هذه الرسالة ان الذي اقامهُ من الموت هو يسوع نبيُّ الله الذي لا تزال مرتاباً فيهِ من جهة كونهِ مسيّاً

آه يا ابي العزيز أَيمكن ان يكون هذا الذي اقام ابن ارملة نايين — الذي مشى على البحر على بعد فرسخ من قوارب تلاميذهِ — الذي سكَّن هياج البحر بكلمة قوتهِ — الذي اشبع خمسة آلاف رجل من الخمسة الارغفة — الذي شفى ابن مدبر بيت هيرودس — الذي اقام ابنة يايروس — الذي شفى الصم والخرس والعمي بكلمة او بلمسة او بنظرة — الذي تجد حياتهُ محفوفة بالوف من البينات على قواتهِ الخارقة الطبيعة من نبوات وآيات وعجائب — ايمكن

ان يكون هذا انساناً عادياً فقط ؟ أممكن ان يكون بعد كل هذا دجَّالاً كاذباً ؟ أليس هو — قل لي — أليس هو ابن الله ؟ مسيَّا الانبياء — الاسد من سبط يهوذا — منقذ اسرائيل ومجدهُ العتيد ؟ — أما هو شيلوه الذي رآهُ يعقوب ناهضاً ليقبض على صولجان الملك في اسرائيل ؟ . أما هو ابن الله القدير الذي يكتب عنهُ قلم اشعياء المتقد بنار النبوة كلمات الوحي هذه

« لانهُ يولد لنا ولد — ونُعطى ابناً وتكون الرياسة على كتفهِ ويدعى اسمهُ عجيباً مشيراً الهاً قديراً اباً ابدياً رئيس السلام لنمو رياستهِ وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكتهِ ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن الى الابد ؟ »

فافتكر بهذه الاشياء وانظر اليها بعين التدبر . ولا تدع فقر يسوع يكون حجر عثرة لايمانك بهِ كمسيَّا . اما انا فاقامة لعازر من الموت تكفيني برهاناً على انهُ ابن الله

ابنتك

المحبة ادينا

الرسالة السابعة والعشرون

ابي العزيز

لا استطيع التعبير عن الفرح العظيم الـذي شملني من تلاوة رسالتك الكريمة فقـد تسلمتها هـذا الصباح من الرسول القادم من مصر ومنها تحقق لي عزمك على الحضور حين يستهل القمر وبعد ما تقضي اياماً قليلة في غزة تأتي الى اورشليم · فهذه الرسالة التي اكتبها اليك الآن توافيك الى غزة

انني حينما اراجع في ذهني صوَر المشاهد البديعة التي حضرتها والحوادث العجيبة التي شاهدتها منذ مـا برحتُ مصر وجئت الى اورشليم منذ ثلاث سنين لا أتأَسف على غيابي عنك هذه المدة الطويـلة على رغم شدة اشتياقي الى التمتع برؤية وجهك المحبوب · لان وجودي في اورشليم

هذا الزمن المديد احتسبهُ نعمةً كان يحسدني عليها ابرهيم وسائر الاباء وجميع انبياء الله · في غضون هذه المدة سار مسيا في الارض مؤيدًا بقوَّة الهية داخل اورشليم وخارجها امام كل عين عاملًا آيات وصانعًا قوات لم يصنعها انسان قط · وقد وُضع لي ان احبَّ هذا النبي المبارك وأُكرمهُ واتخذهُ ابن العلي ومسيح الرب فلطالما جلست عند قدميهِ واصغيت الى تعاليمهِ السماوية وقد جعلتني حكمة شفتيهِ المقدستين حكيمة وصالحة · لكنني لم اطلعك الى الآن على خواص اعظم آية ميزتها قدرتهُ ومحبتهُ على سائر آياتهِ اعني بها اقامتهُ لعازر من الموت وهانذا اقصها عليك بالتفصيل

فبعد ما وجدت مريم ومرثا ان الاطباء يئسوا من شفاء اخيهما لعازر وانفذتا رسولاً الى يسوع كما ذكرت لك سابقاً اخذتا لنفسهما تعزيةً ليست بقليلة معتصمتين برجاء الولادة الجديدة وقائلتين

« ان جاء سيدنا العزيز فبكلمة يشفي اخانا كما شفى كثيرين غيرهُ » وزادت على ذلك احداهما مرثا قائلةً « نعم فكثيرون لم يعرفهم منحهم الشفاء بلمس يدهِ فكم بالاحرى يشفي لعازر الذي يحبهُ كاخ ! آه ليت الرسول يُفرغ جهدهُ في الاسراع اليهِ ! »

فقالت ابنة عمي مريم « ولو مات لعازر قبل وصولهِ

فهو قادر ان يعيده الى الحياة كما فعل بابن ارملة نايين»
فاجابتها مرثا وقد شقّ عليها افتراض موت اخيها · «نعم بدون شك بشرط ان لا يفوت الوقت لانهُ ان اتى بعد موتهِ بزمان طويل يصبح ذلك مستحيلًا» · فردّت عليها اختها مريم وعيناها تبرقان بنور الايمان الوثيق «لا شيء مستحيل على يسوع»

وهكذا انقضت الساعات بين الامل واليأس · ولكن قبلما اتى يسوع كان منديل الموت قد وُضع على وجه اخيهما المائت وكنت تسمع كلًّا منهما تبكي وتردد هذه الجملة «لعازر مات ويسوع باقٍ بعيدًا!»

ثم انقضى ثاني يوم الدفن ولم يرد خبر عن يسوع · وفي صباح اليوم الثالث رجع الرسول وافاد انهُ وجد النبي على شاطىء الاردن الاقصى حيث كان يوحنا يعمّد ورآهُ نازلاً مع تلاميذهِ في بيت حقير في ضواحي بيت عبرا يعلّم الاشياء المختصة بملكوت الله ويفسر النبوات لكثيرين من اتباعهِ فدنا منهُ الرسول وسلمهُ رسالة الاختين التي مؤدّاها «يا سيد هوذا الذي تحبهُ مريض!» فسألت مرثا الرسول قائلةً «وماذا قال لك بعد ما قرأها؟ وهل ابصرت تغيرًا في وجههِ؟»

«لم أرَ في وجههِ شيئًا من علامات الدهش والانذهال

لكنهُ قال لي بكل هدوء · انا اعلم هذا يا ابني ! ان هذا المرض ليس للموت بل لمجد الله فبهذا يمهد لي ابي ان اتمجد بان يرى الناس ويؤمنوا اني بالحق اتيت من الله »

فلم تكتفِ مرثا بهذا الجواب بل استأنفت السؤال وعليها امارات الاكتئاب والارتياب « وماذا قال لك غير ذلك ؟ » فاجابها « لا شيء · يا سيدتي · واذ لم يكن على الرسول سوى البلاغ لم البث بعد ما سلمتهُ الخبر ان رجعت ادراجي على الاثر » · فقالت مريم « اواه ! لم يعرف كم كان صديقهُ متألمًا من مرضهِ والاَّ لم يقل ان مرضهُ ليس للموت بل كان على الفور اسرع الى المجيء معك »

فاعترض كاهنٌ واقف معنا بلسان الهزء والازدراء « كان يجب على سيدكِ ايتها الفتاة ان يعرف كل الاشياء فجهلهُ خطر لعازر وتصريحهُ بانهُ لا يموت يدلاَّن على انهُ ليس من الله · أفلم يمت لعازر ويُدفن ؟ » · وعندها اعترى ايمان مرثا شيءٌ من الارتياب · على ان مريم اسرعت الى المحاماة عن صديق اخيها الغائب بقولها « حينما يأتي يسوع ويتكلم عن نفسهِ يوضح لنا المراد من كلامهِ ويُري انهُ انما يتكلم بحكمة »

فاجابت مرثا « انهُ قد نسينا وكان ينبغي ان يتقدم لاجل تعزيتنا في مصيبتنا هذه التي تفوق الاحتمال وان لم

يأتِ ليشفي اخانا» . فقالت لهـا مريم ملاطفـة «سكّني روعكِ يا اختـاهُ ولا تسيئي الظنّ في صديق لعـازر وثقي نظيري بانهُ لو رأى مناسباً لاستطاع ان يُقيم اخانا ولو بكلمة منهُ وهو في بيت عبرا . ولم تكن لهُ حاجة الى رؤيتهِ لكي يشفيهُ أَوَلا تذكرين كيف شفى لوسيوس ابن القائد؟ وقد كان بعيداً عنهُ سفر يوم؟» فصاحت مرثا بمرارة «اذاً لماذا؟ قولي لي لماذا لم ينقذ اخانا»

فاجابتها مريم بلسان الرقة والدعة «لانهُ رأى ان ذلك افضل أَوَلم يقل الرسول ان مرض اخينا سيكون لاجل مجد قوتهِ؟»

«ولكن ليس موتهُ يا مريم ليس موتهُ! . فقد مضى الآن على موتهِ اربعة ايام فهل بعد هذا ممكن للرمس ان يعطي مجداً لله او لقوة يسوع؟ وهل يستطيع ان يقيمهُ بعد ما عبث الفساد بجسمهِ لا بل قد فسد قبلها وضعناهُ في القبر! فلا تكلميني عن النبي انهُ لا يحب لعـازر وانهُ لم يستطع ان يخلصهُ من مخالب الموت . فدعيني يا مريم دعيني اتجرع غصة حزني واذوق مرارة كآبتي» . فعطفت عليها مريم وقالت لها بلسان التوبيخ المحزن «أهكذا يا عزيزتي مرثا يضعف ايمانكِ بيسوع سريعاً لاقل تجربةٍ؟ فكيف تدعين يوماً واحداً ينزع صداقة سنين؟ ألانّهُ لم يجب دعوتنا

لهُ ليأتي الى لعازر تظنين انهُ لا يحبهُ ولم يشترك في حزننا ؟ حقاً لقد اخطأتِ الظن فيهِ واثمتِ اليهِ بعدم ثقتكِ بمحبتهِ لنا واهتمامهِ بنا» . فاجابتها مرثا وهيئتها تدل على شدة انفعالها «انهُ يستطيع شفاء ابن قائد متكبر غني لكنهُ لا يبالي بتوسلات الفقراء والادباء نظيرنا»

فاجابتها مريم واضعة يدها على كتفها «آه يا شقيقتي ليسامحكِ الله ويجعل حزنكِ عذراً كافياً لتذمركِ هذا وضعف ايمانكِ . اما انا فلا انفكُّ عن الايمان بهِ مهما فعل بي»

وفيما هما كانتا تتباحثان هكذا اذا برجل قد اقبل من بعيد متقطع الانفاس من شدَّة الركض يعدو نحو بيتهما وهو يناديهما وجميع اليهود الذين جاءوا ليعزوهما عن اخيهما قائلاً

«النبيّ ! الناصري ! جاء !» وفي الدقيقة عينها دخل ألك الجبعوني وقال «ان يسوع مسيح الله قريب ! وقد دخل القرية مصحوباً بتلاميذهِ» . فنهض جميع الذين كانوا جالسين هناك وخرجوا للقائهِ . اما مرثا فسبقت الكل وخرجت محمولة على قوة الفرح الفجائي وما ابطأت ان جاءت الى حيث كان يسوع . اما مريم فلم تكن اقل من مرثا فرحاً وسروراً بخبر قدومهِ لكنها حفظت ذلك

في قلبها وعوضاً عن ان تسرع الى لقائهِ باكية وشعرها مرخى كما فعلت مرثا قامت تهتمّ بتهيئة البيت لنزول النبي المحبوب ونابت عن اختها في اعداد لوازم الاكل وبعد ما فرغت من ذلك جلست بجانبي في البيت وقلبها ملآن فرحاً ومحياها ساطع بانوار البشر والسعادة · ثم قالت لي وقد كرَّرت ذلك مرَّة او مرَّتين «علمت انهُ يأتي! علمت يا اديبا انهُ لا يتركنا ولا يهملنا في ساعة الحزن والغم» · ثم اتصلت بنا اصوات خُطى القادمين وذلك زاد خفوق قلب مريم واضرم وجهها بنور ابتهاج ارانيها اجمل كثيراً منها في سائر الاوقات

ولما اقتربت مرثا من يسوع وهو داخل بيت عنيا ماشياً مع اربعة من تلاميذهِ وقد علاهُ الغبار · ونهكتهُ مشاق الاسفار · ركضت اليهِ وسقطت عند قدميهِ · وقالت باكية «آه يا سيدي لو كنت ههنا لم يمت اخي!» فاخذها يسوع بيدها واقامها متأثراً من شدَّة الحزن الذي رآها فيهِ وقال لها «يا مرثا ان لعازر نام وقد جئت الآن لأُوقظهُ»

«يا سيد لو كان اخي نائماً فقط لم تكن من حاجة الى دفنهِ لكنهُ مات منذ اربعة ايام»

«ان موت من يحبهم ابي يُحسَب نوماً فالصالح لا

يموت ! ولعازر لم يمت بل هو نائم وسوف يقوم ثانيةً ! »

« انا اعلم يا سيد انهُ يقوم في القيامة في اليوم الاخير »

فقال لها يسوع رافعاً نظرهُ نحو السماء « انا هو القيامة والحياة ٠ كل من يؤمن بي وان مات فسيحيا ٠ وكل من كان حياً وآمن بي فلن يموت الى الابد ! أتؤمنين بهذا ؟ »

« نعم أُومن يا سيد انك انت المسيح ابن الله الآتي الى العالم ٠ واعلم ان كل مــا تطلبهُ من الله يعطيك اياه وانك حتى الآن تستطيع ان ترد الينا اخانا ! »

واذ ذاك اعترض فريسي متعجرف عديم الايمان وكان واقفاً قريباً فقال « ان لعــازر اصبح الآن فريسة الفساد والدود ٠ فمهما يكن من امر ابنة القائد وابن ارمــلة نايين فلعازر الكاتب ميت حقيقةً ! »

على ان يسوع لم يحفل بكلامهِ ولا اجابهُ عليهِ بــل التفت نحو مرثا وقال « فرحت لان ايمانكِ بي قد عاد الى قلبكِ لانكِ ايتها القليلة الايمان شككتِ فيَّ وقلتِ اني لا اقدر ان أُلبي دعوتكما فقد كان من الضرورة ان يموت اخوكِ لكي أُظهر قوَّة الله بواسطة اقامتهِ ٠ ففي هذا اليوم يتمجد ابي ويعلم العــالم اني بالحق اتيت ممَّن هو حيــاةٌ ومعطي الحياة فاذهبي وقولي لاختكِ اني هنا واروم انهــا تأتي اليَّ »

فابتهجت مرثا متعجبة كيف عرف يسوع افكارها حتى وبخها على قلة ايمانها . ثم اسرعت الى اختها ودخلت صارخةً «قد رأيت الرب! وهو يدعوكِ يا مريم فتعالي وانظريهِ جالساً عند عين اشعياء بقرب السوق لانهُ قال لي لا يدخل بيتنا بدون ان يكون لعازر داخلاً معهُ!»

وما سمعت كلامها هذا حتى اخذتني رعدة شديدة من الخوف والانذهال فقد راعني القول ان لعازر يأتي ثانيةً الى البيت حياً مع يسوع! فغطيت وجهي بيديَّ وقد عراني كل الفرح والعجب والخشية الفائقة الوصف

فنهضت مريم وخرجت مسرعة وهي بالجهد تستطيع المشي من شدة ما خامرها من الفرح والسرور وقد لقيت كثيرين من اصدقائها اليهود الذين جاؤوا من اورشليم ليعزوها ولم يكونوا يعلمون ان يسوع جاءَ الى بيت عنيا فطلبوا منها ان يصحبوها الى قبر لعازر ليبكوا معها لانهم قالوا بعضهم لبعض

«انها تذهب الى القبر لتبكي هناك!»

فاجابتهم مرثا «انها تذهب لترى يسوع صديق لعازر لانهُ يدعوها»

فسارت مريم حتى اتت العين حيث كان يسوع يغسل رجليهِ من الغبار والخدوش ويخاطب المجتمعين حولهُ عن

قيامة الموتى· وحينما نظر مريم مدَّ اليها يدهُ لكنها سقطت عند رجليهِ باكية! وقالت لهُ مكرّرة كلام اختها بحزن عميق «لو كنت ههنا يا سيد لم يمت اخي» · ثم حنت راسها الى حافة المغسل وبكت بكاء شديداً حتى رثى لبكائها جميع الحاضرين من اليهود رجالاً ونساء وشاركوها في ذرف الدموع · وهكذا بكى يوحنا تلميذ يسوع الحبيب الواقف بقربهِ

وحينما ابصر يسوع شدَّة حزنها وحزن الباكين معها تنهَّد بالروح واضطرب ورُسمت على وجههِ المقدَّس علامات حزن نفسهِ فقال لهم «هلموا بنا نذهب الى القبر حيث لعازر مضطجع! اين وضعتموهُ ؟»

فاجابت مريم «تعال يا سيدي العزيز وانظر»

قالت هذا وهي ماسكة بطرف ثوبهِ تقودهُ بلطف وتلهُّف الى المقبرة في وادي الزيتون · وفي اثناء ذلك كانت مرثا في البيت تهتم بمزيد الاجتهاد والابتهاج بتهيئة غرفة لعازر فكنستها ونفضت عنها الغبار وزينتها بكثير من الازهار · ووجهها يشفُّ عن فرحٍ لا تقوى الاقلام على وصفهِ بل لا تستطيع الافكار تصوُّرهُ · فسألتها «لمن هذا الاستعداد يا عزيزتي مرثا أَليسوع ؟»

«كلَّا كلَّا فان غرفة النبي معدَّة وقد هيأتها اختي

مريم · هذه غرفة لعازر وتريني اهتمَّ بتزيينها لهُ» ·
فسألتها وانا بين شكٍّ وخوف عظيم «أتؤمنين من كل قلبكِ انهُ يرجع من القبر ؟»

«أومن ! نعم · اني اعلم ان لا شيء غير مستطاع ليسوع ! لستُ بعدُ في ريب ولم يعد ايماني متقلقلاً · فلسوف يقيم اخي وفي هذا اليوم يجلس معنا الى المائدة وفي هذه الليلة يسند راسهُ ساعة النوم على هذه الوسادة التي ازينها الآن بالازهار المحبوبة عندهُ فلم يحوِ بيت قط ضيفين نظير هذين اللذين يكونان عندنا اليوم — مسيح الله والراجع حياً من الاموات !»

وعندئذٍ سمعنا ضجيجاً عالياً وقيل لنا ان يسوع ذاهب الى القبر فامسكت بي مرثا والحت عليَّ بالذهاب معها لنتبعهُ وقد خرج وراءهُ جميع سكان بيت عنيا وكانت علامات التعجب والانتظار تلوح على وجه كل واحدٍ وكان الهدوء شاملاً والسكينة مستولية على قلوب الجميع واراني غير قادرة ان اصف لك الهيئة التي ظهر فيها يسوع حينئذٍ ! فقد كان لابساً حلة زرقاء منسوجة قطعة واحدة شغل الاختين وهدية لهُ منهما · وكان وجههُ اصفر تعلوهُ مظاهر الكآبة والحزن لكنهُ طافح بالهيبة والوقار والجلال الالهي حتى ان جبهتهُ العالية المنبسطة اسرتها بالهدوء كانت كانها

عرش ملكي ! وكانت عيناهُ المقدستان تسفران عن حزن حارّ سائد عليهما وفمُهُ يبسم عن غمّ قلبهِ العميق وهو يسير في مقدّمة الجمع الكثير العدد حتى دخل المقبرة ووقف امام رمس صديقهِ المحبوب · وظل برهةً ساكتاً يمعن نظره في الحجر المدحرج على باب القبر والجميع صامتون لا ينطقون بكلمة · ثم تقدمت اليهِ مريم وجثت عند قدميهِ متفرسة في وجههِ بعين الرجاء والاتكال واقتربت مرثا ايضاً وخرَّت على ركبتيها بجانب اختها فنظر اليهما يسوع بعين الرأفة والحنو

ثم تطلع نحو القبر وبكى فانحدرت دموع غزيرة من عينيهِ وسقطت الى الارض · فسقطت انا ايضاً راكعة بجانب الاختين فقال اليهود فيما بينهم متعجبين « انظروا كيف كان يحبهُ ! » وقال آخرون « ألم يقدر هذا الذي فتح عيني الاعمى ان يجعل هذا ايضاً لا يموت ؟ » فتنهد يسوع تنهداً عميقاً ودنا من القبر وكان كما قلت لك سابقاً · وقد وُضع عليهِ حجر · فاشار بيدهِ الى الواقفين بجانبهِ وقال بصوت مع انهُ كان واطئاً سمعهُ جميع الذين كانوا واقفين بسبب السكوت المستحوذ « ارفعوا الحجر » · فقالت مرثا « يا سيد قد انتن لان لهُ اربعة ايام » · فاجابها يسوع ناظراً اليها « ألم اقل لكِ انكِ اذا آمنتِ باني استطيع اقامة اخيكِ ترينهُ

حياً ثانيةً ? فآمني تري مجد الله »

فرفع الرجال الحجر بصعوبة عن باب القبر وانبعثت من ظلماتهِ روائح منتنــة لم يقوَ الواقفون على استنشاقهــا فرجعوا الى الوراء ولم يبقَ سوى يسوع ومريم بعيدين عدّة خطوات عن الباب فوقف يسوع ناظراً الى داخل المغــارة واذ صارت عيوننا بحيث تستطيع ادراك مــا وراء تلك الظلمة تطلعنا فابصرنا جسد لعازر ملفوفاً ووجههُ باقياً مغطى بالمنديل لكنهُ حال لونهُ من جرّاء رطوبة القبر . ثم رفــع يسوع يديه نحو السماء وشخص بعينيهِ المملوءتين دموعــاً ونطق بما يأتي بصوت لا يوصف تخشعهُ ووقارهُ —

« ايها الآب اشكرك لانــك سمعت لي وانا علمت انك في كل حين تسمع لي ولكن لاجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا انك ارسلتني »

ثم التفت نحو القبر ومدَّ يــدهُ وصرخ بصوت عالٍ اضطرب لهُ كل قلب من الحضور

« لعازر هلمَّ خارجاً »

فجمد دمي في عروقي وبالجهد تجاسرت ان ارفــع نظري حين تطلعت فرأيت — ما رأتهُ كل عين — الجسد انتصب واقفاً داخل المغارة ودار بوجههِ نحونا ويداهُ ورجلاهُ

مربوطات باقمطة ووجههُ ملفوف بمنديل فعند مــا ابصرهُ الواقفون اخذتهم رعدةٌ وتحيرٌ ورجعوا الى الوراء مذعورين. اما مرثا فنطقت باسمهِ واندفعت الى الامام على وجههــا مغشياً عليها فقال يسوع الذين رفعوا الحجر عن الباب « حلوهُ ودعوهُ يذهب ! »

وكانت مريم اول من تجرَّأ على الدنو منهُ . ولما اخذت في رفع المنديل عن وجهــهِ تشجع الآخرون بواسطتهــا واقدموا على حلّ يديهِ ورجليهِ . ومــا لبث ان تجرَّد من ثيابهِ التي دُفن بها وعاد لون وجههِ الجميل فاحمرَّت شفتاهُ واشرقت عيناهُ بنور الحياة الطبيعي . وحالما ابصر يسوع عمد على السقوط عند قدميهِ اظهــارًا لشكرهِ (كانهُ شعر بكل ما حدث لهُ) فحال دونهُ يسوع بان ضمهُ الى صدرهِ وقبَّلهُ . فالقت مريم نفسها بين ذراعيهِ ودموع الفرح تنهلُّ من مقلتيها ولما أُخبر لعازر بسقوط مرثا مغشياً عليها دنا منها واحتضنها ودعاها بصوتــهِ فانتبهت لهُ وعادت اليهــا قوة الوجدان فادركت ما هي عليهِ من السعادة

وحقاً ان قلمي اقصر من ان يعبر لك عن عوامل الفرح وآيات المحبة والشكر التي طفحت بها القــلوب . ثم سار لعازر المولود جديداً من الموت نحو البيت بجانب يسوع بين اصوات التهاني والحان نشائــد التسبيح لله ونظرًا لشدة

ازدحام الجمع وتسابــق الكثيرين الى السجود ليسوع في الطريق تأخرنا عن الوصول الى البيت الذي دخلــهُ يسوع ولعازر بجانبهِ • فشاهدتهُ مرثا جالساً الى المائدة وتوسَّد تلك الليلة وقت النوم الوسادة المفروشة بالازهار التي بعثها ايمانها ومحبتها على تهيئتها لهُ

فالآن يا ابي العزيز بعد ما شرحت الك بالتفصيل كل ما يتعلق بهذه المعجزة العظيمة التي قضت على كل سكان اورشليم بالعجب والدهش ولا بد انهــا تحمل الكهنــة والشعب على الاعتراف بان يسوع هو مسيح الله الذي كتب عنهُ موسى والانبياء فهل تشك بعد ؟

سوف توافيك هــذه الرسالة الى غزَّة فاستودعك الله على رجاء معانقتك

ابنتك المطيعة

ادينا

الرسالة الثامنة والعشرون

ابي العزيز

تشرفت بطرسك الابوي في هذا الصباح صحبة رسول الوالي وتلوته بما لا مزيد عليهِ من الحزن والخيبة فكنت متوقعة اني عوضاً عن الطرس اراك شخصياً وحين سمعت أَلِك يقول ان فارساً وصل الآن وترجَّل عند البوابة اسرعت ونزلت الى الدار صارخة «ابي العزيز أَقبل !»

فتصوَّر اذًا ردَّ فعل هذا الفرح لما تعوضت عن الاندفاع الى حضنك بمقابلة الرسول الروماني! ولقد قرأت رسالتك بدموع وخيبة الامل · لكنك علمتني من قبل ان احتمل كل شيء بالصبر وانهُ اذا لم يكن ما أُريد ينبغي لي ان أُريد ما يكون حتى يمن الله آبائنا بقدومك في الوقت المناسب على ابنتك المحبة والمشتاقة وارجو ان

التاجرين اللذين تأخرتَ لكي تراهما في غزة لا يبطئان قدومهما اليك ٠ اما موضوع رسالتي هذه فهو يا ابي العزيز كموضوع رسائلي السابقة عن يسوع الذي يسرُّني ان اسمع منك انك آخذٌ في الاحتفال بدعواه انهُ مسيا قائلًا لي في رسالتك السابقة هذه الكلمات التي تهلل قلبي لاستماعها وهي

«فان كنت اقاوم شهادة الآيات التي اجراها هذا النبي الناصري العجيب ولا سيما اقامة لعازر الكاتب من الموت اخاف اني اكون محارباً لله لانهُ من يقدر ان يعيد الروح والنفس الى الميت غير الله وحدهُ! ٠ وقد اتصلت بي شهرة اقامة لعازر وغيرها من المعجزات التي صنعها من غير طريق رسائلكِ وجاءت تفاصيلها مصداقاً لكل ما كتبتهِ اليَّ بل فوق هذا يوجد الآن في غزَّة احد اصدقائي الذي في رجوعهِ مع جماعتهِ من دمشق الى الاسكندرية اجتاز في بيت عنيا وشاهد المعجزة وقد تكلم مع لعازر واقرَّ لي ان يسوع بالحقيقة نبيٌّ قدير مُرسَل من الله! وهوذا انا مائلٌ للايمان بهذا يا ابنتي! وحينما اشاهدهُ تجدينني مستعدًّا لان اقابلهُ بالاكرام الذي كنت اقدمهُ لاشعياء او لدانيال لو كانا الآن في قيد الحياة ٠ ولكن الى الآن لا يمكنني ان اصدق انهُ المسيح لان المسيح ينبغي ان يكون رئيساً

وملكاً ويجلس على كرسي داود يعطي شرائع للامم
ليسجد قدامهُ كل راس عليهِ تاج وتجثو لهُ كل ركبة بوقار
وعند قدميهِ تلقي قضبان ملوك الارض بزيد الخضوع !

« فابن نجار حقير وان كان نبي الله لا يمكن ان يكون مسيّاً ! طالعي اشعياء وانظري كيف يتقد كلامهُ ببهاء النبوة عن قوة ابن داود ومجدهِ وسلطانهِ على الارض! فمن المستحيل ان تنطبق هذه الاقوال النبوية على النبي الذي تودّين اكرامهُ . وليس من ريب في ان يد الله معهُ وانهُ يعمل قوات لكنني لا استطيع التسليم بانهُ شيلوه يعقوب واسد يهوذا . لاني ان سلمت بانهُ مسيّاً لا اكون انا ولا جميع وجهاء مواطنيّ الاسرائيليين ولا الكتبة ولا الآباء في اورشليم ممن يقرأون الانبياء بعيون مبصرة بل بعمى مطبق لانهُ لا شيء مما كتب في موسى والانبياء والمزامير يشير الى يسوع ما لم نكن نحن مخطئين فهم هذه المكتوبات »

فهذا يا ابي العزيز قسمٌ من رسالتك وقد اقتبستهُ بقصد الردّ عليهِ بالحق اليقين . بدون افتراض وتخمين . فانت تسلم مقتنعاً بان يسوع نبيٌّ وان الله معهُ لانهُ لا يقدر ان يصنع معجزات كهذه بدون ان تكون قوة لله معهُ

فالآن ان كان الله يعضد يسوع ويعيرهُ قوتهُ ويؤيدهُ

بصنائعه حتى يشفي كما يشفي الله تعالى ويهدئ العواصف ويقيم الموتى من قبورهم احياء فذلك لانهُ اختارهُ من بين الناس لكي يلبسهُ قوتهُ. ثم اذا كان الله قد اختارهُ وايَّدهُ بقوتهِ فذلك واضح لانهُ سرَّ بهِ لانهُ احبهُ وابتغى اكرامهُ ولكي يكون يسوع مختار الله ومتسلماً منهُ هذه القوات العظيمة لا بد انهُ يكون صالحاً وقديساً وتقياً وغنياً بالفضائل المقدسة التي بها يسرُّ الله . وبكلمة لا بد ان يكون الله مستحسناً صفاتهِ ومصوّباً كل ما يصنعهُ. والآن كون يسوع مختارًا من الله وصانعاً لمعجزاتٍ بقوة انت نفسك سلمت بانها لا بد ان تكون مسبغةً عليهِ من الله يدل دلالة واضحة على انهُ هو مسيًا ابن الله وشيلوه اسرائيل الذي كتب عنهُ موسى والانبياء . زد على ذلك دعواهُ بهذا لنفسهِ فقد سمعتهُ انا وعمي عاموس في مجمع بيت عنيا بعد اقامتهِ لعازر بيومين يقرأُ من اشعياء ما يأتي ويطبقهُ على نفسهِ كما فعل ذلك قبلًا في الناصرة :

«روح الرب عليَّ لانهُ مسحني لأُبشر المساكين ارسلني لاشفي منكسري القلوب لانادي للمأسورين بالاطلاق وللعمي بالبصر وأُرسل المنسحقين في الحرية واكرز بسنة الرب المقبولة»

ولما فرغ من قراءتهِ هذه النبوة التي يسلم كل شعبنا

اليهودي بانها عن مسيا في مجيئهِ طوى السفر وسلمهُ للخادم وجلس وكان المجمع مزدحماً بالناس حتى كانوا يدوسون بعضهم بعضاً لان شهرة آياتهِ بعثت الناس على الاتيان اليهِ ليسمعوهُ وينظروهُ ليس من اورشليم فقط بل من كل اليهودية والعشر المدن ومن عبر الاردن لا بل يظهر انها انتشرت في كل العالم وحينئذٍ حدَّقت اليهِ العيون وفتحت المسامع اصغاء لما يتكلم بهِ فقال

«في هذا اليوم تمت الكتب في مسامعكم • تطلبون ايها الكتبة ورجال اسرائيل ان اخبركم من انا — المسيح ام لا؟ فماذا يقول النبي عن مسيا حينما يأتي؟ فلقد سمعتم الآن كلماتهِ • فان كانت هذه الاعمال التي يتنبأ عنها تظهر ذاتها فيَّ أفلا تعرفون من انا؟»

فصرخ صوت من الجمع «قل لنا صريحاً أأنت المسيح ابن العليّ؟» وعند هذا السؤال اشتدَّت رغبة الجمع في الوقوف على الجواب • وفيما يسوع على وشك الاجابة اذا برجل كان واقفاً قريباً منهُ وفيهِ روح نجس صرخ بصوت عظيم وقال وهو خائف ومرتعد «دعني وشأني! ما لي ولك يا يسوع الناصري! أَتيت الى هنا لتهلكني؟ انا اعرفك من انت • قدوس الله!»

فانتهر يسوع الروح النجس الذي في الرجل وقال لهُ

بصوت السيادة « اخرس يا شيطان ! ان ابن الانسان ليس في حاجة الى شهادتك فاخرس واخرج من الرجل ! »

وعندها صرخ الرجل صراخاً مخيفاً بيأس وغضب وارغى حتى فاض الزبد من شدقيهِ ثم القى ذاتهُ بل بالحري صرعهُ الشيطان الذي فيهِ الى الارض وبعد هياج قصير سكن بقوة آلامهِ الجسدية وانطرح غائباً عن الصواب كانهُ ميت · فدنا منهُ يسوع وامسك بيدهِ واقامهُ · اما هو فنظر الى يسوع بعين التعجب والانذهال واخذ يذرف دموع الشكر صارخاً « قد نجوت كطائر في فخ الصياد اذ كُسر الفخ فافلتُّ · وقد انقذني الله من يد عدوي ! »

ثم جلس عند قدمي يسوع هادئاً وشاكرًا وفرحاً وعاقلًا! وابتدأ الجميع ينظرون اليهِ مندهشين بينما قام عدد كثير من الشعب ورفعوا اصواتهم قائلين « ليس هذا الآَ المسيح ابن داود! هذا هو ملك اسرائيل ! »

ثم عقب ذلك دويّ اصوات الوف صرخت « أوصنّا ! أُوصنّا ! أوصنّا لملكنا ! » حتى تزعزع بها المجمع كما بريح عاصفة · ولما هدأ ضجيج الاصوات نوعاً تقدم الى يسوع بعض الكتبة والفريسيين يوبخونهُ لانهُ لم ينتهر الصارخين هكذا قائلين لهُ « من ذا الذي يرضى بأن يُستقبل استقبالاً كهذا؟ حقاً ان هذه خيانة ضد الامبراطور »

واذ ذاك دخل الامير عوميليوس الروماني ومعهُ ستة فرسان من جندهِ فلما ابصرهُ اولئك اليهود حتى صرخوا باعلى اصواتهم متلبسين بالغيرة الشديدة على الطاعة للرومان وناظرين نحو عوميليوس كانهم يحاولون استمالتهُ اليهم وهم يقولون

« ليس لنا نحن اليهود ملك غير قيصر اقبضوا على الخائن ! كل من يجعل نفسهُ ملكاً يُحسَب عاصياً على امبراطورنا الجليل الشأن فاخرجوا بهِ ! اقبض عليهِ ايها الروماني الشريف ! جرَّهُ الى حضرة بيلاطس الوالي ! »

اما عوميليوس فاذ عرف مقاصدهم الخبيثة ولم يكن جاهلًا ما يعلّم بهِ يسوع الذي لهُ في قلبهِ محبة الاخ واعتبار الاب بقي ساكتاً ولم يبدِ اشارة تدل على انهُ يجيب اولئك الاشرار الى ما طلبوهُ فنادى يسوع بصوت عالٍ وقال

« ان ملكوتي ليس من هذا العالم ! ولست اطلب صولجاناً او عرشاً ارضياً لان مملكتي من فوق . وحقاً تقولون اني ملك »

ثم زاد على ذلك بجلال لا يوصف « ومن الآن ترونني جالساً على كرسي السماء عالياً ومرتفعاً وجاعلًا الارض موطئاً لقدميَّ حين تجثو لي كل ركبة مما في السماء وما على الارض وما تحت الارض ! » ولم يمكنهُ اتمام الكلام بسبب الشغب

الشديد الذي تلا قولهُ هذا . فابتدأ البعض يصرخـون «أوصنّا» والبعض يقولون «انهُ جدَّف» والواحد نادى بالحرس الروماني والآخر بالكهنة لكي يخرجوهُ من المجمع وكثيرون اندفعوا نحوهُ لكي يطرحوا نفوسهم عند قدميهِ بينما كثيرون غـيرهم وضعوا اصابعهم في آذانهم وخرجوا من المجمع صارخين «ان تجاديفهُ لسوف تجعل البيت يسقط علينا ويسحقنا»

فلم يُسمع قط بمثل هذا الشغب . اما يسوع فخرج مختفياً بدون ان يعلم احد الى اين ذهب . ولما رجعت الى بيت مرثا سمعتهُ في مخدعهِ يصلي الى الله بصوت منخفض مؤثر . فقد التمس فيهِ راحة مقدسة يخلو فيها بابيهِ السماوي! فكنت اسمعهُ تارة يصلي ويبتهل بانكسار قلب وأُخرى كان يعترض سكون مخدعهِ انين عميق وتنهد شديد من قلب منكسر ومنسحق . فاية يدٍ يا ترى تزيح النقاب عن وجه هذه الخفايا وتعلن لنا ما حدث في تلك الخلوة المقدسة بين النبي والههِ ؟

ولما امسى المساء قرعت مرثا باب مخدعهِ برقَّة وقالت لهُ ان العشاء معدٌّ والجميع في انتظارهِ . وحينما خرج الينا قرأنا على وجههِ الشاحب آثار البكاء وعلى رغم تبسمهِ تبينّا في محيّاهُ علامات حزن قويّ ملأَ عينيَّ دموعاً ! وكان

عوميليوس معنا على العشاء فقضينا ولعازر وعمي عاموس ساعةً مباركة بالانس والصفاء لان النبي لم يأكل بل قضى الوقت يحدثنا عن محبة الله · واذ شُغلنا جميعنا بالاصغاء اليهِ تُركت الاطعمة نسياً منسياً مع ان مرثا اكثر من مرة تقدمت الى النبي تذكرهُ بان اللون الفلاني من الطعام هو قدامهُ وهذا الصنف قريب منهُ وذاك اعدتهُ لهُ بيديها لكننا جميعنا كنا نظيرهُ نقتات من الطعام السماوي خبز الحياة الذي كان يسقط كالمن من شفتيهِ المقدستين

فهذه هي يا والدي العزيز الشهادة التي كما ذكرت لك آنفاً قدمها يسوع علانيةً عن نفسهِ بانهُ هو المسيح الآتي الى العالم · ولم يعد من ريب في انهُ اعلن ذلك جلياً مشيراً الى النبوات التي تتم يوماً بعد يوم بواسطة قواتهِ دليلاً على صدق دعواهُ

فالآن الى اية نتيجة لا تُرَدّ وخلاصة لا مناص منها قد انتهينا في هذا البحث ؟ أليس الى ان يسوع هو المسيح؟ بلى · فان هذا لا مندوحة عن التسليم بهِ · فاما ان يكون يسوع هو مسيًّا كما يدَّعي وآياتهُ تؤيد دعواه او لا · فان كان الثاني —اي انهُ لم يكن هو مسيًّا— أفلا يكون خادعاً للشعب ومجدفاً على الله ؟ وان صحَّ هذا لزم منهُ ان الله وهب رجلاً خادعاً صفاتهِ الالهية ومنحهُ قوة للشفاء واخراج

الشياطين والتسلط على العناصر واقامة الموتى ! ويكون شاهدًا على ارسالية مَن لم يُرسل منهُ تعالى ولا عيَّنهُ ليكون مسيحهُ •

ثم انك تسلم بان معجزات يسوع تدل على انهُ آتٍ من الله لكنك تنكر عليهِ دعواهُ بانهُ مسيًا • فان كان يسوع بالحقيقة آتياً من الله كما يظهر من قوة معجزاتهِ فلا يمكن ان يكون خاطئاً فاذًا من المستحيل ان يعلن عن نفسهِ ما ليس حقاً • لكنهُ يصرّح جهارًا انهُ المسيح ! فاما ان يكون آتياً من الله او انهُ ليس من حقّ او صدق فيهِ ! لكنك لا تسلم بان يُنسَب شيء من هذا لانسان يشفي بكلمة ويخرج الارواح النجسة ويقيم الموتى ويبثّ التعاليم الصادقة بين الناس من مثل حثهِ على القداسة الضرورية لمن يريد ان يعاين الله ! فليس لنا اذًا الاَّ التسليم بهذه النتيجة • وهي اما ان تكون القوَّة المؤَيد بها يسوع ممنوحة لهُ من الله ويكون هو كما يقول عن نفسهِ مسيح الانبياء والآباء الحقيقي او ان الله وهب مجدِّفاً على اسمهِ قواتهِ الالهية ووافق على دعوى خادع بان جعل قواتهِ تستمر ملابسة كل عجيبة يجريها !

ولست اظنك يا والدي العزيز تبدي اقل مواربة او محاولة للتخلص من هذه النتيجة اللازمة • فان لم يكن

يسوع هو المسيح لزم ان يكون الله والنبي يسوع شريكي خداع جسيم تعاليا عنهُ علوًّا عظيماً

عفوًا يا ابي العزيز عن شدَّة الحاحي واجتهادي في اقناعك بمسيحية يسوع فاني لستُ اتمنى شيئاً غير هذا انك تقتنع نظيري بان يسوع هو مسيًّا · اما من جهة ماذا يكون يسوع فيما بعد وكيف يتدرَّج في اعلان جلالهِ وقوتهِ فغير معروف لدينا · فالبعض يظنون انهُ عن قريب يدخل اورشليم مصحوباً بعشرات الالوف من اتباعهِ فيخلي لهُ بيلاطس كرسي الولاية وينسحب ليس من المدينة المقدسة فقط بل من كل اليهودية هو وعساكرهُ ! فيجلس يسوع على كرسي داود ! ويعود في ايام ملكهِ عصر سليمان المجيد! ومن مملكة يهوذا قاعدة سلطانهِ يمد قضيب ملكهِ من البحر الى البحر ومن نهر مصر والمشرق الى اقاصي الارض حتى تجثو امامهُ كل الامم ويسجد قدامهُ القياصرة والملوك ويعترف بهِ كل لسان انهُ ملك اسرائيل ملك الملوك ورب الارباب وتكون اورشليم ويهوذا في بهاء ملكهِ اقوى من كل مدن الارض وممالكها ولا يكون نهاية لسلطان شعبنا ومجدهِ !

فهذا يا والدي العزيز مستقبل النبي المنظور اليهِ بعين تلاميذهِ ما عدا واحدًا منهم وهو يوحنا الحبيب فانهُ اشدّ

تقرُّباً منهم جميعاً الى يسوع واحبُّ منهم اليهِ حتى انهُ يعلن لهُ اشياء كثيرة يجهلها الباقون · فيوحنا هذا عند ما سمعنا نرجم الظنون في شأن مجد النبي المستقبل نظر الينا نظرة الاسيف الحزين وقال

«ليس الآن — ليس الآن — ليس في هذا العالم! سوف تشاهدون مجد يسوع لكنهُ ينبغي لهُ اولاً ان يجتاز في وادي الظلام ويعبر باب القبر لان ملكوتهُ ليس على الارض بل في السماوات · اما هنا فاخاف انهُ يكابد الماً وحزناً وربما موتاً مخيفاً لانهُ اخبرني انهُ جاءَ ليتألم ويموت وانهُ انما بدمهِ النازف من كل شريانٍ منهُ يقدر ان يظفر بملكوت يرأسهُ رئاسة لا نهاية لها!

«اذاً أَعدُّوا قلوبكم يا اصدقائي الاعزَّاء للتمزُّق وعيونكم للبكاء · ذلك خيرٌ من انكم تشغلون تصوراتكم بمظاهر المجد والعظمة والقوة : فقد قال لي جلياً ينبغي لي ان احتمل اشياء كثيرة قبلما اجلس على عرش ملكي المجيد فسوف يطلبني اليهود ليقتلوني وأُوخذ من بينكم · ولكن لا يملأَنَّ الحزن قلوبكم فليس للموت من السلطان عليَّ اكثر مما سمحت لهُ · انا وضعت نفسي وانا آخذها ايضاً فضيقات وحزن ينبغي لابن الانسان ان يهدم ملكوت الشيطان رئيس هذا العالم · سوف اغلب

لكن عليَّ ان اسقط ومع ذلك فلا تخافوا! سوف اجعل الموت باب الفردوس لكم جميعاً!'. وكثيراً ما كلمني بكلام كهذا محزن وعجيب على اني لم ادرك معناهُ ولا عرفت كيف افهمهُ لاني لم استطع ان ادرك كيفية امكان موت الذي يقدر ان يقيم الموتى ولا فهمتُ سرّ اجازتهِ للناس ان يأخذوهُ ويقتلوهُ حالة كونهِ قادراً ان يسكت هياج البحر بكلمة!»

وعلى هذا الاسلوب ترانا يا والدي العزيز نتداول البحث بشأن هذا النبي العجيب الذي فوق طورنا ادراك سرّ حياتهِ المستقبلة فلا نعرف عنها سوى ما تدلنا عليهِ النبوات من انها ستكون مجيدة — اما من شفتيهِ فلم نسمع لهُ الاَّ عن مستقبل محفوف بالحزن ولكن سواء كان على كرسيهِ يعطي شرائع للعالم او ملتصقاً بالتراب مثقلاً باشد الويلات لم ازل ولن ازال احبهُ واكرمهُ واحترمهُ واومن بانهُ مخلصي ورئيسي وقدوس الله!

ابنتك

المطيعة والمحبة

ادينا

الرسالة التاسعة والعشرون

ابي العزيز

بالحقيقة لا يمكنك تصوُّر ما انا عليهِ من الغم والتعجب حين شرعت اكتب اليك هذه الرسالة · كيف لا ويسوع نبيُّ الله سجين في قبضة الرومان! فانهُ مشكوٌّ عليهِ بجعلهِ نفسهُ ملكاً ومتَّهم بالمؤَامرة على تجديد مملكة داود ومن تظن شكاهُ في ذلك غير اليهود شعبنا وشعبهِ الخاص؟ اليهود الذين كان يجب عليهم ان يفرحوا برؤية سلطة القياصرة على نهايتها! الذين كان حقهم ان يملُّوا رؤية جبل الزيتون محصناً بالقوة الرومانية! اولئك الكتبة والفريسيون الادنياء الاذلاَّء الذين اخجل ان ادعوهم ابناء وطني شكوا يسوع امام بيلاطس بالخيانة والعصيان! وهو في هذه الدقيقة موقوف عند بيلاطس البنطي وممسك بحرص!

على انني لست اخشى العاقبة اذ لا يستطيع اعداؤُه القاءَ القبض عليهِ الاَّ بارادتهِ لانهُ قادرٌ بكلمة ان يجعل وُثقهُ اوهن من خيوط العنكبوت ولهُ بنظرةٍ ان يصرع حرسهُ امواتاً ! اذاً لا بد انهُ يفلت منهم ! اذ ليس لهم سلطان عليهِ · ولكن ألا يعاقب الرب الاله أُمتنا على هذه الخطية والتعدي على مسيحهِ ؟ ولعلك تسألني يا والدي العزيز لماذا ان كان هكذا قوياً وقديراً اجاز لهم ان ياخذوهُ اسيراً ؟ فهذا لا استطيع الجواب عنهُ ولطالما اقلقني حتى تراني من جرائهِ عرضة الحيرة والانذهال وكل واحد حولي يسأل هذا السؤَل عينهُ · وترى بيتنا غاصاً باصدقائهِ الذين جاءُوا الى هنا اذ الوقت نصف الليل ليتحققوا الخبر ! والآن خمسة من تلاميذه مع عمي عاموس في دار الحكومة يقررون كيفية القاء القبض عليهِ وهانذا اقص عليك الواقع وان كان يزيد المشكل اشكالاً فاقول

انهُ بعد ما اكل الفصح مع تلاميذهِ الاثني عشر في هذا اليوم وعيَّن عشاءً جديداً خاصاً من خبز وخمر قائلاً لهم انهُ سيكون عشاءَهُ الاخير معهم خرج نحو جبل الزيتون وهناك جلس تحت شجرة وكلمهم بحزن قائلاً « ان ساعتهُ قد اقتربت وانهُ قد اكمل العمل وانهُ مزمع ان يسلَّم لايدي الخطاة ! »

واذ سألت يوحنا انا وابنة عمي مريم عن هذا اجابنا بقولهِ « انهُ كان المساء وكنا جميعنا جالسين معهُ حزانى في جانب جبل الزيتون الجنوبي حيث الظلام دامسٌ من شدة تكاثف ظلال الاشجار وشعر كل منا بانطباق شرٍ مخيف عليهِ وقد اثرت فينا نغمة صوت معلمنا المحبوب وهاجت بنا البكاء نظير كلماتهِ التي قصرت عقولنا عن فهمها وكنا جميعنا حاضرين سوى يهوذا الاسخريوطي فانهُ ظلَّ في المدينة ليقوم بدفع نفقات العشاء الفصحي ويعطي اجرة العلية لانهُ كان امين صندوقنا

« وفي ذلك العشاء قال يسوع بوضوح ان واحداً منا يسلمهُ الى ايدي الكهنة الذين منذ دخولهِ الانتصاري الى المدينة المقدسة مسبوقاً ومتبوعاً بالجماهير الصارخين أُوصنا والمعلنين جهاراً انهُ مسيًا لم يكفوا عن السعي في طلب حياتهِ . فلما سمعنا سيدنا يقول هذا الكلام الغريب بلهجة التوبيخ تأثرنا جميعنا تأثراً عميقاً فسألهُ على الفور بطرس والباقون قائلاً كل منهم ' هل انا يا سيد ؟ ' . اما انا فكنت اذ ذاك متكئاً على صدرهِ فقلتُ ' يا سيد من هو المزمع ان يسلمك ؟ فاضع يدي عليهِ وامنعهُ من ان يصيبك باذًى ! '

« فهزَّ رأسهُ واجابني باسماً ' لست تعلم يا اخي المحبوب

مــاذا تقول • ان ابن الانسان ينبغي ان يسلَّم بواسطــة اصحابهِ • ولكن ويل للذي يسلمني • فانظر انهُ احد الاثني عشر الذي يغمس لقمتهُ معي في الصحفة ٬ • فنظرت واذا بيهوذا قــد تقدَّم وغمس في الصحفة مع يسوع ومن شدَّة تلهفهِ او من توبيخ ضميرهِ ارتجفت يــدهُ فانتثر الملح على الخبز وأُريــق المرَق من قبضتهِ في الصحفة فاعطاهُ يسوع القطعة التي في يــدهِ قائلًا لهُ ٬ يا يهوذا مــا تفعلهُ فافعلهُ سريعاً ! ٬ فتعجبنا من النغمة والهيئة اللتين تكلم بهما يسوع لكننا توهمنا انه قال لهُ هذا لاجل قضاء بعض الواجبات لانهُ كان امين الصندوق فلم نوجس خوفاً مما كان مزمعاً ان يفعل ! وفي الحال نهض يهوذا وخرج بدون ان يجيب بكلمة او ينظر الى واحدٍ منا

« وبعد ما انقطع عنا صوت اقدامهِ استولى سكوت تام على العلية لانهُ اخذنا جميعنا خوف عظيم لم ندرك سببهُ فكنا ننظر بعضنا الى بعض والى معلمنا متوقعين حدوث امر مخيف وكانت تلوح على وجههِ لوائح السكوت والمحبة وهو ينظر الينا وقد انقشعت عنهُ سحابــة الغم التي ظللتهُ حين كلم يهوذا وعاد محياهُ الى صحوهِ ونقائهِ »

فسألتهُ مريم معترضة « وما هو ذلك العشاء السرّي الذي عينهُ ؟ »

فاجابها «بالصواب تدعينهُ سرياً فانهُ حينما كنا نأكل الفصح اخذ خبزاً وباركهُ بفعلٍ تقديسيّ خشوعيّ وكسرهُ بيديهِ واعطى كلًّا منا قسماً قائلًا 'خذوا كلوا! هذا هو جسدي!' فاخذنا جميعنا متعجبين ومرتاعين من حالتهِ وفعلهِ واكلنا (لانهُ من يخالف امر سيدهِ؟) باحترام كانهُ خبز الهيكل المفرز لاستعمال الله! فلما اكلنا بسكوت ما توهمنا انهُ مثال لعشاء جديد مقدس موضوع بيدهِ اخذ كاس الخمر وقدَّسها بالشكر والبركة وقدمها لكلٍّ منا فشربنا منها بزيد التجلة والاحترام وهو يقول لنا 'اني لا اشرب من نتاج الكرمة الى ذلك اليوم حينما اشربها جديداً في ملكوت الله!' ثم قال لنا عن الخمر 'هذا هو دمي'»

فسأَلت يوحنا «وكيف تفسر هذه الكلمات ان الخبز المقدس جسدهُ والخمر دمهُ؟» فاجابني «هذا سؤَال لا استطيع الجواب عنهُ. انهُ سرّ ولكن سيدي يقول انهُ يعلن لنا قريباً. ثم سبحنا تسبيحة عيد الفصح وخرجنا حسب امرهِ الى جبل الزيتون وهناك قال لنا

«'يا اولادي انا معكم زماناً يسيراً فقد اقتربت ساعة انطلاقي عنكم فتذكروا كلماتي الاخيرة — ان تحبوا بعضكم بعضاً. بهذا يعرف العالم انكم تلاميذي' فصرخ بطرس 'يا سيد نتبعك اينما تمضي! لا ندعك تتركنا او

تذهب بدوننا! ثم صرخ اندراوس بجد' ان الكهنة يطلبون ان يقتلوك وهم يراقبون خطواتك!' . فقال يعقوب غائراً' اننا لا ندعك تذهب وحدك بل سوف نحميك بقلوبنا وايدينا!' فقلت انا' حيثما ذهبت يا سيدي فلا تركن بنفسك الى اليهود' . وهكذا اجتمعنا حولهُ وعيوننا تدمع وقلوبنا مضطربة وآسفة من جرَّاء ما قالهُ لنا . فنظر الينا وخاطبنا بقولهِ

« 'يا اولادي ينبغي ان اتركـكم وحيث اذهب لا تقدرون ان تأتوا!' فصرخ بطرس 'وان ذهبتَ الى اعماق البحر فاني اتبعك! فالى اين تذهب ولا يمكننا ان نتبعك! اني اضع نفسي عوضاً عنك وهكذا رفقائي!' . فأعلنَّا بصوتٍ واحد تعبُّدنا لسيدنا المحبوب وسألتهُ سرًّا الى اين يقصد ان يذهب ولماذا منعنا ان نذهب معهُ ? فاجابني

« 'كما ربط ابرهيم ابنهُ اسحق ووضعهُ على الحطب هكذا سيجعلني ابي أُربط وأُوضع على الحطب ذبيحة عن خطايا شعبهِ!' فصرخ بطرس 'ليس هكذا! ليس هكذا يا سيد! اني اموت عوضاً عنك قبلما يحدث لك هذا!' . ثم التصق بيسوع كانهُ يروم حمايتهُ . فقال لهُ يسوع ناظرًا اليهِ بعين الحزن والمحبة 'أتموت عني يا بطرس ? الحق . الحق اقول لك انك قبلما يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات!'

فاجابهُ بطرس بلسان العجب والخوف ‹انكرك يا سيدي؟›
فاجابهُ يسوع موكداً ‹نعم يا بطرس تنكر انك تعرفني
لانهُ اقترب الوقت حين لا يكون أمنٌ الآَ لمن ينكر
معرفة يسوع الناصري› ٠ثم زاد على ذلك والدموع في عينيهِ
‹كلكم تشكرون فيَّ هذه الليلة وتخجلون من الاعتراف
انكم تلاميذي وتظنونني خادعاً وتغتاظون مني٠ انتم كل
واحدٍ منكم يتركني لانهُ هكذا مكتوب «يُضرب
الراعي فتتبدَّد الخراف!›»

«وعند استماعنا هذه الكلمات لم نعرف بماذا نجيبهُ
لكنني قبَّلت يدهُ وقلت لهُ ان حاق بهِ خطرٌ اشاركهُ
فيهِ! ولما رأى قلوبنا مضطربة وقد استولى علينا الحزن
وابصر فيلبس منزعجاً من اتهامهِ بانهُ سوف يترك سيدهُ
قال لنا ‹لا تضطرب قلوبكم اني ذاهب لاعدّ لكم
مكاناً في بيت ابي!› فقال توما ‹يا سيد ان اباك ليس حيّاً
بعد في الناصرة ٠ وهبْ انهُ حيٌّ فليس في منزلهِ الحقير
سوى غرفتين صغيرتين فكيف تقول اننا نسكن جميعنا
هناك؟›

« ‹انك يا توما لا تفهم الآَ ما تنظرهُ بعينيك ٠ اني
اتكلم عن ابي الذي في السماوات في بيتهِ منازل كثيرة›٠
وفيما نحن مقتربون من وادي قدرون اخذ يوضح لنا انهُ

سيموت وبواسطة موتهِ نُدخَل الى فردوس سمويّ ونعيش الى الابد. فلم نفهم كل ما قالهُ لنا لكننا عرفنا انهُ سوف يؤْخذ منا عن قريب . فملأَ الحزن قلوبنا وبعد مخاطبتهِ لنا بكلام مؤَثر قال

« دعونا نجتاز وادي قدرون الى البستان في جانب جبل الزيتون حيث يحلو لنا التمشي » فذهبنا معهُ نحيط بهِ كحرس لكي نخفي شخصهُ عن عيون جواسيس اليهود ونحميهُ . فمشى بطرس ويعقوب من قدام واجتزنا شوارع المدينة المظلمة وخرجنا من البوابة التي اجاز بيلاطس ان تبقى مفتوحة ليلًا ونهارًا بسبب ازدحام الجماهير الداخلين والخارجين في عيد الفصح وكان القمر بدرًا وبواسطة نورهِ الساطع تبينتُ في وجه يسوع — اذ كنت ماشيًا بجانبهِ — حزنًا فوق المعتاد وقد قلَّ كلامهُ معنا . اخيرًا دخلنا غابات جبل الزيتون الكثيفة وتقدمنا الى اشجار كبيرة فيها يقال ان ابرهيم كان يجلس تحتها وهناك التفت يسوع نحونا وقال بصوت يدل على اشد العويل والحزن

« يا اصدقائي قد دنت الساعة لمحاكمتي ! وأُكمل عملي . اني اروم الانفراد بنفسي ! فابقوا هنا واسهروا لاننا سوف نُطلَب . تعال معي يا بطرس وانت ايضًا يا يعقوب اني ذاهب لاصلي هناك » فقلت بحزن « خذني انا ايضًا يا

سيدي العزيز' فاجابني 'نعم انت دائماً تكون معي ايها المحبوب اني لست اتركك الآن' · ثم ترك الثانية الباقين بعد ما اوصاهم بالسهر حذرًا من مهاجمة اعدائهِ الذين كانوا يطلبونهُ في كل مكان ومضى واحتجب في مكان بقرب الصخر الذي قيل ان آدم اختبأ وراءهُ من وجه الله وقال لنا بلسان الحزن

«'امكثوا هنا بينما انفرد قليلًا لاصلي الى ابي' · ثم ابتعد عنا نحو رمية حجر وجثا على ركبتيهِ تحت غصن زيتون كثيف متدلٍّ الى الارض حجبهُ عن نظرنا · واذ خفتُ ان يتركنا ولا نعود نراهُ ما ابطأت ان دنوت منهُ فابصرتهُ منبطحاً على الارض وقلبهُ يخفق بتنهدات عميقة وسمعتهُ ينطق بكلام لم استطع فهمهُ من شدة ما صاحبهُ من انّات الحزن لكنني استدللت منهُ على اكتئاب وانزعاج لا مزيد عليهما · وفيما هو يصلي هكذا ابصرتُ بغتةً نورًا خاطفاً أبرق حولي كأنهُ من السماء واذا بملاك وقف بجانب يسوع عاطفاً عليهِ يقيمهُ من على الارض · ثم اضاء مجد ساطع في تلك البقعة حتى ان بطرس حينما شاهدهُ اقترب مني ظاناً اياي رجلًا غريباً دخل البستان حاملًا بيدهِ مشعلًا فاشرت الى بطرس ان لا يبدي حراكاً · فوقف معي شاخصاً بمزيد الحيرة والتعجب في الملاك الذي انبثق من

وجههِ هذا النور وانار المكان حيث كان يسوع واقفاً ولما انهض الملاكُ يسوع رأينا وجههُ مغشياً بسحابة الالم الشديد وعلى جبهتهِ قطرات عرق ممزوجة بدم رشح من صدغيهِ تنحدر على خديهِ ساقطةً الى الارض · ولم نشاهد قط في حياتنا صورةً بشرية كهذه معلمةً بالحزن وموسومةً بالالم وظهر ان الملاك ينطق بكلام مسكن ويشير بيدهِ المضيئة نحو السماء كانهُ يشجع يسوع ويقويهِ فازداد منظر وجههِ سكوناً وهدوءًا · ثم رفع عينيهِ نحو السماء بمظهر الطاعة المقدسة وصرخ بصوت عظيم قائلاً ' لتكن لا ارادتي بل ارادتك يا الله ' وحينئذٍ اعتنقهُ الملاك مشددًا اياهُ وارتفع محتجباً في اعالي السماء ولبثت انا وبطرس واقفين متعجبين ومدهوشين مما شاهدنا »

فسألت يوحنا معترضة كلامهُ « كيف كان منظر الملاك ؟ » فاجابني « كشاب بديع المنظر وبهيئة باهرة لم اقوَ على النظر اليها وتراءَى لي انهُ مرتد ثياباً بيضاءَ لامعة · وقد فاح من وجودهِ في البستان طيبٌ عطّرت رائحتهُ كل هاتيك النواحي بينما نغمة صوتهِ شغلت كل الهواء باهتزاز لحن موسيقي لم يسمع لهُ نظير على الارض » فسألتهُ مريم « أكان لـهُ جناحان ؟ » فاجابها « لا اقدر ان اجيبكِ بالتحقيق · على ان ثيابهُ انبسطت لدى عينيَّ بهيئة جناحين

حينما ارتفع عن الارض ولما كان واقفاً شاهدتها مرسلةً على هيئتهِ الالهية الجميلة • وبعد انطلاق الملاك السماوي سكن روع يسوع . واذ لم نرد اعتراض اعتزالهِ المقدس قفلنا راجعين بسكوت الى حيث كان يعقوب فوجدناه نائماً فبقينا حصة من الزمن نتحدث عن هذه الرؤيا العجيبة التي شاهدناها والتي حقَّقت لنا اتيان يسوع من الله وانهُ بالحقيقة مسيّاً المزمع ان يأتي واذ كنا مثقلين باتعاب النهار فلا بد اننا نمنا لاننا استيقظنا بعد قليل مذعورين بصوت سيدنا العزيز قائلاً 'لمَ نمتم يا اولادي ? لكنهُ مضت ساعة السهر فناموا الآن لانهُ وان كان جسدكم ضعيفاً فروحكم نشيط لم اعد محتاجاً الى مساعدتكم !' لكننا ابينا ان نعود الى النوم . ثم رجعنا الى حيث كان باقي التلاميذ فوجدناهم نياماً فصرخ يسوع بصوت اوقفهم على اقدامهم وقال 'قوموا ننطلق ! هوذا الذين يطلبونني قد اقتربوا !'

« وفيما هو يتكلم ابصرنا عدَّة مشاعل تضيء من خلال الاشجار على طريق الملك داود وطرق آذاننا صوت وقع الاقدام . ثم رأينا جمعاً كبيراً يتقدم مسرعاً نحو البستان فانذرنا سيدنا بالخطر وقلنا لهُ مرتعدين خوفاً 'الهرب ايها المعلم العزيز! دعنا نصعد الى التلة وننجو عن طريق بيت عنيا لان هؤلاء اعداؤك !' فاجابنا 'كلّا بل ينبغي لي ان أُطيع

ارادة ابي واسلم نفسي اليهم والاَّ فكيف تكمل الكتب ؟ فاهربوا انفوسكم ٠ اما انا فينبغي لي ان اذهب الى حيث يأخذونني ٬ ٠ فاجابهُ بطرس ٬ ليس هكذا يا سيد انهُ باقٍ لك وقت للهرب والاَّ فنحن نقف امامك ونحميك ! ٬ ٠ وهكذا قال باقي التلاميذ ٠ اما يسوع فهزَّ رأسهُ باسماً عن حزنٍ ٬ انكم لا تعرفون ما تقولون او ما تريدون ان تفعلوا ٠ قد اتت ساعتي ! ٬ وبينما هو يتكلم اقبل الجمع مقترباً والذين كانوا في مقدمتهِ رافعين مصابيحهم فوق رؤُوسهم ابصرونا ويسوع في وسطنا فشاهدت بملء التعجب يهوذا يقودهم لانهُ وحدهُ كان عالماً اين يوجد معلمهُ في تلك الساعة ٠ ولما ابصر هذا الرجل الشرير يسوع ركض نحوهُ بدالَّة الصداقة وقبَّلهُ قائلاً ٬ يا سيدي ! قد سررت باني وجدتك ٬ ٠ فقال يسوع ٬ يا يهوذا أَبقبلةٍ تسلم ابن الانسان ؟ ٬ ٠ ولما سمع يهوذا هذا التفت نحو الجمع الذي ابصرتُ في مقدمتهِ بعض رؤَساء الكهنة وكتبة الهيكل وصرخ بصوت عالٍ : ٬ هذا هو ! فاقبضوا عليهِ وامسكوهُ بحرصٍ ! ٬

« وعندها اندفع الجمع وكان يبلغ المئة وبينهُ عدد من اراذل الشعب للقبض على يسوع وقد حوَّل ضوء القمر والمشاعل ظلام البستان نهاراً منيراً ٠ فلما رأى بطرس

ويعقوب انهم حملوا على يسوع بسيوف وعصيّ وقفنا قدامهُ ليدافعا عنهُ اما انا فاذ لم يكن معي سلاح القيت نفسي على صدره لاجعل جسدي ترساً يصون قلبهُ فضرب بطرس واحداً من الذين كانوا اشد جرأة على الاقتراب من يسوع بسيفهِ فقطع اذنهُ . وعندها احتدم الجمع غيظاً واشتد هياجهم واندفعوا علينا واذا بيسوع رفع يدهُ وقال برزانة 'من تطلبون ؟' فرجعوا الى الوراء كالامواج المرتدة عن وجه صخر متين غير متزعزعٍ وسقطوا على وجوههم الى الارض ملتصقين بالتراب نحو دقيقة ا ولم يبقَ احد واقفاً سوانا نحن الاثني عشر لان يهوذا لم يصرع معهم . فاخذنا نتفرس بعين التعجب والخشية في اعداء يسوع المطروحين فصرخ بطرس متعجباً 'يا سيد ما دمتَ هكذا تستطيع ان تردَّ اعداءك ناكصين فلا حاجة لك ان ترهب جانبهم . أتأذن لي ان اضرب يهوذا ايضاً ؟'

« 'كلّا يا بطرس بل ضع سيفك في غمدهِ ودع يهوذا يشاهد قوتي ويعلم انهُ ليس لهُ ولا للذين معهُ اكثر مما اعطيتهم انا من السلطان عليَّ' . واذ ذاك نهض الشعب والجند على اقدامهم وظهر انهُ شقَّ عليهم تقهقرهم وعدم ثباتهم في وجه يسوع ثم صرخ رؤساء الكهنة قائلين انهم صُرِعوا هكذا بقوة السحر ثم حملوا علينا كالمجانين وقبضوا

على يسوع وعلينا جميعاً ! وعبثاً صارعتُ عدداً منهم محاولاً تخليص يسوع واذ تغلبوا علينا طردونا من البستان فخرجنا تاركين يسوع في ايدي اعدائهِ ! »

وبدءا اكمل يوحنا قصتهُ هذه مزجنا دموعنا بدموعهِ وعجبنا كيف ان يسوع الذي استطاع ان يصرع اعداءَهُ بكلمة بل بمجرد اشارة بيدهِ سمح لهم ان يُلقوا القبض عليهِ لانهُ عرف انهُ سيموت في ايديهم ! حقاً ان هذا حيَّرنا وكاد يذهب بعقولنا حتى اننا احياناً نميل الى فقد الثقة بهِ ونذهب كما يذهب الآن كثيرون الى اننا كنا تابعين خدّاعاً ثم لا نلبث ان نرسخ في الايمان بهِ وبانهُ مع ما صار اليهِ فلا بد ان يغلب اعداءَهُ ويُرَدَّ الينا وكلما سمعنا وقع خطوة على الباب تنبض قلوبنا بهزة الفرح قائلين لعل سيدنا المحبوب افلت من ايدي آسريهِ

فترانا متوقعين النهاية بصبرٍ وايمان ! وغداً ينجلي لنا كل شيء وعلى كلٍّ نعزي نفوسنا بكلمات وعدهِ هذه

« لستم تعرفون الآن لكنكم فيما بعد تعرفون وتؤمنون اني بالحق قد اتيت من الله ! وما يظهر لديكم الآن غامضاً سرياً سوف يتضح لكم بجلاء لا مزيد عليهِ فاصبروا وآمنوا . وكل ما لا تفهمونهُ الآن سوف يفسر لكم . لا تدعوا التجارب والضيقات المحدقة بي الآن

تُضعف ايمانكم · قد جئت الى هذا العالم لاغلب لكني اضع نفسي اولاً واذا اتضعت فذلك لكي ارفع العالم معي حين اقوم!»

فحقاً انهُ اتضاع عظيم من رئيس الانبياء ان يدع اعداءَهُ يقودونهُ موثقاً! وقد فاتني ان اذكر لك يا والدي العزيز ما قالهُ لي يوحنا ايضاً من جهة القبض على يسوع وهو «لما اوثقهُ رؤساء الكهنة والقوا ايديهم عليهِ سُمع في الهواء صوت حفيف اجنحة كثيرة ونغمات كانها هتاف بوق ترنُّ وتصدي في العُلى وجندٌ لا يحصى من الخلائق غير المنظورة كانوا يسيرون منظمين جيوشاً جيوشاً في عرض السماوات! وعند استماع هذه الاصوات المخيفة السامية رفع الكل رؤوسهم لكنهم لم ينظروا شيئاً فقال يسوع بهيئة جلال وسيادةٍ لم نشاهدها على وجههِ قبلاً · اسمعوا يا رجال اسرائيل واعلموا اني لست بدون اصدقاء سماويين! فليس عليَّ الآن ان اطلب من ابي الذي في السماوات فيرسل لي اثني عشر جيشاً من الملائكة المتجولين باسلحتهم في الهواء متلهفين الى النزول لاغاثتي وانقاذي من يد اعدائي! لكني لا استعمل قوتي لاجل نفسي · اني اتيت الى الارض لكي اتألم · فكانسانٍ ينبغي لي الخضوع لجميع ما يعرض عليَّ وليس لي ان استعمل للمدافعة عن نفسي وسائط

ليست للانسان · لاني لهذا اتيت الى العالم · سيروا · فاني ذاهب معكم!»

وهكذا يا والدي العزيز قبض على يسوع وجُرَّ الى المدينة يتبعهُ جمع غفير بين صراخٍ واستهزاء لانهم اذ نظروا انهم على رغم قوتهِ العجيبة تمكنوا من القبض عليهِ زادوا في تعييرهِ واهانتهِ حتى ان بعضهم توصلوا في الضحك عليهِ بان طلبوا منهُ ان يدعو الاثني عشر جيشاً من الملائكة وآخرون ادعوا انهم جياع وعطاش وطلبوا منهُ ان يحوّل لهم الماء خمرًا ويشبعهم من رغيف واحدٍ اما يسوع فلم يبدِ جواباً بل ظلَّ ساترًا صابرًا على كل ما قالوهُ وفعلوه ولما جاءُوا بوابة المدينة اوقفهم الحرس الروماني ليطَّلع منهم على سبب هذا الشغب فاجابهُ عالي احد رؤَساءِ الكهنة «اعلم يا رئيس الحرس ان بين ايدينا خائناً ومؤَامرًا يدعو نفسهُ مسيحاً وملكاً ولذلك القينا القبض عليهِ بواسطة هذه الفرقة المأجورة من الجند بينما كان يتآمر سرًّا مع اتباعهِ الاثني عشر سعياً في قلب حكومة قيصر وجعل نفسهِ ملك اليهودية» · فصرخ الجند الروماني «ليعش قيصر! ليعش الامبراطور · ليس لنا ملك غير الامبراطور اوغسطس!» ونادى بعض العساكر «خذوهُ الى امام بيلاطس الوالي! فهو يجازي من يريد ان يغتصبهُ الولاية

حسب استحقاقهِ فالى بيلاطس ! الى بيلاطس !»

ثم أُخذ يسوع بين صراخ المتحاملين عليهِ وضجيج المائلين اليهِ وازدحام الغرباء للتفرج على هذا الرجل العظيم الى بيت حنان وكان اعظم رجل عند اليهود ولهُ نفوذٌ بينهم لا يقدَّر . ولما وصلوا الى بيت حمي رئيس الكهنة بصراخٍ وضجيج ومشاعل دعوهُ من سطح فخرج بثياب النوم لان الوقت كان بعد نصف الليل ولما عرف حنان ان المقبوض عليهِ كان يسوع نطق بقسم مخيف دلالة على عظم فرحهِ بنيل غايتهِ الشريرة فلبس ثيابهُ على الفور ونزل الى الدار وامر ان يؤتى اليهِ بالسجين لكنهُ امام جلال يسوع الهادىء أُسقط في يدهِ وذُهل عن استتباع الاسئلة المهينة التي افتتح بها كلامهُ معهُ . اخيراً اذ وجد ان النبي لا يجيبهُ بشيء اوثقهُ بحرسٍ شديدٍ فوق قيودهِ الاولى مخافة ان يقطعها كشمشون ويهرب وارسلهُ الى قيافا رئيس الكهنة قائلاً لهُ «ان قيافا يجد صوتاً للسائك ايها النبي ! وعليهِ فلستَ بناقض الهيكل وتدعو نفسك ابن الرب الاله ! عني ايها المجدف اخرجوهُ خارجاً ! فوحق اكليل داود ان بيلاطس سوف يجعلك في الحقيقة ملكاً ويعطيك كرسياً رومانياً لا تسقط منهُ في الوقت الحاضر لانهُ يسمر يديك ورجليك ! » . وعندها نادى الشعب القاسي قائلاً

«الى الصليب بهِ! الى الصليب !!!» . وقال آخرون «لا بل الى قيافا!» . اما رئيس الحرس الروماني فارتأى ان يؤخذ الى بيلاطس وساروا ويسوع موثق في الوسط . فجدد الشعب صراخهم وتجمعوا وراءهُ بضجيج وهتاف ومشاعل حتى ازعجوا الجنود باصواتهم ! وكان بغض الجمع ليسوع شديداً بهذا المقدار حتى انهم كانوا قبضوا على تلاميذهِ ايضاً لو استطاعوا الى هذا سبيلًا والخمسة الذين نجوا من تلاميذهِ هم الآن في هذا البيت وجميعنا حزانى مضطربون! وسعينا في تخليص يسوع يزيد ضيقهُ ضيقاً ولا يفيدهُ شيئاً فضلًا عن انهُ يشق عليَّ القول ان اثنين او ثلاثة من تلاميذهِ ابتدأوا يشكّون في كونهِ مسيّاً لانهُ عوضاً عن تأسيسهِ ملكوتهُ الموعود بهِ قُبض عليهِ وسُجن ولربما يحكم عليهِ بالموت

ولكن مع كل هذا لا ازال يا والدي العزيز أُومن بهِ وارجو ! لانهُ لا يسعني الشك في حبهِ وقوتهِ . فقد نظرتهُ يقيم لعازر من القبر ولست اريد ان اصدق الآنَ انهُ قادر ان يخلص نفسهُ وسوف يخلص من ايديهم !

لكنهُ ان كان يموت فليس رجائي ورجاء تلاميذهِ الخائفين فقط يبيد بل رجاء استرداد مجد يهوذا ! لاننا حقاً

آمنَّا انهُ هو الذي ينقذ اسرائيل ! والآن بعينين كاد الدمع يعميها ابقى

ابنتك الحزينة

ولكن المحبة

ادينا

الرسالة الثلاثون

ابي العزيز

لست اعلم كيف اكتب اليك · ولا اعرف ما اقصهُ عليك ! لان قلبي ملآن وجلًا وغماً واشعر ان الحياة اثقل من أَن استطيع احتمالها ! فلم يبقَ لي فيها سوى

الحزن واليأس ! فذلك الذي اتكلت عليهِ – الذي اتخذهُ الوف من اليهودية رجاء الامـة -- الذي أمَّل تلاميذهُ المنكودو الحظ (الآن) انهُ يفدي اسرائيـل — يسوع أُسلم في هذا الصباح من الحاكم الروماني لقضاء الموت وقد صلبوهُ !

هوذا دموع الحزن الذي لا يعبَّر عنـهُ تنحدر على القرطاس الذي اكتب عليهِ وتترجم لك بافصح عبارة عن شدة الضربة التي انا الآن رازحة تحت اثقالها ! يسوع النبي الشريف الهادئ الوديع الحكيم الذي علَّم بحكمةٍ ودراية والذي نؤمن بهِ انهُ مُرسَل من الله ليكون فادياً لشعبنا والرئيس المزمع ان يجلس على كرسيّ داود ليردّ مجـد امتنا الخالي — مات ! وبموتهِ واأسفاه! قد تلاشت كل آمالنا ولما نكس راسهُ الدامي على الصليب ! انحنت اعنـاق اليهودية الباكية مرةً ثانيةً الى الـتراب وحملت النير الذي كنا نظن انهُ يكسرهُ عنها وبانطفاء شعلة حياتهِ انطمس النور الساطع من شمس مسيًا الذي رجونا انهُ يكون هو اياهُ لكننا الآن لم يبقَ لنا رجاء ! فلتجلس بنات اسرائيل في التراب • وليلبسنَ مسوح الذل والويـل والاكتئاب • لانهُ مـات الذي كنَّ متكلات عليهِ ! وقضى الذي كان مرجع آمالهنَّ اليهِ ! واصبح اتباعهُ الجازعون الخائفون تائهين

في الحقول او مختبئين من وجه مطارديهم الذين يطلبون حياتهم ايضاً . اوَّاه! لست اقوى على امساك نفسي عن النوح والرثاء مرَّةً بعد مرَّة . والبكاء بدموع سخينة مرَّة . كيف غطَّى الرب بنات صهيون بسحابة غضبهِ والقى من السماء الى الارض فخر اسرائيل وكما يقول النبي «يصفق بالايادي كل عابري الطريق علينا نحن الذين اتكلنا عليهِ وينغضون رؤُوسهم على بنات اسرائيل» . أَهذا هو الرجل — النبي القدير الذي دعاهُ الناس ابن العلي مسيح الله — رئيس بيت داود مجد حكمة الارض وفرحها ؟ قد تمَّ جزاء اثمكِ يا ابنة صهيون

فهكذا ابكي وهكذا اشكو لانهُ حقاً اتى علينا خوف ورعبٌ شديدٌ اصابنا . اكتنفنا الدمار والخراب يا ابي! ولا ندري ايَّة طريق نسلك لان الذي اتكلنا عليهِ ظهر كواحدٍ منا ضعيفاً وعاجزاً فمات بدون قوةٍ يخلّص بها نفسهُ ذلك الذي خلَّص آخرين لم يقدر ان ينجو من موت الصليب الروماني! وفيما انا اكتب اليك اسمع الكاهن ابنير في الدار الاسفل يهزأ بعمي عاموس بصوت عالٍ : «قد مات مسيحك حقاً انكم قد اتخذتم لكم ايها الناصريون نبياً عظيماً شهيراً — وُلد في مذود وصُلب لصاً! أَلم اقل ان من يجسر على الكلام ضد الهيكل

والكهنوت يكون من بعلزبول ؟ » فلم يبدِ الرباني عاموس اقل جواب ! اذ قد أُغلق عليهِ من الخجل والخشية! وهكذا ترى اعداءَنا منتصرين علينا ونحن انما نجيبهم بارتباك واضطراب يقرأونها في وجوهنا وتلاميذهُ انفسهم محكوم عليهم بمخالفة الشريعة . وامس عيَّن قيافا جائزةً لكل من يقبض عليهم . فجميع الذين كانوا منذ يومين محققين الآمال بهِ ويفتخرون بالجلوس عند قدميهِ او باتباعهِ حيثما ذهب صاروا الآن يخشون الاعتراف بانهم عرفوا يسوع عمرهم او رأوهُ . ولكن يا ابي العزيز الذي اليهِ مرجع افكاري وآرائي اتحكم على يسوع كمخادع ؟ ايمكن ان يكون ذلك الذي كان جبينهُ مختوماً بعلامة المجد السماوي وشفتاهُ تنطقان بافضل التعاليم التي يرتاح احكم الفلاسفة واقوى الانبياء الى درسها وتعليمها — الذي كانت سيرة حياتهِ بلا لومٍ وانما عاش ليفعل خيرًا — ايمكن ان يكون غاشاً ؟ وحينما اذكر المرضى الذين شفاهم والبائسين الذين سدَّ عوزهم والحزانى الذين عزَّاهم والجهلة الذين علَّمهم والموتى الذين اقامهم والتعاليم السامية التي بثَّها ومحبتهُ لله واحترامهُ للسجود في الهيكل وكمال آداب حياتهِ اليومية واخلاصهُ التامّ في كل ما قالهُ واشتراكهُ الحقيقي في الشعور مع اهل الاحزان — لا اقدر — حقاً لا اقدر ان امسك القلم واكتب

كلمة «غاش» مع اسمه الكريم ولكن بمَ استبدلها ? حقاً اني اشعر بشقاء ويأس الذين استودعوا كل كنوز قلوبهم شخصاً وثقوا بصلاحهِ وايقنوا باخلاصهِ واخيراً وجدوهُ خائناً لا يوثق بهِ . فقد أعلن يسوع انهُ نزل الى الارض ليملك ويجلس على كرسي داود — وبواسطتهِ تقتبل جميع الامم شرائعها من اورشليم فاين الآن قوتهُ ? اين كرسيهُ ? اما قوتهُ فقد انتهت بالموت وكرسيهُ الصليب الروماني بين اللصوص الاثمة والشرائع بل بالحري القوة الرومانية التي جاء لالغائها قضت عليهِ بالموت

ان هذه النتيجة التي لم اكن اتوقعها ادهشتني وحيَّرت افكاري ! ولم تذهلني وحدي بل جميع الذين فتنهم الايمان بهِ حتى يوحنا نفسهُ التلميذ المحبوب سمعتهُ يتمشى في مخدعهِ وهو يتنفس الصعداء بقلب تكاد انفاس الحزن تقطعهُ وسمعتُ مريم تجتهد من وقتٍ الى آخر في تسكين روعهِ حالة كونها ليست اقلَّ منا تأثُّراً بهذه الضربة الهائلة لانها كانت تقريباً اشدَّ مني ايماناً بيسوع واقوى اتكالاً عليهِ . ولذا فمصيبتها في موتهِ وخيبة آمالها بهِ وبردّ مجد اسرائيل اعظم من مصيبتنا وقد بكينا كلتانا هذه الليلة حتى تقرَّحت اجفاننا ونضبت حياض دموعنا ثم تركتها واخذت قلمي لاسكب لك احزاني وقد سمعت يوحنا

المنكود الطالع يجيبها قائلًا

«عبثاً تحاولين تعزيتي يا مريم! قد خاب الرجاء! وعز العزاء! اذ قد مات يسوع! مات! وفقدنا كل شيء! ولم يبقَ لنا نحن المؤمنين بهِ سوى الهرب — ان رمنا نجاة نفوسنا — الى الجليل والرجوع الى شباكنا! فلم تكن تلك الشمس التي اضاءَت بلمعانٍ باهر سوى نورٍ طيفيّ استحال في الحال الى ظلام دامس . آه كيف استطاع ان يكون هكذا شبيهاً بابن الله . ولم يكن هو اياهُ! ومع ذلك لا ازال احبهُ واعتبرهُ كانهُ نفس ابن العلي! لكنني رأيتهُ يموت كانسان — وانعمت نظري في جسدهِ العديم الحياة! وشاهدت الجرح العميق الذي احدثتهُ في قلبهِ الحربة الرومانية! وطرحت نفسي عليهِ حينما أُنزل عن الصليب متوسلًا بمحبتهِ لي ان يقيم شاهدًا على كونهِ لم يُمسك بالموت! ووضعت يديَّ المرتجفتين على قلبهِ فاذا بهِ هادئ ساكت — عديم الحركة كالحجر نظير قلب انسانٍ ميتٍ! ولحم جثتهِ باردٌ ساكنٌ لا تعروهُ اقلُّ حركة من حركات دورة الدم فقد مات! مات! ومعهُ ماتت كل آمالنا — آمال اسرائيل!».

فقالت مريم برقة وتلجلجٍ كانها هي نفسها غير واثقة بما تقول «لعلهُ يحيا ثانيةً فقد اقام لعازر وانت تذكر هذا!» فاجابها يوحنا «نعم لانهُ كان وقتئذ حياً ففعل هذا واما

الآن أفيقدر الميت ان يقيم ميتاً ؟ كلَّا فليس بمتحركٍ بعدُ ولا ينطق او يتنفَّس مرةً ثانية الى الابد»

وهكذا تركنا يا والدي العزيز ننوح بمزيد الخجل على انخداعنا وضلالنا · ونبكي على فشلنا وخيبة آمالنا · وبإخلاص اعترف امامك اني استعجلتُ في التسليم بان يسوع هو مسيًّا الله ولكن آه لم يسعني الآَ ان أومن بمن كان اشبه شيء بملاكٍ سماوي — رئيس علويّ ! ففي كل هذا سرٌّ عميق مخيف لاننا الى النهاية بقينا موقنين انهُ يستطيع ان يعتق نفسهُ وينجو من حبال الموت ! اوّاه انها خطايانا التي جعلتهُ تعالى يقضي باكتنافنا بالقنوط والفشل · والعار والخجل · وفيما انا احاول تعزيةً لنفسي بتذكر صلاحهِ وقداستهِ ارى هذا التذكر يزيد الحاضر امامي إبهاماً ويطبق عليَّ بظلامٍ كثيف تراني احاجُّ نفسي قائلةً كيف امكن ان يكون ذلك الفائق الطهر والصلاح خادعاً عظيماً ؟ هوذا انا احيا واتنفَّس واما ذاك الذي علمني أَنَّ لهُ حياةً في ذاتهِ والذي آمنتُ بهِ انهُ يقدر ان يقيمني اذا متُّ فقد مات الآن هو نفسهُ ووُضع في القبر وانا مع كل ذلك باقية حيةً ! ذلك الذي وثقنا بملء اليقين ان ليس للموت سلطة عليهِ لانهُ بمجرد صوتهِ فتح ابواب القبر واخرج من فيهِ حياً قد غُلب بالموت وظهر انهُ ليس الآَ ابن يوسف ومريم

الارملة · فيا مسكينة ! انها لا تريد ان تتعزى ! لأنَّ مصابها يمزّق القلب وذاك ليس لانها فقدت ابنها الوحيد الذي تعلقت بهِ كل آمالها الوالدية فقط بل لانها جلست في رماد الخجل بسبب موتهِ وتركهِ الوفا من المتكلين عليهِ تائهين في البراري لاجل اسمهِ ومتجرعين غصص اليأس من الحصول على جميع ما توقعوهُ منهُ

وفيما انا اكتب اليك الآن اسمع تنهداتها الشديدة وهي مطروحة على فراش اليأس وبقلب منكسر في بيت عمي لان يوحنا اتى بها بعد صلب يسوع كما اوصاهُ وقد طلبت ان تُترَك وحدها وحينما افتكر بمصيبتها التي لا تُحتمَل انسى احزاني لان ابنها انحط بغتةً من المركز الرفيع الذي استولى عليهِ · واستمال منهُ جميع الانظار اليهِ · ومات موت الاثيم · وخلَّف بعدهُ وصمة الخادع الذميم

وهذا يجرح قلبها اكثر من اعتبار ثكلها وقد سمعتها تقول للرباني عاموس حين دخل اليها «آه آه أَممكن انهُ يكون قد خدعني ذلك الذي وثقت انهُ الحق ؟ أَوَّاه يا ابني — يا ابني — كان خيراً لك لو بقيت في دكانك الحقير تعيش عيشةً دنيةً من انك طمعاً في تحصيل شرفٍ زمنيّ بواسطة اكتساب شهرة نبيّ تعلق بك آمال اتباعك وتغريهم بمواثيق انت اقصر من مطاولة الوفاء بها وتموت

اخيراً هـذا الموت اللعين ! حقاً ان هـذا أدمى فؤادي ٠ واعدمني رشادي ٠ ولسوف يحـدر شيبتي الى القبر بهوان وذل ويجرّعني مع غصة المـوت غصة كوني أمّ ذلـك الاسرائيلي المضل ! »

على اني اضرب الآن عن وصف هـذه الاحزان — الاحزان المصحوبة بالـذل والقهر لالتصاق عزّنا وافتخارنا بالتراب واشرح لك بالتفصيل مـا حدث بعد القاء القبض على يسوع لاني اروم ان اطلعك على كل ما يتعلق بهِ لـكي تنظر كيف انهُ بقي محافظاً على صفاتهِ السماوية التي اجتذبت كل الناس اليهِ الى النهاية — الى حين وقوفهِ امام قضاتـهِ بهيئة انسانٍ مترفعٍ بصدق اعتقادهِ ببراءتهِ ومكتسب اعتبار أعدائهِ واعجابهم ٠ فكيف يمكنـهُ ان يكون خادعاً ؟ على انهُ مات وقد قال تلميذهُ بطرس الذي جاء هذه الليلة ليسأل يوحنا ماذا ينبغي لهما ان يفعلا « ان موتهُ يدفن كل امانينا الى الابد »

وفي رسالتي الاخيرة اخبرتك بتسليمهِ بواسطة خيانة يهوذا وقد كانت الساعة الثالثة ليلاً حين أُدخل الى المدينة من بوابة قيصر التي بقربهـا يسكن عمي عاموس و كنت اذ ذاك في غرفتي التي تشرف على شارع الملوك واذ اجفلت بغتةً بصراخ اناسٍ طائشين اعترض هيجانهم سكون الليل

ثم طرق أذني لغـاط الحرس الرومـاني وتعاظم الشغب وازداد الصراخ ارتفاعاً وهنا اقتبس لك ما كتبتهُ بهـذا الخصوص مريم ابنة عمي الى مرثا في بيت عنيا قالت

«خرجتُ أُشرف على الشارع واذا بي ارى جمعاً غفيرًا بمصابيح متقدم اجتازوا مقابل بيتنا وهم نحو مئتي رجـل رثاث الملابس ارديا‌ء المناظر وبينهم عدد من اللاويـين يحثونهم على الاسراع في المسير ومنهم الكاهن ابنير الذي كان يضرم حميَّتهم باقوالهِ المهيجة والى الوراء خمسة فرسان من الرومان مشرعـين رماحهم يحرسون شاباً ماشيـاً قدامهم · هـذا كان يسوع ! وكان شعرهُ مرخىً ولحيتهُ منتوفة ووجههُ مخدَّشاً وثيابهُ ممزَّقةً وهو اصفر بلون البهار لكنهُ ماشٍ بقدمٍ ثابتة فاستخرطتُ في البكاءِ وهكذا فعلت اديثا التي خرجت معي لتنظر ماذا حدث اما هو فرفع نظرهُ الينا وقال بصوت مؤثر ‹لا تنوحا عليَّ› · وكان في عزمهِ ان يقول اكثر من هذا لولا ان الكاهن ضربهُ على فيهِ وكاد الجمع كلهُ يقتفي اثرهُ ولكن فرسان الرومان صوَّبوا رماحهم الى كل جهةٍ ليحولوا دون اذيتهِ وكانوا قد انقذوهُ من غضب اليهود المخيف حسب اوامر قائدهم واتوا في حراستهِ يوصلونهُ الى بيلاطس · ولما مرَّ الجميع وانقطعت اصوات الضجيج ورجع السكوت مخيفاً نظرت في وجهِ

ادينا فرأيتها ممتقعةً ثم سألتني

« ‹ما معنى كل هذا ؟ أممكن ان يكون ممسكاً بارادتهِ — هذا الذي يقدر ان يميت ويحيي بكلمة ؟› فما المراد من هذا المنظر المخيف الذي شاهدناهُ الآن ؟› فلم اقدر ان اجيبها لانهُ كان مبهماً وغير مدركٍ لديَّ فكل ما عرفتهُ كان ما شاهدتهُ عيناي من ان يسوع نبينا ومسيحنا الذي كان محط رحالنا. وقبلة آمالنا · جرَّ اسيراً في الشوارع بلا منقذ ولا معين · فصرخت ادينا بغتةً ‹لا يمكن ان يؤذى ! ولا يمكن ان يموت ! انهُ نبيٌّ قدير ويستطيع ان يصرع اعداءَهُ امواتاً ! فلا تخف وانما سلّم نفسهُ ليزيد انتصارهُ على اعدائهِ ويعظّم دمارهم · فلا نخشَ ما يفعلهُ بيلاطس او الكهنة ! اذ ليسوا بقادرين ان يؤذوا شيلوه مسيح الرب !›

« ‹وفيما نحن نتكلم يا عزيزتي مرتا اذا برجلٍ عرض متلصصاً وانسلَّ تحت الشرفة الواقفتين عليها وعندها فتح ابي عاموس البوابة الخارجية وبيدهِ مشعل ليتبع جمهور الشعب اجابةً لطلبنا وينظر ما يحدث ليسوع فوقع نور المصباح على قامة بطرس الطويلة وتبين لناظرنا شخص الصياد الجليلي فصرخ ابي ‹أهذا انت يا بطرس ؟ فقل لي ما هذا ؟ من أمر بالقاء القبض على يسوع ؟ وماذا فعل ؟›

« ان قيافا البغيض يطلب اعدامهُ وقد رشا اراذل اليهود بمبلغ فاحش من الذهب لكي يفعلوا هذا الفعل الاثيم · فهلمَّ بنا ايها الرباني عاموس نموت معهُ ! » قال هذا وانطلق يعدو بسرعة لم يستطع ابي مجاراته فيها ثم مضى على ذلك ساعة ولم نسمع خبراً جديداً الاَّ انهُ من وقت الى آخر كان يتصل بنا ضجيج اصوات من قصر قيافا وتلوح لاعيننا انوار المشاعل المضيئة هناك · فيا لها من ليلةٍ محفوفةٍ بالمخاوف والرِيَب وقد همَّت ادينا اكثر من مرةٍ ان تخرج هائمةً على وجهها تحت الليل نحو القصر لتسمع وتعرف كل شيء لولا اني كنت اتوسل اليها بالعدول عن ذلك وقد ابتدأَت تحرّر لابيها رسالة بها تقصُّ عليهِ هذه الانباء المحزنة لكنها كلما سمعت صوتاً تترك القلم وتسرع الى الشرفة متطلعةً · فمتى تنقضي هذه الليلة المخيفة ؟ · وماذا يعلن لنا الغد ؟ · ان ادينا مؤمنة بان لا شيء يلمُّ بالنبي المقدس لان الذي اقام اخاكِ من الاموات لا يمكن ان يخشى الموت · وفضلاً عن هذا أَما وعد انهُ يأتي من الله ليكون ملك اسرائيل ؟ فان دخل المجمع هذه الليلة موثقاً فذلك لانهُ غداً يجلس على الكرسي الروماني وبيلاطس مكبلٌ بالقيود عند رجليهِ ! كتبت هذا لكي ارسلهُ اليكِ مع أَلك عند الفجر لكي تسرعي انتِ ولعازر بالقدوم الينا

«مضت ساعة منذ اكملت لك السطر الاخير وفيها طرأ حادث مؤلم فقد بلغنا ان الكهنة ملحّون على بيلاطس بان يحكم على النبي بالموت . وقد طرقت آذاننا اصوات «اصلبوهُ! اصلبوهُ!» وبعد ما مرَّ يسوع من هنا بنصف ساعة دخل يوحنا معيياً من شدة التعب وثيابهُ ممزقة من كثرة شد اليهود بها محاولين القبض عليهِ نظير يسوع لكنهُ مطمئن القلب وساكن النفس من جهة سيدهِ لثقتهِ بانهم لا يقدرون ان يصيبوهُ باذًى وانهُ بعد قليل ينقذ نفسهُ من اعدائهِ ويعلن نفسهُ ملكاً على اسرائيل بقوة لم تكن قط لانسان ! فليصنهُ اله يعقوب ! وقد خرج الآن يوحنا الى الهيكل يتجسَّس الاخبار متزيّياً بزي كاهن ولابساً حلة ابي . فاخشى انهُ يُعرَف ويُمسَك لان اليهود حاقدون على اتباع يسوع بقدر حقدهم عليهِ

«تطلعت الآن فرأيت رسولاً يعدو على ظهر جوادهِ كالبرق حتى جاء مقابل بيتنا فعثر بهِ الجواد والقاهُ على عتبة بوابتنا واذا بهِ خادم الامير عوميليوس خطيب ابنة عمي ادينا التي في الحال نزلت لاغاثتهِ لكنهُ والحمد لله لم يُصب باذًى ولم يلبث ان امتلك رشادهُ واخبرنا انهُ حامل رسالة من لوسيا امرأة بيلاطس بها تلحُّ على زوجها بان لا يتعرَّض بشيء للنبي بل يتركهُ في حال سبيلهِ لانها قد

استيقظت الآن من حلمٍ هائل بهِ رأت يسوع جالساً على عرش المسكونة مكللًا بنجوم السماء وجاعلًا الارض موطئاً لقدميهِ وجميع الامم ساجدة لهُ وكل الآلهة العظام طارحة تيجانها وصوالجتها عند قدميهِ متعبدة لهُ !

« ولما فرغ من كلامهِ ركب جوادهُ وانطلق يجري مسرعاً الى قصر بيلاطس · وقد اوحت الينا هذه القصة بفرح ورجاء لا يعبّر عنهما · واذ وثقنا بان يسوع هو ابن الله لم نعد نخاف ما يصنعهُ بهِ الناس

« الآن صارت الساعة الثالثة بعد نصف الليل وابتدأ نسيم الفجر يهبُّ قارساً بارداً ويحول دون استطاعتي مداومة الكتابة اليكِ وسوف ابعث اليكِ بهذه الرسالة حالما تفتح بوابات المدينة فلا تبطئي في الحضور الينا لاجل تعزيتنا لانهُ لا يجمل باصدقاء يسوع ان يكونوا في مثل هذا الوقت خارج اورشليم

« الآن رجع ابي والوقت نهار وهو يقول ما من وسيلة لانقاذ يسوع سوى قوتهِ الالهية فاليهود مجتمعون بالالوف وكلهم يطلبون دمهُ · واذ ليس عند بيلاطس سوى فرقة من العساكر فهو يخشى استعمال القوة بعنف لئلا يقدم القوم الثائرون على عصيان جهاري ويغتصبوا المدينة وهذا يقدرون عليهِ بكل سهولة اذا اتحدوا ولهذا يقول ابي ان

بيلاطس حائرٌ في امرهِ بين خوف الحكم على البريء وخوف انتقام اليهود منهُ ان اطلق يسوع فليس من منقذٍ للنبي سوى قوتهِ القادرة على صنع العجائب والذي خلّص آخرين يستطيع ولا ريب ان يخلص نفسهُ

«وبينما ابي يتكلم اذا برجل قد اقتحم الحضرة وكان قصير القامة عريض المنكبين ذا لحية خشنة ضاربة الى الحمرة وعينين ضيقتين وجميع ما فيهِ دليل الخسة والدناءة وكان حاملاً في يدهِ اليمنى كيساً سمعنا من اهتزازهِ رنين نقود · فدنا من ابي وهو يرتعد من قمة رأسهِ الى اسفل قدميهِ وامسكهُ بيدهِ وقال لهُ بصوت اجشّ وهيئة اشبه بالجنون

«'أيدعهم ! أ ! أ ؟'

«'يدع من ايها الاسخريوطي ؟ عمَّن تتكلم ؟ أذو جنةٍ انت ؟ حسناً يكون هذا بعد ان فعلت ما فعلت هذه الليلة'

«'أيدعهم يقتلونهُ ؟ أَيموت ؟ أيموت ؟ أتظنهُ ينجو ؟ يستطيع ان اراد ! ليست الحبال لديه باقوى من خيوط العنكبوت !' فاجابهُ عمي حزيناً

«'لا لا — انهُ موثقٌ يداً ورجلاً · لم يبدِ اقل دفاع !

اخاف انهُ يتركهم يفعلون بهِ ما شاءوا ولا يسعى في انقاذ حياتهِ ٬

« فعندها ضرب جبهتهُ بعنفٍ بكيس النقود واندفع بيأس مخيف نحو الباب وخرج وهو يصرخ

« ٬سوف اخلصهُ ! واردّ للكهنة نقودهم · لا يموت ! لو لم اكن موقناً بانهُ يصنع معجزة ينجو بها من ايديهم ما بعتهُ الدهر · فقد رجوت اني آخذ دراهمهم متكلًا على استطاعتهِ الافلات منهم بواسطة قوتهِ ولم يدُر في خلدي انهُ لا يستعملها في تخليص نفسهِ · سوف اخلصك يا انسان الله البري لاني انا الاثيم ولست انت ! آه يا ليتني عرفت هذا قبلًا – لكنهُ لا يموت ! ٬ وبهذا الكلام توارى عنا منطلقاً نحو دار قيافا وقد تركنا في انذهال لا مزيد عليهِ مما سمعناهُ منهُ · فقال ابي

« ٬الآن فهمت · ان يهوذا أَمل ان يحصل على الدراهم ويخدع رئيس الكهنة واثقاً بان قوة النبي الالهية تقدرهُ على التخلص منهم · فانظروا قوة الضمير ! ان يهوذا الآن ممتلئ خوفاً ورعباً لانهُ يعلم جيداً ان الذي اسلمهُ هو رجل بدون خطية او اثم ! ٬

« الآن طلعت الشمس ونصيب يسوع اصبح محتوماً ! فان الوالي قضى عليهِ بالموت واليوم يُصلب · لكني ما

زلت نظيرِ يهوذا موقنة بانهُ لا يمكن ان يموت وانهُ سوف يشهر ذلك بآية عجيبة او انقاذ شخصي وهكذا ترينــا نزيد الخشوع والجزع نرجو ونصبر »

وهنا ينتهي يا والدي العزيز ما كتبتهُ ابنة عمي مريم الى مرثا ولعازر واذ انهُ مهم جدًا ارجو انــك تقبلهُ كانهُ مكتوب مني لاني كنت طــول الليل في حالة من القلق والاضطراب لا تمكنني من ان اكتب اليــك كما كتبت هي . واما الآن فاذ قــد أُكمل كل شيء – الآن يسوع ملقًى ميتًا في القبر يستريح الى الابــد – اراني بكل اسف مستطيعة ان استأنف الكتابة اليك . وفي رسالتي التالية افصل لك محاكمتهُ حسبما سمعتها من عاموس ويوحنا اللذين شاهــداها الى النهاية . وفي هذا المساء اذهب لانظر القبر حيث وضعوهُ لانهُ وان يكن قد خيب بموته كل آمالنــا به وبرهن لنا انــهُ لم يكن مثلما كان اعتقادنا بهِ لا يزال قلبي وكل عواطفي تحنُّ الى ذكرهِ بمــلء الشوق وتقــود خطواتي نحو مكان راحتهِ الاخير . وعلى رغم انخداعنا به لا اقدر اذكرهُ بلسان التعظيم والتوقير . آه . لا . لا استطيع – لكنني لا اجسر ان اتكل على ذاتي في قول كل مــا اشعر بهِ ! وانما اتمنى ان اقوى على نسيانهِ الى الابــد آسفة اشدّ الاسف على محاولتي اقناعك بانهُ شبلوه الانبياء ودمع

كل ذلك لم يتكلم انسان قط يا ابي العزيز مثل هذا الانسان ! وهب ان شيلوه اتى بالحق فهل كان يستطيع ان يعمل اعظم مما عمل هذا ؟ في كل شيء كان ابن الله الأ في موتهِ فهذه الحادثة تحطم كل آمالنا وتنزع اعتقادنا انهُ المسيح !

ابنتك
الحزينة ولكن المحبة
ادينا

الرسالة الحادية والثلاثون

ابي العزيز

لم اختم رسالتي السابقة حتى قبضت على اليراع وجلست اكتب اليك هذه لانني اجد في كتابتي اليك منفذًا لحزني العميق الذي هوى بنفسي الى حضيض الهوان والمذلة · وان كان ممكناً ان يضاف شيء من القهر الى ما بي من جرَّاء موت يسوع الناصري فذلك لاني حثثت مطايا الجهد واخليت ذرع الجدّ في حملك على الايمان بهِ نظيري · فسامحني يا ابي · حقاً انك تفوقني جدًّا في الحكمة وفي معرفة الانبياء والحكم في الامور ولكن مَن كان يستطيع الحكم في ان يسوع كان اقلّ مما ادَّعى — ذات ابن الله ومسيحهِ ؟ آه ! لستُ بمعتقدة بعد هذا بكائنٍ بشريّ وكلما كان مَن اسمع بهِ من هذا الطرز شديد

المحبة وكثير القداسة وفائقاً سواهُ في سمو الصفات وحكمة الاقوال وطهارة التعاليم ونبالة المقاصد ازداد بمقدار ذلك شكاً فيهِ وارتياباً . فقد دُفنتُ في القبر مع يسوع – من الآن الى الابد – كل ثقة بفضيلة بشرية — ولو جاءت مؤيدة باعظم المعجزات ٠ وعندي ان الانسان يستطيع ان ينشر الحقائق الالهية لا بل يستطيع ان يتزيا بصورة ملاك ويشفي المرضى بلمس يدهِ ويمشي على البحر ويقيم الموتى ويخرج الشياطين ويظهر اخيراً من اكبر الخادعين المنافقين

لكنني انتبذ هذه الافكار المؤلمة مكاناً قصياً واعود الى انجاز ما وعدتك من تفصيل محاكمة يسوع لانك ولا شك تكون متعطشاً للوقوف على الشكوى المبني عليها الحكم بموتهِ

فالآن الصباح التالي يوم صلبهِ وفيهِ اجد ذاتي اسكنَ روعاً من امس واقدر على الكتابة اليك ٠ وقد مضى اربع وعشرون ساعة منذ ما سُمِرَ على الصليب ولا يزال أتباعهُ من حين قُبض عليهِ يطارَدون كوحوش البرية ٠ وقد استأجر حنان جنوداً رومانيين وارسلهم بعد ما ملأَ رؤُوسهم خمراً الى كل مكان ليقبضوا على الناصريين التائهين ٠ وقد جاءَ البعض منهم ليلة امس نصف الليل يطلبون يوحنا في بيت عمي عاموس لكننا ساعدناهُ على

الهرب بواسطة سرداب تحت الارض يؤَدي الى مدافن تحت الهيكل وقد صحبتهُ مريم الناصرية ام يسوع وكلاهما خرجا من المدينة قاصدَين بيت عنيا ومن هناك يذهبان الى بيت يوحنا الجديد قرب جنيسارت ٠ والعازر الذي اقامهُ يسوع من الاموات أُمسك ايضاً ولكن عوميليوس الامير الروماني سعى في اطلاقهِ واتى بهِ الينا كما انهُ (عوميليوس) وضع حاميةً من الجند حول بيتنا تفادياً من هجوم اليهود علينا ولذا استطيع ان اكتب اليك غير معترضة بادنى انزعاج ولم يبقَ احد غير عوميليوس من الواثقين بمواعيد يسوع بعد موتهِ فقد قال ان يسوع تنبأَ جلياً عن موتهِ وانهُ ان مات فسوف يقوم ثانيةً ! وبطرس ايضاً يتذكر قول يسوع هذه الكلمة ولكن عمي عاموس لا يثق بهذا ويقول

«سهل على الانسان ان يتنبأ عن موتهِ ويسهل عليهِ ايضاً التنبُّوء عن قيامتهِ ! ولكن دعونا ننظر يسوع قائماً فنؤمن بهِ بالحق !»

اما عوميليوس فانهُ على حداثة تهوُّدهِ شديد الايمان بقيامة يسوع حتى انهُ عوضاً عن اهمالهِ كل شيء نظيرنا يقول انهُ لا يتعجب اذا باغتهُ الخبر من العساكر الذين اقامهم على حراسة القبر بان يسوع بُعث حياً من الموت اوقد

كان عوميليوس يحيي فيَّ رجاء جديداً ! لكنني يا ابي العزيز شاهدت جنبــهُ المطعون وعاينت مسيل الدم والمــاء من جرحهِ القرمزي ورأيت رأسهُ العــديم الحياة منكساً على صدرهِ فلو لم يُطعن الى مخارق قلبهِ كنت اؤَمل انهُ يحيــا ثانيــةً ! ولكن تلك الطعنة النجلاء . انتزعت من قلبي الرجاء . فلم ينحلَّ انحلالاً ويظهر ميتاً حتف انفــهِ بل ذُبح ذبحاً بحيث شاهدتهُ مطروحاً عند اسفل الصليب جثةً ممزقة تسيل منها الدماء من خمسة جراح احدهــا نافذ الى داخل قلبهِ . وكنتُ اودُّ لو ان لي يقين عوميليوس العزيز لكنني بقيتُ مؤمنة نظيرهُ حتى ساعة موت يسوع وحينئذ مات معهُ ايماني !

اما تفصيلات محاكمة يسوع فكانت نقــلاً عن عمي عاموس ويوحنا « بعد ما مضى بــهِ الجمع الى قدام بيت حنان قال لهم (حنان) ' ادخــلوهُ الى الدار اسفل فقسماً بعصا هرون لاجعلنهُ يصنع لي معجزة عظيمة ' . ثم اسرع نازلاً فوجد الدار غاصَّة بجمهور اليهود وبينهم عــدد من الجند الروماني وبالجهــد استطاع الوصول الى حيث كان يسوع واقفاً موثقاً ومحاطاً بالجنــد . وبعد ما تفرس فيــهِ بامعان خاطبهُ بلسان الهزء

« ' أأنت اذاً ملك اليهود ؟ وقد جئت لتحكم على

كرسي داود؟ فأرني آية من السماء فأومن بك ايها الناصري بلا مراء !

« اما يسوع فبقي ساكتاً وذلك اشعل الغيظ في قلب حنان وبعثهُ على ان لطم يسوع على خدهِ وعندها دخل رسول من عند قيافا رئيس الكهنة الذي كان متزوجاً بمريم الجميلة المتغطرسة ابنة حنان يطلب ان يؤتى اليهِ بيسوع فصرخ اذ ذاك حنان بصوت عالٍ ! خذوهُ الى القصر ! وهناك صهري قيافا ينظر في امر الرجل الذي اراد نقض الهيكل وبناءهُ في ثلاثة ايام

« فحدث هيجان عظيم من الكهنة والشعب وهجموا على يسوع صارخين اصلبوهُ ! واخذوا يتطاولون عليهِ في الطريق وهم محيطون بهِ من كل جانب حتى اضطرَّ الجند الروماني الى صدهم بالقوة وجرح كثيرين منهم وهذا انشأ ضجيج فتنةٍ وصراخ — نكّسوا رايات الرومان ! احملوا على البرابرة ! لتمت الامم ! . ثم ولي هذا الصراخ هجوم الشعب على الحرس فتقهقر الجند ولم تجدهِ حرابهُ نفعاً وأُخذ منهُ يسوع عنوةً لكنهُ في إبان هذه المعركة اقبل الامير عوميليوس في مقدمة فرقة من الكتيبة التي كانت تحت قيادتهِ العامة فبدَّد شمل الثائرين وانقذ يسوع من ايديهم بعد ما أَلحق بهم خسارة حياة واحد من اتباعهم السفلة

الاوباش فقال عوميليوس للنبي بمعظم الوقار والاحترام اني اعلم يا سيدي ان لك قوة من الله تقدرك على تبديد هؤلاء الاراذل المردة كالعصافة التي تذريها الريح ! فتكلم ودعهم يبيدون بامرك الالهي ! ' فاجابهُ يسوع

« كلاَّ يا ابني ! لاجل هذه الساعة اتيت الى العالم وهذا ايضاً قسم مما ارسلني ابي لاجلهِ فانهُ يليق بي ان احتمل كل شيء حتى الموت ' فقال عوميليوس بحرارة وانك لا تقدر ان تموت يا سيدي ! ألم اشاهد اقامتك لعازر من القبر ؟ '

« اتيت الى هذا العالم لكي اموت . ولكن ليس عن نفسي . اني اضع حياتي ولي سلطان ان آخذها ايضاً . وهؤلاء الرجال ليس لهم عليَّ سلطان لو لم يعطهم ابي وما يريدهُ ابي اريدهُ انا ايضاً فلا تحاول انقاذي يا ابني وهذا اليوم رآهُ قديماً اشعياء الذي كتب عني . فينبغي لي ان اكمل الانبياء فالباقي عليَّ اذاً ان اسلم الى الحكم والى الموت ! ' وهذا جرى بينهما تحت الرواق حيث حل عوميليوس وثاقهُ واراح يديهِ ورجليهِ الدامية . اما الشعب فبعد ما سكن هياجهُ قليلاً بسبب كرَّة فرسان الرومان عليهِ عاد الى تجديد الشغب والهيجان بينما نقل البعض جثة الميت المثخنة بالجراح وواروها عن العيان واستأنف الجميع

الصراخ بصوت واحد قائلين "الى قيافا! الى قيافا! هلموا بالمجدّف الى قصر رئيس الكهنة! لأنّ من يدعو نفسهُ الله يستوجب حسب ناموسنا العقاب بالموت فخذوه الى رئيس الكهنة!" فاعاد عوميليوس السؤال على يسوع "اني قادر ان انقذك ايها النبي العظيم اقل كلمة فاركبك جوادي وارسلك على جناح الامن الى قلعة داود" فاجابهُ يسوع "ان رئيس الكهنة يستدعيني ويجب ان يطاع". فسار عوميليوس في حراستهِ الى دار رئيس الكهنة متعجباً من رفضهِ النجاة. وكان قصر قيافا متوهجاً بالمصابيح حتى كانت دار هرون داخلهُ متقدة بنور مئة مصباح فدخل الجند الروماني بيسوع ووراءهم جمهور لا يحصى من الشعب وهم يزدادون عدداً دقيقة بعد أخرى وكانَ قيافا اذ ذاك جالساً على كرسي الرئاسة مع ان الوقت كانَ نحو الساعة الثانية بعد نصف الليل ولم تسبق لهُ عادة من قبل ان يجلس في مثل هذا الوقت في غرفة الاستشارة لكنهُ اذ كان ينتظر بفروغ صبر احضار يسوع اليهِ، وبدسائسهِ من قبل ساعة تمّ القبض عليهِ في جبل الزيتون، عقد الآن جلسة فوق العادة فاستوى على كرسيهِ يحيط بهِ عدد من الشيوخ ورؤساء الكهنة وعيونهم شاخصة الى الباب يراقبون دخول النبي الآتي. وكان اشدهم تعطشاً الى ذلك قيافا نفسهُ الذي

اتخذ الناصريّ الفصيح مناظرًا لـهُ في عيون كل الشعب ولهذا كان يشتاق بمزيد التلهف الى اعدامهِ ٠ ولمـا دخل يسوع يتقدمهُ عوميليوس الاسيف حنا قيافا قامتهُ الطويلة الهائلة قدامهُ واشرأبَّ بعنقهِ متطاولاً الى الامـام واخذ يحدج النبي بعينيهِ الحادتين القادحتين شرار الغيرة والحسد والعداء !

«وفي الحال غصت الدار على رحبها بالجمع المتزاحم حتى ادّى الامر الى احتشاد بعضهم على الدكة المرتفعة المفرزة لجلوس الكتبة والشيوخ وغيرهم من رؤساء الكهنة٠ ثم تقدمت العساكر الرومانية واصطفت على جانبي كرسي رئيس الكهنة تاركة يسوع واقفاً وحدهُ امام موطىء قدمي قيافا وكان المشهد مؤثرًا وقاضياً بالالم الشديد فان سقف الدار كان مدعوماً بسبعين عمودًا من البرفير المغشى بالذهب وجدرانها من اليشب المرصع بالحجارة الكريمـة على هيئة تمثل كل انواع الاثمار والأزهار على تنوع الوانها وتبـاين صور حسنها وجمالها وكانت المئة المصباح تسطع بنور الوف من الاضواء لوقوع انوارهـا على سطوح الاعمدة الشديـدة الصقل والجلاء وانعكاسها عنها بنور باهر الى سائر الانحاء٠ ولا تسل عن الحلل الثمينة التي كان رئيس الكهنة مرتدياً بها وعن تاجهِ الباهي الباهر ٠ وصدرتـهِ المتألقة باثمن الحلى

واغلى الجواهر · وعن اسنة رماح الرومـان الناشبة في اكباد الانوار · وعن دروعهم الفولاذية التامة الصقل المتأجحة كانها أَلسنة من نار · فان كل مـا في ذلك المشهد كان باعثاً للخواطر على الحيرة وللنواظر على الانبهار

«وبالجملة كان منظر ذلـك البحر العجاج الطامي بالرؤُوس البشرية هائلاً للغاية · وكان يسوع القطبَ الدائرة عليـهِ انظار الجميع والنقطة المتجهة اليهـا كراهة وبغض وحسد الحاضرين · والمنارة المتكسرة على اسافلها بعنف تيارات الغضب المزبدة · فانهُ كانْ وحدهُ بين ذلك الجمع الذي لا يحصى هادئاً رزيناً — ثابت الجنان ! فتفرَّس فيـهِ قيافا بعين الحسد والغلّ كما ان الكتبة والكهنة شخصوا اليهِ منذهلين يتكلمون بما يشف عن استغراب فائق العادة · ثم اشار قيافا الكاشح بيدهِ طالبـاً السكوت وخاطب يسوع

«أذًا انت يسوع النبي الجليلي الطائر الصيت ! يقول الناس انك قادر ان تقيم الموتى ! وها نحن نودّ ان نرى منك آية · أَفتظن انك اذا حكمت الآن عليك بالموت تستطيع ان تقيم ذاتك ؟ »

«فبقي يسوع هادئاً لا يبدي حراكاً وكان احتمالـهُ هذا مصحوباً برفعة شأن الهيبة وقداسة سماوية كلّلتا وجههُ

واشرقتا على سائر ملامحهِ ٠ وظهر كانسهُ السلام حالاً في صورة انسان! وكأن قوة صدرت عن حضورهِ الرهيب واحدثت ميلاً مطلقاً وقتياً اليهِ فجهر قيافا بصوت اجش حادّ

« انتم رجال اورشليم الذين اتوا اليَّ بهذا الرجل بماذا تشتكون عليهِ ؟ فليتقدم الذين لهم عليهِ الشكوى ويعلنوها ٠ انهُ يهودي وسوف يحاكم بمقتضى ناموسنا » ٠ فقال عوميليوس « ليعلم قيافا الجليل ان ليس لكم انتم اليهود سلطة على محاكمة رجل للموت لان حياة كل امتكم في يد قيصر ونوابهِ الولاة ٠ واما انتم فلا تقدرون ان تحكموا على احد بالموت »

« اما طلب قيافا من الشعب تقديم الشكوى على يسوع فقد اعاده بيلاطس بعد ذلك وتصريح عوميليوس الذي ابداه بغية تخليص يسوع اعادهُ اليهود قدام الوالي الروماني بغية تحقيق صلبهِ ! وقد نطق عوميليوس بهذا على رجاه ان يؤتى بيسوع الى بيلاطس وهناك يسعى في اطلاقهِ عالماً ان بيلاطس لم يكن حانقاً على النبي ولا حاسداً لهُ على شيء ٠ فاجابهُ قيافا :

« حسناً قلت ايها الروماني الشريف ولكننا مأذونون من قبل قيصر ان نحاكم شعبنا بموجب ناموس

موسى في جرائم التجديف على الهيكل وهذا الرجل اذا صح المسموع عنهُ مأخوذٌ بجريمة التجديف لكننا نسمع الشهود،

«وعند هذا تقدم عدد من رؤساء الكهنة والكتبة برجال من اراذل الشعب فشهد احدهم بانهُ سمع يسوع يقول سوف ينقض الهيكل وبعد ثلاثة ايام يقيمهُ باتقان اعظم منهُ في ايام الملك سليمان. ولاجل هذه الشهادة صرخ كل الكهنة "مجدّف!" وطلبوا ان يُرجم يسوع الى الموت فرماهُ ابيجيا الذي كان اشد الكهنة غلًّا وحقدًا بدواتهِ الحديدية لكن احد العساكر تلقاها برمحهِ وردها عنهُ. فثار تذمر عظيم على الرومان بالجهد استطاع قيافا تسكينهُ. ثم شهد ابيجيا هذا ان يسوع علَّم في السامرة انهُ لا يطول سجود الناس في الهيكل حتى يأتي وقت تكون فيهِ كل الارض هيكلًا لليهود والامم وما فرغ من شهادتهِ هذه حتى صرَّ الحضور باسنانهم على يسوع وكادوا يخطفونهُ اولا اشارة قيافا ودعوتهُ اياهم الى الهدوء والسكوت. وقد وصف بعضهم حالة الشعب حينئذٍ فقال ان ضجيجهم واشتداد هيجانهم كانا اشبه شيء بزئير الوحوش الكاسرة المتألبة حول جيف القتلى بعد معركة حديثة العهد. ثم جاء شاهد ثالث ذائع الشهرة في الجرائم والجنايات وعلى

يده ديك وخطَّافات في مناخس ليدل على انهُ قد أُتي بـهِ الآنَ من ساحة محاربة الديوك لاجل تأدية الشهادة وكان كل المحمولين من الكهنة على حلف الايمان (جمع يمين) الكاذبة نظير هذا الرجل الذي شهد انهُ سمع يسوع يقول سيأتي يوم لا يُترك فيهِ من الهيكل حجر على حجر لا ينقض وانهُ دعا الهيكل 'مغارة لصوص' ودعا الكهنة 'قادة عميان' 'وخادعين' والكتبة 'ثعالب' والفريسيين 'مرائين!'

«اما الرابع والخامس فناقض احدهما الآخر ولم تتفق شهادة اثنين آخرين لان الواحد قال انهُ سمعهُ يدعو ذاتهُ 'ابن الله' فناقضهُ الآخر بانهُ سمع يسوع يقول عن نفسهِ انهُ فقط 'ابن الانسان' . وفي قضية اخرى قال الواحد انهُ سمعهُ يقول انهُ والله واحد . فردَّهُ الآخر شاهدًا بانهُ سمعهُ قال ان الله اعظم منهُ

«وشهادات أُخر غير هذه لم توافق بعضها بعضاً حتى ارتبك قيافا من جرَّاءِ هذا التناقض وتحيَّر ايضاً رؤَساء الكهنة والكتبة . فتراءَى لعظيم الكهنة ضرورة اطلاق يسوع للحاجة الى شهود . وكل هذا ويسوع باقٍ واقفاً ويداهُ موثقتان صليباً على صدره ووجههُ يبرق باشعة الصحو والشجاعة ويسفر كما قال عوميليوس عن ثبات براءَة

ساحته وتحقق طهارة ذيله فصرخ رئيس الكهنة ' ماذا ! ايها الجليلي المجدّف على الله وعلى هيكله ! ألست تجيب بشيء ! ألا تسمع ما يشهد به هؤلاء عليك ! '

« فبقي يسوع صامتاً فهمّ قيافا ان ينطق بكلام فظ واذا بصوت سمع من جانب الاعمدة الآخر على جهة يسار كرسي قيافا حيث كانت موقدة وفيها نار عظيمة وحولها كثيرون جالسين يصطلون فعرف الرباني عاموس ان ذلك المتكلم بجدة كان بطرس الذي دخل معهُ هو ويوحنا . اما الاخير فكان بزيّ كاهن متخفياً وواقفاً بالقرب من يسوع ينظر اليهِ ويُصغي لما يُشهد بهِ عليهِ . اما بطرس فكان جالساً بعيداً عند النار ولكنهُ لم يكن اقل تلهفاً لاستماع ما حدث فصرخت فتاة آتية بوقيد للنار مخاطبة بطرس ' انت احد اتباع الناصري ! لا حاجة لك الى الانكار اني من الجليل وعرفتك حينما كنت صياداً . فامسكوه لانهُ واحد منهم ! '

« ' يا امرأة أُقسم لك بمذبح الله وتابوتهِ وبالموائد المقدسة اني لا اعرف الرجل ! لم انظر قط جليلياً ! ' فصرخت الفتاة ' ان لغتك التي تكلمت بها تظهر انك جليلي واسمك سمعان باريونا اني اعرفك جيداً واعلم انك منذ ثلاث

سنين تركت انت واخوك اندراوس شباككما وتبعتما هذا الناصري!

«لتقع عليَّ رعود حوريب ولعنة الاله الحي ان كان ما تكلمتِ بهِ ايتها المرأة صحيحاً . اني احلف لكِ برأس ابي اني لم انظر وجههُ قط قبل الآن! فلست اعرف الرجل

«ولما قال هذا نظر عابساً حيث كان يسوع واقفاً فوقعت عليهِ عين سيده فتفرَّس فيهِ بنوع التوبيخ اللطيف والرأفة الممزوجة بالحزن والغفران حتى ذُعر بطرس كمن اصابهُ برق خاطف . ثم غطَّى وجههُ بين يديهِ واصعد من شدَّة الألم واليأس صوتاً سمعهُ عظيم الكهنة وأثر في كل قلب واندفع من الباب المفتوح الى الخارج وتوارى تحت اطباق الظلام . واذ ذاك صاح الديك الذي كان على يد الشاهد الثالث مرتين بصوت عال! فتذكرت كلمات يسوع لبطرس التي قالها لهُ منذ اثنتي عشرة ساعة 'هذه الليلة قبلما يصيح الديك مرتين تنكرني ثلاث مرات!' وعندها قال يوحنا 'عاد ايماني بسيدي قوياً وكاملاً وشعرت باني في امن وسلام من جميع المخاطر التي تتهدَّدهُ' . واخيراً بعد مشاحنة ومباحثة بين الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة سلَّم قيافا يسوع لمشورتهم وكانت غرفتهم ملاصقة لغرفتهِ

وفيها سأَلهُ قيافا باشارتهم قائلًا «أَأَنت المسيح ابن المبارك؟ استحلفك بالله الحي ان تقول لنا!' فتطلع يسوع في وجه عظيم الكهنة بنظر سماوي ساطع جعل قيافا يطرق اجلالاً الى الارض وقال

«'ان قلت لكم ايها الكتبة لا تصدقون! وان بينت لكم ذلك من الانبياء وبواسطة آياتي فلستم تؤمنون! وان قلت لكم اني انا المسيح فلا تصدقونني! ولا تطلقونني! فقد كلمت العالم علانية في الهيكل والمجامع ولم أُخفِ شيئاً. اسأَلوا الذين سمعوني ماذا قلت. ومع كل هذا اقول لكم ما علّمتهُ قبلًا اني انا المسيح ابن المبارك ومن الآن ترونني جالساً عن يمين قوة الله وآتياً في سحاب السماء'

«فصرخ عدّة كهنة بصوت واحد بينما رفع قيافا يديهِ منذرًا بالويل والرعب 'انت ابن الله؟' فاجاب يسوع بدون ان يطرأ عليهِ اقلّ تغيُّر سوى اشراق مجد اضاء على وجههِ كما كان على جبل التجلي 'انتم تقولون اني انا هو'

«فصرخ عظيم الكهنة ممزقاً افوده 'يا رجال اسرائيل ويهوذا قد سمعتم كلامهُ! قد سمعتم تجديفهُ!' فاجاب يسوع بعزمٍ ثابت 'أَما قلت لك يا ابن هرون انك لا

تصدقني ولا تطلقني ان قلت مَن انا ؟ اقول لك الحق وتعدّه تجديفاً !'

«فصرخ ابنير بشراسة وضربهُ على فيهِ قائلاً 'أهكذا تجاوب عظيم الكهنة ؟ ورئيس خدَّام الهيكل!' فاجابهُ يسوع متأنياً 'ان كنت قلت رديئاً فاشهد عليَّ بالرديء واحكم عليَّ حسب ناموسنا وان كنت قلت حسناً فلماذا تضربني ؟' فقال قيافا مشيرًا بيدهِ نحو الشعب 'قد سمعتم تجديفهُ فما رأيكم ؟ أنحتاج بعد الى شهود ؟' فصرخ ابنير بصوت خشن وعينين مزمهرتين من طول السهر 'انهُ مستوجب الموت!' قال هذا وجاء الى حيث كان يسوع واقفاً موثقاً ودماؤُهُ تسيل وبصق في وجههِ ثلاث مرات . ثم تبع هذا صراخ شديد من الشعب يطلب موتهُ وهجم عليهِ كثيرون من الاجلاف الارديا فبصقوا عليهِ وشدُّوهُ بلحيتهِ ولولا عوميليوس وعساكرهُ لمزَّقوهُ ارباً . فنادى عوميليوس بقيافا مغتاظاً 'أهذا العدل اليهودي! أتحكمون على رجل وتقتلونهُ بدون شهود ؟ تنحّوا . فان الرومان لم يعتادوا الصبر على رؤْية رجل يحاكمهُ أُناس بدون ناموس تنحّوا ايها الفتيان — والاَّ هرقت دماء كم قبل دمهِ المتعطشين الى سفكهِ !' واذ ذاك رجعوا الى الوراء موقتاً وتركوا يسوع واقفاً في الوسط حزيناً لكنهُ

ثابت الجنان فاسرع اليهِ يوحنـا ومسح الدم والبصاق عن شفتيهِ وخديهِ ولحيتهِ واعطاهُ ماءً اتت بهِ الجارية التي عرفت بطرس • ثم اسرَّ اليهِ قائلاً ‹يا سيد استخدم قوتك وانجُ !› فاجابهُ ‹كلاَّ — لا تجربني ايها الحبيب ان قوتي ليست لانقاذي بل لانقاذ العالم • اني استطيع ان أُجري قوات لاجلك واما لاجلي فلست اقدر ان أُجري شيئاً ولم آتِ لاخلص حياتي بل لاضعها وقد اقتربت ساعتي !› فصرخ ابنير ‹اي رجال اورشليم لا تخيفنَّكم هذه الشرذمة من الرومان • فليس منهم كتيبة كاملة في كل المدينة • هوذا نحن اسيادها ان اردنا ! فالى النجاة ! هيوا بنا نجعل اسد يهوذا يزأر بصوت قدرتهِ فيرتعد منهُ نسر الرومان • ويفرّ هارباً الى النجاة !›

«فصرخ قيافا الذي ادرك الوقت تبعة هـذه الثورة التي اصبحت على شفير الشبوب وحقق ان اول خطوة في العصيان تدعو الى حمل كتائب الرومـان المعسكرة في سورية على اورشليم وتنتهي بخراب الامة ‹قفوا ! ايها الرجال والاخوة ! قفوا ايها المجانين !› فحال دون استماع صوتهِ هبوب عاصفة الهيجان وبها حُمل عوميليوس واتباعهُ بدون ان يستطيعوا الدفاع بواسطة اسلحتهم وفي هـذا التيار العظيم اختطف يسوع الى الجهة المقابلة من غرفـة

الاستشارة بينما كان قيافا باذلاً جهده في تسكين غضب عوميليوس الذي لجّ في تسليم يسوع الى بيلاطس الوالي وبعد مشورة قصيرة بين رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة قبل قيافا بهذا واذ كان عالماً بان بيلاطس لكونهِ وثنياً لا يبالي بشكوى التجديف تشاور مع الباقين واتفقوا على عدم ذكر شيء من هذا قدام الوالي لكنهم يشكون يسوع بكونهِ مثيرَ فتنة وساعياً في انشاء ملكوت في وجه سلطنة قيصر المطلقة . ولما جاء عوميليوس بمساعدة قيافا الى حيث كان يسوع وجدهُ واقفاً مغطّى العينين بين جمعٍ مؤلف من ارذل واردإ رعاع اورشليم وكلهم مشغولون بلكمهِ ولطمهِ على وجههِ وطالبين منهُ ان يتنبأ لهم من فعل هذا! وكانوا يرفعون نقوداً امام عينيهِ المربوطتين ويطلبون منهُ ان يخبرهم عن قيمتها وطغرائها واذ كان يبقى صامتاً كانوا يصفعونهُ بايديهم وبعضهم يضربونهُ بالعصي ليحملوهُ على معرفة من فعل هذا فقال واحدٌ انَّنا نطلقك ايها الناصري ان قلت لي كم شعرة في لحيتي!

« فصرخ آخر كلاً بل دعهُ يتنبأ كم دفعت ثمن خروف الفصح وما اسم السامري الذي اشتريتهُ منهُ! وصرخ ثالث مقتحماً الى الامام دعنا من خروفك واتركنا نسمعهُ يتنبأ! فان وجود الانبياء نادر في هذه الايام .

مـاذا ايها الجليلي اراك صامتـاً وعابساً · سوف اجعلك تتكلم ' · قال هذا وابتدره بضربة من عصاه على رأسه كادت تصرعه الى الارض لولا ان صوت قيافا الذي انتهره كسر شيئاً من حدتها · ولطّف جانباً من شدتها · ثم نادى بصوتٍ عالٍ ' يا رجال اسرائيل! لا حاجة الى بيان كون هذا الناصري مجدفاً فقد سمعناه بآذاننا وبموجب ناموسنا ينبغي ان يموت لانـه جعل نفسه ابن الله! لكنّ قيصر انتزع من ايدينا قوة الحياة والموت! فنحن اليهود لا نقدر ان نحكم على احد بالموت وانما الرومان يقدرون ويمكننا ان نبرهن اساءتـه بالكلام ضد قيصر وانه مثير فتنـة فلنذهب الى بيلاطس بهذه الشكوى ومتى وُجد هنـاك مستحقاً المـوت كما لا بد ان يكون مـا لم يغضّ الوالي النظر عن مغتصب كهذا قائم على حكومته الامر الذي لا يجسر على فعله فلا ريب اننا نجد الناصري معلقاً على صليب روماني قبلما تبلغ الشمس علامـة الظهر في ساعة الهيكل الشمسيّة '

«فوجد هذا الكلام نعمةً في عيني الشعب وشدّوا وثاق يسوع بضبطٍ صارخين ' الى الوالي! ' · الى بيلاطس! '»

ثم تـدفق الشعب من بوابات القصر كالنهر الطـامي المزبد الفـائض عن ضفتيه وخرجوا نحـو قصر بيلاطس

باصوات خفيفة سمعناها الى بيتنا وبالجهد استطاع عوميليوس ان يوصل يسوع بسلام الى قلعة الوالي التي دخلها عند مطلع الشمس حين هتفت ابواق اللاويين باصوات صلاة الصباح

وفي رسالتي التالية استأنف لك الكلام عن محاكمة يسوع الذي تذكاره يُضرم في قلبي نار المحبة لهُ والايمان بهِ لانهُ من يقدر غير المؤَيد بالله ان يحتمل بوداعة كل هذا التألم والتحقير · والاهانة والتعيير ؟

ادينا

✡ ✡ ✡

الرسالة الثانية والثلاثون

ابي العزيز

هذا مساء اليوم العظيم من العيد واليومُ الثاني من موت الذي كنا جميعاً واثقين بهِ انهُ نبيٌّ مرسل من الله — بل اكثر من نبي — المسيح ابن المبارك! ومع ذلك فهو باقٍ ميتاً في القبر وجميع النبوات عن مجدهِ العتيد كملك اسرائيل قد دُفنت معهُ . حيفٌ! ان يكون هذا الصالح الشريف الحكيم خادعاً! فمن الآن لم تبقَ لي ثقة بصلاح احد ولقد بكيت حتى لم اعد استطيع البكاء والآن ارجع الى تتمة الكلام عن محاكمتهِ فاقول

في رسالتي الاخيرة اتيت الى خاتمة محاكمة يسوع قدام قيافا عظيم الكهنة الذي اذ لم يمكنهُ ان يُثبت عليهِ ذنباً غير ما ادُّعيَ بهِ عليهِ من التجديف ولم يكن في سلطانهِ

ان يحكم عليهِ بالموت عزم غير قانط من السعي في اعدامهِ ان يشكوهُ امام بيلاطس الوالي في جريمة عاص وخائن لقيصر · ولو لم يكن الحكم بالموت مسلوباً من امة اليهود لكان رُجم يسوع الى الموت بامر قيافا والسنهدريم

فأُخذ يسوع الى دار بيلاطس مصحوباً بعوميليوس صديقهِ الحقيقي الى النهاية يتبعهُ قيافا الحسود وابنير الشرس ووراءَهُ رؤَساء الهيكل والكتبة والفريسيون والصدوقيون والهيرودسيون واخلاط من اليهود الصانعين والفلاحين واللصوص والمتسولين وجميع سوقة الامة المجتمعين الى المدينة في ايام العيد · وكانت ابواب قصر بيلاطس مغلقة تحرسها فرقة من الجند لان بيلاطس كان موجساً خوف فتنة من اليود ومتأهباً لحماية قصرهِ نظراً لقلة عدد عساكره في المدينة فلما اخبر عوميليوس رئيس الحراس بان اليهود قادمون للشكوى على يسوع الناصري قدام بيلاطس ادخلهُ مع رؤَساء المدينة الى دار انطيوخس الخارجية ودعا بيلاطس اليهم · فلما رأَى ذلك الجم الغفير مع قيافا ورؤَساء الكهنة والصدوقيين وقواد المدينة ويسوع موثقاً وحاملاً على جسدهِ آثار ما أَلم بهِ من ضروب الاهانات يحيط بهِ عوميليوس ونفر من فرسانهِ وسمع صراخ الشعب متصاعداً كزئير ذئاب خاطفة حول خروف ما لهُ من مدافع وقف

متفرساً بعين الدهشة والحيرة ثم سأل عوميليوس قائلاً «ما معنى كل هذا؟ ومن هذا الاسير؟»

«هو يسوع المدعو المسيح يا سيدي · النبي الجليلي الذي يطلب اليهود موتهُ بعلة تجديفهِ على الهم و—» فاعترضهُ بيلاطس بروح التراخي وعدم المبالاة «ولكن ما لي ولديانتهم أو لالهتهم فليحاكموهُ بموجب ناموسهم» · فتقدم اليهِ قيافا وقال «اعلم ايها الروماني الجزيل الشرف انهُ بموجب ناموسنا يستحق الموت · وليس بخافٍ عليك انهُ مع كوننا نستطيع ان نحكم كما حكمنا الآن على هذا الجليلي ليس لنا سلطان ان نقضي بالموت» · فاجابهُ بيلاطس مبدياً تبسم الهزء والاحتقار «حسناً قلت ولكن أَتروم مني ان اقضي على احد امتكم بالموت لاجل تجديفهِ على الهكم؟ فنحن نجدّف عليهِ يومياً — لاننا لا نسجد لهُ ولا نتعرَّض لايمانكم فدعهُ يذهب! لاني لا ارى فيهِ علة تستوجب الموت!» ثم كلم عوميليوس طالباً منهُ ان يتقدم اليهِ بيسوع فلما دنا منهُ تفرَّس فيهِ بعين الحنو والشفقة وقال لاحد قوادهِ على انفراد «ما اجدر هذه الهيئة الالهية ان تكون احد الآلهة العظام · فحقاً ان ما فيهِ من قوة الثبات والتجلد وما يبدو عليهِ من حسن التكوين والملامح لم يعهد لهُ نظير في احد من ابطالنا المشهورين فهو مجلى

الهندام البشري والشهامة الانسانية» كل هذا ويسوع واقف صامتاً قدام حاكمهِ مطرقاً فالتفت اليهِ بيلاطس وقال

«اذاً انت يسوع الذي تحدَّث عنهُ الناس كثيراً. وطالما اشتقت ان اراك فاشكر قيافا لانهُ كان سبب حضورك بين يديَّ فالناس يقولون انك من احكم بني البشر وانك قادر على فعل آيات السحر وحاذق في اسرار التنجيم فهل تريد ان تقرأ لي طالعي في النجوم? فان فعلت هذا احمل على صداقتك وانقذك من ايدي مواطنيك الطالبين دمك». فصرخ قيافا بشدَّة «يا سيدي! ليس لك ان تدعهُ يذهب! انهُ خادع وخائنٌ لقيصر. وها انا الآن أُتهمهُ واشكوهُ امامك بجعلهِ نفسهُ ملك اليهودية!»

فأيَّد شكواهُ هذه جمهور الشعب بصوت واحد قصف كرعدٍ مادت لهُ جدران القصر فسأل بيلاطس يسوع «ماذا تقول انت? أأَنت ملك فان كنت ملكاً فلستُ أرى اليهود في حاجةٍ للخوف منك». قال هذا والقى بنظر الاستخفاف على النبيّ الواقف امامهُ بثياب ممزقة يوشك ان يظهر بها عرياناً. وفي هيئة مشبعة انتهاكاً وامتهاناً

وقبلما استطاع يسوع مجاوبتهُ بما ظهر من انفتاح شفتيهِ

انــهُ على اهبة النطق بــهِ سمع في القسم الاسفل من المحكمة صوت شغب فجائي وارتفع صياح اجشّ عالٍ من واحد يقول : « تنحّوا — ارجعوا ! انهُ بريءٌ »

فاتجهت النواظر على الفور نحو جهة الصوت واذا برجل يشق الصفوف ويخـترق ازدحام الالوف حتى جاء الى حيث كان يسوع واقفاً امام بيلاطس فنادى الوالي « ماذا يريد هذا المجنون ؟ ليقبض بعضكم عليهِ ! »

«اني لست مجنوناً — انهُ بريءٌ ! وقد سلمت دمــاً بريئاً ! » وكان هذا القائــل يهوذا الاسخريوطي . ثم وجَّه نظرهُ نحو قيافا وقال « قــد طلبتك يا قيافا انت وجميــع رؤَساء الكهنة في كل مكان ! خذ دراهمك واترك نبيَّ الله يذهب بسلام ! أُقسم لك بالمذبح انهُ بريءٌ وان انت اصبتهُ باذى فاعلم انك تجلب على نفسك انتقام الله الحي ! خذ فضتك لانهُ بريءٌ »

فاجابهُ ابنير الكاهن المتعجرف — « ماذا علينا نحن ؟ انت ابصر » . اما قيافا ورؤَساء الكهنة فاخذتهم الحيرة من جراء افتضاحهم في رشوة يهوذا وزاد فضيحة قيافــا ان حدجهُ بيلاطس بنظر شفَّ عن اطلاعــهِ على جريمتهِ . ثم صاح يهوذا بصوت اليأس آخذاً بثوب قيافا وجاثياً لهُ متوسلاً « ألا تطلق سبيلهُ ان ارجعت الك فضتك ؟ »

فاشاح عنهُ قيافا غاضباً وكذا فعل بهِ ابنير ورؤساء الكهنة حين دنا منهم ! ولما يئس من الاستعطاف جثا عند ركبتي يسوع وصرخ بصوت دل على جزعهِ وتشوّش عقلهِ «آه يا سيدي ! يا سيدي ! لك السلطان فاطلق ذاتك !» فاجابهُ يسوع ناظرًا اليهِ بعين الرأفة غير مغتاظ من تسليمهِ اياه « كلّا يا يهوذا قد اتت ساعتي ! ليس لي ان انجو فلاجل هذه الساعة اتيت الى العالم »

« اني بتمام اليقين كنت معتقدًا يا سيدي انك لا تدعهم يقبضون عليك حينما يجدونك في جبل الزيتون والآن ما كنت قط اخذت دراهمهم . ان خيانتي سببت لك الموت . آه يا الهي ! مضى الوقت !» قال هذا بصوت اليأس الشديد ونهض وخرج مسرعاً ساترًا وجههُ بثوبهِ . وقد أثرت هذه العجيبة تأثيرًا مخيفاً في جميع الحاضرين

وبعد قليل استأنف بيلاطس محاكمة يسوع وكرّر عليهِ سؤَالهُ باستهزاء وتهكم «أأنت اذًا ملك ؟» فاجابهُ يسوع «انت تقول لي اني انا — ملك» قال هذا بمظهر الابهة والمجد رغماً مما نالهُ الى هذا الوقت من ألم القيود والجلد من ايدي اعدائهِ وقضاء الليل ساهرًا واقفاً على رجليهِ معرّضاً للبرد وسائر صنوف التعيير وتراءى حول رأسهِ مجدٌ الهيٌّ حالٌّ عليهِ باسطع من ضياء الشمس فنادى

قيافا بيلاطس قائلاً «ها قد سمعتهُ باذنك» وتلاهُ ابنير صارخاً بصوت عظيم

«وقد طلب ايضاً ان يمنع الشعب من اعطاء جزية لقيصر واعلن جهاراً في كل مكان انهُ معينٌ من الله لتجديد مملكة يهوذا وتدمير سلطة قيصر في اورشليم»

«ألا تسمع هذه الشكاوى؟ أليس لك ما تجيب بهِ عليها! بمَ تدافع عن نفسك يا سيدي النبي؟ أَلا تجيب بشيء. انظر كم يشهدون عليك!»

تكلم بيلاطس بهذا كمن سرَّ بيسوع ورأى ان يعطيهُ فرصة للدفاع عن نفسهِ. فنادى قيافا «قد اضل الامة. انهُ ثائرٌ مخيف! ومجدّف لم يُرَ لهُ نظير في التجديف». فاجاب بيلاطس «ليس لي ان افعل شيئاً من جهة ديانتكم فان كان جدَّف على آلهتكم فخذوهُ واحكموا عليهِ حسب نواميسكم»

«انت تعلم ايها الروماني الشريف ان ليس لنا سلطان ان نحكم بالموت ولهذا جئنا نشكوهُ امامك»

«اني لست يهودياً ايها الكاهن فماذا يهمني من مشاحناتكم الاهلية والدينية فلم يفعل شيئاً اراهُ حسب شرائع امبراطور رومية يستوجب الموت ولهذا اقضي باطلاقهِ لاني لا اجد فيهِ علة تدعو الى الاقتصاص منهُ فخل

وثاقهُ يا عوميليوس ودعـهُ يذهب اذ لست اجد فيهِ مـا يستوجب بقاءَهُ مكبلًا بالقيود»

وعندهـا صرخ اليهـود بصوت القساوة والشراسة وتقدَّم قيافا رافعاً يديهِ نحو بيلاطس وقال

«ان كنت تطلق هذا الرجل فلست محباً لقيصر بل تكون متواطئاً معهُ وراضياً عن مؤَامرتهِ فمن يجعل ذاتـهُ ملكاً في كل اطراف مملكة قيصر يُعتبر محارباً لقيصر في رومية كما في اورشليم فان فككت اسار هـذا الرجل شكوتك انا وامتي الى سيدك طيباريوس انك ممالئ هذا الجليلي ومتحد معهُ في الفتنة · فلقد اضطربت بسببهِ كل اليهودية من الجليل الى هنا ومع هذا لا تجد فيهِ علة ؟»

فلما سمع بيلاطس اسم الجليل سأَل اذا كان المسجون جليلياً وحين أُجيب بالايجاب قال لعوميليـوس «قف — لا تحل قيودهُ الآن! ان هيرودس والي الجليل قـد جاء ليلة امس ليعيد فصح اله اليهود وهو الآن في قلعة المكابيين القديمة مع بطانتهِ فخذ هذا الاسير اليهِ ودعـهُ يحاكم احد رعيتهِ وقل لهُ اني لا اتدخل في حقوقهِ ولهُ ان يحاكمهُ بلا مانع كما لو انهُ في ايالتهِ»

فاصعد رؤَساء الكهنة والكتبة اصوات الاستحسان ووقع لديهم هـذا الامر موقع القبول لانهم خافـوا ان

بيلاطس يطلق يسوع وعرفوا ان هيرودس الارعن المتقلب يفعل لهم كل ما من شأنهِ استمالتهم اليهِ فقال الكاهن ابنير «ان ارسلنا بهِ الى هيرودس فقد قضي الامر وحصلنا على دمهِ !» فاحتفل الجموع الواقفون خارجاً بعوميليوس واسيرهِ الصامت صارخين «الى هيرودس اذهبوا بهِ الى رئيس الرُّبع»

فسُرَّ بيلاطس من تخلصهِ من الحكم على البريء وقال يخاطب قيافا الذي تأخر عن مرافقة الجمهور «انت تعلم يا سيدي قيافا اني لا اقدر ان احكم الآن على المتعدين شرائع المملكة فيسوع هذا لم يفعل شيئاً يستوجب الموت ولو دُعي امام قيصر نفسهِ في محكمة العاصمة» .

فاجابهُ قيافا غاضباً «اعلم ايها الحاكم الشريف اني لم آتِ بهِ اليك لاجل دعوى التجديف فقط — بل لاجل جريمة الثورة . فبمذبح الله ! ان جريمتهُ هذه هي ضد نواميسك؟»

«حقاً انك تتهم رجلاً هادئاً بلا حامية ولا قوة فقيراً الى المال والرجال والاسلحة صياداً خاملاً او نجاراً من الجليل في انشاء مملكة ضد طيباريوس قيصر سيد الارض ! . حقاً انها دعوى مضحكة وينبغي النظر اليها بعين الاستهزاء وسوف يقول هيرودس مثلي حين يعلم ببطلانها»

فاجابهُ قيافا متهكماً «ان هذا ما كان قيصر ليقولهُ فان اطلقت هـذا الرجل (لان هيرودس سوف يرفض طلبك ويأبى محاكمتهُ ضمن دائرة ولايتك) فالامة اليهودية ترفع الى قيصر الشكوى عليك انك دافعت عن خائن · وهناك تُحضر امام مجلس الشيوخ لتجيب عن هذه الشكوى وان نجحت في تبرئة نفسك فلا بد ان تعزل عن منصبك فيُعطى لآخر وانت تقضي حياتك معرَّضاً لسوء ظن قيصر واشتباههِ فيك!»

فامتقع بيلاطس وعضَّ شفتهُ بسنّ الامتعاض وقال

«انك يا سيدي الكاهن مائلٌ كما ارى لاماتة هذا الرجل البريء وانا لست يهودياً لاعلم كيف جلب هـذا على نفسهِ غضبك المخيف وغيظ امتك فلا بدَّ انهُ اتى فعلاً لا استطيع ادراكهُ فلسوف انظر فيما يقولهُ هيرودس لانهُ يهودي وأَعرفُ مني بعاداتكم · ولكن يظهر لي ان شهادة ذلك المنكود الحظ الذي رشاهُ بعضكم لكي يسلِّم معلمهُ الى سلطانكم سوف تقضي باطلاقهِ!»

ثم عاد بيلاطس فجلس على كرسي الولاية ينظر في دعاوٍ أُخر وبعد نصف ساعة ترَجل فارسٌ عن جوادهِ عند باب المحكمة ودخل على الوالي فسأَلهُ بيلاطس عند ما

رآهُ ملطخاً بالدم خائر القوى يكاد يغشى عليهِ «ماذا أَلَمَّ بك يا اسكندر ؟»

«حادث طفيف يا سيدي · بينما كنت راكباً اجدُّ السير اليك عثر جوادي بشعل متقد ملقىً على الارض فاجفل ورماني عن ظهرهِ فحملت الى بيت مكثت فيهِ قليلًا ريثما عُني بي وصرت قادرًا على الركوب اليك»

«وماذا اتى بك اليَّ ؟ وأَية اخبار مهمة بعثت بامرأَتي الجميلة ان ترسلك اليَّ من بيتي في بيت عنيا في مثل هذا الوقت الباكر ؟ فهل من اخبار مكدرة يا صبي ؟»

«كلَّا يا سيدي — ليس من شيء سوى هذه الرقعة»

قال هذا وناول سيدهُ درجاً صغيراً من ورق بلون الورد مربوطاً بخيط قرمزي فقطع الخيط وقرأ الدرج فاصفر لونهُ فتفرَّس فيهِ قيافا مدققاً النظر حتى انهُ قرأَ من وجههِ مضمون تلك الرسالة التي احدثت فيهِ هذا التأْثير الشديد فقال الوالي «يا قيافا ينبغي اطلاق هذا المسجون!»

فاجابهُ عظيم الكهنة «لا بدَّ من هلاكهِ ايها الروماني المحتال · او هلاكك انت في الحال!»

قال هذا ونهض معرضاً عنهُ ومضى فشيعهُ بيلاطس بملء الاضطراب · ثم رجع الى كرسيهِ وجلس يقرأُ الرسالة

فتلا ما يأتي « اياك وذاك البار فاني تألمت كثيراً في حلم من اجلهِ ! »

ثم قال ان الآلهة نفسها تدافع عن هذا الرجل العجيب فياليت هيرودس يحكم باطلاقهِ ويريحني من هذا الامر العظيم · ان الحكم على اشد البرابرة توحشاً ايسر منهُ على هولاء اليهود المتناهين في الشراسة · فخير لي ان اتخلص من هذه الولاية لكنهُ يشق عليَّ ان افقدها بسبب شكواهم عليَّ ! فيجب ان أُنقذ نفسي ويسوع معاً ! »

وفيما هو يخاطب نفسهُ بهذه الاقوال بصوت عالٍ غير منتبهٍ الى شيء · اذا بصوت صراخ شديد ارتفع من جهة قلعة المكابيين واخذ يقترب شيئاً فشيئاً فانذعر بيلاطس وصرخ « هذا ما توقعتهُ — لم يرضهم هيرودس وها هم راجعون اليَّ ! فعسى ان الآلهة توحي اليَّ بحكمة وفهم في ساعة هذه التجربة الشديدة فلا احكم على البريء ولا اجلب على نفسي تبعة شكوى اولئك الاجلاف الى قيصر ! » · وعندها دنا الجموع متقاطرين متراكمين يسوقون يسوع قدامهم · وقد كان هذه المرَّة وحدهُ لان عوميليوس انفصل عنهُ في القلعة ومنعهُ ازدحام الجماهير من الوصول اليهِ وكان محلولاً من وثقهِ وعلى رأسهِ اكليل من شوك واخزِ صدغيهِ النازفين دماً صابغاً وجهُ وعلى كتفيهِ حلة

ارجوانية ملكية عتيقة كان يلبسها هيرودس وفي يـده عصا يقبضها كصولجان

وفيما هو يسير كان ألدّ اعدائـه من الكهنة واراذل الشعب يسخرون بهِ فيجثون امامهُ ويصرخون «السلام! يا ملك اليهود! السلام ايها الملك الناصري! كل السلام!» وآخرون تقدموا حاملين رايات الازدراء — وغيرهم يمثلون من يسيرون قدام الملك يعدُّون لهُ الطريق هاتفين «حيدوا من طريق ملك اليهود! اسجدوا ايها الناس جميعكم قدام قيصر. هذا طيباريوس العظيم امبراطور الناصرة! انظروا تاجهُ الساطع الفاخر! وشاهدوا حلتهُ الملوكية وصولجانـهُ الباهر! احنوا الركب يا رجال يهوذا قدام ملككم!»

فلما ابصر بيلاطس هذا المشهد المخيف وسمع هـذه الاقوال الهائلة قال على مسمع البعض وهو لا يعي على شيء «اما ان اهلك انا او هذا الرجل! فهولاء اليهود قد أُصيبوا بالجنون من شدة التهييج وهم يطلبون ذبيحة اما نفسي او نفس يسوع!»

آه يا ليتني استطيع ان اكتب اليك يا ابي العزيز عن جميع ما عندي لكنني اضطررت الآن ان اقف هنا

ابنتك المحبة

ادينا

الرسالة الثالثة والثلاثون

ابي العزيز

في هذه الرسالة التي اكتبها اليك في مخدعي بينما جميع مَن في البيت نيام اقصّ عليك تتمة محاكمة يسوع فقد ذكرت لك انهُ أُخذ اولاً الى حنان · سيرَ بهِ الى قيافا امام مجلس اليهود العالي وهناك اذ لم يستطيعوا الحكم عليهِ بالموت تشاوروا فارسلوهُ الى بيلاطس بشكوى المؤَامرة على انشاء فتنة ضد قيصر وبيلاطس تخلصاً من تبعة الحكم على البريء اذ لم يجد فيهِ علة للموت ارسلهُ الى هيرودس الذي من ايالتهِ الناصرة موطن يسوع

وكان يوحنا التلميذ الامين والمؤمن الذي احبهُ يسوع لا يزال مقترباً من سيدهِ المأسور يعزّيهِ بنظرات المحبة معرّضاً لشتائم اليهود ولطمهم ودفعهم اياهُ عن سيدهِ

وقبضهم عليهِ بنيَّة الايقاع بهِ لانهُ من اتباع يسوع · ولولا محاماة قيافا عنهُ بداعي ما بينهما من النسبة والقرابة لكانوا اصابوهُ باذية عظيمة · وبينما كان يوحنا في هذا الجهاد مع يسوع كنَّا نحن في البيت نسعى جهدنا في تعزية مريم الناصرية الام المخلوعة القلب والمنكسرة النفس والتي بالجهد استطعنا منعها عن ان تذهب الى الوالي وتسقط عند قدميهِ متوسلة اليهِ ان يسعى في انقاذ ابنها — ابنها الوحيد — من ايدي مواطنيهِ ! وكان عندنا ايضاً مريم ومرثا ولعازر وقد اسرعوا الينا على اثر وصول رسالة ابنة عمي مريم اليهم · وفضلاً عنهم كان عندنا اربعة او خمسة من التلاميذ الذين استرقوا الدخول واحداً بعد الآخر مخافة ان يقبض عليهم اليهود وهم مثلنا ينتظرون النهاية بفروغ صبر واثقين بان يسوع لا يزال قادراً على تخليص نفسهِ بواسطة قوتهِ الالهية العجيبة وكلما سمعنا وقع اقدام عند الباب يصرخون بلهفةٍ « هو السيد ! » ولكن عبثاً يرجون وباطلاً نتوقع جميعنا !

وكان هيرودس والي الجليل النازل في قلعة المكابيين القديمة التي بناها اسكندر المكدوني لساوخوس يفطر على الثمار والخمر على مائدة مقابل نافذة يشرف منها على شارع الامم واذ طرق اذنهُ صوت الوف من اليهود

قادمين اليه بيسوع نهض عن المائدة مذعوراً وقال

«حقاً ان هذا الشعب مجاهر بالعصيان على بيلاطس!»

فاجابهُ ساقيهِ المدعو هابيل وهو احد انسباء يوحنا ومنهُ وقفت على تفاصيل كثيرة من هذه الحوادث «كلّا يا سيدي الامير انهم قابضون على يسوع الناصري ليحاكموهُ بدعوى فتنة»

«ان هذا الضجيج ليس عن محاكمة بل عن شغب عظيم واني ارى الجماهير مقتربين نحونا» . قال هذا واطلّ من شرفة الرواق فرأى مقدمة الجموع منحدرة الى الشارع من جهة قصر بيلاطس لكنهُ لم يقدر ان يتعرَّف احداً منهم ثم قال

«اني انظر رماحاً وجنداً رومانياً بينهم والكهنة مختلطين بعامة الشعب . الآن عرفت سبب هذا الشغب — شابٌ موثق ومهان ومصفر بلون البهار! أليس هذا النبي العظيم الذي سمعت بشهرتهِ الذائعة ؟ ماذا يريدون بالاتيان بهِ الى هنا ؟ ومع هذا يسرّني ان اراهُ»

ثم اندفعت الجموع تموج كالبحر العجّاج . المتلاطم بالامواج . وانصبت على القلعة انصباب المطر الغزير . حتى بالجهد استطاع عوميليوس ان يأتي بيسوع الى رواق القلعة من شدَّة ازدحام اليهود حولهُ واندفاعهم عليهِ . واخيراً

وقف بهِ امام هيرودس والجموع كلها تراكمت بعضها على بعض وداست بعضها بعضاً حتى ضاقت بها تلك الدار على رحبها • فقال عوميليوس جاثياً امام هيرودس «ايها الامير المعظم اني مُرسَلٌ اليك من عند بيلاطس البنطي والي اليهودية بهذا الشخص المشكو عليهِ واذ انهُ (بيلاطس) يجهل عاداتكم الدينية ومقتضيات ايمانكم يطلب منك لانك من امتهِ ان تفحصهُ • فضلاً عن انهُ حين سمع ان يسوع جليليٌّ وأحد رعيتك ابى على الاطلاق المداخلة في ما ليس من متعلقاتهِ»

فلما سمع هيرودس انتيباس هذا الكلام من قائد الوالي سرَّ بهِ لانهما كانا قبلاً في عداوة فقال لهُ «قل ايها الامير لوالي اليهودية صاحب الامارة والشرف • اني اشكر كثيراً من لطفهِ الفائق العادة وان لا شيء يكسبني مسرةً وابتهاجاً اكثر من ثقتهِ بصداقتي واخلاصي واتأسف جداً على حدوث كل ما ادَّى الى الاختلاف بيننا • فاحمل اليهِ الاعتبار الفائق الاوفر • الذي اذخرهُ على الدوام لشخصهِ الموقر»

فلما اكمل هيرودس كلامهُ نهض عوميليوس وانحنى قدامهُ وقال بلسان الشجاعة والاقدام «ايها الوالي صاحب الشرف والمقام • ارجو ان لا تبالي بتشكيات هؤلاء اليهود

من جهة هذا الاسير فانهم ابغضوهُ بدون سبب اذ لم يفعل شيئاً يستوجب وجدهم عليهِ ! ولم يوجد فيهِ شيء يستدعي تنازل الحاكم الروماني للالتفات اليهِ »

فاجابهُ هيرودس لاحظاً يسوع بعين الاهتمام وهو واقف امامهُ بمظهر هدوء البراءة وجلالها « ليطب اسيرك نفساً ولا يخش بأساً ولست اعدمهُ حظ التبرئة الممنوح لهُ من بيلاطس » . ثم زاد عليهِ قولهُ « وان كان قد جدَّف — لا سمح الله ! فعظيم الكهنة ونفس كهنة الهيكل يأتون هذا الامر كل يوم من ايام حياتهم لان شأن الديانة منحط كثيراً بين اولئك المكارين المرائين ! فلست بمهتم بشكاويهم من جهة التجديف والا رجمتهم جميعاً للموت بدون رحمة . فاروم اولاً ان ارى بعض الآيات من هذا السجين الطائر الصيت ثم أُرجعهُ الى صديقي البنطي »

قال هذا والتفت يخاطب العساكر « حلوهُ فوحق عصا يعقوب ? انهُ قد عومل بخشونة . لا يليق بكم يا رجال اسرائيل ان تسيئوا الى رجل قبل محاكمتهِ فيجب ان تحاكموهُ اولاً حتى اذا وجدتموهُ مرتكباً فعلاً يستوجب التأديب فالناموس ابصر منكم في ذلك . انهُ جليلي وينبغي لي الاهتمام بان يُعامل بالقسط والعدل ويحمى من التعسف والتحامل »

وفيما هو يتكلم هكذا دنا يوحنا من يسوع وارجع لهُ رداءهُ المرفوع عنهُ وهيرودس ينقدهُ بعين التأمل ممعناً نظرهُ في هيئتهِ المصفرَّة الطافحة بالبهاء الالهي فشاقهُ منظرهُ الفائق الجلال واعجبهُ صبرهُ واحتمالهُ وادهشتهُ طهارة نفسهِ المنبثة من عينيهِ المقدستين. ثم سألهُ بلسان الاحترام «أأَنت يسوع الناصري الذي سمعت عنهُ كثيراً ؟» فكان جواب الأسير الهادىء «انا هو»

«فاذاً بملء السرور اقابلك لاني من وقت طويل اشتقت ان اراك فيسرني جدًّا ان ارى منك آيةً فالناس يقولون انك تستطيع شفاء المرضى واقامة الموتى! فهل هذه الاشاعات افتراء على قواتك؟ ماذا! انت صامت؟ أَلست تعلم من هذا الذي يكلمك؟ تعال اليَّ يا فتى» قال هذا ونادى مكارياً سامرياً قطعت يدهُ بضربة سيف في موقعة مع باراباس ورجالهِ اللصوص ومن منظرهِ ظهر انهُ اشوري من اصل يهودي «تعال الى هنا ودع هذا النبي يبرهن لنا قوتهُ ورسالتهُ بارجاعهِ يدك صحيحة كالأخرى!» فتقدم الرجل وجميع العيون ناظرة اليهِ والى يسوع لان عيني النبي لم تحولا عن النظر الى الارض. فصرخ بهِ هيرودس مغتاظاً «أَتهزأ بنا ايها المسيح الكاذب؟ فلا تتكلم ولا تفعل؟. فان كنت صادقاً غير كاذب فافعل آية امامنا

جميعاً فنؤمن بك !» فلبث يسوع جامـداً لكنهُ استمرَّ ظاهراً بهيئة جليلة ثابتة جعلت مظاهر المُلك تبين عليهِ اكثر منها على هيرودس فصرخ الكهنة «انهُ غاشٌّ ! وقد فعل آياتهِ ببعلزبول الذي فارقهُ الآن !» . فقال هيرودس «ايها النـاصري اني انا يهودي ايضاً فان برهنت لي بالآية التي اطلبها منك انـك انت المسيح فلست اكون من اتباعك فقط بل اطلقك في حال سبيلك . ان سكوتـك امتهان لحرمتي وسلطاني فاحترز لان صبري ليس الهيـاً ولست ادَّعي لنفسي تقديساً فائقاً . انظر هناك تمثال يهوذا المكابي مُر السيف الذي في يـدهِ ان يعلو ثـلاث مرات رأسهُ المنقوش عليهِ رسم خوذة فأحني ركبتيَّ ! كلَّا — لا تريد؟ اذاً اقترح عليك إبداءَ ما هو اسهل من هذا ! ألا ترى رسم الرمان المنقوش على رأس العمود في السور ؟ مر المتدلي منهُ على العمود ان ينضج ويتحوَّل رماناً طبيعياً ويسقط عنـد قدميَّ ! كلَّا ؟ » فتصاعد من الجمع عجيج ارتجت بـهِ الدار ومفادهُ « ليس لـهُ من قوة — ان صديقـهُ بعلزبول اسلمهُ الى ايدينا ! فبالموت على العرَّاف الساحر ! » وصاح ابنير والكهنة والكتبة «انهُ مجدّف ملعون ! يدعو ذاتهُ ابن الله ! وينقض السبت ! انهُ عدوٌّ لديانتنا ! لانهُ يريـد نقض الهيكل ! » فناداهُ هيرودس قائلاً «انظر هـذه

العاصفة التي اثرتها عليك ايها الناصري ! فان كنت نبياً فلا يستطيعون ان يؤذوك بشيء وان كنت محتالاً فان قتلوك تكون مستحقاً نصيبك ! اني اسلمك اليهم ! فخلص نفسك ان كنت المسيح !» . وما نطق هيرودس بهذه الكلمات الاخيرة حتى وثب اليهود على يسوع باصوات وحشية وثبة الضواري على فريستها فلم يقوَ عوميليوس على الدفاع عنهُ ولما رأى البعض من جند هيرودس الذين سقاهم اليهود خمرًا ان سيدهم انتيباس خذل يسوع اتحدوا مع اعدائهِ وابتدأوا يسخرون بهِ ويضحكون ووضع احدهم خوذةً على رأسهِ وسدل البرقع على عينيهِ ! فلما شاهد هيرودس ما فعل هذا قال لهُ «انزع الخوذة عن رأسهِ . وضع عليهِ تاجاً لانهُ يدعو ذاتهُ ملكاً والبسهُ حلّة ملكية وضع صولجاناً في يدهِ لانهُ ينبغي لنا ان نري بيلاطس كيف نعامل نحن اليهود الذين يحاولون اغتصاب قوة سيدهِ قيصر !»

فسُرَّ الشعب كثيرًا بهذه الكلمات القاضية على يسوع بالموت فاخذوا يمتثلون الاشارة التي ابداها اليهم هيرودس فاتى احد رجالهِ بحلة ارجوانية بالية كان يلبسها هو وبهتاف الهزء وضجيج التهكم وضعوها على يسوع الواقف كخروف صامت يقاد الى الذبح . ثم ضفر بعضهم اكليلاً

من شوك نابت على السور الخارجي وناولهُ من فوق رؤوس الجميع لابنير الذي كان بغضهُ الشديد ليسوع ناتجاً عن حادثة اخراجهِ الصيارفة من الهيكل لانهُ كان بينهم اخ لابنير اصغر منهُ كان يصيب بسببهِ ربحاً فاحشاً ولذا غلت مراجل الغل والحقد في صدر ذلك الكاهن الكاشح الخسيس ضدَّ يسوع من ذلك الحين وهو يتوقع فرصة للتشفي والانتقام فلما ابصر اكليل الشوك المقدم اليهِ تبسم عن تعظيم الاحتقار وقال

«هذا ما كنا نحتاج اليهِ! فلم يعد يعوزنا شيء» . ثم اخذ الاكليل بيدهِ ووضعهُ بعنف على راس يسوع فوخزهُ الشوك في صدغيهِ واسال دمهُ من عدة جراح فلم يُبدِ يسوع ادنى شكيَّةٍ ولكن الالم الشديد اسال من عينيهِ دموعاً كبيرة انسجمت على خديهِ وانحدرت على الحلة الارجوانية تتألق كاللآلىء فنادى السامري الاقطع قابضاً بيدهِ الوحيدة على قصبة وقال «هذا هو صولجان ملكنا!» فجعلوها في يد يسوع الذي مظاهر خضوعهِ وسكوتهِ واحتمالهِ وصبرهِ على الاوجاع مع مجالي عظمتهِ ومجدهِ وجلالهِ في الطاعة التي اعلنها لجميع اهاناتهم وتعذيباتهم بعثت عوميليوس على الرثاء لهُ بدموع غزيرة وحملت يوحنا على السقوط عند قدميهِ وغسلهما بدموعهِ على رغم الذين

حاولوا ابعادهُ عنهُ وهم يدوسونهُ باقدامهم ويضربونهُ بايديهم لانهُ اراد ان يتألم مع سيدهِ وعنى كما قال لي لو انهم حولوا اليهِ الاهانات التي اصابوا بها يسوع حتى ان هيرودس وقف متعجباً من احتمال الهي كهذا وقال لكبير قوادهِ «ان لم يكن هذا الرجل ابن الله فهو مستحق التأليه لان هذا التجلد السامي اعظم من ان يكون لانسان — انهُ الهي! وحقاً يا عوميليوس لو كان هذا الرجل منكم لكنتم انتم الرومان تضعونهُ في مصاف الابطال وبعد ما يموت تعبدونهُ كاله!»

فسألهُ عوميليوس «اذاً لماذا ايها الامير الجليل الشأن تسمح بان ينوبهُ كل هذا التعذيب والامتهان؟»

«انهُ تمَّ باختيارهِ لاني توسلت اليهِ باخلاص! وطلبت منهُ واحدة من تلك المعجزات التي يقول الناس انهُ يجريها لتكون شاهداً على مسيحيتهِ فلم يجب طلبتي — لم يرني اقل آية! ومن هذا يستدلُّ انهُ غير قادر على اجتراحها وبالنتيجة فهو خادع والاَّ فلماذا لا يبرهن لي صدق ادّعائهِ بعمل آية؟»

فقال ابنير بصوت جهير «ايها الامير صاحب السيادة انظر هوذا "ملك اليهود" لابساً حلة الارجوان. وعلى رأسهِ التاج وفي يده الصولجان!» فصرخ هيرودس ساخراً بيسوع

ومسروراً بهذه السخرية « السلام! يا ملك الجليل. صاحب السلطان الرفيع والمقام الجليل! السلام! يا ملك الصيادين! قل لي في اية جهة من السحاب توجد عاصمتك فازورك انا ورجال حكومتي. لا ريب في ان لك جيشاً بطاشاً من صيادي الجليل وعمارة قوية من قوارب الصيد! ورماة الشباك! السلام ايها الملك القدير! ما لكم ايها الرجال والجنود متثائبين متراخين! أَلا تحنون الركب قدام هذه الحضرة الملكية! ابدوا علامة الطاعة والخضوع لملككم »

وعندها خرَّ كثيرون من الذين كانوا حواليهِ على ركبهم وبعضهم انطرحوا من باب التهكم على الارض قدام النبي اما يسوع فبقي واقفاً بهيئة من دونها هيئة الملوك حتى ان كثيرين احجموا عن الاستهزاء بهِ بينما هيرودس حوَّل وجههُ عنهُ بمزيد الاضطراب وقال على الفور « خذوهُ الى بيلاطس الوالي! »

فرجع الشعب الى هيجانهِ الشديد وخرجوا بيسوع من لدن هيرودس وساقوهُ الى بيلاطس كما اخبرتك في رسالتي السابقة. فلما رآهم بيلاطس راجعين بهِ اليهِ وعلم ان هيرودس أَبى المداخلة في هذه المسئلة اغتاظ جدًّا واذ وقف يسوع مرة ثانية قدامهُ لابساً حلة الارجوان واكليل الشوك على راسهِ والقضيب في يدهِ التفت الى قيافا وقال غاضباً

«ماذا الذي تريدونهُ الآن؟ ولِم رجعتم اليَّ بهذا الرجل الذي انتم تقولون انهُ يضل الشعب . فلقد امتحنتهُ قدامكم ولم اجد فيهِ علة ولم تثبتوا شيئاً بواسطة شهودكم مما تشتكون بهِ عليهِ فارسلتكم بهِ الى هيرودس حاكم الجليل وهوذا هيرودس ايضاً وهو احد امتكم لم يجد فيهِ شيئاً يستوجب الموت! ولست ارتاب في انهُ قال شيئاً من جهة دفع الجزية يستوجب تأديباً خفيفاً ولكن ليس موتاً ولذا فانا أؤدبهُ واوصيهِ محذرًا اياهُ واطلقهُ»

فاجابهُ قيافا «ان اطلقت هذا الرجل تكن عدوًّا لقيصر ألا تنظر اي شغب احدث في المدينة؟ فان اطلقتهُ تحدث ثورة تنتهي بحمل قيصر علينا وتنكيلهِ بنا. أَفليس خيرًا ان يموت رجل واحد عن امة اليهود كلها؟ فلا شيء سوى موتهِ ينقذ امتنا!»

فخاطب بيلاطس يسوع مضطرباً اضطراباً عظيماً «استحلفك بالاله العظيم ان تقول لي ايها الناصري. بمَ اغظت هؤلاء اليهود؟ فان كنت ملكهم فبرهن ذلك لهم او لي». فاجاب يسوع «ملكوتي ليس ارضياً والاَّ كان خدامي يدفعون عني فلا أُسلم الى ايدي اليهود ولكن مملكتي ليست من هذا العالم». فصرخ بيلاطس متعجباً «اذًا تعلن ذاتك ملكاً!»

« انت تقول اني ملك — ولهذه الغاية وُلدت ولهذا اتيت الى العالم لكي اشهد للحق » . فسألهُ بيلاطس « الحق ! وما هو الحق ؟ » ولم يمهلهُ ان يجاوب بل اذ وجد ان اليهود خارجاً واقفون بصبر زائل ولجاج زائد خرج اليهم وقال

« لم اجد قط في هذا الاسير علة ولكم عادة في عيد الفصح ان اطلق لكم اسيرًا فهل تريدون ان اطلق لكم هذا ' ملك اليهود ' ؟ » فلم ينتهِ من عرض هذا عليهم حتى اجابوهُ بصوت واحد صارخين « كلّا ! كلّا ! ليس هذا الرجل ! لا نريد ان يُطلق . نريد اطلاق اشد المسجونين اثمًا وجنايةً . واما هو فلا » . فسألهم بيلاطس بلسان الخيبة « اذًا من تريدون أن أُطلق لكم ؟ » فاصدت اصواتهم تعجُّ كالبحر الهائج وتدوي كالرعد القاصف صارخين « باراباس ! باراباس »

وكان باراباس هذا نفس زعيم اللصوص الذي اخبرتك يا والدي في احدى رسائلي السابقة منذ سنتين ان عوميليوس قبض عليهِ ففرَّ من السجن ومؤخرًا قبض عليهِ قائدًا لفتنة في المدينة وحكم عليهِ بالاعدام مصلوباً مع اثنين من رفقائهِ ولكن بسبب طلب الشعب بالحاح اضطر بيلاطس ان يطلقهُ واذ علم ان اليهود لا يقتنعون

الآنَ بسفك دم يسوع رجع الى حيث ترك يسوع جالساً بجانب كرسيهِ لانهُ لم يعد يمكنهُ الوقوف بسبب ما نالهُ من الاتعاب والتعديات وفي رسالتي التالية آتي على تتمة الحكم عليهِ بالصلب

ابنتك المحبة

ادينا

الرسالة الرابعة والثلاثون

ابي العزيز

لمـا رأى بيلاطس ان اليهود لا ينثنون عن طلب يسوع وانهُ اذا قاومهم يشكونهُ الى قيصر في مواطأتهِ على الثورة وعدم اهليتهِ لان يكون واليـاً رومانياً وقع في حيرة وارتباك · فان حكم على يسوع بالموت طبقاً لارادة اليهود يسفك دماً بريئاً وان اطلقهُ يخشى طائـلة شكواهم الى طيباريوس قيصر

فكان يسوع كما ذكرت الك في رسالتي السابقـة ساقطاً من فرط الاعياء عنـد درجات كرسي بيـلاطس ويوحنا راكعاً بجانبهِ يغسل جراح صدغيهِ وقد نزع عن رأسهِ اكليل الشوك · فلما دخل بيلاطس بعد ما اصدر الامر باطلاق باراباس رئيس اللصوص جاء الى حيث كان يسوع

ووقف ينظر اليهِ بعين الاسف والدهش وقد اثر فيهِ جمال منظرهِ وشدة اتضاعهِ وقوة احتمالهِ وهيئة البراءة التي لاحت عليهِ فقال · «ان كنت بالحقيقة الهاً ايها البطل العظيم كما تظهر لي قوة احتمالك فلست محتاجاً الى الخوف من اولئك السافكي الدماء المتعطشين الى اعدام حياتك وان كنت خادعاً وثائرًا فبحقّ تستوجب الموت · اني اعتبرك شاباً نشيطاً ذا حماسة وثبات وكنت اودُّ اطلاقك لكنني لا استطيع · ان عساكري قليلة بسبب ما نقصها من الذين ارسلتهم لحراسة اريحا وغزَّة · وفي المدينة اكثر من نصف مليون من هؤلاء اليهود الثائرين عليك وبالجهد تراني اقوى على اخضاعهم بمجرّد التظاهر بالقوة وإحكام السياسة فان اطلقتك ذهبت انت وكل رجالي فريسةً لهم لاننا لسنا سوى قبضةٍ في ايديهم فقل لي بالحق أأنت ابن جوبتير (المشتري) الالهي؟»

ولما لم يجبهُ يسوع بشيء قال لهُ منقبضاً «ألا تكلمني؟ ألست تعلم ان لي سلطاناً ان اصلبك كمجرم وسلطاناً اذا اردت ان اتحمل خطر اطلاقك؟» فرفع يسوع نظرهُ وقال بملء السكينة «لم يكن لك عليَّ سلطان لو لم تكن قد أُعطيت من فوق فالذي اسلمني اليك لهُ خطية اعظم!» قال هذا والتفت ناظرًا الى رئيس الكهنة الذي

كان واقفاً في الباب يتطلع الى داخل

وحينئذٍ وضع بيلاطس يديهِ على جبهتهِ واخذ يروح ويجيء قدام كرسيهِ محمولاً بعامل الاضطراب فنظرهُ قيافا وصرخ «ان كنت تطلق هذا المدَّعي انهُ ملك فلست محباً لقيصر! وقد شكتهُ امتنا قدامك بانهُ جعل نفسهُ ملكاً علينا على حين ليس لنا ملك الاَّ طيباريوس قيصر فاطلقهُ ان كنت تجسر وانظر كيف اني لا ادفع فلسين عن رأسك!»

فاظلمت جبهة بيلاطس وامسك بيد يسوع وقاده الى الباب وقال مشيراً اليهِ

«هوذا ملككم! فماذا تريدون ان افعل بهِ!»

«ليس لنا ملك الاَّ قيصر!»

«اصلبهُ!»

«الى الصليب بالنبي الكاذب!»

«ليمت المغتصب! ليعش قيصر! ليحيَ طيباريوس! ليمت الناصري! ليُصلَب! هلموا بهِ الى الصليب! اصلبوه!»

وقد تصاعد هذا الصراخ من نحو عشرة آلاف صوت الى اذني الوالي واذ كان متأثراً من براءة يسوع ومُحذَّراً من قبل زوجتهِ استولت عليهِ حيرة شديدة وارتباك عظيم فقال لهم

« ولِمَ تضطرونني الى صلب رجل بريء ؟ فأيّ شرٍّ عمل ؟ » فازدادوا صراخاً صمَّت لهُ الآذان قائلين « اصلبهُ اصلبهُ ! »

« اني اؤدبهُ واطلقهُ ! » فصرخ قيافا بصوت شديد

« اطلقهُ ايها الروماني على مسؤوليتك ! فلا بدّ انهُ يموت هو او انت عن الشعب في هذا اليوم . ولا مندوحة عن سفك الدم لاجل تسكين هذه العاصفة ! »

فاشتدَّت وطأة الشعب وازداد الهيجان وارتفعت اصوات رؤساء الكهنة والشعب والجميع ضاعفوا الحاحهم بطلب صلب يسوع بينما كان بيلاطس يجتهد عبثاً في تسكينهم لان اصواتهم الصارخة حالت دون استماعهم مناداتهُ لهم وكانت دعوتهُ اياهم الى السكينة تزيدهم لغاطاً وضوضاء . واذ رأى انهُ لا ينفع شيئاً بل بالحري يزيد الشعب اخذ ماء وغسل يديهِ قدامهم وقال « اني بريء من دم هذا الرجل ابصروا انتم ايها اليهود مع رئيس كهنتكم ! » فصرخ قيافا « دمهُ علينا وعلى اولادنا » . ثم اقتفاهُ الشعب صارخاً « نعم ! علينا وعلى اولادنا دم هذا الانسان ! »

فاجابهم بيلاطس شاحباً مصفرّاً بهيئة الموتى « خذوهُ انتم والحالة هذه واصلبوهُ والاله الذي يعبدهُ يدينكم على على اعمالكم في هذا اليوم » . ثم حوَّل وجههُ عنهم والتفت

الى يسوع الذي كان واقفاً بسكوتهِ المعهود وهدوئهِ الراسخ القدم طول مدة تلك العاصفة وقال لهُ «اشعر انك بريء لكنك ترى اني لا استطيع ان اخلصك! واعلم انك تسامحني ولا يلحقني تبعة من مخاوف موتك هذا!» فلم يجبهُ يسوع بشيء فتركهُ بيلاطس ومضى حزيناً وعندما قال لهُ احد قوادهِ «أَتسمح لي يا سيدي ان اجلدهُ حسب الناموس الروماني الذي يأمر بجلد كل من يُقضى عليهِ بالموت؟»

فاجابهُ ذلك الوالي الساقط الهمة الخامد الذهن «افعل كل ما يأمر بهِ الناموس» ولم يبرح بيلاطس الدار حتى هجم الجموع على يسوع وفي مقدمتهم زمرة سفالة القوم من القتلة واللصوص وقطاع الطرق وقبضوا عليهِ وجرّوه الى الدار الخارجية وهناك عرّوهُ وجلدوهُ بامر كبير قواد الجند اربعين جلدة الآ واحدة . ثم عادوا فألبسوهُ الحلة الملكية البالية ووضعوا على رأسهِ اكليل الشوك واستأنفوا تحقيرهُ بالسجود لهُ قائلين «السلام يا ملك اليهود»

كل هذا صبر عليهِ يسوع بجلال الهيّ ولم ينطق بتذمر ولا لاحت منهُ اقل التفاتة تشف عن غيظ او غضب بل كان من وقت الى آخر يرفع عينيهِ الى السماء كانهُ يلتمس العون والقوة من فوق ولم يكن عوميليوس وحدهُ مفصولاً

عنهُ الآن بل يوحنا ايضاً ولكن عمي عاموس كان واقفاً بالقرب منهُ ينظر الى النهاية لعلهُ يستطيع ان يحمل رؤساء الكهنة على العدول عن قتلهِ فقال لهُ يسوع

«ايها الرباني الصالح دعهم يفعلون بي ما يريدون ! ان ابي قد اسلمني الى ايديهم فاموت ولكن ليس عن نفسي. لي سلطان ان احفظ حياتي او اسلمها كما اريد»

فصرخ عمي

«آه اذاً يا سيدي العزيز ! لماذا لا تخلّص نفسك ? لماذا تحتمل كل هذا حتى الموت ان كان لك سلطان على حياتك ? »

«ان لم امت فجميعكم تموتون ! ينبغي ان يتمّ الكتاب القائل عني كخروف سيق الى الذبح !»

ولم يستطع عمي ان يكلمهُ بعد هذا لان الجمع جرّهُ خارج الدار الى الشارع من جهة بوابة الملوك على طريق الجلجثة حيث يصلب الرومان المجرمين المحكوم عليهم بالموت. وعند البوابة احتاطت بهِ فرقة من جند الرومان وسارت في حراستهِ والجماهير تتقاطر وراءهُ متزاحمة متدافعة فسار عمي عاموس يصحب الجمع في مرافقتهِ مقترباً من يسوع بقدر ما مكنهُ الجند المحيط بهِ. ثم جاءوا في طريقهم الى حيث كانت قلعة انطيوخس وهناك استمال

نظر الرباني عاموس صراخ الشعب واشارتهم بالاصابع الى شجرة تين يابسة مطروح عند جذعها جسد رجل ميت وفي الحال اقتربوا منها فوجدوا ان ذلك الميت كان يهوذا الاسخريوطي الذي اسلم سيدهُ ! وكان منظرًا هائلًا تقشعرُّ لهُ الابدان ! وعلى عنقهِ قطعة من نطاقهِ والقطعة الاخرى مشدودة على غصن من التينة دلالة على الطريقة التي ورد فيها هذا المنكود الحظ حتفهُ . فكان النطاق انقطع من ثقلهِ واذ كان سميناً سقط على الارض بعنف فانشق بطنهُ واندلقت احشاؤهُ فكانت وليمة للكلاب الجائعة التي لم تلبث بعد ما اتصلت اصوات القادمين ان غادرت الجثة وولَّت مدبرة فاوعز قائد المئة الذي عهد اليهِ بيلاطس في صلب يسوع الى اربعة من العساكر ان ينقلوا الجثة ويسعوا اما في احراقها او دفنها . وهنا قال الرباني عاموس ليوحنا الذي كان الآن ماشياً بجانبهِ «ان عوقب المشتكون على يسوع مثلما عوقب هذا الرجل يكون يوم عقابهم مخيفاً لرجال اورشليم . فهذا يهوذا مسلمهُ قد مات قبلهُ بعقاب الهيّ يدلُّ على ان يسوع نبيّ العليّ المحبوب»

ثم جيءَ بصليب كبير من سرو من المكان المعدَّة فيهِ صلبان كثيرة لصلب الذين يحكم عليهم بالموت وأُحضر صليبان آخران يحملها الرجلان اللذان حكم عليهما

ايضاً بالصلب في ذلك اليوم وكانا كما تقدم الكلام من زمرة باراباس الشهير

وما اجتاز الجمع البوابة حتى ذاع الخبر في كل اورشليم ان بيلاطس اصدر امرًا بصلب يسوع الناصري واذ ذاك هرع جميع الذين عرفوهُ وآمنوا بهِ او احبوهُ تاركين بيوتهم وخارجين للذهاب وراءهُ ليشاهدوا صلبهُ لان قيافا وعد بانهُ اذا أُسلم يسوع يكون جميع اتباعهِ في أمن لا يلمُّ بهم اذًى ولهذا لم يبقَ احدٌ بدون ان يخرج وراءهُ وكان من جملتهم مريم امهُ ومريم ابنة عمي ومريم ومرثا واخوهما لعازر ويوحنا وبطرس وآخرون غيرهم · وقبل وصولنا الى الجلجثة حدث وقوف مباغت في الجميع حيث كان يسوع واذ استخبرنا عن السبب قيل لنا ان يسوع اعيا من شدَّة ثقل الصليب الموضوع على ظهرهِ فسقط على الارض مغشياً عليهِ فصرخ الذين حولهُ «انهُ قد مات!» ولما اقتربنا منهُ وجدناهُ قد انتعش قليلًا لان بعضهم بلَّ شفتيهِ بقليل من الخمر وسكب ماء على جبهتهِ فنهض ناظرًا حولهُ واذ ابصر امهُ قال لها «لا تبكي يا امي! تذكري ما قلتهُ لكِ مرارًا عديدة عن هذه الساعة وآمني· فالسيف يجوز في نفسكِ لكنها (محفوظة) بيد ابي · اما الآن فقد اتت ساعتي»

وكان باراباس قائداً لهذه الجموع الغفيرة فرفع الصليب ووضعهُ على كتفي يسوع وامرهُ الجند ان يمشي لكنهُ سقط ثانيةً تحت ثقلهِ ولم يستطع السير بهِ فتحيروا لا يدرون ماذا يفعلون لانهُ كان محرَّماً على اليهودي او الامي ان يعين مجرماً على حمل صليبهِ بينما كان اليهود يأبون ذلك مخافة ان يتنجسوا ويضطرُّوا ان يخرجوا متجنبين مخالطة الشعب مدَّة ايام التطهير · فاقام باراباس يسوع ثانيةً وابتدأ يجلدهُ ليصعد بالصليب في أُحدور الجلجثة لكنهُ لم تبقَ فيهِ قوة تمكنهُ من السير ولو ثلاث خطوات وقد حاول ان يمتثل اشارة اولئك الطغاة الجائرين فلم يقدر · واذ ذاك سخروا تاجراً يدعى سمعان القيرواني وهو رجل على جانب عظيم من رفعة الشأن والاعتبار ومعروف عند كل اهل اورشليم وابو الشابين روفس والكسندروس اللذَين كانا من اتباع يسوع اذ باعا في السنة الماضية كل ما كان لهما لكي يصيرا تلميذين لهُ ويجلسا عند قدميهِ يصغيان الى تعاليمهِ الالهية وكان ابوهما لهذا السبب او لخلافهِ مُبغَضاً عند ابنير الذي لما راهُ دلَّ عليهِ قائد الجند قائلاً لهُ «ها انهُ احد الناصريين ينبغي ان يحمل الصليب عنهُ» · فسيق في الحال هذا التاجر القيرواني الى حيث كان الصليب متوقعاً انهُ لا بد ان

يصلب هو نفسهُ · لكنهُ لما ابصر يسوع واقفاً مصفراً ومضرَّجاً بالدماء من تهشيم الصليب لهُ وعرف ما يطلب منهُ تدفقت الدموع من عينيهِ وخرَّ على ركبتيهِ عند قدمي يسوع وقال «لا تظن اني بسبب ارغامهم اياي على هذا العمل اكون مساعداً على موتك! انا اعلم انك نبيٌّ آتٍ من الله! وان متَّ اليوم فلسوف تطالَب اورشليم بدمٍ اثمن من دم كل انبيائها» · فصاح رؤساء الكهنة «انما اتينا بك ايها الرجل للعمل فاحمل هذا الصليب لانك قويّ وسر وراء سيدك!»

واذ كان سمعان رجلاً قوياً حالة كونهِ ابن ستين سنة نهض بقطعة من الصليب وأُمرَ يسوع ان ينهض بالاخرى لكنهُ لم يستطع ايضاً فقال لهُ سمعان «دعني احملها كليهما يا سيدي اني قادر على ذلك وانت يكفيك ثقل حزنك · وان كان عاراً عليَّ ان احمل الصليب وراءك فانا اتمجد بهذا العار كما كان يتمجد ابنايَ ايضاً لو كانا هنا اليوم» · قال هذا بصوت البسالة والشجاعة وبلسان يشف عن شدة رغبتهِ في ان يسمَّر على الصليب عوضاً عن سيدهِ (لان سمعان هذا كان قد آمن بيسوع نظير ابنيهِ) ورفع الصليب وحملهُ على كتفهِ وراء يسوع الذي اضطرهُ شدة

الضعف والهزال من فقد الدم وعــدم النوم ان يتوكأ على احدى آلات الاعدام

آه يا ابي العزيز لو امكنك تصوّر هول ذلك المكان الذي اتينا اليهِ حيث الجماجم منثورة تحت اقدامنا والعظام مبعثرة في كل ناحية فكنّا ندوس على كثبان من الرماد حيث كان الرومان يحرقون اجساد الذين يصلبونهم

اخيراً جئنا المصلب (مكان الصلب) حيث كانت خمسة صلبان موضوعة وكان معلقاً على واحــدٍ منها مجرمٌ صُلب ظهر امس ولا يزال حيــاً وكان يستغيث للماء فمرَّ الجميع غير مبالين بهِ وكان في وسط الجلجثة فسحة فارغة فوقف فيها قائد المئة وامر ان تُنصب الصلبان على الصخر العظيم حيث نقرت ثقوب لتُوضع فيها فتقدَّم اللصان وطرحا صليبيهما هنــاك متأوّهين من شدَّة هــول الآلام التي كانا قادمين على مكابدتها

وكان صليب يسوع اكبر الصلبان الثلاثة وقد اقتضى ثلاثة جنود لانزالهِ عن ظهر الشيخ القيرواني والقائــهِ على الارض ثم امر القائد رجالهُ ان يشرعوا حرابهم في وجه المزدحمين في تلك الساحة لكي يرجعوهم الى الوراء ويخلُوا مكاناً لنصب الصلبان فاخــذ اليهود المتعطشون الى سفك دم فريستهم يتقهقرون من وجه اسنة الرومان المصوَّبــة

نحو صدورهم لانهُ كان مع القائد ستون جنديـاً بالسلاح الكامل ما عدا فرقــة من حامية هيرودس ٠ امــا يوحنا فلبث واقفاً على ملاصقة يسوع ويقول ان معلمهُ ظلَّ في معظم ثباتهِ وصبرهِ حين امر القائد الصالبين ان يتقدموا ويسمروا المجرمــين على صلبانهم فلما رأى احــد اللصين المسمى اشمراي الادومي جنديــاً يقترب اليهِ بسلة آلات التسمير حمل عليهِ بمنتهى الشراسة وتأهب للمدافعــة عن نفسهِ لكنهُ في الحال قبض عليهِ اربعة جنود رومان وصرع على ظهرهِ على الصليب واذ انهُ كان من اقويــاء الرجال اقتضى لهُ ستة اشخاص ليتغلبوا عليهِ ويرغموهُ على مــد يديهِ للتسمير وعندها تقدَّم احد المسمرين وضغط بركبتهِ على ذراعهِ ووضع المسمار على كفهِ وضربهُ بمطرقتهِ القصيرة الغليظة ثلاث ضربات شديدة متوالية فانفــذهُ من ظهر الخشبة ٠ فصرَّ المصلوب على اسنانهِ حــين خرق المسمار كفهُ وهكذا فعل بيدهِ الثانية ثمَّ ضمَّت رجــلاهُ معاً وسمرتا الى الصليب بمسمار طويــل واللص يصيح ويقذف بالشتائم واللعنات من شدَّة الآلام التي كابدها فترك متضوراً تسيل دماؤهُ محفوراً بالستة الصالبــين لانهُ هكذا كان يُعين لكل مصلوب اربعة يوثقونهُ وواحد يحمل المسامير في كفيهِ ورجليهِ والسادس ينفذها في جسدهِ

ثم جاءوا الى عمري اللص الآخر الذي كان ابن تاجر غنيّ من اريحا وقد بدَّد ثروتهُ بعيش مسرف وصحب باراباس . وقد سمع يسوع يكرز في برية الاردن وسأله مرَّةً اشياء كثيرة عن التعاليم التي علَّمها وقد عرفهُ يوحنا الذي رآهُ من بضعة اشهر يتكلم مع يسوع في بيت عبرا ولاحظهُ كيف ينظر الآن الى النبي بعين الاعتبار وسمع يسوع اكثر من مرَّةٍ يكلمهُ بعبارات الحنو واللطف في طريقهما الى المصلب . فلما دنا منهُ الصالبون بالحبال والسلال والمسامير والمطرقة قال لهم

«لست اضطركم أن تصرعوني بعنف الى الارض لاني اقدر ان اموت كما عشت بدون خوف ! ومثلما تعدَّيت القانون تجدونني مستعدًّا لاحتمال احكامهِ» . وبعد ما قال هذا تمدَّد على الصليب ونشر يديهِ للتسمير بدون ان يأتي اقلَّ انة او انزعاج بل كان حينئذٍ شاخصاً في يسوع بعين الشجاعة كأنهُ يريهِ ان الرجل الشجاع يستطيع احتمال الألم ولعلهُ ظنَّ ان يسوع في احتياجٍ الى مثال البسالة ليتنشط على تجرُّع كاس الموت بدون خوف لان منظرهُ كان حينئذٍ بمنتهى الاصفرار وهو على وشك السقوط من فرط الاعياء وشدة الخوار . زد على ذلك ان مرأى شبابهِ البديع وجمال اقنومهِ المجيد وهيئة براءتهِ الالهية التي لم يقو

تعقّد شعرهِ ونتف لحيتهِ وانغماس وجههِ بالدماء على اخفائها استمالت اليهِ انظار الحنو والانعطاف حتى من اعدائهِ ٠ فتطلّع فيهِ قائد الجند بعين الحزن وقال «انت ارى لاي شيء يبغضك الناس حالة كونك على الخصوص تظهر رجل محبة ولكن عليّ ان اتمم واجباتي وشرف الجندي الطاعة»

فتبسم يسوع في وجههِ عن غفران حلو ملأ عيني ذلك القائد دموعاً فاضطرَّ ان يضع يدهُ على وجههِ ليخفي تأثرهُ وقال «لم يكن بيلاطس ليرتكب هذه الجريمة لو كان عندهُ كتيبة أُخرى او كتيبتان من العساكر فقلّة جنودهِ بعثتهُ على رغم انفهِ ان يضحّي بسك ارضاء لخاطر هولاء اليهود الثائرين عليك»

تكلّم هذا بصوت منخفض مع يسوع الذي لم يبدِ جواباً ٠ ثم تقدَّم اليهِ الصالبون ليعدّوهُ للصلب بواسطة الجلد

وهذا ما استطعت ان اكتبهُ اليك يا والدي العزيز في هذه الرسالة لان بكائي الشديد على تذكر هذه الحادثة الفاجعة حال دون استمراري على الكتابة ٠ ففي رسالتي التالية اكمل لك تفصيل صلب نبي الناصرة الذي معهُ صُلبت كل آمالنا من جهة كونهِ مسيح الله

ابنتك المحبة اذينا

الرسالة الخامسة والثلاثون

عن اورشليم الصباح الثالث بعد الصلب

ابي العزيز

الآن نهضت باكرًا مع الفجر لاني سابرح المدينة هذا اليوم انا وجميع بيت عمي الرباني عاموس هاربين الى بيت عنيا من وجه اليهود الذين خلافاً لما وعد بهِ قيافا يبذلون الجهد في القبض على جميع من هم في اورشليم من اتباع النبي المصلوب ولما كان تأهبنا جميعنا للمسير يستغرق ساعة او ساعتين رأيت ان ابعث اليك بتتمة خبر صلب يسوع بالتدقيق لان الرباني عاموس اذ رآني الى الآن مدونة كل شيء بالتفصيل عن هذه الحادثة طلب مني ان اتتبعها الى نهايتها بدون ان أهمل شيئاً من متعلقاتها لعلهُ يدعو الامر

فيما بعد الى الوقوف على هذه التفاصيل او تمس الحاجة الى بسط هذه الدعوى امام قيصر مدافعةً عن تهم الفتنة المصدرة هناك على يسوع واتباعهِ· وكنتُ اظنُّ ان رسائلي هذه الحقيرة انما لها اعتبارٌ في عينيك وعند الذين احبهم فقط ولكن اذا احتيج اليها لاجل ايضاح تبرئة الناصريين المساكين المضطهدين فهي معدَّة للتقديم حتى الى طيباريوس قيصر نفسهِ· وقيمة اعتبارها انما هي بالنظر لكونها متضمنة تفاصيل الحادثة على حقيقتها بقدر ما مكنتني الظروف· وقبلما اشرع في استئناف التفصيل رأيت ان أُلمح قليلًا الى حالة أُم يسوع المضروبة بالحزن· اوَّاه ليس لها من تعزية لان مصابها ليس كمصاب باقي الامهات بداعي ان ابنها لم يؤخذ منها بالموت فقط بل مات موتاً دنيئاً على صليبٍ رومانيّ بين لصين كأنها دونهُ جرماً وذنباً وليس هذا فقط بل حكم عليهِ كنبيٍّ كاذب — كخادع اسرائيل — ناطق بالوف من المواعيد لمجد يهوذا المستقبل على يده وقد ظهرت بموتهِ انها مجرَّد مواعيد كاذبة اتخذها وسيلة لشهرتهِ الزمنية· واجتذاب الناس اليهِ· فعلى هذا تنوح وتبكي وليس كباقي الامهات ولا تريد ان تتعزى

ومع هذا فمحبتها لابنها — تلك المحبة الوالدية الخالدة لم تدفن معهُ وقد خرجت الآن سرًّا مع مريم ومرثا لينظرنَ

جسدهُ المرَّة الاخيرة قبل انطلاقنا الى بيت عنيا · وقد اخذنَ معهنَّ اطياباً ومرًّا وندًّا لكي يدهنَّهُ لان امهُ ترجو ان تحصل على اجازة من بيلاطس في نقلهِ يوماً ما الى قرية بيت لحم ليوضع في قبر آبائهِ · فسأَعمل على الكتابة اليك مدة غيابهنَّ

فلما رأى القائد ان يوبط يسوع ليُصلب وأمر بذلك تقدَّم صالبوهُ وعرَّوهُ من ثيابهِ وكان لابساً رداء نسجتهُ لهُ مريم ومرثا وقدمتاهُ لهُ هدية شكرٍ على اقامتهِ اخاهما لعازر من الموت · فلما رأَيتهم يرفعون عنهُ هذا الرداء الذي كان شاهدًا حسياً على سلطانهِ السابق على الموت لم استطع تصديق امكان قتلهِ بل توقعت انهُ لا بدَّ ان يُفلت من ايدي اعدائهِ بواسطة آية عظيمة يبدّدهم بها كالغبار قدام الريح ويعلن ذاتهُ بقوة انهُ ابن الله! لكنني حينما شاهدتهُ لم يبدِ حراكاً واقعاً حزيناً وتاركاً صالبيهِ يفعلون بهِ ما يريدون فقدت كل رجاء وحولت وجهي باكيةً · اما والدتهُ فلم يمكنها مشاهدة ابنها في تلك الحالة فقادها يوحنا الى بعيد وهي تصرخ بقلب منقطع بسهام الحزن «آه! لا تدعوني اسمع صوت خرق المسامير رجليهِ ويديهِ! ابني — يا ابني! آه لو انك تبرهن لامك انك بالحق نبي!» فنادى ابنير الوحش الضاري «ما المراد من هذا البكاء؟

ومن هذه المرأَة ؟» فأجبتهُ مغتاظةً «أُم يسوع». فصرخ بصوت وحشي «أُم المجدِّف — فلتكن ملعونةً ! انكِ ترين يا امرأَة نتيجة تربية خادع يجدِّف على الله وعلى هيكلهِ. قد بادت اليوم آمالكِ وآمالهُ ايتها المرأَة المنكودة الحظ ! فليمت كل المسحاء الخادعين والانبياء الكذبة هذا الموت الاليم ! وانكِ ترين لو انهُ كان المسيح لما وقف هناك ليُصلب كأَثيم ! »

فغطت مريم وجهها بيديها. وبكت على صدري حتى كادت يُغشي عليها. ولم يمكني النظر الى حيث كان يسوع واقفاً وقد راعني استماع الضربة الاولى على المسامير وكنت اود سدَّ أُذنيَّ كما فعلت أُمهُ لو لم اكن مسندة اياها الى ذراعيَّ. ثم رجع يوحنا ولعازر الى حيث كانوا يعرون يسوع فشاهدا سيدهما وقالا انهُ لم يكن قط في مظهر جلال عظيم مثل تلك الساعة ! فكان كما قال عنهُ القائد الروماني بعد ذلك «نظير الهٍ مسلِّمٍ نفسهُ لاجل سلامة خلقهِ !» وقال يوحنا «انهُ لم يكن شيء يحول دون خشية اليهود من جلال حضورهِ سوى شراستهم الوحشية وقساوتهم الصخرية. ولم تكن خشونة يدي صالبيهِ او عار جلدهِ قدام الوفِ او منظر صليبهِ او رؤية اللصين المصلوبين على جانبيهِ لتقوى على سلبهِ مجدهُ الالهيَّ السماوي الذي لم

يفارقهُ البتة ولم يبدِ اقل مقاومـة حين صلبوهُ بـل اسلم نفسهُ الى ايديهم كخروفٍ وقال رافعاً عينيهِ الى السماء «ايها الآب اغفر لهم لانهم لا يعلمون ماذا يفعلون» . على ان نفسهُ الباسلة لم تقوَ على مقاومة التأثر الطبيعي من شدَّة الألم البشري فان خرق المسامير في جسدهِ الغض بعثهُ على الارتجاف وجعلهُ يحوّل وجههُ بانزعاج شديد ويئن انينـاً عميقاً عند استماعهِ عويل والدتهِ فلم يقـاوم كاللص الاول ولا تباهى كاللص الثاني بل ذاق آلام الصلب كرجل لا يهاب الموت ولا يفتخر بعدم مهابتهِ !

وحينما رفعـوهُ بالصليب واوقفوهُ منصوبـاً في ثقب الصخر — وقد تمَّ ذلك بهزَّة عنيفة منهم مزَّقت يديهِ من شدَّة الثقل المتعلق بهما — تجمَّعت على جبينهِ قطرات عرق كانت العلامـة الوحيدة الخارجية لما اسرَّتـهُ نفسهُ من الآلام الشديدة التي لا تطاق حالة كون اللصين على جانبيهِ حينما فعل بهما كذلـك اصعدا اصوات توجـع لم تستطع الآذان استماعها

وقـد استمرَّ يوحنا الى النهاية معتقـدًا ان سيدهُ لا يموت — لا يمكن ان يتألم لكن حينما شاهـد تسلط الالم والوجع عليهِ وابصر خضوعهُ لهما كباقي الناس . بـدون قوَّة تنجيهِ من تجرُّع مرارة تلك الكاس تعجب وابتـدأ

يرى ان كل الآيات التي صنعها كانت شعوذة وسحرًا !

وبعد ما رُفعت الصلبان الثلاثـة ويسوع في الوسط ونُصبت ممكّـنة في الصخر أمر قائد المئة ان يخلى المكان ويُترك المصلوبون يموتون· فيالهُ من امر مخيف ان يموت يسوع الذي عرفناهُ جيدًا ولا نزال نحبهُ مع انهُ خدعنا· وهناك توقعنا انهُ يبقى يومين او ثلاثة ينزع في آلام الموت البطيء معرّضاً في النهار للذع حرارة الشمس وفي الليل لقرس الرياح الباردة بينما تحوم فوقهُ الطيور الجارحة تنتظر موتهُ بفروغ صبر فاقتربنا مع أُمهِ من صليبهِ بقدر ما سمح لنـا فحوَّل يسوع وجههُ نحو والدتهِ بعين الحنو الشديد واوصى بهـا يوحنا الباكي المستندة الى ذراعيهِ

وما بقي من تفصيل هذه الحادثة وقفت عليهِ من يوحنا الذي استمر الى النهاية واقفاً ملاصقاً الصليب بينما انا رجعت ووقفت بعيدًا مع ام يسوع الباكية ولعازر واختيهِ ومريم ام سالومة ونساء أُخر من الجليل كنَّ قـد آمنَّ بيسوع وتبعنهُ · وجميعنا كنا نتوقع ان نشاهد منهُ آية يصنعها على الصليب فينزل غير مصاب باذى مبرهناً للعالم صدق ادعائـهِ بانهُ مسيح الله · وقد وضع القائد حراساً يراقبون اصدقاء المصلوبين لئلا يحاولوا تخليصهم والجنود الذين صلبوا يسوع اخذوا يقتسمون ثيابـهُ فيما بينهم مكثرين من الضجيج

مغلظين الاقسام · وهكذا فعل الذين صلبوا اللصين لان هذا كان حسب الناموس الروماني اجرة الجلّاد وبعد ما انتهوا من قسمة ثيابهِ بلغاطٍ ومشاحنة أدّت الى ان شهر بعضهم سكاكينهم على بعض تحيروا لا يدرون ماذا يفعلون بردائهِ الذي نسجتهُ لهُ أُختا لعازر لانهُ كان كبيراً وقطعة واحدة فختم الحرّاس الذين كانوا جالسين لحراسة اللصين يلعبون بالنرد ان تلقى قرعة على الرداء ليرى بها لمن يكون · فارتضى صالبو يسوع بهذا واخذوا النرد بايديهم الملطخة بالدماء ورمى بهِ كلٌّ منهم ثلاث مرات فكان العدد الاكثر لاشدهم شراسة وخشونة فاخذ الرداء ولفهُ على جسدهِ القبيح المنظر الهائل الصورة وشرع يروح ويجيء قدام الشعب قائلاً عن نفسهِ بصوتٍ عالٍ انهُ ساحر عظيم وطالباً من بعض اليهود الحاضرين ان يسألوهُ اذا ارادوا فيتنبأ لهم عن مستقبلهم وعندها ابتدأُوا يشتمونهُ ويرجمونهُ كمجدّف — وكاد يحدث شغب عظيم لولا توسط القائد وتداركهُ الامر

ثم اعلن هذا الجندي ميلهُ الى بيع الرداء فاشتراهُ منهُ يوحنا بثمن باهظ بواسطة حلى عدة نساء نزعنَ عنهنَّ بكل فرح اقراطهنَّ واساورهنَّ ومن جملتهنَّ انا فاني قدمت حجر الزمرد الذي اشتريتهُ لي في القاهرة وبعد ما

اشتراهُ يوحنا دفعهُ الى ام يسوع فقبلتـهُ بمزيد الشكر لنا جميعاً وبعد هذا لا اعلم كيف استطيع ان اصف لك المناظر والحوادث التالية !

وبعد ساعة من صلب يسوع اتى عوميليوس بكتابة من عند بيلاطس البنطي كانت العادة ان تعلَّق فوق رؤُوس المصلوبين فيهـا يعلن اسم كل مصلوب والعلة التي صُلب لاجلها فكتب فوق راس اشمراي بالعبرانية او السورية

اشمراي الادومي اللص

وكُتب فوق رأس عمري على رق في اللغة عينها اسمهُ وعلة صلبهِ التي كانت اللصوصية والقتل في فتنة المدينة . اما فوق راس يسوع فوُضعت هـذه الكتابة باليونانيـة واللاتينية والعبرانية

هذا يسوع ملك اليهود

فلما قرأ ابنير علة يسوع التفت غاضباً الى قائد المئـة

والى عوميليوس الواقف عند الصليب بهيئة الحزن وقال «لا تكتب ايها الروماني ‹ملك اليهود !› بل اكتب ‹قال انهُ ملك اليهود !›» . فاجابهُ «قد وضعت فوقهُ ما امر بهِ بيلاطس ان يُكتَب» . فامتطى ابنير بغلاً وسار مسرعاً الى بيلاطس طارحاً هذه المسئلة قدامهُ وسمعنا انهُ اجابهُ بكل فتورٍ «ما كتبتُ قد كتبتُ» . فردَّ عليهِ ابنير «اذاً صلبت هذا الرجل لانهُ ملكنا الذي نحن ننكرهُ !» . فاجابهُ بيلاطس غاضباً «اني اعتبر كلامهُ اكثر من اعتباري الكل كلام اليهود في سلطنة قيصر وهو قال انهُ ملك وان صح وقوف ملكٍ امام حكومة بشرية يكون هذا الذي وقف امامي اليوم — وكتبت علة موتهِ . وانما دمهُ على رؤوسكم ! لاني اضطررت ان افعل هذا تفادياً من حدوث ما يبعث على خلعي من ولايتي . فاغرب من امامي ايها اليهودي ! ألم اوافقكم ضد العدل والانسانية في هذا النهار على إرواء عطشكم من دم هذا الرجل البار ? فماذا تريدون اكثر من هذا ? ألم يُصلب فوحق آلهة رومية ان وقفت في حضرتي بعدُ بشأن هذا الامر . لاصلبنَّك انت ومئتين معك قبل العصر !»

فخرج ابنير من لدن بيلاطس اذلَّ خروج واخيب . ورجع يتعثر باذيال الخزي الى المصلب . وفي غضون ذلك

كان اليهود يهزأون بيسوع وينغضون رؤوسهم عليهِ وهم يذكرونهُ بآياته الباهرة الغابرة ونبواتـهِ الزاهرة الدابرة · فقال لهُ فريسيٌّ منهم «انت الذي اقام لعازر خلص نفسك من الموت!» فصرخ عالي رئيس الصدوقيين «انت يا من قال ان من يحفظ اقوالهُ لن يرى الموت — دعنا نراك تجيز الموت عن نفسك!» · وقال حزقيا احد رؤساء الكهنة ساخرًا بهِ «خلّص آخرين واما نفسهُ فلم يقدر ان يخلصها!»

ولما وجد عوميليوس ان تخليص يسوع من الصليب اصبح مستحيلًا جاء يحرسهُ من اهانات اولئك الرعاع ساعة موتهِ ولم يبقَ بعد الآن مؤمناً بهِ كنبيٍّ يهوديٍّ لكنهُ لا يزال يحبهُ كانسانٍ فرثى لآلامهِ وكلمهُ متوسلًا اليهِ بحرارة ان يظهر قوّتهُ ان كان بالحق الهاً فلم يجب يسوع بشيء لكنهُ اخيرًا قال بصوت خائر «انا عطشان» فركض عوميليوس وملأ اسفنجة خلًا ممزوجاً بمرارة (زوفا) وكانت عادة ان يُعطى مثل هذا للمصلوبين بعد ما يشتد عليهم الألم لكي يخدرهم ويقلل شعورهم باوجاعهم · وفيما كان عوميليوس مشغولاً في وضع الاسفنجة على قصبة ليناولها الى يسوع اذا باشمراي الذي لم يكف منذ ما صلب عن

قذف الشتائم واللعنات على صالبيهِ قد صرخ بيسوع بصوت وحشيّ قائلاً

«ان كنت ابن الله فخلص نفسك وايانا! وان كنت اقمت مرّةً رجلاً من الموت فبلا ريب تقدر ان تنقذنا نحن ايضاً! ولا شك في انك تكون من ارذل القوم ان كان لك قوة نبيّ ولا تستخدمها لانقاذي حالة كونك ترى جثتي وثقل جسدي وكم انا متعذب ومتألم!»

اما عمري فوبخهُ قائلاً «اوَلا انت تخاف الله اذ انت تحت هذا الحكم بعينهِ؟ اما نحن فبعدل نتألم لاجل جرائمنا واليوم ننال جزاء جناياتنا واما هذا الشاب فلم يفعل شيئاً خطأً سوى تقريف الكهنة وذم شرورهم لانهُ اقدس منهم . يا رب انا أُومن انك ابن الله! وليس احد غير المسيح يقدر ان يصنع الافعال التي صنعتها انت ويصبر على الآلام التي تكابدها الآن . فاذكرني يا رب متى اتيتَ في ملكوتك لاني اعلم انك تصعد من عن صليبك هذا الى كرسيك في العلاء وهناك تحكم من الابد والى الابد . فقد أَصغيتُ الى تعاليمك على ضفاف الاردن والآن انا أُومن بك»

فحوَّل يسوع رأسهُ النازف بالدماء اليهِ وقال مبدياً على وجههِ الاصفر الذابل تبسماً سماوياً مجيداً «الحق اقول لك

انك اليوم تكون معي في الفردوس » . فابرقت اسرة عمري بتباشير الفرح والسرور وتجدَّدت فيهِ قوة الصبر والاحتمال . اما اللص الآخر فابتدأ يلعن يسوع بصوت عالٍ ويحرّق باسنانهِ عليهِ بغلّ شديد ، وحقدٍ ما عليهِ من مزيد

حينئذٍ تقدَّم عوميليوس بالقصبة التي عليها الاسفنجة وناولها الى يسوع ليبل شفتيهِ المحترقتين بنار العطش فلما ذاقها ابى ان يشرب معتقداً انهُ دواءٌ افيونيّ كان يُعطى لتقصير اجل المتعذبين على الصليب . فصرخ اشمراي يطلب الاسفنجة بالحاح شديد حتى دفعها عوميليوس الى جنديّ ناولهُ اياها فالتهمها بلهفة شديدة ولسانهُ مندلع من شدقيهِ ثم برَّد اللص الآخر نار أوامهِ بها وراحا كلاهما ثملين منكسي الرأس لا يشعران بآلامها ولا يُبديان شيئاً من مظاهر الحياة سوى التضوُّر الشديد والتلوي بعوامل النزع الاخيرة بخلاف يسوع الذي ظلَّ في كمال قواهُ العقلية يعاني ألم موتهِ المخيف

وفي الحال حينما صارت الساعة السادسة وأعلن لنا ذلك بابواق اللاويين من الهيكل رفعنا عيوننا فاذا بسحابة دخان المحرقات التي كانت الى الآن لا تزال منتشرة فوق الهيكل قد اشتدَّ سوادها حتى اصبح حالكاً واخذت

تتقدم نحو الجلجثة متسعةً متكاثفةً في اقترابها منا وبعد قليل اكتنفت بظلامها الدامس ليس كل اورشليم فقط بل الجلجثة ووادي قدرون وجبل الزيتون وكل البلاد المجاورة وظهرت الشمس التي كانت قبلًا في ريعان ضيائها ومعظم اشراقها ضئيلةً اشدَّ سوادًا من شعر المسوح وما لبث ان خيم على العالم ليل داجٍ هائل غشيت منهُ الارض ظلماتٌ بعضها فوق بعض · ثم اومض من كبد السماء فوق الصلبان برق خاطف الى كل ناحية بدون ان يصحبهُ رعود — وانما تلاهُ سكوت مستحيذٌ خانق!

فسقط جمهور الالوف الواقفين ينظرون الى الصليب على وجوههم الى الارض بمزيد الرعب والانذعار وتوارت اورشليم عن الانظار · وانما لاح لعيوننا نور شديد الاحمرار عابسٌ بها وناشب على الهيكل فوق قدس الاقداس ولم نعد نتبين الصلبان الأَ على ضياء البروق اللامعة · من خلال سحب الظلام المطبقة · واضاءَت هيئة يسوع في وسط تلك الظلمة الدجوجية بمجلىً الهيّ واحاطت بجبهتهِ هالة نور سماويّ كأنها اكليل من مجد بينما كان اللصان محجوبين عن عيوننا وبالجهد استطعنا تمييزهما بواسطة النور المنعكس عليهما من ضياء يسوع

ودام الظلام مرخياً سدولهُ فنهض كثيرون من الجمهور

على اقــدامهم وابطلوا تمزيق ثيابهم وكفوا عن الانــين وانقطعت نبضات قلوبهم لكنهم لم يتحركوا من اماكنهم اذ لم يستطع احد منهم ان يرى كيف ينقل قدمــهُ من شدَّة تكاثف الظلام فكانوا يتكلمون بعضهم سراً ! وقد استولى على كلٍ منهم رعبٌ حيَّر افكارهم وذهب برشادهم فصرخت مريم ام يسوع ولعازر متكلمين معاً « هذه قوَّتهُ فقد صنع معجزة ! » وتلاهم الرباني عاموس صارخاً « وسوف نشاهدهُ عما قليل نازلاً عن الصليب . فلنتشجع ونتخذ ما يخيف اعداءَهُ وسيلة لانتظارنا المفرح » . ثم انقضت ثلاث ساعات — ثلاث ساعاتٍ طوال مخيفة وذلك النور العجيب الخارق العادة باقٍ والناس جميعهم لا يزالون في ملء الحيرة والاندهاش لا يدرون شيئاً من امر هذه الطوارىء الهائلة ! اخيراً انفلق السحاب فوق الصليب بصوت رعدٍ قاصفٍ وعلى اثر ذلك اومضت بروق خاطفة وانقضَّت شبه اسهم نارية حول يسوع فتلاشت بها هالة المجد المكللة وجهــهُ وامحت آثار البهاء عن صورتهِ وعلت محياهُ في الحال سحابة حزن عميق فتراءَى لعيون الجمع انهُ هو النقطة المركزية المتجه اليها هذا الغضب السماوي الهائل . فنادى اكثر من مئة بصوتٍ واحدٍ مذعورين . « انظروا قد تخلَّى الله عنهُ عقاباً وقصاصاً ! » وكنا نحن انفسنا متعجبين جدًّا ومرتاعين .

ولقد لُفحت آمالنا المتجددة بذلك النور الذي ضربهُ! وكأن السماء قامت عليهِ كالانسان! فأنّت امهُ انيناً شديداً وسقطت مغشياً عليها من جرّاء اقتناعها ان ابنها كان بالحقيقة ملعوناً من الله · وعندها صرخ يسوع محققاً مخاوفنا بصوتٍ عالٍ بالعبرانية قائلاً «الوي! الوي! الهي الهي! لماذا تركتني؟» فرثى بعضهم لآلامهِ وركض ليأتيهُ بخل ومرارة فاعترضهُ ابنير قائلاً «كلّا بل دعهُ يحيا بعد — لنرى ان كان ايليا يأتي ويخلصهُ! انهُ يدعو ايليا النبي!» · ثم نظرنا واذا بالظلمة المالئة الجو اخذت تتجمع فوق الصليب حتى حجبتهُ عن عيوننا وسمع من قلبها صوتهُ الجهير مرة ثانيةً يرن بصفائهِ المعهود على مياه الجليل حين جلس في السفينة يعظ الالوف المجتمعين لاستماعهِ على الشاطئ، «قد أُكمل! ايها الآب في يديك استودع روحي!» وحينما نطق بهذه الكلمات اشرق حولهُ مجدٌ فائق فحنى رأسهُ على صدرهِ متنهداً تنهداً عميقاً وأسلم الروح! وما أُصعدت اصوات الانذهال على اثر نطقهِ بهذه الكلمات حتى انقطعت على الفور بزلزال مخيف زعزع الارض تحت اقدامنا وصرع كثيرين عليها فتشققت صخور الجلجثة وانقلبت ومادت كل المدينة مهتزةً اهتزازاً هائلاً وظهر الهيكل مشتعلاً وفوقهُ قد سلّ سيفٌ ملتهبٌ تراءى لنا

انهُ يشق الجدران الى اساساتها وفيما نحن ناظرون تحوَّل السيف الى هيئة صليب من نورٍ باهرٍ مشرع في السحب فوق المذبح وانبثقت من نورهِ الذهبي اشعة ساطعة اضاءَت حول اورشليم وكل البلاد المجاورة بضياء لا مزيد على اشراقهِ وظلت الارض تهتز فانفتحت قبور الملوك ورموس الانبياء الاقدمين ونُثرَت منها عظام الموتى واجسادهم فتبددت سحب الظلام امام اشعة الصليب الناري وظهرت الشمس ثانيةً فابتدأ النور المجيد فوق الهيكل يحول قدامها شيئاً فشيئاً حتى تلاشى بالكلية واخذ كل شيء يعود الى مجراهُ الطبيعي بالتدريج وقام الناس يرجعون الى المدينة وهم يقرعون على صدورهم من شدة هول ما ابصروا فقال قائد المئة الذي عاين كل هذه الحوادث المخيفة مخاطباً عوميليوس «هذا الانسان تكلم بالحق لانهُ كان الهاً!» ·

فاجابهُ عوميليوس

«حقاً لم يكن هذا الاَّ ابن الله — مسيح انبياء اليهود بعينهِ فلقد شاركتهُ كل الاشياء في السماء وعلى الارض في موتهِ كأن اله الطبيعة مات»

فبرحنا هذا المشهد المخيف ونحن نبكي اسفاً على خيبة آمالنا في افتدائهِ امتنا وردهِ مجد يهوذا الملوكي على كرسي بيت داود ابنتك المحبة ادينا

الرسالة السادسة والثلاثون

عن اورشليم   الصباح الثالث بعد الصلب

ابي العزيز

لم اختم رسالتي السابقة الاَّ لاستأنف الكلام في رسالة أخرى عن تفصيل الحوادث المحزنة التي انقلها اليك فالآن باقٍ نصف ساعة لطلوع الشمس واذ ان اللواتي ذهبنَ الى القبر لم يرجعنَ بعد انتهز الفرصة للكتابة اليك · وكنت ظننتُ ان أُمَّ يسوع رافقت المريمين ومرثا لكنها بقيت في البيت اذ لم تستطع احتمال روئية ابنها المائت · وفي ذلك اليوم الذي حدثت فيهِ تلك الحوادث العجيبة التي اثبتُّ لك تفصيلها في رسالتي السابقة التي روُساء الكهنة

ومعهم حنان ببيلاطس خارجاً من المدينة راكباً في فرقةٍ من الجند ليعاين الشقوق والثغور العميقة التي احدثتها الزلزلة ويقف من افواه كل الشعب على تفاصيل العجائب التي رافقت صلب يسوع فلما دنوا منهُ طلبوا اليهِ ان يأمر العسكر بانزال الاجساد لان اليوم التالي كان يوماً عظيماً ولا تسمح لهم شريعتهم باعدام المجرمين او تركهم مصلوبين في ذلك اليوم · فسألهم بيلاطس آخذاً بعنان جوادهِ المجفل من اجساد الموتى المطروحة قدامهُ (لانهم كانوا سائرين في مكان القبور المشققة)

«ماذا تظنون ايها الكهنة أإنساناً صلبتم ام الهاً؟ اما نحن فنتخذ هذه العجائب العظيمة دليلًا على انهُ اكثر من انسانٍ! لان كل الطبيعة تأثرت مشاركةً في موتهِ! فالشمس حجبت ضياءها عن العباد · والسموات لبست عليهِ ثياب الحداد · والاله الاعظم ارسل بروق غضبهِ باشتداد · والارض نفسها مادت وهادًا مع اوتاد · تقاسمهُ هذه الرزيئة الفادحة الاكباد!» فاخذ الكهنة ينظرون الى بعضهم متحيرين لا يدرون ما يجيبون لكنَّ احد رؤَسائهم اجاب وقال «يا سيدي ان هذه كانت ظواهر عجيبة وكان لا بد من حدوثها ولو لم يمت هذا الناصري! فهنا منجم عربي شهير بمراقبة الافلاك ويقول ان هذه

الظلمة نتجت عن كسوف الشمس ! ولم تكن السحابة القائمة الاَّ دخان الذبائح بينما الزلزلة لم تكن الاَّ حادثاً طبيعياً عادياً !» . فاجاب بيلاطس رويدك ايها الكاهن فعندنا في رومية نحن المدعوين منكم برابرة منجمون اصوليون ونعلم جيداً ان كسوف الشمس لا يحدث الاَّ حين يكون القمر هلالاً ! وهو اليوم في مساء اليوم العظيم بدرٌ على تمامهِ وسوف يطلع الليلة مستقبلاً الشمس ! اذاً لم يكن هذا كسوفاً ايها الكاهن فمنجمك العربي دجال وانما هذه الحوادث عرضت على اثر صلب ذلك الرجل الالهي ملككم !» . فاعترض ابنير ساخراً وقال «ولماذا لا نعتبرها لاجل صلب اللصين ؟»

فلم يجبهُ بيلاطس بشيء بل سار في طريقهِ فاعاد عليهِ احد رؤساء الكهنة التماس تنزيل المصلوبين ودفنهم . فقال بيلاطس «لا يمكن ان يكونوا ماتوا الآن لان لهم سبع ساعات فقط منذ سُمِروا على الصلبان فسوف انظر في الامر بنفسي» . قال هذا وبذل المهماز في شاكلة جوادهِ مصحوباً بحراسهِ حتى جاء مقابل الصلبان فخيل اليهِ ان يسوع مات بينما كان اللصان لا يزالان يرددان انين الالم وهما غائبان عن الصواب من مفعول الشراب الافيوني الذي تجرَّعاهُ . فسأل بيلاطس قائد المئة بصوت مختنق ناظراً

بعين الاسف نحو يسوع وعلى وجههِ لوائـــح توبيخ الضمير على ما فعل «أَتظن يا روموليس ان فيهِ رمقاً بعــد؟» .
فاجابهُ القائد قد مات منذ ساعة واسلم الروح حين حدثت الزلزلة وظهر السيف الملتهب مسلولاً فوق الهيكل! انهُ بالحقيقة كان منظراً مخيفاً . والاعجب من ذلك انهُ استحال الى صليب من نار واخاف ان نكون صلبنــا الهاً بهيئــة انسان!» فاجابهُ بيـــلاطس ناغضاً رأسهُ «اني اخاف مثلك ايها القائد وكنت اود لو لم يتم هذا! لكنهُ قُضي الامر! والآن يطلب اليهود ان تُنزل اجساد المصلوبين قبل دخول سبتهم العظيم . وقيصر يطلب دائماً مراعاتهم ومداراتهم في جميع الامــور المختصة بديانتهم ولا تعبث بشرائــع السلطنة الرومانية فليُجب سؤلهم لكنَّ اللصين لم يموتا!»

فاجابهُ القائــد «سوف اقطع سوقهما وانزل جسديهما حسب امرك يا سيــدي الوالي» . فادار بيـــلاطس راس جوادهِ وانطلق من ذلك المشهد المخيف. واصدر روموليس امرهُ الى الجنود بانزال الاجساد فــدنا احدهم من عمري وبيدهِ بلطة وابتدرهُ بضربتين بها فقطع ساقيهِ واخمــد انفاسهُ ثم اقترب من اشمراي وعاجلهُ بالضربــة الاولى والثانية وغادرهُ يسلم الروح بين قذف الشتائم واللعنات. والنطق بافظع التجاديف والمسبات! ولما اقتربوا من يسوع

وجدوهُ قد مات . فقال احدهم للآخر «لا حاجة بنا الى كسر ساقيهِ فمن المحرَّم جدًّا ان يشوَّه جسد رجل كهذا» . فاجابهُ الآخر «ولكن يجب علينا ان نتحقق موتهُ قبلما ينزل عن الصليب فسأطعنهُ لارى ان كان قد مات!» . قال هذا وصوَّب سنان رمحهِ نحو جنب يسوع وطعنهُ طعنة خرقت الى قلبهِ . فلما ابصر هذا يوحنا الذي كان واقفاً قريباً نكس راسهُ الى الارض تحت اثقال الفشل وخيبة الآمال المطلقة! لانهُ كان باقياً الى هذه الدقيقة متوقعاً ان يسوع ينشط من عقال الصلب وينزل حياً لكن حين أبصر سنان الرومان معملاً في جنبهِ شعر كأنَّ قلبهُ طُعن ايضاً وفارقهُ الرجاء الى الابد! فقد مات يسوع — مات مبرهناً انهُ لم يكن مسيح الله كما ادَّعى! على ان شعورهُ بهذه الافكار لم يكن على طريق الغضب بل على سبيل الحزن لانهُ كان يحب يسوع حباً شديداً ولما رفع راسهُ ليتأمل في سيدهِ المصلوب رأى جنبهُ المطعون ينزف دماً قرمزياً! وماء بلورياً! فلم يمكنهُ تصديق ما رأى حتى ان القائد والعسكر اخذوا يبدون تعجبهم الشديد من هذه الآية الغريبة فصرخ قائد المئة «لم يكن قط انسان مصلوب على هذه الكيفية فهذا بدون ريب احد الآلهة الخالدين ولذا تراهُ بعث السماء والارض على التأثر من موتهِ» .

وحينما رأى يوحنا ان يسوع قد مات ولم يبقَ لهُ من امل في رجوعهِ الى الحياة تقدَّم الى قائد الجند يطلب اليهِ ان يسمح لهُ بالجسد لانهُ (يوحنا) كان قد وعد الام الحزينة السعي في استحضار الجسد ودفنهِ لكن القائد اجاب بانهُ لا يستطيع تسليم الجسد لاحد بدون امر موقع عليهِ بيد بيلاطس الوالي فاخذ منهُ يوحنا وعداً بعدم انزالهِ قبل رجوعهِ واسرع يعدو الى المدينة ليحصل على رخصة من بيلاطس · لكن يوسف مشير الرامة المعروف لديك يا ابي العزيز بكثرة ثروتهِ ورفعة مقامهِ وانهُ احد المقربين من بيلاطس كان قد سبق يوحنا الى هذا والتمس من الوالي ان يأذن لهُ في أخذ جسد يسوع ودفنهِ بعد تحقق موتهِ فلم يسعهُ بيلاطس ان اجاب طلبتهُ واعطاهُ خاتمهُ علامةً قائلاً لهُ

«اذهب وخذ جسد هذا الرجل العجيب · واظنك احد معارفهِ فما رأيك ايها الرباني؟» واذ ادرك يوسف قصد بيلاطس من هذا السؤال اجابهُ «اری انهُ نبيٌّ مرسل من الله وانهُ قد مات في الجلجثة اعظم رجل في سلطنة قيصر فضيلةً وحكمةً وطهارة» · فاجاب بيلاطس «ان ضميري يناجيني بصدق كلامك» · قال هذا ولكز جوادهُ فقام ينهب الارض نحو بستان جثسيماني ولهذا لم يرَهُ

يوحنا لكنهُ في رجوعهِ من المدينة مكدرًا من خيبة امله لقيهُ الرئيس نيقوديموس الذي كان مسرعاً مع احد عبيدهِ الجبعونيين ليشتري اطياباً وكتّاناً لتطييب الجسد ولفهِ حسب عادتنا في الدفن فابلغهُ بمزيد الابتهاج ان الرباني يوسف قابل بيلاطس وحصل منهُ على اجازة تنزيل الجسد ودفنهِ ٠ ولما وصل الى حيث كان الصليب وجد ان يوسف اقتلعهُ في غيابهِ من الصخرة بمساعدة لعازر وسمعان بطرس ومريم ومرثا والرباني عاموس ووضعوهُ بغاية الاعتناء على الارض والجسد لا يزال عليهِ واخذوا ينزعون المسامير النحاسية من اليدين الممزقتين والرجلين الداميتين باكين مولولين ٠ ثم اتوا بماء وغسلوا الدم الثمين النازف من جسدهِ الطاهر ودهنوهُ ولفوهُ بالاطياب والكتان التي اتى بها نيقوديموس ٠ اما جسدا اللصين فأُخذا او بالحري أُنزلا ممزّقين بواسطة العسكر ودُفنا في احد الشقوق الحادثة بقوة الزلزلة واقيم عليها بعض الحجارة التي حملها الجنود وبعض رعاع اليهود الواقفين هناك ٠ وقد كانت منةً عظيمةً من بيلاطس أَن لا يُترك جسد يسوع ليُوارى في احدى تلك الحفر كجسدَي اللصين

وعند شفق ذلك اليوم المخيف وكان الغرب قائماً بنور ذهبيّ والهواء راكدًا والسكوت سائدًا على السماء

والارض حُمل جسد النبي على اكتاف نيقوديموس وبطرس ولعازر ويوحنا الذين كانوا اعظم الناس حباً لهُ في حياتـهِ وعلى رغم توهمهم انهُ بموتهِ اظهر الخداعة بذاتهِ انهُ مسيح الله كانوا لا يزالون يحبونــهُ لاجل الاحزان التي تحمَّلها والفضائل والمآثر التي يذكرونها لهُ بالخير

وفي مسيرهم بهِ كان مشيهم البطيء ومحادثاتهم السرية ونواح النساء اللواتي تبعنَ النعش المصنوع من اغصان يبكينَ باصوات تخنقها العبرات وتقطعها الزفرات ٠ كل هذا كان باعثاً على الخشية والرعب ٠ فوق انخلاع النفس وانكسار القلب ٠ وكان الليل مقبلاً بظلامهِ الدامس فاستطرقوا سبيلاً موحشاً مخافة من اليهود ولكن بعض الذين صادفوهم تحولوا من امامهم خاشعين حين عرفوا ايّ جسدٍ يقلُّون اخيرًا بلغوا بوابة في الجدار الملاصق منزل الشريف الغني الرباني يوسف الذي سبقهم الى فتحها وادخلهم الى حظيرة منفردة وهنالك سيجت حولهم اغصان شجر الزيتون والتين بظلام كثيف دامس لانهُ كان قد امسى المساء وطلع نجمهُ في الغرب يتقد بنور ساطعٍ فوضعوا الجسد على الرصيف ووقفوا ساكتين ينتظرون المصابيح التي ارسل الرباني يوسف يطلبها من منزلهِ وما ابطأَ الخدام أن أتوا بها وانارو ظلام ذلك المكان فقال لهم يوسف بصوتٍ

حزين جدًّا «اتبعوني» فنهض حاملو جسد يسوع بجملهم المقدس وساروا بهِ وراءهُ خلف الخدام الذين تقدموهم بالمصابيح الى آخر البستان حيث كان صخر عظيم قائمًا فوق وادٍ ومؤلفاً قسماً من الجدار وامامهُ درجات من حجر يُصعد عليها الى قبر منحوتٍ داخلهُ وقد صُنع لاجل الرباني نفسهِ وأُكمل مؤخرًا بحيث لم يوضع فيهِ احدٌ بعد فاسفرت انوار المصابيح عن بابهِ وعن شجرة سرو كبيرة تدلَّت اغصانها عليهِ فكان منظرهُ ممثلًا الموتَ في اعتزالهِ ووقارهِ وسكونهِ ! وبعد ما وضع الجسد فيهِ امر يوسف الخدام فدحرجوا الحجر على بابهِ واذا باحد قواد الرومان قد باغتهم بحضورهِ وفاجأهم بالكلام « ماذا حدث حتى انكم تدفنون بمزيد التجلة والوقار رجلًا اظهر نفسهُ غير قادر على اتمام مواعيدهِ الباهرة التي علَّل بها نفوس كثيرين منكم ؟» فاخذت الجميع الحيرة والتعجب ليس من مشاهدة القائد فقط بل من رؤية فرقةٍ من الجند كانت متقدمة نحوهم فسأل الرباني يوسف « ما المراد من هذا التطفل ايها الرومان ؟ » . فاجابهُ القائد « اني مرسَل من لدن الوالي لان رؤَساء اليهود كانوا الآن عندهُ واخبروهُ ان الرجل الذي قُضي بصلبهِ قال وهو حيٌّ انهُ بعد ثلاثة ايام يقوم . ولذا طلبوا منهُ ان يعطيهم فرقة من الجند يحرسون بها القبر الى

اليوم الثالث لئلا يأتي تلاميذهُ ليلاً ويسرقوا الجسد خفيةً ويقولوا انهُ قام وعليهِ اوعز اليَّ بيلاطس ان احرس القبر هذه الليلة» . وفيما كان القائد يتكلم اقبل كثيرون من الكهنة الذين كان ليوسف معرفةٌ بهم يحملون مشاعل وجاء ايضاً عدد من النساء مع عائلة يوسف ومريم اللواتي سمعنَ اين وضع الجسد فاتين لينظرنهُ . فاجاب الرباني يوسف وقال «اننا ندفنهُ ايها القائد بهذا الاحترام والوقار لاننا موقنون انهُ خُدِع ولم يكن قط خادعاً فقد ايدهُ الله بقوة عظيمة ولذا نؤمن انهُ كان قادرًا على فعل كل شيء وكان اقدس واحكم واصلح من ان يخدع احدًا وقد أَسلم نفسهُ طوعاً بارادتهِ لاجل مجد اسرائيل الذي تعذَّر على سواهُ تحقيقهُ فنصنع هذا الاكرام تذكارًا لمن احببناهُ ونحبهُ كثيرًا وان خاب املنا من رؤيتهِ مثبتاً لمملكة يهوذا» . فتقدم حامل خاتم بيلاطس واذاب قليلاً من الشمع على جانبي الحجر الذي على باب القبر وختمهُ ختماً كان الموت جزاء كل من يكسرهُ . ولما رأى اليهود ضبط القبر بختم الحجر وحراسة الجند انصرفوا وانطلق على أثرهم الرباني يوسف ونيقوديموس وباقي اصدقاء يسوع مغادرين احد الجنود يروح ويجيء قدَّام القبر قائماً في نوبة حراستهِ بينما باقي الجنود كانوا بعضهم جالسين يلعبون بالنرد وبعضهم

يتأملون في تمام القمر وبعضهم يتحدثون والبعض يتغنون باناشيدهم الوطنية الايطالية واسلحتهم في ايديهم على اهبة النهوض على اقدامهم لدى حدوث اقل شيء ينذر بالخطر

فهذا يا ابي العزيز تاريخ تسليم النبي الناصري ومحاكمتهِ وصلبهِ وموتهِ ودفنهِ ولم تسأم نفسي الكتابة بعد وقد حرصت على كل هذا التدقيق في الايراد ليس لكي اجعلك كمن شاهد هذه الحوادث بعينهِ فقط بل اجابة لرغبة عمي عاموس في ذلك ايضاً وتنفيساً لكرب نفسي تسلياً بالكتابة عن هذه المكاره والمخاوف · ورأيتهُ ديناً عليَّ انا التي ثبتُ في الايمان بهِ ان أُعلن انهُ وان صُلب ومات فالعجائب التي صحبت صلبهُ تدلُّ على انهُ ان لم يكن مسيًا فهو اكثر من انسان وايضاً ان لي عذرًا في الايمان بهِ وليس لي فقط بل لجميع الذين تبعوهُ · ومن الاكرام العظيم الذي دُفن فيهِ بواسطة مشير الرامة الرباني يوسف يمكنك الاستدلال على براءة ساحتهِ وطهارة ذيلهِ مما أُتهم بهِ ولا سيما لان يوسف هذا كان معتقدًا بهِ انهُ مخدوع وليس خادعاً · وفي هذا الصباح خرجت مريم ومرثا ونساء أُخر لينظرن القبر في البستان (كما سبقتُ وقلتُ لك) لقصد دهن الجسد وفي عزمنا الذهاب الى بيت عنيا بعد رجوعهنَّ من وجوه اليهود حتى ينقطعوا عن طلب اتباع

يسوع والوالي بيلاطس متوقع يوماً بعد آخر قدوم اربع كتائب من عساكر الرومان في سورية لتعزيز جانبهِ وتمكينهِ من حمايتنا وعضد السلطة الرومانية • فآهٍ لو ان هذه القوات جاءت في يوم الصلب فكان بيلاطس كما قال عمي عاموس يتمنع بها ويقضي حرًّا بتخليص يسوع من ايدي اليهود

وهوذا الآن اسمع اصوات مريم ومرثا والنساء معها خارجاً في الشارع راجعاتٍ من القبر وهنَّ محمولات بقوة فرح عظيمٍ ! فما المراد من ضجتهنَّ هذه — وهتافهنَّ — وركضهنَّ صارخات في الاروقة والدار ؟ اضطررت الى ختم الرسالة والاضراب عن الكتابة لكي اخرج وانظر اية نكبة او معجزة جديدة حدثت

ابنتك المحبة

ادينا

✡ ✡ ✡

الرسالة السابعة والثلاثون

من اورشليم   في اليوم الاول من الاسبوع

ابي يا ابي العزيز

ترى بأية عبارة وبأي أسلوب اقصُّ عليك اعجب الانباء وابعث اليك باعظم اخبار الحيرة والمسرة والهناء! هوذا قلبي خافق ويداي مرتعشتان وافكاري متشوشة ونفسي مضطربة فيالبشرى! ثم البشرى! مرة بعد مرة بعد اخرى! ان يسوع حيٌّ! يسوع قام من الاموات بعد الوفاة! يسوع اظهر نفسهُ ابن الله!

الآن نعلم يقيناً ان يسوع بالحقيقة هو مسيا الآتي! فياليتني لم اشك فيهِ! بل ليتني لم اكتب اليك الكلمات المؤذنة بارتيابي وعدم ايماني وظني فيهِ انهُ خادع! لكنني قد

رأيتهُ ! قد رأيتهُ يا ابي العزيز ونلت منـهُ المغفرة ! لم يفهم منا احدٌ الكلام الذي كلمنا بهِ قبل صلبهِ من جهة موتهِ وذلك كان سبب ارتيابنا وقنوطنا لكننا الآن نـدرك بجلاء لا مزيد عليهِ معنى كل شيء ونعجب من غلاظـة عقولنا وعدم ايماننا

وبالجهد تراني استطيع ان اضبط القلم في يـدي من شدّة الفرح والتعجب وبكل صعوبـة اقوى على جمـع افكاري المتشتتة بعامل الانذهال والانذهاش · لكنني سأُخلي الذرع في التغلب على انفعالاتي واجهد نفسي في ان اورد لك تفصيل ما حدث اليوم من الحوادث العجيبة

فلقد ختمت رسالتي الاخيرة اليك فجاءةً بداعي مـا اعترضني حينئذٍ من هتاف الفرح وضجيج الركض والصراخ في الاروقة والدار اسفل واذ سمعت مريم تدعوني باسمي بصوت الفرح والابتهاج لم ابطىء ان نزلت اليهـا مسرعة وعند ما بلغت الدرج وجدتها صاعدة بسرعة ظننتها عندها طائرة طيراناً ونور التعجب والمحبـة والمسرة ساطع على محياها · فلما دنت مني اعتنقتني بذراعيها بـدون ان تفوه بكلمة ! لكنَّ قلبها كان طافحاً ونفسها ممتلئة فبكت على صدري بفرح كاد يذهب برشدها ويؤدي بها الى الجنون

فضممتها الى صدري واجتهدت في تسكين جاشهـا

متعجبة جداً غير عالمة بعد ما حدث · ثم طرق اذني صوت مرثا من اسفل الدرج تخاطب الرباني عاموس بسرعة وقد اجابها صارخاً بصوت عظيم · فسألت مريم اذ لم يسعني البقاء على تلك الحالة « ماذا — آه ماذا حدث ؟ تكلمي يا عزيزتي مريم ! » فرفعت راسها وقالت باسمة بصوت متقطع ودموع الفرح تنحدر من عينيها « انّ — انّ — هُ — قام — آه انهُ قام من القبر ! » فصرخت مرتابة وغير مصدقة تماماً

« من ؟ »

« الرب ! سيدنا القدير — يسوع — ابن الله المبارك ! انهُ حيّ يا ادينا ! » فاجبتها

« انكِ قد شاهدتِ رؤيا او ان حزنكِ الشديد عليهِ اعدمكِ عقلكِ يا مريم »

واذ ذاك افلتت من ذراعيّ ونظرت اليّ بعين الجد والاهتمام وقالت « لا تكوني يا ادينا عديمة الايمان بل مؤمنة · فيسوع قام من الاموات · وهو حيّ الآن ! قد نظرتهُ وتكلم مع مريم أُخت لعازر ومعي ايضاً ! فيا للفرح والسرور ! انهُ ابن العليّ ولم نكن مخدوعين بهِ ولكننا بالحقيقة كنا عمياً وصماً وجهلاء فلم نفهم انهُ كان ينبغي ان يموت ويقوم في اليوم الثالث ! تعالي — لا

تبطئي! قد ركضتَ مسرعة لابشرك ومريم اخبرت بطرس ويوحنا اللذين لقيتها عند الباب واذ كانا مرتابين نظيرك ركضا لينظرا ان كانت هذه الاشياء هكذا واسوف يجدان القبر فارغاً فاسرعي للذهاب معنا!» وفيما انا اتاهب لمرافقتها جاءت مرثا ووجهها مشرق بضياء ابتهاج سموي وصرخت

«بلغتكِ البشرى يا ادينا؟» فسألتها بلجاجة «أوَ يمكن ان تكون صحيحة؟»

«نعم لاني ابصرتهُ ماشياً وسمعت صوتهُ ولمستهُ! وسوف تنظرينهُ انتِ ايضاً لانهُ ارسلنا لنخبر تلاميذهُ». فبكيت من شدَّة الفرح

وعند البوابة لقينا مريم اخت لعازر التي كانت تخبر يوحنا وبطرس وقد اعلنت ذلك ايضاً للرباني عاموس ونيقوديموس وكانوا جميعهم واقفين في الدار يتكلمون آسفين من جهة صلبهِ فحملت عليهم مريم باصوات الفرح التي سمعتها الى فوق كما تقدَّم القول صارخةً «قد قام — قد قام!»

فاسرعنا نحن الاربع الى بستان يوسف وكنت اودّ لو تحوَّلت رجلاي الى جناحين فاطير الى القبر قبل رفيقاتي مخافة ان تزول رؤيا يسوع قبل وصولي • وعند خروجنا

من بوابة المدينة لقينا اربعة او خمسة من جنود الرومان فاجتازونا راكضين الى داخل المدينة وعلامات الخوف على وجوههم فنادى بهم قائد حرس البوابة «ما وراء هذا الهرب خوفاً ايها الرجال ؟ انكم هاربون كما من قدام عدوّ · تكلم يا ماريوس انك على ما ارى اوفرهم تعقلاً وصحواً !!» فوقفنا نصغي الى جوابهِ وها هو

«وحقّ ديانا ايها القائد — لقد اصابنا من الرعب ما يفوق التصوُّر · ان قلبي يضطرب بما من دونهِ درداب طبل الحرب فنحن قسم من الحرَّاس الذين عُهد اليهم في حراسة قبر النبي اليهودي منذ ثلاثة ايام · فعند فجر هذا الصباح كانت نوبتي في الحراسة فبينما انا اخطر قدام القبر واتأمل بمنتهى التراخي في كوكب الصبح الآخذ في الحؤول قدام نور الفجر اذ ابرق حولنا نور خاطف مصحوب بحفيف شديد كانهُ من اجنحة كثيرة العدد فنهض رفاقي المستكنون على اقدامهم مذعورين ؟ واذ تطلعنا حوالينا ابصرت شخصاً باهر اللمعان في كبد السماء باجنحة عريضة من ذهب تشعُّ كل ريشة منها بنجم ساطع الضياء · وعليهِ رداءٌ نقيٌّ اشد بياضاً من برق الصيف · فهالنا هذا المنظر المرعب هولاً شديداً لم نعهد لهُ قبلاً نظيراً وحينما ابصرنا ذلك الشخص القدير نازلاً نحو القبر وعاينّا صورتهُ

المجيدة السماوية التي بهرت عيوننا بهتنا جميعاً وغارت قلوبنا داخلنـــا من شدَّة الخوف ثم حلَّ المـــلاك او الاله في نور ملتهب على باب القبر وحينما وطئت رجلهُ الارض اهتزَّت كما من زلزال عظيم فاخـــذت الرعدة الجنود كل مأخــذ وسقطوا على وجوههم امام حضرتهِ كاموات . اما انا فمن شدة الخوف يبست في مكاني مستندًا الى عمود ولم اقدر ان آتي حراكاً البتة . ثم لمس الملاك الحجر العظيم الذي كان على باب القبر باحدى اصابعهِ ودحرجهُ عند قدميـــهِ وجلس عليهِ جلوس الاله العظيم على عرشهِ ! ومما زاد طين خوفي بـــلة واترع كاس دهشي وارتياعي ان رأيت النبي المصلوب نهض من حيث وُضع وقام منتصباً على قدميـــهِ ومشى خارجاً حياً بهيئة ظافر قدير ! واذ ذاك غطى الكائن السماوي وجههُ بجناحيهِ في حضرة النبي وسقط على الارض عند قدميهِ كاني بـــهِ يبدي خضوعاً لواحدٍ اعظم منـــهُ ! فصرت لا أُبصر شيئاً بل سقطت فاقد الرشد على الارض وحينما رجعت الى نفسي نظرت فاذا بالقبر مملوء صوراً بهية باهرة الجمال والهواء يرنُّ باصوات الحان موسيقية لم تسمع بمثلها اذن انسان فاركنت الى الفرار ومخـــاوفي تطاردني ونهض باقي الجنود وتأثروني مولين الادبار وهكذا همنــــا على وجوهنا لا يجسر احدٌ منا ان يلتفت الى ورائهِ »

فاجابهُ قائد حراس البوابة «حقاً ان هذا عجيب فلقد رأَيت النور وشعرت باهتزاز الارض لكنني ظننتها الزلزلة التي حدثت في الجلجثة فاذهبوا أَطلعوا عوميليوس القائد العام او بيلاطس على ما حدث» · فاطلق الجنود سوقهم للريح مسرعين نحو المدينة بينما انا ومرثا والمريمان انطلقنا نعدو نحو البستان · وقد تحقق لديَّ خبر قيامة يسوع وبتُّ من جهتهِ في غاية الاطمئنان · وفيما نحن مسرعات قالت لي مريم اخت لعازر «أَلا تؤْمنين الآن يا ادينا ؟»

فاجبتها «بلى — ولكن دعيني اشاهدهُ فقط وجهاً لوجهٍ وبعد ذلك تريني بملء ارادتي مستعدة لمقابلة الموت · كيف كان منظر الرب القائم يا مريم ؟»

«لما اتينا القبر باكرًا لاجل دهن الجسد وجدناهُ مفتوحاً والحراس ساقطين على الارض كاموات ورأَينا ملاكاً جالساً على الحجر فخفنا ودُهشنا وعلى رغم معرفتنا انهُ ملاك لم نجسر ان نأْتي بحركة بل وقفنا صامتات منتظرات · اما هو فقال لنا بصوت رخيم مطرب ‹لا تخفن يا بنات ابرهيم · انا اعلم انكنَّ تطلبنَ يسوع المصلوب · ليس هو ههنا بل قام كما قال لكنَّ · هوذا الموضع الذي كان رب الحياة وقاهر الموت موضوعاً فيهِ !› فتقدمنا ونظرنا داخلاً فرأَينا القبر فارغاً ونورًا بهياً مالئاً كل ذلك

المكان . ثم قال لنا الملاك 'اذهبنَ وقلنَ لتلاميذهِ ان الرب قام وانهُ سبقكم الى الجليل وهناك ترونهُ بعد ايام قليلة !' فذهبنا سريعاً من القبر بخوف وفرح عظيم ودخلنا المدينة راكضات لنخبر تلاميذهُ حسب وصية الملاك لكنني اذ كنت متأخرة عن الباقيات لم ابلغ بوابة البستان حتى نظرت يسوع نفسهُ واقفاً في طريقي فوقفت بين الخوف والفرح فقال لي 'السلام لكِ يا ابنة اسرائيل! فلا تخافي اني حيٌّ انا الذي كنت مائتاً! لانهُ كان ينبغي ان اموت واقوم لكي أُقيم كل الذين يموتون فيَّ الى حياة ابدية فاذهبي يا مريم وقولي لامي ولاخوتي ولبطرس ويوحنا ولعازر اني قمت وتكلمتُ معكِ هوذا يداي المثقوبتان بالمسامير تعلمان اني انا هو! فلا تخافي انا هو القيامة والحياة' فسقطت عند قدميهِ وسجدتُ لهُ بخوف ثم رفعت نظري فاذا بهِ قد ذهب

«اما الباقيات فلم ينظرنهُ وهكذا رجعنا الى المدينة على جناح السرعة ولكن رغماً عن شدة اسراعنا ادركنا بعض الحراس وسبقونا هاربين من شدَّة الخوف لانهم نفروا منذعرين متفرقين الى طرق مختلفة ولكن انظري! قد بلغنا الآن بوابة البستان فلا بد انهُ يكون قريباً منا»

فوصلنا القبر بدون ان نرى احدًا وقد سبقنا بطرس ويوحنا اللذين اتيا عن طريق بوابة يافا واذ لم تكن مفتوحة حينما بلغاها تأخرا عندها ولذا لم نصادف انساناً عند القبر · وكان مفتوحاً فارغاً والحجر الذي دحرجهُ الملاك وجلس عليهِ لم يكن عليهِ الآن احدٌ · وفيما نحن نقترب منهُ اضاءَ لنا من داخلهِ نورٌ ساطع فتقدمت واذا بملاكين بثياب براقة جالسين الواحد عند الرأس والآخر عند الرجلين حيث كان جسد يسوع موضوعاً فعند مشاهدتهما خفنا خوفاً عظيماً · فخررت على الحجر الذي دُحرج عن باب القبر وتربصتُ لا استطيع ان آتي بحركة · فقال احد الملاكين مخاطباً ايانا بالعبرانية «لا تخفنَ يا بنات اورشليم ان الذي تطلبنَهُ حيٌّ — ولم يبقَ ميتاً ! قد قام من القبر الذي لم يستطع امساكهُ بغير مرضاتهِ لان يسوع رب الحياة وغالب الموت والجحيم الى الابد ! اذهبنَ وقلنَ لتلاميذهِ انهُ ينتظركم على شاطئ البحر» وحينئذٍ توارى الملاكان عن نظرنا وفي تلك الدقيقة جاءَ يوحنا وبطرس راكضين فتطلعا وعاينا الحجر مدحرجاً · ثم انحنى يوحنا وقال انهُ وجد الاكفان التي كان جسد يسوع ملفوفاً بها مطوية وحدها وكذا المنديل الذي كان على رأسهِ · اما بطرس فمن شدَّة تلهفهِ لم يلبث ان دخل القبر وفحص كل

شيء بنفسهِ · ثم دعا بيوحنا فدخل ايضاً وكلاهما اقتنعا ان الرب قام من الاموات وحينما بلّغناهما ما قالهُ لنا الملاكان من ان يسوع يسبقهما الى الجليل فرحا فرحاً عظيماً وانطلقا مسرعين الى المكان المعين لاجتماعهما بهِ وقد زال منهما كل ارتياب واصبحا مؤمنين فرجعت معهما لاخبر مريم ام يسوع التي لم تبرح غرفتها وبالجهد نهضت من فراشها لشدة حزنها من يوم صلبهِ · اما مريم اخت لعازر فبقيت عند القبر آملة ان يسوع باقٍ في البستان وانها تراهُ مرَّة ثانيةً · وفيما هي جالسة تبكي من فرحها بقيامتهِ سمعت وقع اقدام وراءها فالتفتت ورأت رجلاً واقفاً بقربها واذا بهِ يسوع نفسهُ فركعت قدامهُ وهمَّت ان تأخذ بقدميهِ فقال لها

«لا تلمسيني يا مريم لاني لم اصعد بعد الى ابي لكن اذهبي وقولي للعازر ولاخوتي ولامي اني بعد ايام قليلة اصعد الى ابي وابيكم والهي والهكم» · ثم اختفى عنها فأتت وقصَّت هذه الاشياء كلها علينا وعلى تلاميذهِ فآمنَّا جميعنا ولم يبقَ عندنا ريب في ان يسوع هو مسيَّا المسيح ابن المبارك الحيّ · وبالحقيقة لم يعهد البشر قط فرحاً كهذا ملأَ قلوب اصدقائهِ سروراً وابتهاجاً وبكلمة اقول عنهُ انهُ كان عظيماً بقدر ما كان حزننا قبل قيامتهِ شديداً

ولكن اي قلم يستطيع يا ابي العزيز ان يصف مقدار

الحيرة والدهشة اللتين اخذتا قيافا ورؤَساء الكهنة وباقي اعداء يسوع ! فالحرَّاس الذين كانوا يحرسون قبر يسوع اتوا المدينة من طرق مختلفة واذاعوا الخبر عن معجزة القيامة الباهرة في كل شوارع اورشليم فلما سمع قيافا الضجيج نهض من فراشهِ لينظر ماذا حدث وحين حقق لهُ خدامهُ ان « يسوع خرج من القبر وقام حياً من الاموات ! » اخذتهُ هزة الخوف وامتُقع فصار كميت وارسل في الحال يستدعي اثنين او ثلاثة من الحرَّاس الذين كانوا واقفين في الشارع يشرحون تفصيل ما ابصروا لجمع محشود اليهم فاتفقت شهادة الحراس ولم يمكن نقضها بشيء٠

ولما وقف بيلاطس على تفصيل الحادثة من قائد حرَّاس القبر قال

« انا صلبنا الهاً كما اعتقد ! ولذا اكون ملعوناً ! » ثم غادر دار الولاية وذهب الى بيتهِ واغلق على نفسهِ في الخاصة ولم يبرحها بعد ذلك ويروى انهُ باقٍ لا يذوق طعاماً ولا تعرف عيناهُ نوماً وهو غارق في بحر ذهول عميق٠ وفي غضون ذلك اجتمع قيافا ورؤَساء الكهنة والكتبة واذ سمعوا شهادة قائد المئة تأكدوا انهُ لم يبقَ في وسعهم انكار قيامة يسوع فسأل رئيس الكهنة « مَن نظرهُ حياً ؟ » فاجابهُ قائد المئة « انا نظرتهُ يا سيدي

وابصرت أَثَر المسامير في يديهِ ورجليهِ حينما اجتاز مقابلي. وقد عبث نسيم الصباح بردائهِ فارتفع عن جسدهِ واسفر لي عن جنبهِ المطعون بحربة الجندي فيلبس — الخلاصة اني عاينتهُ صحيحاً!»

فاجابهُ قيافا «انما هذه رؤية عرضت لك ايها الروماني فاتبعنا الى ناحية لان لنا معك كلاماً». وبعد قليل خرج قائد المئة من عند قيافا عظيم الكهنة يتبعهُ عبدهُ الجبعوني حاملًا لهُ اناء ملآناً ذهباً فارسياً واخذ من ذلك الوقت يقول انهُ رأَى روحاً لان «تلاميذ يسوع اتوا ليلًا وسرقوا جسد سيدهم بينما كان الحرَّاس نائمين من شدة تعب السهر». وهكذا الحرَّاس ايضاً فانهم رُشُوا نظير قائدهم وابتدأُوا يقولون مثلهُ!

فهذا منشأُ الرواية الكاذبة الذائعة الآن في كل المدينة ايها الوالد العزيز ولكن قلما تجد من يصدقها حتى من اعدائنا انفسهم. وما احسن ما قالهُ عوميليوس بهذا الخصوص

«ان كان الحرَّاس قد ناموا عن الحراسة فهم مستوجبون الموت وفقاً للقوانين العسكرية وان كان جسد يسوع قد سرق وهم نيام فهم مستأهلون الاعدام جزاء تقصيرهم في واجباتهم. فلمَ لم يؤخذوا للمحاكمة عند

بيلاطس ان كان ما يقولونهُ الآن صحيحاً ؟ » لان بيلاطس يعلم جيداً كذب هذه الاشاعة ! وقد تحقق لديهِ هذا بعد الفحص المدقق الذي تحرَّاهُ من الحراس فعلم يقيناً ان يسوع خرج من القبر وان الملاك دحرج الحجر عن بابهِ بدون ان يكسر الختم الذي كان غير ممكن تركهُ غير مخدوش لو لم يتم ذلك بمعجزة فائقة . وآية خارقة . وهو يعلم ان يسوع قام — لانهُ على ما يقال شاهدهُ — وهذه الرواية شائعة في بلاطهِ وليس من ريب في ان شخص يسوع هو الذي تمثل لهُ وساقهُ في الحال الى الاعتزال في غرفتهِ لانهُ يروى ان بيلاطس اجفل حينئذٍ مذعوراً وصار كميت من شدة الرعب واخذ يخاطب شبحاً غير منظور قدامهُ كانهُ روح ولذا لم يقضِ على الحراس بشيء . وعدم الحكم عليهم برهان ناصع البيان على كذب دعواهم في ان جسد يسوع سُرق وهم نيام ! وفضلاً عن هذا كيف استطاعوا القول اذا كانوا نياماً انهُ سرق وان التلاميذ هم الذين سرقوهُ ؟ » . وحقاً ان هذا التعليل حجة دامغة على قيافا الذي لم تجدهِ نفعاً الرشوات والاشاعات الكاذبة الملفقة . فقد قام يسوع الناصري من الاموات وذلك امر محقق وهب اني لم أرهُ فالبينات كافية لاقناعي بقيامتهِ

وفضلاً عما ذكرتهُ لك من الادلة باقٍ لديَّ شهادة

الالوف المتقاطرين من المدينة لمشاهدة القبر حيث وُضع ٠ وقد حكموا جميعهم — اعداء يسوع واصدقاؤهُ — انهُ يستحيل أن يكون الحجر مدحرجاً بيد بشرية ولو بيد بيلاطس نفسهِ بدون كسر الاختام او تخديشها ٠ وقالوا أن رفع الحجر ليلاً وهو عمل شاقٌ يتطلب اكثر من قوة اربعة رجال واخراج الجسد من القبر يستحيل اتمامهُ بحضور الحراس ٠ وعلى فرض انهم كانوا نائمين فلا بُد ان صوت دحرجة الحجر واتيان حركات أُخرى كانت كافية لايقاظهم ويقول عامة الشعب «ان كان الحراس قد ناموا فلمَ لم يحكم عليهم الوالي بالموت ؟» ولا يزال هذا السؤال غير مشفوع بجواب والحرَّاس باقون يطوفون المدينة غير حاذرين شرًّا ! فارجوك يا والدي العزيز ألاَّ تذكر عدم ايماني بل آمن معي بيسوع انهُ ابن الله ومخلص اسرائيل ومسيح الانبياء الحي

ابنتك المحبة

ادينا

الرسالة الثامنة والثلاثون

عن بيت عنيا • في بيت مريم ومرثا بعد عيد الفصح بشهر

ابي العزيز

اني آسفة اشد الاسف على عروض الموانع التي اخرتك الى الآن عن الوصول الى اورشليم لكنني ارجو وصول القافلة التي تنتظرها في غزَّة بعد ايام قليلة فتصبح قادرًا على الاسراع في الحضور الينا

اني الآن في بيت عنيا وقد مضى عليَّ مدَّة وانا مقيمة هنا بسبب مقاومة اليهود لنا في اورشليم وقد حرَّضهم على ذلك رؤَساء الكهنة واغروهم ان يضطهدوا كل من يعرفونهُ من تلاميذ يسوع فاضطررنا ان نبرح اورشليم

بايعاز من بيلاطس الوالي في يوم القيامة ونأتي الى هنا نقضي ما شاء الله من الزمان حتى تخمد نار بغض اليهود بعض الخمود وتسلّ قليلاً سخائم حقدهم علينا قائلاً لنا ان وجود تلاميذ يسوع في اورشليم يكون دائماً باعثاً على الشغب والهياج ويقضي بمداخلة القوة الرومانية

ان عمي عاموس الآن في حقلهِ بقرب اريحا لكنهُ سيكون عندنا غداً ولهذا فحين تقترب من اورشليم لا تدخل المدينة بل سر في الطريق على تخم بساتين الملك صاعداً في ساقية وادي قدرون على طريق بيت عنيا٠ واني اتوسل الى الله ان يحفظك ويوصلك اليَّ سالماً فاتمتع بفرح مشاهدتك ولذة معانقتك والاجتماع بك بعد افتراق طال ثلاث سنين

ولكن اية حوادث شهيرة عرضت لي في خلال هذه المدة المديدة! منذ كرازة يوحنا المعمدان ومعمودية يسوع منهُ الى قيامة ابن الله المجيدة! فحقاً اني سعيدة جداً لاني وُجدت في اليهودية في عصر هذه الحوادث فنظرت وسمعت هذه الاشياء النادرة المثال التي سوف تبقى حديثاً غريباً مأثوراً ٠ وخبراً عجيباً مذكوراً على ممر الاحقاب والاجيال! لكنك وان لم تشاهدها بعينيك وتسمعها باذنيك ٠ فهي معلنة بالتفصيل لديك ٠ مسلّمة بامانة اليك ٠ بواسطة

رسائلي الهابطة بها تباعاً عليك • فلك اذاً نفس الشهادة التي لي ولجميع الذين شاهدوها والآن يؤمنون • فارجو اذاً يا والدي العزيز ان تقرأ مرة ثانية مراجعاً بالتدقيق كل ما كتبتهُ اليك من اول رسالة وتستعد بما يتلخص لك من الحقائق للجواب عن هذا السؤَال «أليس هذا الانسان ابن الله ؟ أليس هذا المسيح نفسهُ مسيَّا الالهي المنتظر من زمان طويل ؟ والاَّ فمن هو ؟ من هو هذا الذي غصَّ الهواء بالملائكة يوم ولادتهِ وحلَّ نجمٌ سماويّ فوق مهدهِ ؟ وابن من هذا الطفل الذي سجد عند قدميهِ احكم رجال العالم المجوس الثلاثة – شافا المصري ابن حام وبلطازار الاشوري ابن سام وثوروفا اليوناني ابن يافث – ممثلين فروع الجنس البشري بالسجود لهُ كاله ؟ ومن الذي لاجلهِ قتل هيرودس ثلاث مئة واربعين طفلاً من بيت لحم ؟ من هذا الذي سمَّاهُ يوحنا المعمدان "حمل الله" الذي دمهُ وحدهُ يطهر من الخطية ؟ مَن هذا الذي عند معموديتهِ انشقَّت السماوات فوق رأسهِ وحلَّ عليهِ روح الله بهيئة حمامة من نور بينما صوت الرب كهزيم رعود قاصفة اعلن من اعالي السماوات النقية من السحب "هذا هو ابني الحبيب" ؟ مَن هذا يا ابي العزيز الذي هدأ العاصفة بكلمتهِ ؟ وسكَّن عجيج الامواج ؟ واوقف عصف الرياح ؟

من هذا الذي شفى المرضى والبرص بكلمةٍ ؟ وردَّ اليد المفقودة بلمسةٍ وأبرأَ المفلوج بنظرةٍ ؟ الذي اقام ابنة يايروس وشفى عبد قائد المئة ومنح الحياة لابن ارملة نايين! واخرج الجيئون الشياطين من بايور اللاوي ! وردَّ ابن اخي والي سورية الاصم الاخرس سامعاً متكلماً ! وايَّد تلاميذه بقوة صنع العجائب ! واشبع مرَّةً اربعة آلاف رجل — وفي وقت آخر خمسة آلاف — من بضعة ارغفة وقليل من صغار السمك ! من هذا الذي انحدر اليهِ على جبل التجلي موسى وايليا من ديار المقدَّسين بحلل الامجاد الممنوحة لهما من عند الآب ! من هذا الذي اخرج لعازر من ظلمات القبور والفساد الى نور الحياة والصحة ! من هذا الذي اذ صلى مرَّةً اجابهُ صوت من السماء على مسمع كثيرين مُجدت اسمي وسأُمجد ايضاً ! من هذا يا ابي العزيز الذي في محاكمتهِ وُجد باراً ولم يُحكم عليهِ بشيء وعند ما أُسلم ليُصلب بامر بيلاطس ارضاءً لخواطر اليهود وتخلصاً من تبعة شكواهم عليهِ الى قيصر صُرح ببراءتهِ من بيلاطس نفسهِ حين طلب ماء وغسل يديهِ قائلاً انهُ بريء من دمهِ لانهُ لم يجد فيهِ علة ! من هذا الذي عند صلبهِ اظلمت السماوات ولم تعطِ الشمس ضوءها وتساقطت النجوم ونشبت البروق على الارض نشب السهام وتزلزلت الارض

وقام الموتى من قبورهم! من هذا الذي قام في اليوم الثالث كاسراً عوارض القبر واستُقبل عند خروجهِ بسجود احد رؤَساء الملائكة — الذي كان السيرافيم والكروبيم من خدَّامهِ — الذي ظهر حياً لامهِ — ولنساء الجليل — لمريم ومرثا أُختي لعازر وآخر الكل لي انا! من هذا الشخص العجيب يا ابي؟ من يكون غير المسيح؟» فاقرأ وتأمل وقابل الانبياء التي تشير الى مسيًّا بحياة يسوع وكلماتهِ واعمالهِ وقابل حياة يسوع بالانبياء! واذ ذاك ترى انهُ بالحقيقة اظهر ذاتهُ انهُ المسيح بما حسبناهُ لجهلنا ختماً لخداعهِ وشاهداً على ختلهِ وغشهِ وقد تنبأ اشعياء عن المسيح الذي رآهُ من بعيد انهُ ينبغي ان يكون «رجل اوجاع» «ومحتقرًا ومخذولاً من الناس» وانهُ يقاد «كخروف الى الذبح» «ومن الضغطة ومن الدينونة أُخذ» «وانهُ قطع من ارض الاحياء» «وانهُ جُعل مع الاشرار قبرهُ ومع غنيّ عند موتهِ»

فما اجلى واوضح وابسط هذه النبوات الآن لي ولنا جميعاً! وما اعجب اتمامها بطريقة مدققة اوقفتك عليها مفصلًا وقد تنبأ بنفسهِ عن قيامتهِ لكننا لم نفهم كلماتهِ الى الآن وحينما تكلم عن نقض الهيكل واقامتهِ في ثلاثة ايام اراد بهِ هيكل جسدهِ! فكم من اقوال لم نفهمها حين نطقت

بها شفتاهُ المقدستان والآن تجلت لدينا بمطلق معانيها
برهنةً لنا ان كل خطوة من حياته كانت محاطة بسابق
علمهِ وانهُ قابل الموتَ على علمٍ مطلقٍ بجميع ما يلمُّ بهِ ا
لكن قيامتهُ كانت معلنة بلسان النبوة على فم داود النبي
حيث قال «لانك لن تترك نفسي في الهاوية ولا تدع
قدوسك يرى فساداً ولذلك يسكن جسدي مطمئناً على
رجاء ا» حتى ان وقوفهُ امام بيلاطس وقيافا وهيرودس
تنبأَ عنهُ داود قائلاً. «قامت ملوك الارض وتآمر الرؤساء
معاً على الرب وعلى مسيحهِ» ومع ذلك يقول الرب «انت
ابني وانا اليوم ولدتك» . ثم التفت يا ابي العزيز الى
المزمور (٢٢) وقابل القول فيهِ «الهي الهي ! لماذا تركتني»
بما نطق بهِ يسوع على الصليب وقد اثبتهُ لك في احدى
رسائلي السابقة تجدها كلمات تنبيء بها عن مسيا حين تركهُ
ابوهُ وقد تمت في يسوع حرفياً

ايضاً يقول الملك داود في المزمور نفسهِ عن مسيا
«يفغرون الشفاه وينغضون الراس وهم يستهزئون بي قائلين
اتكل على الرب فلينجهِ اتيت بي الى تراب الموت» .
وكل هذا يدلنا على ان مسياً مع كونهِ ملكاً كان ينبغي
لهُ ان يتألم ويُترَك من الله ويؤتى بهِ الى الموت ! ومع هذا
رفضنا يسوع حين مات ! ولكن طالع يا ابي العزيز المزمور

نفسهُ فترى فيهِ هذه الكلمات التي وضعها النبي داود في فم مسيحهِ العتيد! «جماعة من الاشرار اكتنفتني · ثقبوا يديَّ ورجليَّ · يقسمون ثيابي بينهم وعلى لباسي يقترعون!»

فاقرأ يا ابي العزيز هذه النبوات عن مسيَّا وقابلها بما كتبتهُ اليك في رسائلي وحينئذٍ لا تقتنع ان يسوع هو مسيَّا الانبياء فقط ومسيح الله فقط بل ان اذلالهُ وتحقيرهُ قدام بيلاطس وقيافا وآلامهُ على الصليب وموتهُ ودفنهُ عوضاً عن ان تكون بينات على انهُ ليس المسيح — كما حملتنا غباوتنا وغلاظة عقولنا على الظن اولاً — تتخذ ادلة قاطعة على انهُ ابن العليّ — شيلوه الاله الحيّ الذي تنبأت عنهُ الانبياء — ملك اسرائيل الممسوح · فما اعجب كل هذا! ما اعجب هذه الاشياء الواقعة امام عيوننا! كم كنا عمياً — بل ما اشد غلاظة عقولنا وغباوتنا حتى اننا لم نقدر الاَّ بعد موتهِ وقيامتهِ ان ننظر فيهِ على رغم آلامهِ وموتهِ مسيَّا الالهي! اما الآن فكل شيء ظاهر بنور باهر! برح الخفاء عن النبوات واتضحت لدينا فرأينا انهُ كان ينبغي ان تحدث لهُ كل هذه الاشياء! ومع ذلك انظر كيف ترك سريعاً وتلاشى الايمان بهِ! كيف انكر تلاميذهُ معرفتهُ على الاطلاق! وصرنا جميعنا في خجل عظيم بسبب اتباعنا لهُ! ليتنا لم نكن عمياً واغبياء بهذا المقدار فكنا لا

نرى في النبوات الآيات التي تشير الى مجد مسيًّا وسلطانهِ فقط ونتعامى عن الآيات الدَّالة على اذلالهِ واهانتهِ وموتهِ! اذًا خلِّ عنك بعد هذا يا ابي العزيز قراءة النبوات والبرقع على عينيك! وانظر في كل ما تطالعهُ يسوع خاتمة الانبياء وغرض نبواتهم وتحقيق كل رؤاهم عن المستقبل

لكنك تقول لي في احدى رسائلك الاخيرة «ان ايليا ينبغي ان يأتي اولاً قبل ظهور مسيًّا على الارض» ثم تسأَلني «اين ايليا؟ وهل اتى؟ ومن رآهُ؟» فهذا السؤَال أُلقي على يسوع ايضاً من بعض اليهود فاجاب عليهِ بقولهِ

«ان ايليا جاء ولم تعرفوهُ وقد عملتم بهِ كل ما اردتم» فاخذ حينئذٍ كثيرون من الكتبة والكهنة يتساءَلون فيما بينهم متعجبين «من كان ايليا هذا؟» فاجابهم «كان الذي اتى صارخاً في البرية قدامي وتكلم عني وقد قتلهُ هيرودس» . فقالوا «لكنَّ اسمهُ كان يوحنا يا معلم» فاجابهم «لكنهُ اتى بروح وقوَّة ايليا واذا دُعي ايليا الآتي . فيوحنا كان ايليا ملاخي النبي لان عيون النبوة تنظر الى الطبائع مجرَّدة عن الاسماء»

وهكذا يا ابي العزيز ترى ان يسوع في كل شيء برهن انهُ موضوع كل نبوة — ملك اسرائيل . واظنك لا

نسالني هنا « هل في عزمهِ ان يثبت كرسي داود ويحيا الى الابد ؟ »

نعم ولكن ليس في اورشليم الارضيـة · آه كيف اصبحت كل هذه الامور خاضعة لادراكي الآن · فالملكوت الذي كنت اظن انهُ يكون ارض اليهودية سوف يكون عالماً في عبر السموات أعدَّهُ لاتباعهِ وسيعبرون اليـهِ نظيرهُ من بوابـة القبر فاورشليم التي يثبت فيهـا كرسيَّهُ سموية وهذه الحاضرة ليست الاَّ رمزاً لها

وقد كلمني يسوع بعد قيامتهِ في هذه الاشياء واوضح لي اموراً كثيرة تبعث على العجب والفرح وقـد مضى على قيامتهِ اربعة اسابيع لم يظهر فيها لتلاميـذه فقط بل لمئات من اتباعهِ وفي اليوم السابع لقيامتهِ ظهر علانيةً في الناصرة وعلى شاطيء البحر لبطرس ويوحنـا واندراوس ويعقوب ولتلاميذ آخرين ولكثيرين من انسبائهِ وغيرهم من مواطنيهِ وكلهم لم يعرفوه فقط بـل تعجبوا حينما شاهدوا يديـهِ المصلوبتين ! وكان من نتيجة هذه المعرفـة من الكثيرين كانوا صعدوا الى العيد وشاهـدوهُ مصلوباً انها حملت كل الشعب على السجود لـهُ · اما امهُ التي هي الآن اسعـد النساء كما كانت من قبل اشقاهنَّ فتراها جالسة على الدوام عند قدميهِ صامتـة تتمتع بفرح حضرتـهِ المقدَّسة وقلما

تتكلم بل تراها ناظرة اليهِ نظر ساجدة الى الهها لا نظر ام الى ابنها . وقد برهن لتلاميذه حقيقة كونهِ معهم جسدياً وليس روحياً وذلك بواسطة اكلهِ معهم . واذ كان احد تلاميذه توما غير مصدق انهُ قام من الاموات بجسده الحقيقي بين لهُ بطريقة عجيبة فاشار اليهِ ان يضع اصابعهُ في يدهِ ويدهُ في جنبهِ . وعندها اقتنع توما وابى ان يفعل ذلك وسقط عند قدميهِ بتزيد الخشية والخشوع وسجد لهُ كاله

ويعوزني الوقت ان اردت ذكر كل الامثلة المتعددة التي بها ظهر الرب القائم من الاموات وتكلم مع اشخاص عرفوهُ قبل صلبهِ حتى انهُ ليس من حقيقة ثابتة في اذهان الوف من اهل اليهودية مثل قيامة يسوع من الاموات

وان احتاج الامر الى برهان اعظم من هذا فهو ما اضطرَّ العالم ابرام الفريسي ان يعترف بهِ الى الرباني عاموس من جهة تصرُّف تلاميذ يسوع بعد صلبهِ فانهم اظهروا ارتدادهم بانكارهم لهُ وتركهم اياهُ هاربين الى كل ناحية ومختبئين من وجه حقيقة تعلقهم السابق بهِ . ولم يكن مجرَّد الخوف الذي بعثهم على هذا بل كان ايضاً خجلهم من تطوحهم في الذهاب وراءهُ لانهم كانوا سذَّجاً امناء متعقلين وليسوا في شيء من التعصُّب او التصوُّر الباطل

و كانوا قد تبعوا يسوع لما آنسوهُ فيهِ من طهارة النفس ونقاوة الضمير واخلاص القلب وغيرها من الفضائل التي كانت عناصر صفاتهم الشخصية فهؤلاء البسطاء الساذجون — صيادو السمك المساكين — شقَّ عليهم الظهور امام العالم في مقام كاذب ولذا اسرعوا الى مواراة خزيهم وعارهم وفشلهم وطلبوا لانفسهم العزلة والانفراد في دساكر الجليل يتعاطون الصيد مهنتهم القديمة وتمنوا ان لا يعودوا يسمعون ذكر اسم سيدهم المصلوب في آذانهم · ولكن ماذا نظرنا بعد اسبوع من شيوع خبر القيامة في كل اليهودية ؟ نظرنا اولئك الذين كانوا محتجبين من شدَّة الخوف في زوايا الانفراد خرجوا بمظهر الاقدام والبسالة وصحبوا سيدهم نائلين منهُ غفراناً وعاملين ثانيةً على التمسك بهِ بعرى الايمان الوثيقة واخذوا يتبعونهُ حيثما ذهب حتى الى اورشليم التي كانوا غادروها منذ ايام قليلة هاربين · وصاروا يسيرون الى كل جهة بوجوه مرتفعة كأناس ليسوا بعد من اتباع ملك مدحور مكسور · بل من حاشية سيد هو رب السماوات والارض

وهم اليوم معهُ في بساتين دارد في بيت لحم حيث يجلس يسوع يومياً مع الاحد عشر معلناً لهم مجد ملكوتهِ العتيد · وفاتحاً اذهانهم لفهم كل ما كتب الانبياء عنهُ

ويقول يوحنا احد تلاميذهِ ان قوة يسوع وامتداد جلال ملكوتهِ ونتائج موتهِ وقيامتهِ غير المحدودة كل هذه ليست مما يستطيع ادراكهُ الذين لم يصغوا الى الاعلانات السامية الخارجة من شفتي يسوع ومما قالهُ يوحنا ايضاً «اظهر لنا كيف ان وظيفتهُ الحقيقية كابن الله وابن الانسان تطلب ان يكون وسيطاً بينهما (بين الله والانسان) وانهُ بموتهِ صالح نسل آدم مع ابيهِ اذ صار حمل ذبيحة لاجل كل العالم وارانا ايضاً انهُ كان الكاهن الاعظم وجسدهُ الثمين الذبيحة التي قدَّمها كفارة لصرف غضب الله عن الخطاة وان الصليب كان المذبح الحقيقي لهذه الذبيحة العظيمة عن العالم وهيكلهُ كل الارض والسماوات وافصح لنا ايضاً ان كل الحملان التي سُفكت دماؤُها من عهد آدم كانت رمزاً اليهِ الحمل الحقيقي الوحيد الكافي الذي عيَّنهُ الله ذبيحةً عن الخطايا! وفوق ذلك يعلم تلاميذهُ انهُ عما قليل يصعد من الارض ليدخل ملكهُ السماوي ويكون رعاياهُ جميع الذين يحبونهُ ويحفظون وصاياهُ وسوف يكون ملكوت قداسة ولن يدخلهُ الاَّ الطاهر القلب. ويقول ايضاً انهُ كما نعترف الآن بخطايانا على دم الذبيحة المقدمة عنا في الهيكل ينبغي علينا من الآن وصاعداً ان ننظر اليهِ (بالايمان حين لا نعود ننظرهُ

بالعيان) ذبيحةً عنا ونعترف بخطايانا الى الآب مستشفعين
بهِ هو لاجل ذبيحتهِ الواحدة التي سرَّ بها الآب حين قدمها
على الصليب مرَّةً لاجلنا • وعلم تلاميذه ايضاً ان الامم
يشاركون على السواء اولاد ابرهيم في فوائد موتهِ وقيامتهِ
وان هذه البشارة سوف يكرز لهم بها بواسطة تلاميذهِ
وان خبر الفداء بدمهِ لا بدم عجول وثيران سوف يملأُ
كل الارض عند ملء الازمنة حين تسجد لاسمهِ كل
ركبة • ويقول « ان اساس ملكوتي الابدي سيكون في
الحقيقة ثابتاً على الارض في قلوب الناس • واما البناء فمع
الله ابديٌّ في السماوات • وبابهُ هو القبر الذي اجتزتهُ وكل
الذين ياتون بعدي ويدخلونهُ ينبغي لهم ان يتبعوا
خطواتي » • واذ سألهُ توما الى اين يمضي وما هي الطريق
وكيف يترك الارض وهو لا يمكن ان يموت بعد اجابهُ
« انك ستنظر هذا ليس بعد ايام طويلة ولاني انا قمت
فجميع الذين اعطانيهم ابي سوف يقومون ايضاً من
الاموات • والذين أُقيمهم آتي بهم اليَّ حيث امضي وحيث
اكون انا يكونون هم ايضاً »

فهذا يا ابي العزيز بعض ما اخبرنا بهِ يوحنا عن تعاليم
مسيّا ابن الله الالهية من جهة ملكوتهِ لكنَّ كثيراً منها
مبهمٌ سريٌّ • على اننا نعلم منها ما يكفي لحملنا من

تلقاء ارادتنا على تسليمه انفسنا في هذه الحياة وفي الحياة الآتية · ونعلم ان كل سلطان دُفع اليهِ وانهُ يستطيع ان يخلص كل الذين يؤمنون بهِ ويلقبونهُ الحمل الوحيد المذبوح الذي بهِ رضي الآب عن خطايا الناس وان ذبائح الهيكل ينبغي ان تبطل من الآن؟

والعجيب يا والدي العزيز ان اليهود مع سماعهم بجولانهِ في كل مكان من اليهودية لم يسعَ احدٌ منهم في القبض عليهِ · فمن حضرته يفرُّ جماهير اعدائهِ فرارهم من ريح السموم · ووجودهُ الآن في اليهودية هول على الذين يخافونهُ · وفيما كان بيلاطس على اهبة السفر الى بيت ايل في الاسبوع الماضي سيَّر امامهُ سعاةً ليتحققوا هل يسوع المصلوب في طريقهِ! ولما عزم قيافا بعد عيد الفصح بايام قليلة على الذهاب الى اريحا سمع ان يسوع وتلاميذهُ في طريقهِ فدار منعطفاً من جهة لوز وشيلوه لكي لا يراهُ · وعلى الدوام ترى ابواب المدينة مغلقة بضبط مخافة ان يدخل اليها وبعض الكهنة يخافون جداً ان ينظروا الى وجههِ وبعضهم يقولون انهُ يجند جيشاً ليحمل بهِ على اورشليم ويغتصبها من ايدي الرومانيين · ولكن ملكوتهُ فوق وجميع القاطنين في اورشليم الحقيقية ينبغي ان يتبعوهُ الى هناك عن طريق الآلام والعار والموت

سرَّني قولك لي في رسالتك الاخيرة انــك تــكون عندنا بعد اسبوعين • فليتك هنا الآن فتذهب مع يوحنا وتشاهد يسوع الالانهُ يستدل من كلامهِ انهُ لا يمكث طويلًا منظورًا بيننا • امــا الى اين يذهب وكيف يذهب فــلا احد يعلم • جميعنا نتوقع حادثــة تــكون خاتمة آياتــهِ ومعجزاتهِ الباهرة التي رافقت خطواتهِ ووجودهُ على الارض

ابنتك

المحبة والامينة

ادينا

✡ ✡ ✡

الرسالة التاسعة والثلاثون

عن بيت عنيا · بعد القيامة باربعين يوماً

ابي العزيز

باضطراب لا مزيد عليهِ يكاد يعدمني قوة القبض على القلم وبروع شديد يوشك ان يحول دون استطاعتي ان اكتب اليك حرفاً مقروءًا اجلس الآن لاطلعك على الحادثة العجيبة التي سوف تخلد لهذا اليوم ذكرًا تتناقلهُ ألسنة الانام وشهرة تبقى بقاء الليالي والايام

في رسالتي السابقة اخبرتك ان يسوع بعد قيامتهِ العجيبة واظهارهِ نفسهُ لجميع الناس ببراهين جلية دعا اليهِ تلاميذهُ وعلمهم بحكمةٍ الهية وبلاغة سموية الحقائق

العظيمة من جهة ملكوتهِ واوصاهم ان يبثوها الى اقاصي الارض

في صباح اليوم الاربعين خرج باكراً من بيت مريم ولعازر حيث جلس معنا كل الليل (لانهُ لم يبالِ احد منا قط بالنوم في جنب صوتهِ السماوي) يكلمنا عن امجاد السماء وعن جودة القلب وطهارة الحياة المطلوبتين من جميع الذين يرومون الدخول اليهِ وفيما هو خارج قالت لهُ مرثا «الى اين تمضي يا رب ؟» فاجاب «تعالوا وانظروا . سوف تعرفون الى اين امضي وتعرفون الطريق لانهُ حيث اكون تكونون انتم ايضاً وكل الذين يؤمنون بي» . فقالت مريم جاثية عند قدميهِ «ارجع الينا عند الظهيرة وامكث معنا مدة حرّ النهار» . فاجابها يسوع واضعاً يدهُ على جبهتها «مريم اني ماضٍ الى بيت ابي ! وهناك سوف تسكنين معي يوماً ما في مساكن غير مصنوعة بايدٍ فاتبعيني الآن وانظري الطريق اليهِ ! فقد اجتزت اليهِ اولاً بواسطة التجربة والآلام والموت والقيامة من الاموات وهكذا ينبغي لكِ ان تتبعيني انتِ وجميع الذين يحبونني وباب القبر يُفتح لاصدقائي الى عالم الحياة الابدية» . قال هذا وسار الهوينا نحو تلة بيت عنيا على مقربة من المكان الذي كان لعازر مدفوناً فيهِ ولم تتبعهُ مريم ومرثا ولعازر

ويوحنا وابنة عمي مريم فقط بل جميع تلاميذهِ الذين كانوا في انتظارهِ عند اسفل التلة وكلٌّ منا يتوقع بسبب كلامهِ وحالتهِ حادثة عجيبة

وكان يصحبهُ على الاقل خمس مئة شخص يرافقونهُ حتى سفح التلة الاخضر في عبر القرية والجميع ينتظرون استماع اعلانات أخرى مجيدة عن الحياة الآتية فقال احد تلاميذهِ « انهُ صاعدٌ الى قمة التلة ليصلي » فقال بطرس « كلَّا لم يعد يصلي بعد قيامتهِ كما من قبل ولم تبقَ لهُ حاجة الى الصلاة عن نفسهِ بعدما غلب الخطيئة والشيطان والموت والقبر والهاوية ! » فاسرَّ اليَّ توما « انهُ ماضٍ ليرينا آية عجيبة » . قال لي هذا وهو يتفرَّس في وجهِ الرب بعين الخشية والاحترام . وفيما هو صاعدٌ اخذ منظرهُ يزداد اشراقاً بنور المجد والجلال الالهيين واضاء وجههُ كوجه موسى حين نزل من جبل سيناء فوقفنا جميعنا خاشعين بينما هو ظلَّ متقدماً في صعودهِ حتى اتسعت بيننا وبينهُ شقة المسافة ومع ذلك لم يشب مجدهُ الساطع المحيط بهِ شيء من الهول بل كان متلألئاً بضياء مقدس حتى ظهر كانهُ نفس نور القداسة والسلام فقال لنا يوحنا « هكذا كان منظرهُ على جبل التجلي مع ايليا وموسى » ثم وطئ قمة التلة بقدميهِ المقدستين ووقف هناك وحدهُ ونحن باقون

في اماكننا لا نجسر على الاقتراب منهُ لان ثيابهُ اصبحت الآنَ مضيئة كالشمس ومنظرهُ لاح لاعيننا كالبرق فحجبنا ابصارنا عن النظر اليهِ متوقعين حدوث آية عظيمة — وما هي ? لا نعلم !

فدنا منهُ يوحنا جاثياً على ركبتيهِ ورافعاً يديهِ وعيناهُ شاخصتان اليهِ لانهُ كما قال لنا بعد ذلك كان عارفاً ما سوف يحدث ! اذ كان قد اطلعهُ عليهِ يسوع ليلة امس وكان ينظر الى سيدهِ الالهي فرحاً والدموع في عينيهِ كمن ينظر الى نور الشمس في رائعة النهار · وبالحقيقة يا والدي العزيز كان تأثير ذلك المشهد يفوق الوصف لان التلة كانت محاطة بمئات من المنتظرين المدهوشين وهم في حيرة لا يدرون أيبقون ام يهربون من لدن جلالة ابن الله الرهيب · ثم لبست السماء فوق التلة سحابة واحدة وكان عند اسفل التلة من جهة المدينة المقدسة بستان جثسيماني حيث كان يسوع يحب التمشي وحيث قُبض عليهِ من اليهود · فلاحت لنواظرنا اورشليم بابراجها وقصورها وقلاعها وهيكلها العظيم وكذا الجلجثة ظهرت قائمة بصلبان الرومان المنصوبة فيها حديثاً مشرعة في عنان الهواء · وظهرت لنا ايضاً اشجار السرو الباسقة حول قبر يوسف وتراءى لنا ان يسوع يسرّح نظرهُ في هذه المناظر — اماكن تحقيرهِ

وتألمهِ وموتهِ بعين ظافرٍ الهي • ثم التفت نحو تلاميذهِ وقال

«قد كنتم معي في ضيقاتي واحزاني والآن تشاهدون مجدي وتبصرون الجزاء الذي يمنحني اياهُ ابي فاليوم افارقكم واصعد الى ابي وابيكم وتذكروا كلما قلتهُ لكم من جهة ملكوتي • فاذهبوا واذيعوا بشرى الخلاص الى كل الناس وعمدوا جميع الامم باسم الآب والابن والروح القدس وها انا معكم كل الايام الى انقضاء العالم» • تكلم هذا بصوت ملأَ كل قلب خشيةً ورعباً • ثم مدَّ يديهِ فوق رؤُوسهم وباركهم بينما نحن جميعنا سقطنا على وجوهنا الى الارض لننال معهم بركتهُ • ثم رفع عينيهِ الى اعالي السماء وقال الكلمات عينها التي نطق بها ليلة عيد الفصح كما اخبرني يوحنا قائلاً «والآن مجدني انت ايها الآن عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم!»

واذ قال هذا رفعنا وجوهنا من الارض لنشاهدهُ ينطلق مرتفعاً من قمة التلة الى السماء صاعداً بمجدٍ وقوة ويداهُ مبسوطتان كانهما توزعان علينا البركات • ثم عقب هتاف التعجب من خمس مئة صوت لمشاهدتهِ محلقاً في السحب سكوت مستحيذ حين رأيناهُ ممعناً في الصعود الى

اعلى طبقات الهواء وكلما اتسعت شقة البعد بينهُ وبين الارض زادت هيئتهُ تألقاً ولمعاناً !

فجثونا جميعنا على ركبنا صامتين مندهشين وعيوننا شاخصة الى السماء بدون ان ينطق احد منا بكلمة حتى كان نبضان القلب مسموعاً بوضوح من جراء السكوت التام المستولي علينا ونحن متوقعون بعد ماذا يكون !

ثم شاهدنا بغتةً في اعالي السماء سحابة لامعة بقدر الكف أَخذت تتسع شيئاً فشيئاً وتزداد لمعاناً وهي تسرع في الهبوط سرعة البرق حتى ابصرناها تحوَّلت الى جندٍ من الملائكة كنجوم السماء في الكثرة وفي هبوطهم انقسموا الى فرقتين انتشرتا في عرض الفضاء لملاقاة ابن الله الصاعد في كبد السماء وكان صوت حفيف اجنحتهم التي تعدُّ بالوف الالوف مسموعاً كخرير مياه غزيرة

ثم احاطوا بيسوع كسحابة مضيئة وجعلوهُ في وسطهم وواروهُ عن عيوننا وراء امجاد عظمتهم السماوية !

ثم طرق آذاننا اصوات اغنية سماوية بالحان ارخم واعذب مما سمعت بهِ اذن انسان · ومن اجواق الساروفيم والكاروبيم الناشرين اجنحتهم حول ابن الله صعدت اصوات موسيقية سماوية ربما يسمع الانسان بمثلها في احلام

الليل تنشد هذه الكلمات الآتية · وهي مرتفعة بالمنتصر على الموت والهاوية

«ارفعنَ ايتها الارتاج رؤوسكنَّ ! وارتفعنَ ايتها الابواب الدهريات فيدخل ملك المجد !» وكأني باحد رؤساء الملائكة الواقف في اعالي السماوات يحرس مدخلها من جهة الارض اجابني بهذا القرار قائلاً

«من هو هذا ملك المجد ؟» فأُجيب من الاجواق الصاعدة بيسوع بهتاف فرح الانتصار

«الرب القدير الجبار الرب الجبار في القتال ضد السيادات والقوات · ارفعنَ ايتها الارتاج رؤوسكنَّ وارفعنها ايتها الابواب الدهريات فيدخل ملك المجد»

وعندها سمعنا صوتاً عظيماً كما من السماوات مصحوباً بهتاف بوق وعشرة آلاف صوت من حول عرش الله كانهم يقولون

«يصعد الله بهتاف راكباً على السماوات ! صاعداً الى العلاء · قد سبى سبياً وقبل عطايا الناس · يا جميع الامم صفقوا بالايادي · اهتفي بصوت الانتصار يا كل جند السماء ! · افتحي ابوابكِ يا مدينة الله ! وارتفعي ايتها الابواب الدهريات ليدخل ملك المجد ! »

ثم توارت عن عيوننا سحابة الملائكة في اعالي السماوات وابن الله مضيء في وسطها

وبينما نحن شاخصون الى الاعالي ظهر لنا كوكبان هابطان من العلاء الينا وبعد بضع ثوانٍ رأيناهما ملاكين فحلَّا على المكان الذي ارتفع عنهُ يسوع وخاطبا الاحد عشر تلميذاً قائلين

« ايها الرجال الجليليون ما بالكم واقفين تنظرون الى السماء ان يسوع هذا الذي ارتفع عنكم الى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموهُ صاعداً ! » . ثم تواريا عن الابصار !

وقد كتبت اليك يا ابي العزيز عن هذه الحادثة العجيبة على اثر حدوثها لكي لا اترك شيئاً مهماً من تفصيلها مهملاً. فيا لهُ من منظر سامٍ اوايَّة لغة بشرية تقوى على وصفهِ ! لكنني بينت لك شيئاً واحداً بملء الجلاء وهو ان يسوع صعد الى سماء السموات ! فيا لها من حقيقة مدهشة ! — من امرٍ واقعيّ مجيد ! فما هي آه ما هي الارض ؟ — ما هي اليهودية وما هو الانسان ؟ حتى يذكرهُ الله — حتى يفتقدهُ هكذا ! • ولما افتقدنا — حينما حلَّ على الارض ابنهُ الالهي — بهاء مجد الآب — واتخذ طبيعتنا ليصالحنا مع الله ويعدّ لنا حياة ابدية كيف قوبل ؟ احتقر لاجل فقرهِ —

خذل لاجل قداسته – حوكم في جرائم لم يعرفها – جلد وبصق في وجهه وأُهين وأُذل وصُلب مع لصين كأنَّ اعداءهُ حاولوا ان يجعلوا موتهُ دنيئاً مهيناً بقدر استطاعتهم! ولكن أُنظر النتيجة! أُنظر حينما أُوفي دين الموت عنا كيف تغيرت كل الاشياء! استيقظ حياً! وخرج من القبر مستقبلاً بخدامهِ الملائكة! وبعد اربعين يوماً قضاها يفسر لتلاميذهِ اسرار انجيله وعظمة ملكوتهِ صعد علانية الى السماء في منتصف النهار من بيت عنيا على مرأى مئات من الناس وحمل بجيوش الملائكة الى يمين المجد في العلاء

فهذا يا ابي العزيز تفصيل الحادثة العجيبة التي ختمت حياة يسوع على الارض واعلنت تتويجهُ رباً ومسيحاً! وصعودهُ من الارض الى سماء السموات ليس برهاناً على انهُ اتى من الله فقط بل على ان الله سرَّ بكل ما عملهُ في الجسد . فلو انهُ مرة علَّم او تكلم بما ليس حقاً سواء كان من جهة الآب او من جهة نفسهِ لم يستقبل بمثل هذا الترحاب المجيد الى المساكن السماوية! فاذاً كل ما قالهُ يسوع عن نفسهِ حقٌّ! والله سبحانهُ راضٍ بهِ مثبتٌ لهُ! فعلينا ان نؤمن والاَّ فليس لنا من فائدة في ملكوتهِ الذي ذهب ليعدَّهُ لنا والذي انما ندخلهُ كما اعلن انما بواسطة الذل والالم والموت والقبر والقيامة والصعود وهكذا

يكون بالحق قد قال

«حيث اذهب تعرفون الطريق»

فواضح اذًا ان ملكوتهُ يا والدي العزيز ليس من هذا العالم كما قال لبيلاطس الوالي لكنهُ فوق واليهِ صعد منتصرًا محفوفًا باجواق الكروبيم والساروفيم صعودًا رآهُ داود بعين النبوة حيث يقول «صعد الله بهتاف الى العلاء !»

خلِّ عنك الشك يا ابي العزيز • يسوع ابن مريم في طبيعتهِ البشرية كان ابن الله في طبيعتهِ الالهية • ذلك اتحاد سري غير مدرك جمع بهِ الطبيعتين المنفصلتين احداهما عن الاخرى بحجاب الخطيئة موفقًا بينهما بواسطة تقديم جسدهِ كذبيحة اثم ليصالحهما في جسدٍ واحد بلا دنس على الصليب • فلا شيء الآن من الدينونة على الذين يؤمنون بهِ ويقبلونهُ لانهُ على جسدهِ اخذ خطايانا وبدمهِ الثمين كان حملًا بلا عيب غسلها ومحاها

لكنني لا اقدر ان اكتب اليك كل ما أُريد ان اقولهُ لك يا ابي العزيز • فحينما نلتقي وذلك حسب قولك المفرح يكون في اول الاسبوع في اورشليم اشرح لك كل ما علمنا اياهُ يسوع الالهي المجيد • فلا تشك في انهُ مسيًّا ولا

تبطىء في قبولهِ لانهُ خاتمة موسى والناموس والانبياء · شياوه المزمع ان يأتي ليرد كل الاشياء · الذي لهُ العظمة والجلال والاكرام · والمجد والقوة والسلطان · الى آخر الايام ومنتهى الازمان

ابنتك المحبة

ادينا

انتهى

Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz C

Anyone who asks for this volur read, collate, or copy from it, anc appropriates it to himself or hers cuts anything out of it, should r that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

Religion: Christology
Beth Mardutho Library

رئيس بيت داود العظيم

او

ثلاث سنين في اورشليم

تأليف

العلامة الفاضل يوحنا انغرهام